



الجيش اللبناني

الدفاع الوطني
اللبناني الدفاع الوطني
اللبناني الدفاع الوطني

الدفاع الوطني
اللبناني الدفاع
اللبناني الدفاع
اللبناني الدفاع
اللبناني الدفاع

الدفاع الوطني اللبناني
اللبناني الدفاع الوطني
اللبناني الدفاع الوطني

اللبناني الدفاع
اللبناني الدفاع
اللبناني الدفاع



مجلة الدفاع اللبناني

العدد التاسع - تموز ١٩٩٤

عهد العطاء

عديداً بعد عدد، تتبلور شخصية «الدفاع الوطني اللبناني»، وتتنوع مواضيعها وكلها تصب في خانة تثقيف العسكريين والمدنيين، وتزويدهم أصحاب الإختصاص بمادة دسمة تفيدهم في دراساتهم، والأهم إطلاع المسؤولين في العمق على بعض مشاكل الساعة من اقتصادية وثقافية وتربيوية، وعرضها بشكل موضوعي، وطرح الحلول التي قد تساعدهم في إخراج الوطن من المشاكل التي تراكمت على مر السنين وساهمت الحرب الداخلية في إذكائها.

وإذا أردنا في شهر آب، ومطلعه عيد الجيش اللبناني، أن نسرد الإنجازات التي حققتها المؤسسة العسكرية، لتوقفنا مطولاً في الشأن الثقافي عند هذه المجلة بالذات التي صارت تشكل ظاهرة مميزة أقل ما يقال فيها إنها على فراحتها برهنت لللبناني واللبناني أن الجيش الذي يعرف كيف تكون الحرب ويتقن استعمال السلاح، يعرف أيضاً سحر القلم وتأثيره يوم يستتب الأمن ويعم السلام.

أكاديمية قطعنا لكم عهداً أن تكون، أكاديمية كانت وترسخت بين المجالات الفكرية، وقد حفظ ذلك بفضل مستواها الرفيع وتطورها إلى المواضيع الفكرية والسياسية والإقتصادية والثقافية المختلفة التي تهم القارئ العادي وصاحب الإختصاص.

والاليوم، أعزّلنا القراء، نجدد لكم العهد الذي قطعناه بأن نستمر في العطاء خدمة ل الوطن وللحركة الفكرية فيه.

العقيد الركن علي حرب
مدير التوجيه

الفهرست

العدد التاسع - تموز ١٩٩٤

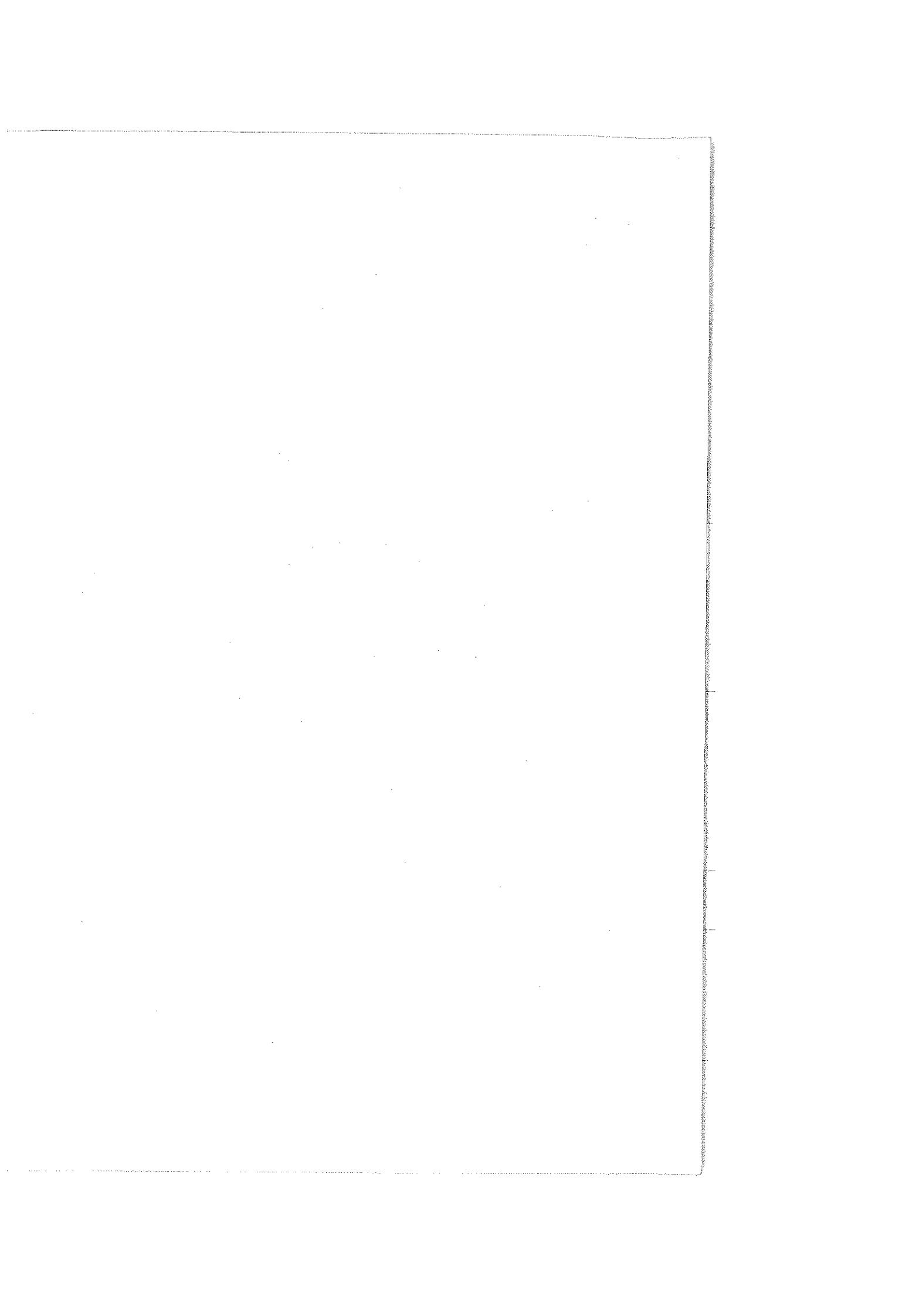
١	كلمة التحرير
٥	النظام العالمي الجديد امام الصعوبات العميد الركن سامي ريحانا
٤٩	مصير السلاح في الشرق الاوسط العميد الركن اديب سعد
٧٩	الحرب في اليمن د. ميشال سلامة
٨٧	ملف المهجرين د. نسيم الخوري
١٥٣	في التأهيل البحري العميد الركن سمير الخادم
١٧٩	المراة والحياة السياسية في لبنان د. فادي كيوان
١٧٩	أريحا في التاريخ د. الياس القطار
١٩٧	التطور الكمي لنظام التعليم في لبنان جورج أبي صالح
٢١٩	الوظيفة التربوية لأدب الأطفال د. فادي حطيط

قراءة كتب

٢٢٥	الشرق الاوسط الجديد العقيد الركن سمير الشويري
٢٤٧	أوروبا المالية والنقدية د. عبدالله فرحت
٢٥٥	سيكولوجية الإرهاب السياسي د. عبد الفتاح دويدار

٢٧٤ D. Mouine Haddad Beyrouth: Site et Urbanisme

٢٩٨ D. Illia Harik The Democracy of Education



النظام العالمي أمام الصعوبات

العميد الركن سامي ريحانا (*)

مع نهاية هذا القرن، بربز تحول في الأنظمة الدولية أثر على مفاهيم التوازنات في العالم، وهو ولادة ما سمي بـ«النظام العالمي الجديد». فأمام اتحاد سوفياتي متفكك، وروسيا خارجة من نظام اشتراكي تتلمس طريقها نحو نظام ليبرالي واقتصاد السوق، ودولة صينية لم تكن تتمكن من تأمين تنفيذية شعوبها حتى سبقتها التكنولوجيا الحديثة، وأوروبا حائرة تحاول جمع صفوتها وتتوحد اقتصادها بهدف التأثير في السوق اقتصادياً وسياسياً، وبيان توصلت إلى دفع اقتصادها قديماً بدون أن تتمكن من اتباع سياسة عسكرية وستراتيجية واضحة في العالم؛ أمام هؤلاء جميعاً يبدو الجبار الأميركي وكأنه اللاعب الوحيد في هذا الملعب الضخم. فتأثيره الدولي، وأمكانات نقل قواته بسرعة ونشرها في أي بقعة من العالم، واقتصاده الذي ما زال في الطليعة، وغياب الموازن له؛ أمور تدفع إلى الاعتقاد بأنه ركز فعلاً نظامه الأوحد المهيمن على العالم. فالتوازن الدولي القائم على التحالفات والعداوات المتغيرة باستمرار والذي ساد أوروبا وأسيا وسمى «رقصة الديناصورات» يبدو أنه في طريقه إلى الزوال.

ومما لا شك فيه أن النظام الأوحد أفضل للاستقرار الدولي والإقليمي والمناطقي من سياسة توازن الرعب وال الحرب الباردة، وإن هذا النظام تمكن من حل أمور عديدة في العالم وهو في طريقه لحل أمور أخرى. إلا أن دراسة نقدية لإنجازاته تدفع إلى التساؤل:

هل ستتمكن الولايات المتحدة من فرض نظامها في المستقبل؟

(*) عميد ركن - دكتور في التاريخ.

وهل ستترك لها باقي القوى العالمية هذا التمايز؟
وما هي تأثيرات النظام الجديد في الأزمات المتصاعدة في العالم؟
لقد رفع ستار العام ١٩٩٤ عن أزمات إقليمية في العالم كله لم تجد حلولاً بعد:
- فالجبار السوفيaticي المتفكك، خلق أزمات في روسيا ويوغوسلافيا والبلقان والقوقاز.
- وأوروبا الموحدة، تعترض سبيل واشنطن رغم التنسيق معها.
- والشرق الأقصى، يتحرك: من Яапان مسيطرة اقتصادياً، إلى صين متطرفة عسكرياً، إلى فيتنام وكوريا شمالية راضضتين للهيمنة الأمريكية.
- والشرق الأوسط، لم يتمكن من سلوك طريق السلام الشامل والعادل رغم الدعم الأميركي الواضح، إنما المنحاز إلى إسرائيل.
- والصومال والخليج العربي وأفريقيا...

وغيرها من الأزمات التي تعترض سبيل النظام الجديد وتؤخر سيطرته. فشرط النظام الأوحد، هو تجنب البشرية الوبيلات، والعمل على وقف الحروب، وحل الأزمات المحلية والدولية بطريقة تملأ الفراغ في المؤسسات الدولية القائمة. والواضح أن الولايات المتحدة لم تفعل ذلك حتى الآن، ربما عن تقصير وربما عن قصد.

وقبل التطرق إلى الصعوبات الحالية المعرضة لهذا النظام، نرغب في التلميح إلى القدرة القومية الأمريكية التي جعلتها مؤهلاً للعب دور الحكم في هذا الكون.

أولاً: عوامل القدرة القومية في الولايات المتحدة

نقصد بعوامل القدرة القومية، الوسائل والإمكانات البشرية والمادية والجغرافية والاقتصادية والعسكرية والجيوستراتيجية التي تشكل قوة الدولة وتمكنها من تبوء المركز المرموق في العالم. وتدخل هذه العوامل في حساب مركز الدولة العالمي وقدرتها على التأثير على مجرى الأحداث الدولية وفعاليتها في تغيير مسارها^(١).

من هذه العوامل ما يشكل قوة للدولة بمقارنتها مع باقي الدول. ومنها ما يشكل عامل ضعف وتخلف. إلا أن الثابت والأكيد هو أن قدرة الدولة ومدى استقلالها وفعاليتها يتعلقان بامكانيتها على الاكتفاء الذاتي من مواردها وحيازتها مواد أولية تفوق حاجتها تمكنها من ممارسة ضغوط على الأسواق الخارجية. هنا علامة على قدراتها العسكرية والاستراتيجية والتكتيكية التي قد تدفعها في تيار

(١) موريز ايرويك، «مدخل إلى التاريخ العسكري»، دار الإرشاد، بيروت، ١٩٧٠، ص ١٣١ - ١٣٨.

المغامرات العسكرية، مهددة السلام العالمي أو قالبة مقاييس التوازن فيه، ومدى صداقاتها الدولية وأحلافها ومعاهداتها مع باقي الدول.

من هذا المنطلق، نرى أن الولايات المتحدة تشكل أبرز قوة عظمى في العالم اليوم. فهي تملك قدرات عسكرية وسياسية واقتصادية هائلة، وصداقات دولية لا سيما لدى الدول المؤثرة في أوروبا والعالم الأول تمكنتها من فرض سيطرتها وحكمها على القسم الأكبر من الأحداث العالمية، لا سيما مع غياب الجبار الثاني أي الاتحاد السوفياتي وعدم بروز نظام دولي جديد قادر على موازنة تأثيراتها. وستتعرض في دراستنا إلى المعطيات الثلاث التي تحدد القدرة القومية للدولة وهي:

- المعطيات الديمغرافية والجغرافية.
- القدرة الاقتصادية.
- القدرة العسكرية.

إضافة إلى الصداقات والتحالفات الدولية، وذلك في ملحق خاص بهذه الدراسة.

ثانياً: المفهوم الأميركي للنظام الأوحد

حدد مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي، أنطونи لايك، مفهوم النظام العالمي، في مقال نشرته مجلة الشؤون الخارجية^(٢) بأنه «مسؤولية خاصة تقع على عاتق الولايات المتحدة باعتبارها القوة العظمى الوحيدة الباقية في عالم اليوم. وهذه المسؤولية تتطلب أوضاعاً استراتيجية لتحييد الدول المهددة للسلام واحتواها من خلال وسائل مختارة لممارسة الضغط».

فإذا ألقينا نظرة متفحصة على ما سبق من تحديد للقدرة القومية للولايات المتحدة في ظل غياب الجبابرة الآخرين، للاحظنا أهمية دورها المرتقب في العالم. فاقتصادها يُضاهي اقتصاد غرب أوروبا مجتمعة، ويُتعدى ٢٦٠٪ الاقتصاد الصيني، و٦٣٠٪ الاقتصاد الروسي^(٣). وفي مجال القدرة العسكرية، تشكل فئة منفردة بذاتها، ليس بسبب أسلحتها النووية وأساطيلها الجوية والبحرية المتقدمة، بل لأنها تملك أيضاً التكنولوجيا المتقدمة جداً والأقماء الصناعية. وأكثر من ذلك كلّه، فإنها تملك إمكانية التأثير على العالم فتتخذ القرارات القاطعة وتتنفيذها غالباً دون اللجوء إلى استعمال القوة العسكرية. وحتى عند اضطرارها لاستعمال هذه القوة، فإنها تملك درجة عالية من الإقناع تجعلها تستقطب حولها الحلفاء والتابعين. والمثل الصارخ لذلك يأتي من حرب الخليج ضد العراق. فخلال تدخلها العسكري، تمكنت الولايات المتحدة، ليس فقط من تشكيل حلف دولي وقيادة الحرب

(٢) مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية - الاثنين ٢٨ شباط ١٩٩٤.

The Economist, January 8th, 1994.

(٣)

باسم التحالف هذا، إنما تمكنت من استقطاب غالبية الدول العربية التي خاضت الحرب للمرة الأولى في تاريخها إلى جانب ما كانت تدعوه «قوى الاستعمار» ضد إحدى دول الجامعة العربية.

وهكذا تجد الولايات المتحدة نفسها ملزمة بمعالجة قضايا العالم المتعثرة. فبعد أربع سنوات من انهيار جدار برلين ونظام الشرق والغرب وسياسة الحرب الباردة، تحول مفهوم التعامل الدولي في أواسط السياسة الأميركيّة من عقيدة «الردع» التي أدت إلى سباق التسلح النووي الستراتيجي مع الاتحاد السوفييتي، إلى عقيدة جديدة يمكن نعتها بـ«الإجبار» أو «الإلزام». فالردع كان يقضي بالاحتفاظ بقوات عسكريّة هائلة للرد على أي معتدٍ محتمل وإجباره على الانكفاء. أما سياسة «الإجبار» فتهدّف إلى إلزام أي معتدٍ على تغيير إجراءاته، إنْ قبل القيام بها أو بعد تنفيذها. وهذا الإلزام قد يكون بتنفيذ القرارات الدوليّة بالتراسي، كما يحصل حالياً في العراق وكوريا الشماليّة من تفتيش وتدمير للأسلحة النوويّة، أو باستعمال القوى العسكريّة الدوليّة، كما يحصل في يوغوسلافيا السابقة، أو القوّة المتعددة الجنسيّات، كما يحصل في الصومال والعراق.

وتذهب بعض القوى الدوليّة إلى مطالبة النظام الجديد بأكثر من ذلك. فخلال اجتماع دوليٍّ منعقد حوالى السنة حضرته ٣٥٠ منظمة دولية، قدم المؤتمرون اقتراحين:

- الأول يقضي باعتماد «النسبة» في حقوق الإنسان، وإلغاء شرعة حقوقه المعتمدة من الأمم المتحدة. بمعنى أن حقوق الإنسان الأميركي أو السويسري، لا يمكن أن تكون معايير لحقوقه في دولة متّخلفة يسودها العنف وحكم الميليشيات أو القبليّة أو غيرها.

- الثاني يقضي بإنشاء «جيش دولي دائم» يوضع بتصريف الأمم المتحدة ويكون في وضع الجهوز الدائم للتدخل حيث تدعو الحاجة في العالم. أما ظروف تدخله، فمنوطه بقرارات الأمم المتحدة، وقد تصل إلى حد نزع صفة الشرعية عن إحدى الحكومات. وفي هذه الحالة، يتحرك الجيش الدولي برعابة المنظمة الدوليّة ويستبدل الحكومة بأخرى بالقوة العسكريّة.

إن النظام العالمي لا يزال بعيداً عن هذين الاحتمالين، إلا أن الولايات المتحدة وبهدف ملاحة سياسة الدولة العظمى الوحيدة، ارتبطت ولا تزال بمعاهدات وصيغات مع جهات وقوى مختلفة في العالم. فمن جهة، تعتبر أوروبا الغربية أبرز داعمي السياسة الخارجية الأميركيّة رغم محاولات بعض دولها كفرنسا والمانيا سن سياسة خارجية مستقلة عن النظام الأوروبي والأميركي. ومن جهة أخرى، تتقارب أميركا من روسيا زعيمة العالم السوفييتي المتفكك، مستعملة المساعدات

وخاصة الغذائية منها، لتأمين تغطية العالم الاشتراكي لمخططاتها. ومن جهة ثالثة، تحاول فرض عقوبات اقتصادية على الدول الصناعية الكبرى وأبرزها اليابان لمنعها من عرقلة النظام الدولي الناشيء^(٤). أما البلدان الكبرى الأخرى كالصين والهند وباكستان وغيرها، فتبدو مشغولة بمشاكلها الخاصة الناشئة عن تحدي التكنولوجيا والتطور الاقتصادي والعلمي الحالي.

ومن أبرز محاولات الجمع للأطراف، يمكن تسجيل الرغبة الأمريكية في استقطاب دول الكتلة الشرقية السابقة والتي تخلصت من السيطرة السوفياتية لإدخالها في منظمة حلف شمال الأطلسي، ضمن مفهوم «الشراكة من أجل السلام» الذي تبناه هذا الحلف خلال اجتماعه في بروكسل بتاريخ ١٠ كانون الثاني ١٩٩٤ والهادف إلى «تنمية التعاون مع الدول الشيوعية السابقة تمهيداً لانضمامها المحتمل إلى الحلف». وهذا الأمر تعارضه روسيا، إذ اعتبر الزعيم القومي المتشدد فيها، فلاديمير جيرينوفسكي أن «توسيع الحلف الأطلسي ليشمل دول أوروبا الشرقية، سيمهد الطريق لنشوب حرب عالمية ثالثة لأن هذا الانضمام سيكون كتلة كبيرة من الدول في وجه روسيا...»^(٥).

ومن مظاهر الهيمنة سياسة مراقبة التسلح النووي بالطريقة التي ترتئيها واشنطن. فقد صرخ مستشار الرئيس الأميركي لشؤون الأمن القومي إنطوني لايك إنه «ينبغي على الولايات المتحدة أن تعمل على عزل الدول المتمردة التي لا تزال تصر على المضي في محاولات امتلاك أسلحة الدمار الشامل ومخالفة الاعراف الدولية»^(٦). وحدد لايك هذه الدول بخمس وهي إيران، العراق، ليبيا، والكورياتان دون ذكر أصدقاء واشنطن كإسرائيل وغيرها.

ومن ضمن مفهوم «الشراكة من أجل السلام»، تعمل الولايات المتحدة على إشراك القوى العظمى في مشاريع اقتصادية دولية بهدف جمعها تحت مظلتها الاقتصادية والعلمية. وأبرز المشاريع هي التي تشارك فيها أوروبا وروسيا ودول العالم الأول والثاني، كاليابان وكندا، والعالم الثالث لا سيما دول الخليج العربي. وعلى سبيل المثال، نذكر أنه، خلال الشهور القليلة المقبلة، قد يبدأ تنفيذ مشروع فضائي عملاق يعد الأول من نوعه بهدف غزو كوكب المريخ وإزاحة الغموض الذي يحيط به. ويشارك في المشروع كل من الولايات المتحدة وروسيا واليابان والمانيا وبريطانيا وفرنسا وعدد من دول العالم السوفياتي السابق^(٧).

(٤) السفير - العدد ٦٧٢٥ - السبت ٥ آذار ١٩٩٤ - صفحة ١٦.

(٥) الديار - العدد ١٩٤١ - الثلاثاء ١١ كانون الثاني ١٩٩٤ - صفحة ٢٢.

(٦) مجلة الشؤون الخارجية الأمريكية - الاثنين ٢٨ شباط ١٩٩٤.

(٧) الديار - العدد ١٩٩٣ - الجمعة ٤ آذار ١٩٩٤ - صفحة ٢٤.

والامتحان الأول الذي اجتازه النظام العالمي الجديد، تمثل بغزو الكويت من قبل العراق. وقد اجتازت الولايات المتحدة الامتحان بنجاح. فهي، وبعد أن فشلت مع أصدقائها في ردع العراق عن تنفيذ عملية الغزو، قامت على رأس تحالف دولي ضخم ضد العديد من الدول العربية ودول العالم الثالث بـ«اجباره» على الانسحاب باستعمال القوة.

وبعد هذه التجربة، تصدى النظام الجديد للمعديد من القضايا الدولية بدون أن يمكن غالباً من حلها، لكنه عمل على حصر أضرارها ومنع امتدادها. ففي الشرق الأوسط، دفع بالدول العربية وإسرائيل إلى البدء بمقاومات سلمية بعد عداوة طويلة. وحتى الآن تم توقيع اتفاقية غزة - اريحا أولاً مع منظمة التحرير وأعلان مبادئ مع الأردن وفي أفريليا، تصدى للأزمة الصومالية، حاماً إلى الشعب المساعدات الإنسانية، وعملاً على حصر الأزمة العسكرية رغم أنه لم ينجح كلياً في ذلك. وفي أوروبا نفسها، تصدى للأزمة اليوغوسلافية وما يزال. وفي أميركا الوسطى، تصدى لأزمة هايتي. وفي الشرق الأقصى، لأزمة الكوريتين.

لقد نجح النظام العالمي أحياناً وراوح الخطى أو فشل في أخرى. إلا أن الإدارة الحالية لهذا النظام لم تتمكن بعد من سن عقيدة واضحة لسياسة خارجية وعسكرية ودولية واضحة، في عالم اختفى فيه العدو التقليدي، وغابت عنه الحرب الباردة، وتجاوز نظام «الرد الكثيف» و«الردع النووي» اللذين كان معمولاً بهما منذ الحرب العالمية الثانية.

ويُعتبر عدم وضوح الرؤيا هذه من أهم الأسباب التي خلقت ولا تزال الصعوبات أمام النظام العالمي.

ثالثاً: صعوبات النظام العالمي

مقابل الرغبة الأميركية في إقامة النظام العالمي الواحد والسيطرة عليه وإدارة العالم اليوم، سجلت أحداث ومواقف معارضة ومعرقلة. فرغم أن طريق الجبار الأميركي كانت سهلة السلوك منذ انهيار الاتحاد السوفييتي، لكن صعوبات بدأت تبرز أمامه متجلسة بالأزمات الدولية التي بقيت بدون حلول جذرية رغم التورط الأميركي فيها.

وسنحاول التركيز على المصاعب والعقبات التي تعرّض النظام العالمي، بدون العودة إلى إنجازات هذا النظام على الصعيد الدولي، وإلى نجاحه في استقطاب التأييد العام في تدخلاتها المتعددة إقليمياً ودولياً.

أ - النظام العالمي وروسيا:

أبرز الصعوبات التي تعرّض النظام العالمي تبرز في روسيا، تلك الدولة التي

ورثت الجبار السوفياتي المتفكك مع القسم الأكبر من عوامل قدراته القومية وامكاناته ومن تطلعاته العالمية ورغبتها في لعب دور الدولة العظمى في الأزمات الدولية. والتابع لتطورات السياسة الروسية، خصوصاً في مجال العلاقات الدولية، يلاحظ مؤخراً تغييرات واضحة تُظهر أن حكومة يلتسين بدأت تعيد النظر في مواقفها الدولية، متراجعة عن التبعية التي كانت قد اعتمدت لها لصالح الجبار الأميركي طوال السنوات الثلاث الأخيرة. فقد ظهر جلياً للمسؤولين الروس ان ثمة خلافات جوهيرية بين مصالحهم والمصالح الغربية حتى ولو كانوا في وضع الضعف، وأن المصلحة الوطنية تفرض عليهم وضع خطوط انفصال جنباً إلى جنب مع خطوط الاتصال المدودة حالياً مع الولايات المتحدة.

والجبار السوفياتي، الذي تربّع منذ الحرب العالمية الثانية على أحد عرشي قيادة العالم المتحضّر، والذي تعرض خلال النصف الثاني من آب ١٩٩١ إلى هزة عنيفة فككت نظامه الاشتراكي وعلمه الشيوعي، ترك إرثاً جيوستراتيجياً واقتصادياً وعسكرياً ورثت روسيا غالبيته. وهي، وإن تراجع تأثيرها منذ ١٩٩١ على الصعيد العالمي، وبعد أن استقرت الأوضاع السياسية في موسكو، تحاول العودة بقوة إلى ميادين الصراع في أمكنة متعددة، كالشرق الأوسط والبلقان والشرق الأقصى وحتى أوروبا الغربية عرين حلف شمال الأطلسي الذي يتزعمه الجبار الأميركي.

فعلى الصعيد الاقتصادي، تبوأ الاتحاد السوفياتي السابق مركز الأولية في العالم في البترول والغاز وال الحديد والبوتاسي واللينيت والبطاطا والشعير والشوفان واحتياط الفحم الحجري، والمركز الثاني في الذهب والفوسفات والانتاج الخنزيري والغنماني والقمح، والثالث في القطن والانتاج البقرى والحبوب عامة والفضة والنحاس، والرابع في الذرة والشاي، والخامس في النبيذ والاحتياط البترولي^(٨). لكن مصاعبه الاقتصادية، ولا سيما التموينية، دفعته العام ١٩٩٠ إلى بيع ٥٠٠ طن من الذهب، وعام ١٩٩١ بين ٧٠ و٨٠ طناً، وإلى إصدار نقود ورقية خلال شهر آب ١٩٩١ ما يوازي حجم النقود التي أصدرها خلال العام ١٩٩٠ بكامله^(٩).

وفي المجال الجيوستراتيجي، شكل الاتحاد السوفياتي ثقلًا عالمياً هاماً، إن في المساحة (٢٢٤٠٢٢٠ كيلومتر مربع) أو عدد السكان (٢٨٦,٧ مليون نسمة) أو الغابات (٣٤,٤ من مساحته) أو مجاري المياه (٩٦٠٠٠٠ كيلومتر) أو البحار الداخلية (٩٢٧,٥٠٠ كيلومتر مربع).

Quid, op. cit., pages 1109 - 1126.

(٨)

(٩) وكالة روپتر - ٢ تشرين الاول ١٩٩١.

أما قواته العسكرية التي كانت تعداد مليونين ونصف عنصر، ولا سيما قواته النووية التي ورثت روسيا غالبيتها، فكانت تشكل ثقلاً عسكرياً هائلاً^(١٠). (المزيد من التفاصيل حول القدرة العسكرية السوفياتية يمكن العودة إلى الملحق رقم ٧ من هذه الدراسة). وتحاول روسيا جمع الأسلحة النووية التي خلفها الجبار السوفياتي تحت قيادتها. فبتاريخ ٧ آذار ١٩٩٤، وصل أول قطار يحمل ٦٠ رأساً نووياً أوكرانياً إلى روسيا وسط تكتم شديد. وصرح خبير روسي أن روسيا ستتنزع السلاح النووي من أوكرانيا خلال سنة، وهو يشمل ١٧٦ صاروخاً تحمل ١٣٠٠ رأس نووي، وأكثر من ٣٠ مقاتلة قاذفة مجهزة بما لا يقل عن ٦٠٠ رأس نووي^(١١).

إن وراثة روسيا للترسانة العسكرية السوفياتية، وخاصة النووية، جعلت منها قوة لا يتهاون بها ومكنتها من طلب المشاركة في القرارات الدولية. وهذا ما بدأ تفعله. فقد ظهرت السياسة الروسية الاستقلالية واضحة في أزمات دولية واقليمية عاصفة، كأزمة الخليج وهaiti والصومال والصراع العربي - الإسرائيلي ولبيا وفي الصراعات الدينية والسياسية والعرقية في أوروبا الشرقية، يوغوسلافيا السابقة خاصة. فالدور التابع للغرب، جعل روسيا تخسر خلال سنوات ثلاثة ما بنته من صداقات في العالم الثالث خلالأربعين سنة. وأبرز ما دفع روسيا في هذا الطريق الجديد، الشروط القاسية المفروضة عليها، وتباطؤ المساعدات الغربية الموعودة بها مما زاد أزمتها الاقتصادية تراجعاً ومجتمعها فقرًا وعزاءً.

ويأتي النموذج الأول للصعوبات التي تضعها روسيا أمام النظام العالمي، من البلقان، المنطقة ذات التأثير السوفياتي سابقاً. فالروس سبق وتحالفوا مع الصرب بحكم عوامل العرق السлавي والدين الأرثوذكسي والعوامل الاستراتيجية، وحاربوا معهم، ونشروا حولهم مظلة من الحماية المعنوية والعسكرية معرقلين طوال ٢ سنوات القرارات الدولية وإنذار حلف شمال الأطلسي الأخير^(١٢).

وعندما وجه حلف شمال الأطلسي إنذاره الشهير للصرب بفك حصار الأسلحة الثقيلة المضروب حول ساراييفو، سارع الروس إلى إنزال جنودهم تحت علم الأمم المتحدة لحماية الصرب من الضربة الأطلسية المتوقعة واستباقي التدخل الأميركي - الأوروبي المباشر^(١٣). وهذا ما دفع بأحد الدبلوماسيين البيوغوسلافيين إلى

(١٠) انظر ملحق رقم ٧: القوات العسكرية للاتحاد السوفياتي السابق.

(١١) الديار - العدد ١٩٩٧ - الثلاثاء ٨ آذار ١٩٩٤ - صفحة ٢٢.

L'Express - N°2225 - 3 mars 1994, article de Jean Marc Gonin «Les Russes sous les vivats», pp. 11 - 12.

Le Point - N°1119 - page 39.

(١٢)

التصريح بأن «موسكو فهمت أخيراً أن مصالحها الوطنية مهددة في البلقان. فباستبعادها عن المشاورات التي سبقت الإنذار الغربي، وبتحريك قوى الأطلسي، برهن الغربيون أنهم يريدون استبعاد روسيا عن القرار المتعلق بالبلقان رغم تأثيرها البارز فيها»^(٤).

ورفضت روسيا الإنذار الأطلسي خلال استقبال يلتقين لرئيس وزراء بريطانيا، جون ميجور، في الكرملين، إذ صرّح بأن «روسيا لن تسمح بأن يتم حل الأزمة البوسنية من دون مشاركتها»، وذلك رغم جهوزية ٢٠٠ طائرة حربية أطلسية متطرفة عائدة لست دول لتوجيه الضربة الجوية المعلنة. وذهب المبعوث الروسي الخاص فيتالي تشوركين إلى يوغوسلافيا السابقة إلى أبعد من ذلك، معلناً للغرب «فضلوا وعودوا إلينا كلما واجهتم مشاكل مع الصرب»^(٥)، مما يعني أن لروسيا الدور المركزي في البلقان وهي ليست مستعدة للتخلّي عنه. ويعلّق أحد стрاتيحييّن أن الدول الأوروبيّة قد تكون ارتاحت إلى عودة روسيا إلى لعبة التوازن الدولي في أوروبا الشرقيّة، فلم تضطر إلى تنفيذ الوعود بالضربة العسكريّة.

واستقطب الموقف الروسي المعارض زعماء أوروبيّين، إضافة إلى كندا التي صرّح وزير خارجيّتها اندريل كسوبيليه: «نحن لا نعتقد أن القرار بتوجيه ضربات سيعزّز عملية السلام»^(٦)، وذلك رغم تهديد وزير الدفاع الأميركي ويليام بييري، في أول خطاب له أمام مجلس الشيوخ الأميركي بتاريخ ٦ شباط، روسيا بأن «لديها خيارين، إما التعاون بشكل أكبر مع حلف شمال الأطلسي أو المواجهة مع الدول أعضاء هذا الحلف»^(٧).

ويرز الخلاف الروسي - الأميركي واضحاً حول المشروع الأميركي «الشراكة من أجل السلام» الذي تبنّاه حلف شمال الأطلسي، في اجتماع حضره الرئيس كلينتون في بروكسل في العاشر من كانون الثاني ١٩٩٤ والهدف إلى تنمية التعاون مع الدول الشيوعية السابقة خطوة لانضمامها المحتمل إلى الحلف. فقد رد الزعيم القومي المتشدد في روسيا جيرينوفسكي فوراً، بتوجيهه إنذار للغرب رافضاً هذا الاقتراح^(٨). كما أعلن وزير الدفاع الروسي بافل غراتشيف في ١٧ آذار، أن روسيا قد تنضم إلى مشروع «الشراكة من أجل السلام»، إنما حسب شروطها^(٩).

Le Point - N°1119 - page 39.

(٤)

(٥) النهار - العدد ١٨٧٦٩ - الجمعة ٢٥ شباط ١٩٩٤، ص ١١.

(٦) النهار - العدد ١٨٧٢٠ - الثلاثاء ١١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ٩.

(٧) الديار - العدد ١٩٦٨ - الاثنين ٧ شباط ١٩٩٤، ص ٢٢.

(٨) السفير - العدد ٦٧٣٤ - الجمعة ١٨ آذار ١٩٩٤، ص ١٦.

(٩) الديار - العدد ١٩٤١ - الثلاثاء ١١ كانون الثاني ١٩٩٤، ص ٢٢. انظر ملحق رقم ٨: نص مشروع «شراكة من أجل السلام».

ومن مظاهر عودة روسيا للعب دور المهم في العالم السوفياتي خاصّة، نذكر الأحداث التالية:

- بدأت حكومة الرئيس يلتسين تمارس نشاطاً سياسياً يهدف إلى تسوية الصراع الأذري - الأرمني، من خلال الصداقة التي تربطها بالرئيس الأذري حيدر علييف.

- تبادل الاتهامات مع الولايات المتحدة أثر توقيف الدبلوماسي الأميركي الذي ايمز المتهم بالتجسس لصالح روسيا، وطرد واشنطن لأحد الدبلوماسيين العاملين في السفارة الروسية لديها. موسكو ردت بتصعيد لهجتها ضد الغرب واتهامه بالسعى وراء أسرارها، في أعقاب الكشف عن الجاسوس الأميركي في روسيا كيلي هاملتون، وطرد جاسوس بريطاني، وعزل رئيس جهاز مكافحة التجسس لديها نيكولاي غولوشكو^(٢٠).

- اتهمت روسيا جمهوريات البلطيق بإساءة معاملة السكان من أصل روسي، مهددة باللجوء إلى العقوبات الاقتصادية، وبوقف عملية سحب القوات الروسية من منطقة البلطيق.

- أوقفت موسكو ضخ الغاز جزئياً عن جمهوريتي أوكرانيا وروسيا البيضاء، إلى حين تسديد ديونهما.

- في الخليج العربي، تقربت روسيا من إيران التي أعرب نائب وزير خارجيتها عن «الأمل بقيام تعاون بين روسيا وإيران، لإيجاد حلول للنزاع في طاجستان».

- في البلقان، تحاول موسكو تغيير اتفاقية مونترو^(٢١) الموقعة العام ١٩٣٦ مع تركيا، والتي تحد من حرية مرور السفن الروسية الثقيلة، وخاصة حاملات الطائرات والغواصات في مضائق تركيا.

- في مجال غزو الفضاء، دخلت روسيا شريكاً كاملاً في مشروع علائق لإقامة محطة فضائية وغزو المريخ، بتكليف تبلغ ٤٠ مليار دولار بمشاركة أميركية وأوروبية. وسيبدأ المشروع بإطلاق محطة فضائية روسية العام ١٩٩٦ تهبط على سطح المريخ لدراسته تمهيداً لدخول باقي المركبات إليه^(٢٢).

لكن النموذج الأمثل للعودة الروسية إلى ميدان التأثير في الأزمات العالمية، يأتي من منطقة الشرق الأوسط. فقد سجلت صحيفة الفيغارو الفرنسية، تخوف

(٢٠) الحياة - العدد ١٣٤٠ - الجمعة ٤ آذار ١٩٩٤، ص. ٨.

(٢١) وقعت معااهدة مونترو في ٢٠ تموز ١٩٣٦ من قبل تركيا وفرنسا وروسيا وبريطانيا واليابان ويوغوسلافيا ورومانيا وبلغاريا، وتم بموجبها تحديد مصائر البوسفور والدرنيل برعاية تركيا.

(٢٢) الديار - العدد ١٩٩٣ - الجمعة ٤ آذار ١٩٩٤، ص. ٢٤.

رئيس حكومة إسرائيل من عودة روسيا إلى ساحة الشرق الأوسط لمارسة ضغوطات على إسرائيل كما فعلت في الأزمة اليوغوسلافية^(٢٣). وفي الوقت نفسه، أيدت موسكو، على لسان وزير خارجيتها في لبنان غينادي أيليتشف، موقف لبنان وسوريا والأردن بتعليق محادثات السلام الثنائية اثر مجزرة الخليل^(٢٤). وزار وزير خارجية روسيا القدس بهدف العودة إلى منطقة الشرق الأوسط، وذلك رغم ضغط اللوبي اليهودي المحاصر ليلتسين في موسكو. واقترحت روسيا، بتاريخ ٨ آذار، عقد مؤتمر دولي جديد مماثل لمؤتمر مدريد لحلحلة المفاوضات السلمية، رغم معارضة واشنطن التي تحاول الاستئثار بالاشراف على الحل^(٢٥). وذهب الزعيم السياسي الروسي القومي جيرينوفسكي إلى أبعد من ذلك، معلناً الاعجاب بصدام حسين وراغباً التقرب من العقيد القذافي.

ومن الواضح أن روسيا، بتحركها الجديد نحو الشرق الأوسط، أرادت إعادة اتصالاتها المباشرة بأطراف النزاع بدلاً من لعب دور المساند والداعم لواشنطن، إضافة إلى ضرورة متابعة بيع الأسلحة إلى الدول المشرقية الغنية، وإلى تحقيق أنها من جهة الجنوب من خلال المشاركة في تحقيق أمن الشرق الأوسط الجماعي. وهكذا، بعثت برسائل متعددة إلى العرب وإسرائيل وأوروبا والولايات المتحدة تصر فيها على استعادة دورها الذي سلب منها.

ويتساءل المراقبون: هل تملك روسيا الوسائل لتحقيق سياستها؟ وهل بإمكانها استعادة الدور السوفيетي في العالم؟

نحن لا نريد التنبؤ بذلك، إنما نعيد كلام وزير الدفاع الأميركي ويليام بيري في خطاب له أمام الكونغرس، حذر فيه من تدهور العلاقات بين روسيا والولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي، ومن اتجاه أوروبا نحو الحرب الباردة وربما الساخنة. ومما قاله^(٢٦):

«لدينا أدلة كثيرة تجعلنا نخشى أن تلف أوروبا مجدداً غيوم سوداء في حال فشل الإصلاحات وانتصار الرجعية. فإذا استمرت روسيا على طريق الإصلاحات الداخلية واحترام استقلال جيرانها والتعاون مع الغرب، فإن حلف شمال الأطلسي

ROUSSELIN Pierre, article «Rabin redoute la pression de Moscou», Le Figaro, Jeudi, 3 (٢٢) Mars 1994, p. 5.

(٢٤) الديار - العدد ١٩٩٦ - الاثنين ٧ آذار ١٩٩٤، ص ١.

Le Figaro Jeudi 10 mars 1994, p. 3.

La Croix, Jeudi 24 mars 1994, p. 6.

(٢٥) الديار - العدد ١٩٦٨ - الاثنين ٧ شباط ١٩٩٤، ص ٢٢.

سيواصل السير على طريق ضم أعضاء جدد. لكن إذا تعثرت عملية الإصلاح في روسيا، فسيكون حاضراً لضمان أمن الحلف الجماعي»...

ب - صعوبات النظام العالمي في الشرق الأقصى

صعوبات أيضاً تعتري النظام العالمي الأوحد في الشرق الأقصى، تلك المنطقة المهمة جداً ديموغرافياً وجغرافياً واقتصادياً وعسكرياً. فالتاريخ الأميركي في الشرق الأوسط حاصل بالتجارب القاسية. فمن امبراطورية يابانية محاربة وبادئة هجوماً كاسحاً في بيرل هاربر لم تنته نتائجه إلا بالقاء قنبلتين نوويتين على هيروشيما وناكازاكي ما تزال تشكلان نقطة سوداء في تاريخ البشرية، إلى جبار صيني متبع عن الغرب ومجهول ومتقوقع في ظل نظام ايديولوجي مهدد، إلى فييتنام اعتبرت التجربة العسكرية الأميركية فيها من أقسى التجارب وأمرها، ليس فقط بالنسبة إلى النظام الأميركي، إنما أيضاً بالنسبة إلى المجتمع ونظام الأسرة فيه، إلى كوريا شماليّة خلقت ولا تزال مسائل استراتيجية أمام واشنطن مهددة بتوحيد الكوريتين تحت ظل الشيوعية، إلى هند مالكة للسلاح النووي ومهددة لباكستان، الحليف الأمينة للغرب؛ كلها مناطق مشتعلة في التاريخ، لكنها لا تزال تخلق المصاعب أمام تطور النظام العالمي وامتداده إلى الشرق الأقصى.

مع الصين

الجبار الصيني الذي يمتد على مساحة ٩,٥ مليون من الكيلومترات المربعة (١/١٥ من مساحة العالم)، هو بلد المرتفعات والجبال والأنهار الضخمة (١٥٠٠ نهر مهم)، الغني بحضارته (٣٢ ألف صنف من البقول منها ٢٠٠٠ صالحة للأكل)، وبحيواناته (١٣,٤٪ من المجموع العالمي) وبمعدنه (الألينيوم، التانغستن، الزنك، الزئبق، الانتيمون، المانغنيز والقصدير).

لكن قوة الصين (وربما ضعفها في آن)، تكمّن في عدد سكانها الضخم. كتب الرئيس نيكسون: «إن ماوتسي تونغ كان دائماً يستبعد الخطر النووي عن الصين بقوله انه حتى ولو قتل ٣٠٠ مليون صيني، يبقى ٣٠٠ مليون آخرون»^(٢٧). حالياً يبقى أكثر من ذلك، فحسب آخر احصاء للسكان جرى العام ١٩٩٢، بلغ عدد سكان الصين مليار و ١٧ مليون نسمة، أي ٢١,٩٪ من مجموع سكان العالم، مع توقع بلوغه مليار و ٣٠٠ مليون في العام ٢٠٠٠ و ملياريين العام ٢٠٦٠.

هذا التطور السكاني، قد يخلق فراغاً غذائياً واقتصادياً ينعكس سلباً على استقرار الشرق الأقصى والعالم، ويهدد انضباط النظام العالمي، في وقت بلغ فيه

Nixon, R, «La vraie guerre», Albin Michel, Paris 1980, tome 1, p. 165.

(٢٧)

التطور العسكري الصيني مرحلة متقدمة (مليونان و ٣٠٠ ألف عسكري لجيش البر - ٤٧٠ ألفاً للجو - ٢٤٠ ألفاً للبحرية - ١٢ مليون احتياطي) وامكانيات نووية لا بأس بها. علاوة على ذلك، سجل الميزان التجاري بين الصين والولايات المتحدة زيادة ٢٥ مليار دولار سنوياً لصالح الصين^(٢٨).

حالياً، يبدو التقارب بين الولايات المتحدة والصين الذي بدأه الرئيس نيكسون منذ العام ١٩٧٢ حين كتب كيسنجر: «ليس لنا أعداء دائمين أو أصدقاء دائمين، ونحن نحكم على الصين حسب الأفعال، وليس استناداً لمبادئها الأيديولوجية»^(٢٩)؛ يبدو هذا التقارب بعيداً، لا سيما منذ انهيار جدار برلين والستار الحديدي السوفياتي. ففي الوقت الذي بدأ وزير الخارجية الأميركي جولة شرق أقصوصية تشمل اليابان والصين اللذين يميل ميزانهما التجاري مع الولايات المتحدة لصالحتهما، تسعى الصين لإقامة كتلة آسيوية اقتصادية جديدة، تتمحور حولها وحول الهند وإيران. وقد عقد اجتماع في ٦ آذار في طهران بين وزراء خارجية البلدان الثلاثة حيث نوقشت فكرة إنشاء نواة الكتلة الآسيوية الجديدة^(٣٠).

اما زيارة كريستوفر إلى طوكيو وبكين، فتهدف إلى تفادي نشوب حرب تجارية فوق المحيط الهادئ تكون قاضية بالنسبة للانتعاش الاقتصادي الذي جعل منه الرئيس كلينتون هدفه الأساسي.

ومن أبرز نقاط الخلاف مع الصين، ان إدارة كلينتون تربط العلاقات التجارية معها بأوضاع حقوق الإنسان فيها، وتطلب احراز تقدم في هذا المجال قبل تجديد الشروط المشجعة لدخول المنتجات الصينية إلى الأسواق الأمريكية. ويتوقع المراقبون، في حال رفض الكونغرس في أيلول المقبل تجديد هذا البند، أن ترد الصين بإغلاق أسواقها أمام المنتجات الأمريكية مما ينعكس على ٢٠٠ ألف وظيفة في الولايات المتحدة.

وفي مجال آخر، واثر تحذير كريستوفر لبكين من متابعة حملة الاعتقالات ضد المنشقين، ردت الصين بعنف متهمة واشنطن بالتدخل في شؤونها الداخلية. ومما قاله المتحدث باسم الخارجية الصينية: «لا يحق لأي بلد أجنبى أو منظمة أو شخص توجيه ملاحظات غير مسؤولة أو التدخل في الشؤون الداخلية لبلد آخر. فالمسألة شأن صيني داخلي لا علاقة له بزيارة كريستوفر»^(٣١). وذهبت الصين إلى أبعد من ذلك إذ رافقت زيارة كريستوفر حملة واسعة ضد المنشقين. فقبل

(٢٨) الحياة - العدد ١٢٤٥ - الأربعاء ٩ آذار ١٩٩٤، ص ٨.

KISSINGER, H, «A la Maison Blanche - 1968 - 73», Fayard, Paris 1979, pp. 752 et 764. (٢٩)

(٣٠) الحياة - العدد ١١٢٤٥ - الأربعاء ٩ آذار ١٩٩٤، ص ٨.

(٣١) النهار - العدد ١٨٧٧٩ - الثلاثاء ٨ آذار ١٩٩٤، ص ١٢.

ساعات من وصوله في ١٢ آذار، أرغم المنشق «وانغ دان» على مغادرة بكين باتجاه الجنوب، واعتقلت الشرطة، التي انتشرت بأعداد كبيرة حول السفارة الأمريكية، الأمين العام لجمعية حقوق الإنسان الصينية فوشينغ، والاثنان من أبطال «ربيع بيكين» عامي ١٩٧٨ و١٩٨٩. وبررت بكين الاعتقالات بأنها تهدف إلى منع أي اتصال للمنشقين بكريستوفر^(٢٢). وردت واشنطن ببيان وزير خزانتها لويد ينتس، أنه يخشى أن تفقد الصين التسهيلات التجارية، مما أثار قلق الدول الآسيوية السبع عشرة المشاركة في الاجتماع «منظمة التعاون الاقتصادي في آسيا - المحيط الهادئ».

ومن مظاهر معارضة الصين للنظام العالمي في الشرق الأقصى، سُجّل موقف صيني معارض لفرض عقوبات دولية على كوريا الشمالية بسبب رفضها لعمليات تفتيش منشآتها النووية. وقد شدد رئيس وزراء الصين حينئذ بنغ على معارضة بلاده لممارسة أي ضغط على كوريا الشمالية بسبب برنامجها النووي.

من جهة أخرى، اتهم مدير المكتب البحري الدولي إيريك إيلين الحكومة الصينية، بأنها تشجع القراءنة الدوليين لشن هجمات على السفن التجارية. وأضاف أن ٢٠ هجوماً وقع هذا العام كان القراءنة خلاله يحتلون السفن ويوجهونها نحو الميناء حيث يتم تفريغ حمولتها ومطالبة أصحابها بفدية لقاء استعادة سفينتهم.

مع اليابان

ولليابان أيضاً مأخذ على النظام العالمي الجديد، فذلك الجبار الاقتصادي البعيد الذي يميل ميزانه التجاري مع الولايات المتحدة لصالحه بنسبة ٥٣ مليار دولار سنوياً، والذي ارتبط بواشطن ارتباطاً وثيقاً منذ الحرب العالمية الثانية، بدأ يميل لتغيير استراتيجية متوجهها نحو آسيا وأوروبا بسبب المواجهة التجارية مع الولايات المتحدة.

فبعد انحسار عاصفة الإيديولوجيات في العالم وانتهاء الحرب الباردة لصالح التطور الاقتصادي والأنمائي، برزت اليابان في قلب الأنظمة التي لها إشكاليات مع النظام العالمي الجديد، بسبب وزنها الاقتصادي ونفوذها داخل كبريات المؤسسات المالية العالمية مما يصنفها ضمن أصحاب القرار وتنمّي القدرة الصناعية والتكنولوجية في اليابان، قد يحول القرار المالي من واشنطن إلى طوكيو في المستقبل المنظور. وهذا ما يسبب قلقاً لإدارة الرئيس كلينتون.

وقد حاولت واشنطن الالتفاف على التفوق الاقتصادي الياباني بإقامة تحالفات والتكتلات الاقتصادية، كالوحدة الأوروبية ونافتا وغيرها. لكنها لم

(٢٢) الديار - العدد ٢٠٠١ - السبت ١٢ آذار ١٩٩٤، ص ٢٢.

تستطيع، حتى الآن، اختراق الجبهة الاقتصادية لليابان. لذلك قرر الرئيس كلينتون، في مطلع آذار ١٩٩٤، البدء بفرض عقوبات تجارية على اليابان لأنها تضع قيوداً غير عادلة على دخول البضائع الأمريكية إلى أراضيها^(٣٢). وقد انتقد المفوض الأوروبي للعلاقات الاقتصادية ليون بريليان من بروكسل، الأسلوب الأميركي القاضي بفرض عقوبات منفردة على اليابان بدون اللجوء إلى التحكيم الدولي. وحدّت أستراليا حدو أوروبا في انتقاد التفرد الأميركي.

كتب Benoit Laporte من واشنطن أن «الرئيس الأميركي، متأثراً بميل ميزان التبادل التجاري لصالح اليابان، صعد لهجته ضدها رغم تطمئنات رئيس الوزراء الياباني، خلال قمة واشنطن في الأسبوع الثاني من شباط ١٩٩٤، إذ ان التصلب الياباني انهل كلينتون المعتمد على التنازلات. وقد استقبل الرئيس الياباني استقبال الأبطال عند عودته إلى وطنه، كونه الأول منذ خمسين عاماً الذي تجراً ورفض المقترنات الأمريكية بشأن اقتصاد بلده المتتطور»^(٣٤).

وقد صرّح رئيس الوزراء الياباني «الآن نحن نتصرف كراشدين وليس كقصّار». أما المدير العام لشركة سوميتومو الضخمة، فقد قال: «اليابان أقامت دائمًا علاقات عاطفية خالية من الواقعية، لكنها ستغير سياستها الآن»، هذا بالرغم من أن الدبلوماسية الغربية تعتبر الإداره اليابانية عاجزة عن القيام بتحليل شامل خارج إطار علاقتها التاريخية مع الولايات المتحدة.

وهكذا فإن اليابان الجديدة المتحركة من عقدة الحرب العالمية الثانية ومن التبعية للولايات المتحدة، بدأت تخلق صعوبات اقتصادية وسياسية جدية أمام النظام العالمي الذي يحاول الامتداد شرقاً. أمام هذه العرقل، رد الرئيس كلينتون بإعادة العمل بالأمر التنفيذي «سوبر ٣٠١» في القانون التجاري الأميركي الذي يسمح له بفرض عقوبات تجارية على اليابان. ويعطي هذا الأمر الحق للرئيس بفرض تعريفات تصل إلى ١٠٠٪ على البضائع المستوردة من بلدان تفرض قيوداً غير عادلة على دخول البضائع الأمريكية إلى أراضيها. واعتبرت اليابان ذلك انتهاكاً للقوانين التجارية الدولية مهددة بالتقديم بشكوى، وانضمت إليها كوريا الجنوبية وأستراليا في انتقاد القرار^(٣٥). لكنها عادت وقررت التجاوب جزئياً وفتح أسواقها أمام البضائع الأمريكية بهدف تخفيض الفائض في الميزان التجاري لصالحها.

ويبدو أن الحرب الاقتصادية بين الجبارين ستتابع استعارها. ويعتقد المحللون

(٣٢) مجلة المسيرة - العدد ٤٣٧ - الاثنين ١٤ آذار ١٩٩٤، ص ٢١.

Le Point - N°1118 - 19 février 1994, page 16.

(٣٤)

(٣٥) السفير - العدد ٦٧٢٤ - الجمعة ٤ آذار ١٩٩٤، ص ٢٤.

أن اليابان قد تستغل هذه الحرب لتغيير ستراتيجيتها التجارية والتوجه نحو آسيا وأوروبا. هذه اليابان، بتاريخها الحافل عسكرياً واقتصادياً، وخصوصياتها المتميزة وتمسكها بتقاليدتها وتعصبها وخطابها السياسي، تعتبر حالة فريدة ومميزة ينبغي على النظام العالمي الجديدأخذها بعين الاعتبار في إدارته للعالم.

مع كوريا الشمالية

تعدى صعوبات النظام العالمي في الشرق الأقصى ميداني الصين واليابان لتشمل دولاً أخرى لم تتسمج بعد تماماً معه، وأبرزها كوريا الشمالية التي تحدث الحظر الأميركي للسلاح النووي. وكانت وكالة الاستخبارات المركزية الأميركية في تقرير رفعته إلى الرئيس كلينتون، خلصت إلى أن كوريا الشمالية توصلت إلى وضع قنبلة أو قنبلتين نوويتين قيد العمل^(٣٦). وشاركت أجهزة المخابرات الأميركية الأخرى هذا الرأي رغم نفي الخارجية الأميركية له، لأن ذلك يضر بالسياسة الحالية للرئيس التي تعارض امتلاك دول العالم الثالث أسلحة نووية.

وقد أوردت مجلة لوبيان الفرنسية أن الرئيس الكوري الراحل كيم ايل سونغ رفض بحث الموضوع هذا مع السكرتير العام للأمم المتحدة الدكتور بطرس غالى، بحجة أنه يرغب بحثه مع واشنطن مباشرة وبدون وسيط، بمعنى أنه وضع نفسه كمحاور معادل لها.

وتتساءل المراقبون: أي خطر تشكل كوريا الشمالية، بلد الـ ٢٢ مليون نسمة فقط على أمن الولايات المتحدة؟

وجواباً عن هذا التساؤل، نورد مداخلة لرئيس الاستخبارات المركزية جايames وولسي وصف فيها كوريا الشمالية بأنها «مثال لقوى الشر التي تنتشر كالثعابين السامة ناشرة الخوف في أنحاء العالم. وقد ظهرت هذه القوى غداة انتهاء الحرب الباردة، مستهلة نوعاً جديداً من الحروب التي على الولايات المتحدة مواجهتها، كما تشكل تهديداً للعالم بأجمعه»^(٣٧).

وهكذا أصرت واشنطن على تفتيش المنشآت النووية في كوريا الشمالية التي وافقت على عملية تفتيش دولية مقابل خطوات من جانب واشنطن لانهاء عزلة هذه الدولة الشيوعية^(٣٨).

وضمن هذا الإطار، لم يوافق ستراتيجيو ال Bentagouen على توجيه ضربة جوية

Le Point - N°1112 - 8 janvier 1994 - page 13, article «Nucléaire: l'inconnue de la Corée du nord».

NAJJAR Zeina, Monde Diplomatique, février 1994.

(٣٧)

(٣٨) الحياة - العدد ١٣٣٥ - الأحد ١٧ شباط ١٩٩٤، ص ٨.

لانشاءات يونغبيون النووية «غير المشروعة»، مماثلة لضربة انشاءات تموز العراقية من قبل إسرائيل العام ١٩٨١. والسبب ان هذه الانشاءات هي في قمة عملها ويؤدي تدميرها إلى تصاعد غيمة اشعاعية قد تمتد إلى اليابان^(٣٩).

وبالفعل، عرقلت كوريا الشمالية في ١٥ آذار جهود الخبراء الدوليين لتفتيش موقع نووي في يونغبيون رغم قبولها السابق. وهكذا عادت واشنطن للجتماع بالمسؤولين الكوريين وعلقت المناورات العسكرية مع كوريا الجنوبية.

وتبدو خيارات إدارة الرئيس كلينتون في مواجهة كوريا الشمالية محدودة. لذلك ستعتمد إلى اقناع مجلس الأمن بفرض عقوبات دولية عليها رغم معارضته الدول الآسيوية وخاصة الصين واليابان، لمبدأ فرض العقوبات واقتراح روسيا عقد مؤتمر دولي حول أزمة الأسلحة النووية الكورية.

مع فيتنام

لا تشكل كوريا الشمالية آخر صعوبات الشرق الأقصى، بل تتبعها فيتنام التي بدأت في ٢٨ شباط ١٩٩٤ محادثات مع أميركا لتطبيع العلاقات المقطوعة معها منذ حرب فيتنام.

أما مواضيع الخلاف فتعود إلى الطلبات المالية الأميركيّة من هانوي التي يعود تاريخها إلى نهاية الحرب عام ١٩٧٥، إضافة إلى موضوع مهم يتعلق بالأميركيين المفقودين في هذا البلد الشيوعي. وقد لخص كريستوفر ميلادين الخلاف بثلاث نقاط: مصير الجنود الأميركيين الذين لا يزالون مفقودين وعددهم ١٦٤٧ وتعويضات الحرب، وحقوق الإنسان في فيتنام^(٤٠).

ج - صعوبات النظام العالمي في الشرق الأوسط

أهم المناطق التي يحاول النظام العالمي الحالي تطوير تأثيره وفعاليته فيها هي منطقة الشرق الأوسط حيث تتلاطم الأقليات الدينية والعرقية والقبلية في بحر من الإسلام السنّي، وحيث تتوزع مناطق متقدمة إن حول فلسطين أو في الخليج العربي.

وفي هذه المنطقة من العالم، تبرز التحديات أمام النظام الأميركي الخارجي المحكوم بالتوازنات الداخلية التي يسيطر عليها اللوبي اليهودي الضاغط. فالعقبة الكبرى التي ت تعرض عدالة النظام العالمي هي التحيز الأميركي الواضح لإسرائيل، إن في المفاوضات السلمية أو في قرارات مجلس الأمن، أو في التعامل مع مشكلة الطاقة النووية التي ترفض أن تمتلكها الدول العربية وتسمح بها لإسرائيل. وفي

Le Point, N°1112, 8 Janvier 1994, page 17.

(٣٩) الديار - العدد ١٩٩٦ - الاثنين ٧ آذار ١٩٩٤، ص ٢١.

سبيل تأمين الدعم لهذه الأخيرة، تستجلب الولايات المتحدة نسمة الجماهير العربية من المحيط إلى الخليج لا سيما المتطرفة منها، رغم ليوته بعض أنظمة الدول العربية مع النظام العالمي وانسجامها معه.

كتب خالد الحسن، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في المجلس الوطني الفلسطيني، أثر مجرزة الخليج التي ارتكبها اليهودي باريس غولدشتاين حول مسؤولية واشنطن ما يلي^(٤١):

«أما الموقف الأميركي، فإن التاريخ سيسجل حجم وعمق الجريمة المضادة للإنسانية التي ارتكبها الرئيس بوش وكل من أيداه في الأمم المتحدة لإلغاء صفة العنصرية عن الحركة الصهيونية... أما موقف كلينتون من المذبحة فهو يشير إلى أحد احتمالين أو كليهما: إما أن كلينتون يعكس بسذاجة حضارة الرجل الأبيض كما تعكسها عنصرية الحضارة الغربية في القرن ١٩ التي ترى أن من حقها ذبح الغير، وإما أنه رجل ساذج كونه اعتبر أن نقل المفاوضات من طابا إلى واشنطن والتحلي بالصبر بما الرد على المذبحة، فطالب بضبط النفس».

وهذا القول يعكس المراة الفلسطينية والعربية من الموقف الأميركي والدولي المؤيد لإسرائيل.

وجاء في تعليق لـ Jean-Christophe Ploquin، بتاريخ ١١ آذار في المعنى نفسه ما يلي^(٤٢):

«تقوم الولايات المتحدة، ومنذ أسبوعين، بمنع اتخاذ قرار في مجلس الأمن يدين مجرزة الخليج... فسيد البيت الأبيض الحالي لم يخف أبداً تأييده لإسرائيل».

وفي خضم هذا التحيز الأميركي، يطرح الإنسان العربي سؤالاً حول موقعه من النظام العالمي، فيكتشف بمرارة أنه يفتقر إلى الكثير من الخصائص التي تجعله طرفاً فاعلاً في توجيه الأحداث والتحكم بانعكاساتها على مصالحه في الحاضر والمستقبل. فالمعيار الأميركي الأساسي لهذا الدور في العالم الحاضر، هو قدرات الأمة العلمية والتكنولوجية وتطورها الاقتصادي والاجتماعي، وتفاعلاتها مع التطورات الحديثة. وهذا ما دفع محلل استراتيجي عبد الله بلقزيز إلى مطالبة العرب بـ «إيجاد الحد الأدنى من التكيف مع تحديات النظم العالمي بهدف تحديد آثاره السلبية»^(٤٣).

(٤١) الحياة - العدد ١١٢٤٤ - الثلاثاء ٨ آذار ١٩٩٤، ص ٦.

La Croix - 11 Avril 1994, page 3.

(٤٢) عبد الله بلقزيز، «حضارة الخليج والنظام العالمي الجديد»، دار الطليعة، بيروت ١٩٩٢، صفحة ١١٥.

ووجاءت أحداث أخرى في الشرق الأوسط لتزيد من المراة العربية من تحيز النظام العالمي، وأبرزها:

- وقوف الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل في جميع القرارات التي صدرت عن الأمم المتحدة، وخاصة في تخفيف وقع القرار الدولي المدين لذبحة الخليج.

- رفضها الحالي للدور الذي تبدو روسيا مصممة على لعبه بهدف توازن القوى الكبرى في الصراع العربي - الإسرائيلي، ورفضها للمؤتمر الدولي المقترن من روسيا^(٤٤).

- التمييز بين إسرائيل والعرب بالنسبة إلى الأسلحة النووية. ففي الوقت الذي تملك إسرائيل ٢٠٠ قنبلة نووية، حسب رأي الخبراء الاستراتيجيين موزعة بين الهيدروجينية والنوية والنيترونية، وتطويرها مصنعاً للأسلحة الكيميائية وأخر للجرثومية^(٤٥)؛ يحاول النظام العالمي تفتيش جميع المنشآت النووية في العالم الثالث، وخاصة ليبيا والعراق وإيران والكوربيتين.

- رفع الحظر الذي فرضه ديجول منذ حرب ١٩٦٧ على تصدير الأسلحة إلى إسرائيل بتوقيع فرنسا اتفاقاً عسكرياً على صعيد التسلح^(٤٦).

ومن أبرز الصعوبات الحالية ذكر الإصرار الفلسطيني والرفض الإسرائيلي لشروط ثلاثة لاستئناف المفاوضات السلمية^(٤٧).

- تأمين حماية دولية للفلسطينيين في غزة وأريحا.

- إجلاء المستوطنين المتطرفين من منظمة الحكم الذاتي.

- نزع أسلحة جميع المستوطنين.

وإذا طورنا دراستنا في الشرق الأوسط لتشمل الخليج العربي، لامكنا لمس صعوبات أخرى أمام النظام العالمي. فرغم أن نهاية حرب الخليج شكلت الإعلان الصريح عن انطلاق هذا النظام، ورغم تحقيق بعض النتائج الإيجابية، فإن الصعوبات ما تزال تعترضه.

لقد عرف أنطوني لايك، مستشار الأمن القومي للرئيس الأميركي، في مقال في مجلة Foreign Affairs بعنوان «الدول الإرهابية»، المبدأ الأساسي الاستراتيجي

Liberation - 11 Avril 94, p. 18 - et Humanité, 10 Avril.

(٤٤)

The Middle East, 10 Avril, 1994.

(٤٥)

Le Quotidien de Paris, N°4455, 11 Mars 1994, p. 14.

(٤٦)

Le Nouvel Observateur, 3 Mars 1994, P. 38-39.

(٤٧)

- الحد من قدرة إيران والعراق على تهديد الاستقرار في المنطقة.
 - تعزيز القدرات الدفاعية للأصدقاء.
 - ويحدد لайл الموقف الأميركي من العراق بـ:
 - الامتناع لقرارات مجلس الأمن وللإجراءات المقررة.
 - الاعتراف العراقي بالكويت.
 - سيادة أراضي العراق ووحدته.
 - تهديد المعارضة العراقية ودعمها.

ولكن رغم هذه الاستراتيجية، لا يزال الرئيس صدام حسين يبدي مظاهر استقلالية، ويعارض الانسجام التام مع المقررات الدولية متوصلاً إلى حدود تهديد الولايات المتحدة بأنها ستندم. وقد رافق ذلك تصعيد عراقي تمثل في تحريك قواته على خطوط المواجهة مع الأكراد في الشمال، مما دفع بلجنة التنسيق المكلفة حمايتهم إلى زيادة الطلائع الجوية فوق منطقة الحظر الجوي.

أما نائب الرئيس طارق عزيز، فقد انتقد مواقف انطونи لايك الذي صرّح أنه يؤيد سياسة احتواء العراق، ووصفها بأنها سطحية. ومما قاله عزيز: «إن مستشاري كلينتون يورطونه في مواقف خاطئة ويدفعون بالسياسة الأميركيّة في المنطقة إلى طريق مسدودة»^(٤٨).

وجاء تهديد الرئيس حسين هذا بعد الرسالة الدورية التي وجهها الرئيس كلينتون إلى الكونغرس في شأن العلاقات مع العراق، والتي وصف فيها نظام الرئيس حسين بأنه يهدد الأمن القومي والسياسة الخارجية للولايات المتحدة وأمن الخليج، متهمًا إياه برعاية الإرهاب^(٤).

أما إيران، فيحدد لائق الموقف الأميركي منها بالآتي:

«تخيالنا مخاوف عميقة وخطيرة حول مسلك إيران في ٥ مجالات:

- سعيها إلى حيادة أسلحة نووية وأسلحة الدمار الشامل ووسائل اطلاقها.

(٤٨) السفير - العدد ٦٧٢٥ - السبت ٥ آذار ١٩٩٤، ص ١٢.
 (٤٩) الحياة - العدد ١١٤١ - السبت ٥ آذار ١٩٩٤، ص ١.

- استمرار تورط حكومتها بالإرهاب والاغتيالات على نطاق عالمي.
- دعمها المعارضة العنيفة لعملية السلام العربي - الإسرائيلي.
- تهدياتها ونشاطاتها الهدامة ضد جيرانها.
- سجل حقوق الإنسان القائم في الداخل».

وهكذا، ما تزال علاقات إيران متدهورة مع واشنطن، مما دفع بصحيفة «طهران تايمز» الإيرانية شبه الرسمية إلى مطالبة الولايات المتحدة بـ«تقديم تنازلات» أكثر إلى إيران إذا رغبت في تطبيع العلاقات مع طهران. جاء ذلك بعد أن صرحت مسؤولون أمريكيون بأن واشنطن قررت أخيراً القبول بالحقيقة السياسية للجمهورية الإسلامية، بعد أن حاولت طوال ١٤ عاماً نسف شرعيتها^(٥٠). وتطالب إيران واشنطن بإعادة الأموال الإيرانية المجمدة في مصارف أمريكية، والامتناع عن القيام بأية عملية تهدف إلى عزل الجمهورية الإسلامية وزعزعة استقرارها.

ويأتي موقف إيران المتشدد إثر رفض الدول الأوروبية الوقوف إلى جانب واشنطن في رغبتها بعزل طهران، مما قد يدفع النظام الأميركي إلى محاولة التطبيع معها بهدف استخدام نفوذها لدى العالم الإسلامي لحلحلة العملية السلمية في الشرق الأوسط. وهذا ما صرح به مساعد وزير الخارجية الأميركي روبرت بيلليترو ومستشار الرئيس للأمن القومي انطوني لايك، خلال الأسبوع الأول من آذار، بأن واشنطن مستعدة للحوار مع طهران والقبول بحقيقة وجود الجمهورية الإسلامية، الاقتراح الذي لم ترد عليه طهران حتى الآن^(٥١).

ونعود إلى التساؤل: هل تمكن النظام العالمي من تطويق العراق وإيران؟

حتىالأردن، الدولة القريبة من الغرب، سجل استثناء من «الكيل بمكيالين» من قبل الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. ففي ٢٢ آذار الماضي، شن مجلس النواب الأردني هجوماً عنيفاً على واشنطن، مستنكراً «الإجراءات والأساليب غير الحضارية» التي تمارسها البحرية الأميركية من تفتيش مشدد للسفن في خليج العقبة كجزء من الضغوط على الأردن. ومما جاء في البيان الأردني، إن هذه الإجراءات تطبق على الأردن دون غيره من الدول المجاورة للعراق. وفسرت مصادر أردنية الضغوط بالرغبة في إجبار الأردن على الإسراع في توقيع اتفاق

(٥٠) الديار - العدد ١٩٩٨ - الأربعاء ٩ آذار ١٩٩٤، ص ٢٢.

(٥١) الحياة - العدد ١١٣٤٥ - الأربعاء ٩ آذار ١٩٩٤، ص ٨.

سلام مع إسرائيل، الشيء الذي بدأ بتوقيع اعلان المبادئ في ٢٥ تموز الماضي.

فاستقرار الولايات المتحدة بالهيمنة، وقدرتها على تكييف القانون الدولي بما يستجيب لصالح الدولة العظمى الوحيدة، والكيل بمكيالين في معالجة الأزمات الدولية؛ أدى جميعها إلى انتقاد النظام العالمي في الشرق الأوسط.

د - النظام العالمي وأوروبا

مما لا شك فيه أن أبرز حلفاء الولايات المتحدة في مشروع النظام العالمي الجديد هي أوروبا، موحدة كانت أم دولاً منفصلة. فالعلاقة الأوروبية - الأميركيّة تعتبر مفصلاً أساسياً في الاهتمامات الأوروبيّة، لأنّ أوروبا تحتاج الجبار الأميركي حالياً كما احتاجته في الحرب الباردة، وربما أكثر. وبقدر ما شكل شبح كارل ماركس قلقاً لأوروبا الغربية، بقدر ما يقلقها اليوم حياد العم سام تجاه صراعاتها. لقد أبدت إدارة الرئيس كلينتون اهتماماً أقل بالقضايا الأوروبيّة لصالح آسيا الناهضة. وتتأكد هذا الاتجاه من خلال البيانات التجارية التي دلت على تدني نصيب أوروبا من الصادرات الأميركيّة من ٣١٪ إلى ٢٦٪ خلال عشرين عاماً، مقابل ارتفاع آسيوي من ٢٠٪ إلى ٣٠٪ خلال الحقبة نفسها.

والصديق الأميركي هو أبرز الحلفاء الأطلسيين. هذا ما أثبتته كلينتون عند حضوره قمة الحلف في كانون الثاني الماضي، إذ أكد على «التزام أميركا بسلامة أوروبا واستقرارها»^(٥٢). ويصر الأوروبيون على الاحتفاظ بالغطاء الأميركي حتى بعد تفكك الاتحاد السوفييتي، ربما خوفاً من قيام خطر الماني مستقبلي، وربما للوقوف في وجه المد الأصولي الإسلامي الذي يطرق أبواب قاراتهم من الجنوب والشرق. فالقرارات الدوليّة التي تسعى إليها أوروبا غير ممكنة لو لا التّقل العسكري والديبلوماسي الأميركي.

لكن هذا التحالف الثقافي والإيديولوجي والحضاري، بدأت تشويهه صعوبات. فالمانيا الموحدة وقفت ولا تزال موقف المترج من المشاكل الأميركيّة في حرب الخليج والبوسنة. وفرنسا، التي تمكنت سابقاً من مقارعة الولايات المتحدة مقارعة النّد للنّد، وعانتها في مفاوضات الغات التي أظهرت صعوبة جمع المانيا وفرنسا في اتحاد سياسي واحد، حمل موقفها في البوسنة أيضاً تمايزاً عن موقف الحليف الأميركي^(٥٣). كما عارض الفرنسيون الغارات الجوية لتحرير ساراييفو، وأصرّوا على رفض أي تدخل عسكري أمريكي في أوروبا. وتسعى فرنسا إلى تحقيق بنية

IMBERT Claude , Le Point N°1118 - 19 Février 1994, page 5.

(٥٢)

DEL'ECOT AIS Yann, l'Express - N°2222 - 10 Février 1994, page 4.

(٥٣)

أطلسية أكثر توازناً، وطالب باهتمام أميركي دبلوماسي أكثر منه عسكري بالمجموعة الأوروبية^(٥٤).

وبعكس الفرنسيين، يبدي البريطانيون قلقاً متزايداً من تدهور العلاقات المميزة التي تربطهم بواشنطن، وجاءت زيارة رئيس الجيش الجمهوري الإيرلندي آدامز إلى الولايات المتحدة رمزاً لتدني الامتياز البريطاني لدى الأميركيين.

وفي البلقان، نجح الروس في إثبات فعاليتهم ومصداقيتهم الدولية على حساب الولايات المتحدة وحلف شمال الأطلسي^(٥٥).

وعلى الصعيد الاقتصادي، تعدى الخلاف الأميركي الإطار الياباني ليشمل الاتحاد الأوروبي الذي هدد في ٨ آذار بتطبيق عقوبات تجارية محدودة على الواردات من الولايات المتحدة، بسبب القلق من أن الخفض الجمركي الذي تعرض له واشنطن يقل عن المتوقع.

وفي جنوب البلقان، أثارت اليونان انتقاد واشنطن لها بقرارها منع جارتها مقدونيا، الجمهورية القائمة على انقضاض الاتحاد اليوغوسلافي السابق، من استخدام ميناء سالونيك الذي يعتبر منفذها الوحيد إلى البحر. كما انتقدت واشنطن قرار اليونان بفرض حصار نفطي على جمهورية مقدونية.

وفي أبرز مثال على المشاكل والصعوبات المعرضة للنظام العالمي، يأتي فشل الأمم المتحدة وحلف شمال الأطلسي المدعومين من واشنطن في حل قضية البوسنة. فالصرب المدعومون من روسيا، لا يزالون قادرين على الضغط والحصار، والعملية الأطلسية برهنت أنها لم تكن سوى عرض للقوة فقط. وهكذا ظهر أن هذا الحلف ليس هو صانع القرار في البلقان، كما أنه ليس قوة استراتيجية موحدة.

هـ - صعوبات في مناطق أخرى

ولا تنحصر صعوبات النظام العالمي في أوروبا وأسيا والشرقين الأوسط والأقصى، إنما تبعدها إلى مناطق أخرى مختلفة من العالم، حيث تحاول الولايات المتحدة لعب دور الحكم، لكن التطورات الإقليمية تدفع دورها إلى الفراغ والتراجع. ففي الصومال، تحت غطاء الأعمال الإنسانية، امتدت يد النظام لجسم الخلاف، بعد أن قرر المجتمع الدولي إرسال قوات إلى المنطقة للفصل بين المتحاربين ونجدة السكان المدنيين. وهكذا أرسلت منذ ٩ كانون الأول ١٩٩٢ قوات دولية إلى الصومال أساسها من الجيش الأميركي.

(٥٤) السفير - العدد ٦٧١٩ - السبت ٢٦ شباط ١٩٩٤، ص ١٦.

CHRISTITCH Kosta , Le Point N°1119 - 26 Février 94, p. 39.

(٥٥)

إنما، وأمام رفض الجنرال الثائر على النظام وعلى الأمم المتحدة، محمد فرج عيديد، بدأت الانسحابات العسكرية من المنطقة في وقت ظهر وكأن مهمة الفصل والحماية الدولية فشلت. ففي ١٣ شباط ١٩٩٤، بدأت عودة ١٤٠٠ عنصر من القبعات الزرق الألمان إلى بلادهم^(٥٦)، ونقلت وكالة رووتر عن ضباط أميركيين أن آخر وحدة قتالية أمريكية تضم ٤٠٠ عنصر غادرت العاصمة مقاديسو خلال آذار ١٩٩٤ عائدة إلى الولايات المتحدة. وغادرت خلال الشهر نفسه قوات إيطالية وكورية جنوبية وعدد من السفن الغربية كانت مرابطة قبالة سواحل العاصمة لحماية أعمال الإغاثة.

هذا الوضع الصعب في الصومال، ومنظر الجندي الأميركي الأسير، وجثة زميله الذي يجره الأولاد في الشوارع، إضافة إلى الكارثة العسكرية خلال اشتباك ٤ تشرين الأول ١٩٩٣ الذي وقع فيه ١٢ قتيلاً و٧٨ جريحاً و٦ مفقودين وأسير واحد مع اسقاط طائرتي هليوكوبتر للأميركيين، دفع بالسفير روبيير أوكلبي إلى الاقرار بـ«اننا وقعنا في الفخ إياه الذي وقعنا فيه سابقاً في لبنان». وفي تحليل للوضع، رأى المحلل Benoit Laporte أن «كلينتون بات يفتقد عن مخرج مشرف لخروج النظام العالمي الذي يمثله نهائياً من الصومال. فالحلم الإنساني تحول إلى كابوس عسكري، وشعب الصومال الجائع تحول إلى عدو للولايات المتحدة»^(٥٧).

ومع مغادرة جنود الأمم المتحدة الصومال، يسجل النظام العالمي فشلاً ذريعاً في هذا البلد الذي يخلقه والقتال ما يزال على أشدّه والجماعات والأوبئة مستشرية: هذا الفشل ظهر جلياً في استطلاع للرأي رأى فيه ٧٥٪ من الأميركيين أن المهمة الإنقاذية فشلت وطالب ٥٧٪ بانسحاب القوة الأمريكية فوراً من المنطقة.

علاوة على ذلك، انتقد تقرير لجنة تحقيقتابعة للأمم المتحدة تصرف القوات الأميركيّة في الصومال، إذ أنها رفضت الاستجابة إلا إلى أوامر حكومتها.

وهكذا فشلت الأمم المتحدة، المدعومة من النظام العالمي، في تحقيق المصالحة ونزع أسلحة القبائل المتخاصمة في الصومال وفي نجدة السكان وإغاثة الفقراء، وخاصة في معاقبة الجنرال عيديد الذي تحدى النظام ونفذ عمليات هجومية متكررة على الجيوش الحليفة موقعاً العشرات من القتلى في صفوفها. وأكثر من ذلك، برب عيديد، زعيم التحالف الوطني الصومالي، مصرأً على وقف التدخل الدولي في الشؤون الداخلية الصومالية. ورافضاً أيضاً اقتراح علي مهدي الذي أعلن عن تشكيل مجلس انقاذ بهدف إقامة حكومة جديدة، وذلك بعد أن تم الاتفاق بين

. (٥٦) السفير - العدد ٦٧٢١ - الثلاثاء ١ آذار ١٩٩٤، ص ١٢.
Le Point, N°1099 - 9 Octobre 1993 - page 38
(٥٧)

الفصائل الصومالية الاشتباكات بين القبائل موقعة ٢٢ قتيلًا جنوب العاصمة في يوم واحد^(٥٨).

أما على صعيد العمل الإنساني، فيبدو أن الوضع ما زال على حاله، ليس فقط في الصومال، إنما في العالم أجمع. فرغم العمل الدولي، ما زال ١٢٠ مليون طفل يشكون من سوء التغذية المتواصلة في العالم الثالث، يموت منهم ٣ ملايين كل عام بسبب الأمراض كان بالإمكان شفاؤهم بدواء بسيط مضاد للميكروبات. كما أن ٨ ملايين طفل ما دون الخامسة يموتون سنويًا بأمراض عادلة كالأسهال والتيرanos والحميرة والشاهدق وغيرها، بدون أن يتمكن النظام العالمي من نجذبهم^(٥٩).

وفي هايتي أيضًا، فشل النظام العالمي في إعادة الرئيس المخلوع إلى الحكم، رغم تهديدات الولايات المتحدة وقطعها العلاقات التجارية مع هايتي من قبل الولايات المتحدة وفرنسا وكندا، ورغم محاولات مجلس الأمن، بتاريخ ٨ شباط ١٩٩٢، إرسال مراقبين دوليين إليها.

وفي ليبيا، ورغم الضغوطات الدولية والمحاصرة التمويني وعزل النظام الليبي دولياً وادراجه على لائحة الدول الداعمة للإرهاب، فإن محاولات الزام ليبيا تسليم المتهمين في حادث تفجير «لوكربي» باعت جميعها بالفشل، أمام اصرار الرئيس معمر القذافي على تأمين محاكمة عادلة لهما وداخل الجماهيرية الليبية.

وفي السودان أيضاً، فشل المجتمع الدولي في إدانة أداء النظام في مجال حقوق الإنسان، رغم أن الوفد الأميركي المشارك في اجتماعات لجنة حقوق الإنسان التابعة للأمم المتحدة في جنيف، طرح على مجموعة من الدول مشروع قرار الإدانة^(٦٠).

حتى الهند لها مأخذ على السياسة الأميركية المنحازة إلى باكستان. فقد أعرب وزير الخارجية الهندي، دينش سينغ، بتاريخ ١٧ آذار، عن قلق بلاده إزاء مشروع أمريكي يسمح ببيع طائرات حربية من طراز أف ١٦ إلى باكستان متسائلاً: «هل تسعى الولايات المتحدة إلى تشجيع باكستان على استخدام الأسلحة الذرية ضد الهند؟» في إشارة إلى امكانات حمل أسلحة نووية على هذا النوع من الطائرات. وأضاف، أن تسليم هذه الطائرات سيؤثر على التوازن الأمني في المنطقة، وسيخلق آثاراً سلبية على عملية بناء الثقة المتزرعة بين البلدين، بعد حروب ثلاثة خاضها منذ ١٩٤٧^(٦١).

(٥٨) الديار - العدد ١٩٩٧ - الثلاثاء ٨ آذار ١٩٩٤، ص ٢١.

Le Point, N°1112 - 8 Janvier 1994, page 21

(٥٩) الحياة - العدد ١١٣٤٠ - الجمعة ٤ آذار ١٩٩٤، ص ١.

(٦٠) صحيفة «ني هيندو» الهندية - ٧ آذار ١٩٩٤.

(٦١) (٦١)

و - على الصعيد الداخلي

حتى على الصعيد الداخلي، سجل النظام العالمي صعوبات إبرزها هشاشة النظام الأميركي وتراجع قدرته على مواجهة الازمات الداخلية والعالمية . فهذا النظام يبدو عاجزاً عن مكافحة المخدرات والجنس والسايبر والتفكك العائلي والبطالة والبؤس داخل المجتمع الأميركي . ففي مقال لـ Benoit Laporte في مجلة لوبيان الفرنسية اجرى الكاتب مسحأً لأعمال العنف في الولايات المتحدة ذاكراً أن أربعة عشر ولداً يقتلون بالرصاص يومياً، ويوقف سنوياً ثلاثة آلاف قاصر بسبب الاقدام على القتل، وان السكان يملكون ٢١٠ مليون قطعة سلاح.

و ضمن هذا الإطار نذكر الحقائق التالية^(٦٢):

- قيام راكب قطار بقتل ٢٢ وجراح ٣٦ رمياً بسلاحه في ٧ كانون الاول ١٩٩٣.

- مقتل ٦ وجراح ٢٣ في لونغ ايلند.

- قيام قاتل ذي سوابق اسمه جيفري داهمز بقتل ١٧ شخصاً وتشويه جثثهم.

- ٧٧ مليون أمريكي يملكون سلاحاً أو أكثر، يوجد في البلاد ٢٨٧ الف صانع اسلحة في التكساس، حيث سجلت وفيات بالأسلحة اكثر من وفيات الاصطدامات. كما يملك ١٧ مليون مواطن ٦٨ مليون قطعة سلاح. وفي مدينة هيوستن وحدها يوجد ١٧٩١ صانع اسلحة.

- خلال عام ١٩٩١ قتل ٣٧ الف شخص برصاص الاسلحة النارية مقابل ٨٧ فقط في اليابان و ٦٨ في كندا و ٢٢ في بريطانيا.

كما اوقف خلال العام نفسه ٢٨٢٩ قاصراً لارتكابهم جرائم قتل.

- يدخل يومياً إلى المدارس ٢٧٠ الف قطعة سلاح مع التلامذة الذين تبين ان ثلاثة ارباعهم يملكون اسلحة نارية.

من جهة اخرى، تأتي سلسلة فضائح في عهد الرئيس كلينتون لتضعف النظام الأميركي داخلياً من الفضيحة الاخلاقية التي رافقت حملته الانتخابية وتهريبه من خدمة العلم، الى فضيحة ديفيد ستايير رئيس لجنة العلاقات اليهودية - الاميركية (ايباك) التي جمعت ٦٣ مليون دولار لتمويل حملة المرشح الديمقراطي، الى فضيحة وايت ووتر اي الشركة العقارية التي اسسها كلينتون وزوجته هيلاري عام ١٩٧٨ والتي تحوم الشكوك حول اختلاس الاموال العامة المخصصة لصندوق توفيرها لتمويل حملته الانتخابية للوصول الى منصب حاكم اركنساس والتي ادت

إلى إفلاس الشركة وإلى سلسلة استقالات في البيت الأبيض (المحامي برنارد نوسباوم والمحامي وبستر هابل مساعد وزير العدل) إضافة إلى استقالة زعيم الأغلبية في مجلس الشيوخ جورج ميتشل. ونذكر أيضاً فضيحة الجاسوس جوناثان بولارد الذي سرق وثائق سرية حساسة لمصلحة إسرائيل والجاسوس بالدريل هازن أميس الذي كان يعمل لصالح إسرائيل داخل جهاز السي آي إيه، وفضيحة الجاسوس الروسي الدريش إيمز داخل الجهاز نفسه.

هذه الفضائح التجسسية دفعت جيمس وولسي مدير وكالة الاستخبارات المركزية إلى الإعلان عن خطة جديدة تهدف إلى إعادة النظر في سير عمل هذه الوكالة لضبط الخل الذي ظهر فيها من خلال التحقيق مع إيمز وزوجته.

هذه الهشاشة في وضع النظام الدولي الداخلي تدفعنا للتساؤل:

- هل بإمكان هذا النظام الدولي المتابعة بقيادة العالم؟
- وما هي الاحلاف التي ينبغي عليه توقيعها للبقاء في مركز الحكم في النزاعات الدولية؟

الخلاصة

يقول الكاتب بول كنيدي في كتابه الشهير «صعود الأمم وهبوطها»، إن «انحطاط الإمبراطوريات يبدأ عندما لا تعود قادرة على تحمل نفقات توسيعها في وقت يكون التوسيع ضرورة للمحافظة على قوتها». وهذا ما بدأت الولايات المتحدة تعاني منه حسب كنيدي.

فهل إن النظام العالمي بدأ بالتراجع؟

وهل أنه ينبغي للمحافظة عليه أن يعقد الجبار الأميركي تحالفات مع أوروبا واليابان أو مع الصين وروسيا؟

من الواضح أن الولايات المتحدة الأمريكية، التي تعتبر نفسها اليوم زعيمة العالم الحر وحامية السلام والقيمة على الأمم المتحدة وعلى مصالح الدول الصغرى المهددة من دول مجاورة مهيمنة، هي بحاجة أكثر فأكثر إلى الاعتماد على صداقات وتحالفات جديدة بهدف تذليل المصاعب أمام نظامها العالمي. فكلما تقدم الزمن، زادت مصاعب القوة القيمة على العالم اليوم، ما لم تدع نظمها بإدارة دولية شبيهة بالمؤسسات الدولية التي تعتبر الأمم المتحدة في طليعتها.

فالعالم المُقبل تبرز فيه مراكز قوى كبرى، أهمها أوروبا موحدة متعاونة أم لا مع روسيا التي تدور دول الاتحاد السوفيتي السابق في فلكها. ومنها جبار صيني تمكن من تطوير اقتصاده ومن استغلال ثروات باطن أرضه. ومنها دولة روسية متماسكة، تمكنت من اجتياز المرحلة الانتقالية بين الاقتصاد المغلق

واقتصاد السوق، ومن ضبط الترسانة النووية للاتحاد السوفياتي السابق، ومن الهيمنة على عالمه ترغيباً أو ترهيباً، ومن العودة إلى لعب دورها الطليعي في العالم الثالث وخاصة في الأوساط الآسيوية والأفريقية والجنوب أميركية. ومنها يابان تابعت دفع اقتصادها المتتطور إلى جانب قدرة عسكرية تعيد تذكير شعبيها بامبراطورية الميكادو السابقة. ومنها عالم إسلامي،تمكن من خلق دولة فديرالية في إحدى مناطقه تبشر بالمبادئ الإسلامية وبالایديولوجية القوية منافسة العالم الغربي، يدعمها النفط، ومهددة أوروبا الموحدة وربما روسيا. ومنها نظام للإرهاب الدولي المدعوم من الدول الراغبة بلعب دور بارز على الساحة الدولية والتي لا تؤهلها عوامل قدرتها القوية للقيام بهذا الدور بالطرق السياسية والدبلوماسية والعسكرية التقليدية.

والمثال الأبرز للتحالفات الدولية المقبلة، يأتي من روسيا التي ضاعفت، في الفترة الأخيرة، من مبادراتها الدبلوماسية غير المتطرفة نحو واشنطن، مما دفع بوزير الدفاع الأميركي ويليام بيري إلى الاعراب عن اعتقاده بأن «روسيا قد تصبح دولة متسلطة وعسكرية وامبرالية ومعادية للغرب». لكن الرئيس كلينتون يرى عكس ذلك. فالعلاقة مع روسيا ترتكز برأيه على الإدراك المتبادل للمصالح المشتركة.

إن العالم بحاجة إلى ضبط أوضاع بدلاً من اعتماد توازن الرعب النووي أو «رقصة الديناصورات» التي سادت أوروبا منذ قبل الحرب العالمية الثانية. أنه بحاجة إلى نوع من التحالفات أو الإرادة الدولية الجامحة والمدعومة من الولايات المتحدة بصفة خاصة. فالتجارب الدولية، خاصة في الشرق الأوسط والبلقان والشرق الأقصى وأفريقيا، أظهرت، بما لا يقبل الشك، أن النظام القائم على قوة واحدة عاجز عن حل القضايا العالمية الشائكة حيث تتصارع أقلية واتنية واعراق وطوائف وقبائل...

ويبقى التساؤل: من من هذه القوى سيتحالف مع من؟ وهل أن النظام الأوحد أفضل للسلام العالمي أم التعددية؟

الملاحق:

ملحق رقم ١ : القدرة القومية في الولايات المتحدة الاميركية

ملحق رقم ٢ : لائحة الدول الأكبر مساحة في العالم.

ملحق رقم ٣ : الدول الأكثر سكاناً في العالم.

ملحق رقم ٤ : أرقام موازنات الولايات المتحدة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩١.

ملحق رقم ٥ : مقارنة اقتصادية بين الولايات المتحدة والدول الكبرى.

ملحق رقم ٦ : مقارنات بين جيوش الدول الكبرى.

ملحق رقم ٧ : القوات العسكرية للاتحاد السوفييتي السابق.

ملحق رقم ٨ : نص مشروع «شراكة من أجل السلام»

الملحق رقم (١) القدرة القومية في الولايات المتحدة الأمريكية

أ - المعطيات الديمغرافية والجغرافية:

تمتد الولايات المتحدة على مساحة ٩٣٧٢٦١٥ كلمتر مربع، أي بمعدل $\frac{1}{6.9}$ من مساحة الكوكب وهي الدولة الرابعة في العالم من حيث المساحة^(١). مجموع حدودها ١٢٠٠٧ كلمتر، منها ٨٨٩٢ مع كندا و ٣١١٥ مع المكسيك، و ١٩٩١٤ كلمتر من السواحل منها ٣٣٢٩ مع المحيط الأطلسي و ١٢٢٦٥ مع الباسيفيك و ٢٦٢٤ لخليج المكسيك و ١٧٠٦ للمتجدد الشمالي^(٢).

في الطبيعة:

تنشر في الولايات المتحدة سلسلتا جبال في غرب البلاد وشرقها موازية للسواحل وتحوطان منخفضاً سهلياً يقطعه نهر الميسيسيبي من الشمال إلى الجنوب مع مجموعة سهول واسعة جداً وجبال ووديان وخلجان غنية وغابات كثيفة. تبلغ مساحة السهل الداخلي ٢٨٠٠,٠٠٠ كلمتر مربع ويرتفع بين ٢٥٠ و ٣٠٠ متر عن سطح المحيط وهو مروري بغزاره.

أعلى الجبال هو Mont Rainier (٤١٨ متر) جنوب سيرا نيفادا.

في شمالها مجموعة من البحيرات الكبرى تشكل مع نهر الميسيسيبي محور نظام الري للبلاد. هذه البحيرات تشكل بحراً داخلياً واسعاً صالحاً للملاحة تبلغ مساحتها ٢٤٦٠٠ كلمتر مربع. يبلغ طول الميسيسيبي مع رافده الميسوري ٦٢٣٠ كلمتر، بمعدل جريان ٢٠ متر مكعب بالثانية ويمكنه نقل ٤٠٠ مليون طن بضائع سنوياً^(٣).

وتعتبر الولايات المتحدة البلد الزراعي الأول في العالم إذ يمكنها ممارسة ضغوط سياسية بواسطة المواد الغذائية على دول العالم. فالأراضي الزراعية تغطي $\frac{57}{100}$ من المساحة العامة موزعة كما يلي:

- ١٩١ مليون هكتار أرض صالحة للزراعة.
- ٢٤٤ مليون هكتار غابات دائمة.
- ٨٠ مليون هكتار مراعٍ

(١) انظر ملحق رقم ٢: لائحة الدول الأكبر مساحة في العالم.

Dominique et Michèle FREMY, Quid, Laffont, Paris, 1991, p. 953.

Encyclopédie Quillet, France 1981, vol.III, p. 2315.

(٢)

(٣)

- ٤ ملايين هكتار زراعات مختلفة.
أي ما مجموعه ٥١٩ مليون هكتار للأراضي الزراعية ترويها سلسلة أنهار ذات منسوب مرتفع وبغالبيتها صالحة للملاحة النهرية.

في الديمغرافيا:

بلغ عدد سكان الولايات المتحدة عام ١٩٩٢ حوالي ٢٥٢,٦ مليون نسمة منهم بيض ٨٩,٤٪ وسود ٩,٩٪ مع توقعات لوصول العدد إلى ٢٧٨,٢ مليون في العام ٢٠٠٠. فهي تتبع المركز الرابع بمعدل ٤,٩٪ من المجموع العالمي^(٤).

ورغم اتساع الأراضي الزراعية، لا تشكل نسبة العاملين في القطاع الزراعي سوى ٣٪ من مجموع السكان العاملين. وهنا تكمن القوة الاقتصادية والصناعية والتجارية للبلاد بسبب التعويض عن نقص اليد العاملة الزراعية بتحسين الوسائل والطرق المستعملة بما فيها المكننة. وهذا ما يساهم في رفع المستوى المعيشي للشعب بصورة عامة.

يقطن في المدن والتجمعات السكانية ٧٥,٢٪ من عدد السكان، منهم ٩,٢٪ في مدن يفوق عدد سكانها المائة ألف نسمة. ويعيش في الخارج ١٤٢٨٥٠٠ نسمة.

اللغة الرسمية هي الإنكليزية مع لغات مناطقية أخرى أبرزها الإسبانية والألمانية والإيطالية والأفرنسية. غالبية السكان من البروتستانت (٧٩٣٨٧٠٠٠) مع كاثوليك (٥٧٠١٩٩٤٨) وطوائف أخرى كالعمدانية (٢٤٣٢٥٧٢٥) والميثودية (١٢٥١٣٨٩٩)، واليهودية (٥٩٤٠٠٠) منهم ٢٢٠٠٠٠ في نيويورك والإسلام (٦ ملايين) والبوذية (١١٩٤٤).

تسود السكان أحياناً مشاكل عرقية وطائفية أبرزها العادات المتأصلة بين البيض والسود التي تحول عادة إلى اشتباكات دامية.

ب - القدرة الاقتصادية:

تتبّوا الولايات المتحدة المركز الأول دون منازع في الاقتصاد العالمي، ويتوقع مالحظو «مجلس الاحتياط الفيدرالي» ورؤساء بنوك الاحتياط أن يكون عام ١٩٩٤ عام تقدم آخر في الاقتصاد، يكون فيه التضخم أقل وتواصل فيه ظروف السوق المالية توفير وضع يؤدي إلى المحافظة على النمو الاقتصادي المعتمد والازدياد في فرص التوظيف^(٥).

وفي الأول من آذار ١٩٩٤، ارتفع سعر صرف الدولار إزاء المارك ومعظم

(٤) انظر الملحق رقم ٣: الدول الأكثر سكاناً في العالم.

(٥) الديار - العدد ١٩٨٨ - الأحد ٢٧ شباط ١٩٩٤ - صفحة ٢٢.

العملات الرئيسية في الأسواق الأوروبية والأمريكية بعدها أعلنت وزارة التجارة في واشنطن أن إجمالي الناتج المحلي حقق نمواً نسبته ٧,٥٪ في الربع الأخير من العام ١٩٩٣. وهذا يعتبر أعلى معدل نمو منذ الربع الأول من عام ١٩٨٤^(٦).

وإذا دخلنا في التفاصيل، لاحظنا أن الولايات المتحدة تملك أول قدرة شرائية وبائعة في العالم بما يعادل ١٢٪ للاستيراد و١٣٪ للتصدير من التبادل التجاري العالمي، أي ٤٢١,٧ مليار دولار لعام ١٩٩١. وهي تملك امكانات ضخمة للتأثير على الأسواق العالمية خاصة في المواد الغذائية^(٧):

- المركز الأول عالمياً في الذرة الصفراء والفوسفات والأخشاب.
 - الثاني في الحبوب والفحم والغاز الطبيعي والبترول واحتياط الفحم والنحاس واحتياط اللينيت والقطن.
 - المركز الثالث بالنسبة للقمح والشعير والخنازير والبيورانيوم واحتياط الغاز الطبيعي.
 - المركز الرابع في الانتاج البكري والذهب.
 - المركز السادس في قصب السكر والنبيذ وال الحديد واللينيت والبوتاسي.
 - المركز التاسع في احتياط البترول والثاني عشر بالنسبة للأرز.
- وتعتبر الولايات المتحدة الدولة الأولى عالمياً في مجالات أخرى: الصويا (٦٠٪ من الانتاج العالمي) الذرة الصفراء (٤٢٪)، الحمضيات (٣٠٪)، القطن (١٦,٩٪)، القمح (١٥٪) البيورانيوم (٤٦٪)، الغاز (٤٠٪)، الفحم (٢٤٪)، البترول (٤,٣٪)، الكهرباء (٤٠٪).
- النقل الجوي: ١٥١٢٢ قطاراً، ٣٠ شركة طيران، ١/٣ النقل الجوي العالمي.
 - سكك الحديد: الشبكة الأولى في العالم أي ٣٣٠ ألف كلمتر، ١/٣ الشبكة العالمية.
 - النقل البحري الداخلي: الأول في العالم، بمعدل عشرة آلاف باخرة سنوياً بحمولة ٥٧,٦ مليون طن.
 - النقل البري: الأول في العالم، ٦ ملايين كلمتر من الطرق، ٨٠ ألف منها أوتوسترادات. ١٩٠ مليون سيارة منها ٣٥ مليون لنقل الثقيل.
 - الكهرباء: الانتاج السنوي ٢٨٠٥ مليار كيلووات، قسم منها من انتاج ١١٢ مصنعاً نووياً.

(٦) الحياة - العدد ١١٢٢٨ - الاربعاء ٢ آذار ١٩٩٤ - الملحق الاقتصادي - صفحة ٩.

(٧) احصاءات عام ١٩٩٢.

- الغاز الطبيعي: ٤٠٪ من الاستهلاك العالمي الاحتياطي بلغ ٤٦٧٠ مليار متر مكعب وانتاج سنوي عام ١٩٩١، ٥٠٥ مليار متر مكعب.

- البترول: الاحتياطي يبلغ ٣٥٨٠ مليون طن مع تصدير خام ومصفى بمعدل ٤١,٩ مليون طن لعام ١٩٩٠.

أما موازناتها منذ الثمانين فهي مفصلة في الملحق رقم ٤^(٨).
ومقارنة اقتصادها مع اقتصاد الدول الأخرى في الملحق رقم ٥^(٩).

وتبدو صورة الاقتصاد الأميركي إيجابية في أهم احصاءات اقتصادية منذ أزمة أسواق السندات الدولية، إذ أعلنت وزارة العمل في واشنطن إن عدد الوظائف الأميركية ارتفع في شباط ١٩٩٤ بمقدار ٢١٧ ألف وظيفة مقابل تراجع ٢٠٠٠ وظيفة في الشهر الذي سبقه، كما استقر الدولار بالنسبة للمارك وارتفع بالنسبة للين^(١٠).

ج - القدرة العسكرية:

يعتبر الجيش الأميركي أبرز قوة عسكرية في العالم، لا سيما مع غياب الجيش السوفيافي الذي كان يوازن له من خلال حلف وارسو. وتكمّن قدرة الجيش الأميركي في أسلحته النووية الاستراتيجية وفي امكانات نقل قواته إلى أيّة منطقة في العالم (Projection of Power)، وفي القوات العسكرية التقليدية المتطورة.

وندرج، في هذا الإطار، المعلومات التالية عن هذه القوات^(١١):

١ - الأعداد:

يبلغ عديد القوات العسكرية الأميركية، حسب احصاءات ١٩٩١، ما مجموعه: ٢١٢٤٩٠٠ مقاتل، منهم ٢٠٣٠٠ امرأة، جيش البر: ٧٦٦٤٠٠، البحرية: ٥٨٣٩٠٠، رماة البحرية: ١٩٩٦٠٠، القوى الجوية: ٥٧٩٩٠٠، احتياط: ١١٥٢٧٠٠.

٢ - القوات النووية الاستراتيجية:

البحرية:

أسطول غواصات مسلحة بصواريغ باليستية (٣٦ غواصة منها ١٦ حاملة صواريغ بوزايدون C، أي ما مجموعه ٢٥٦ صاروخاً).

(٨) انظر ملحق رقم ٤: أرقام موازنات الولايات المتحدة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩١.

(٩) انظر ملحق رقم ٥: مقارنة اقتصاد الولايات المتحدة مع دول العالم.

(١٠) الحياة - العدد ١١٣٤١ - السبت ٥ آذار ١٩٩٤ - الملحق الاقتصادي - صفحة ١٠.

(١١) Dominique et Michèle FREMY Laffont, op. cit., pages 1882 - 1886.

١٢ غواصة حاملة صواريخ Trident الذي يبلغ مداه ٧٣٠٠ كيلومتر، أي ما مجموعه ١٩٢ صاروخاً، مع إمكانية تصنيع غواصة منها كل عام وتطوير الصاروخ لبلوغ مدى ١١ ألف كيلومتر.

سلاح الجو стратегي:

- ١٠٠ صاروخ ICBM^(١٣) منها ٤٥٠ مينتمن ١ و ٢ برأس واحد، و ٥٠٠ مينتمن ٣ و ٥٠٠ Peacekeeper.
- ٢١ أسطول قاذف أي ٣٧٢ قاذفة استراتيجية.
- ٥٤ أسطول تموين أي ٧٠٦ طائرات.
- ٦ أسطول استطلاع.

مع نظام متكامل للرادار البعيد والمتوسط والقريب المدى، وطائرات رادار متطرفة من طراز EC 121 عابرة للمحيطات، وأقمار صناعية (عدد ٦٤٣) للالزار المبكر تحرك الصواريخ المضادة للصواريخ.

٣ - جيش البر:

- ١٩ فرقة منها ٤ دبابات و ٧ آلية و ٦ مشاة و ١ مجوقلة و ١ مظالية.
- لواء دبابات مستقل، و ٤ آلية مشاة منها لواء في باناما متخصص بقتال الأدغال وواحد في الاسكا متخصص في القتال بالمناطق القطبية.
- ٤ أفواج صواريخ أرض - أرض برشينغ.
- ٨ أفواج صواريخ أرض - أرض لانس.
- ٦٢٦ طائرة و ٨٣٧٦ هليكوپتر.

- العتاد:

١٥٩٩٢ دبابة ثقيلة ٤٨٠ مم، ٤٠٠ دبابة خفيفة شيرادون، ٢٦٤٨٠ آلية مدرعة لنقل الجنود ٥٧٧ مم، ١١٣ مم، ٣٤٥٢ مدفع آلي الحركة ١٥٥ ملم و ٢٠٣ ملم، ١٩٤٥ مدفع مقطور ١٠٥ ملم و ١٥٥ ملم، ٢٦٧٠ هاون ٨١ ملم و ١٠٧ ملم، ٣٦٥ مدفع غير مرتد، ١٩٠٠٠ قاذف مضاد للدبابات تاو ودراغون، ٦٠٠ مدفع مضاد للطائرات ٢٠ و ٤ ملم، ٣٢٠٠ صاروخ رد آلي أو مدفع شاربرال مضاد للطائرات، ١٠٠ صاروخ أرض - جو نايك وهرقل وهاوك ورولان.

٤ - جيش الجو:

٤٨٨٥ طائرة مقاتلة منها ٧٩ سرب F ٤ - ١١ - ١٥ - ١٦ - ٧ أسراب

استطلاع تكتي، ٧ أسراب مهمات خاصة، ١٧ سرب نقل جوي ستراطيجي س٥ و س١، ١٤١ أسراب نقل طبي، ٢ سرب مراقبة جوية للطقس، ٦ أسراب مراقبة وإنقاذ، ٤ أسراب أواكس، ٩ أسراب مراقبة تكتية، ١٢ سرب نقل تكتي.

٥ - البحرية:

- ١٤ حاملة طائرات منها ٥ نووية (٤ من نوع نيميتز - ١ إنترابريز)،
- ١١ حاملة طائرات تقليدية، ١٣٣ غواصة منها ٩٢ نووية و ٨٥ هجومية، ٣ دارعات، ٣٦ طراد منها ٩ نووية، ٢١ مدمرة تقليدية، ٣٧ مدمرة قاذفة صواريخ، ٥٩ فرقاطة تقليدية، ٦٦ فرقاطة قاذفة صواريخ، ٦٠ باخرة برمائية من الحجم الكبير، ٣ زارعات الغام، ٩٣ باخرة استناد ضخمة، ٢٥ باخرة لوجستية متحركة.
- مجموع الحمولة ٤٣٢١٧٨٠ طناً.

- طيران بحري:

- ١٣ أسطولاً جوياً على حاملات الطائرات أي ١٠٧١ طائرة مقاتلة وقاذفة، ٤٢ أسطول مقاتل A4-A6-Ea 6A، ١٢٤ أسطول مقاتل A48-F14-F4-F5 ١٢ أسطول مضاد للغواصات ولسانذار الإلكتروني، ٢٣ أسطول هليكوبتر مضادة للغواصات، ١٤ أسطول إنذار جوي متقدم، ١٤ أسطول نقل وخدمات.

- القواعد البحرية:

٤٢٩ قاعدة بحرية عسكرية في الخارج و ٢٩٧٢ لإنشاءات الأقل أهمية موزعة في ٣٠ دولة.

ملحق رقم ٢:
لائحة الدول الأكبر مساحة في العالم

الدولة	المساحة بالكلمتر المربع	النسبة إلى مساحة العالم	الدولة	المساحة بالكلمتر المربع	النسبة إلى مساحة العالم
روسيا	١٧٠٧٥٠٠	% ١٢,٥	ذائير	٢٣٥٤٤٠٩	١,٧
كندا	٩٩٧٦١٣٩	٧,٣	السعودية	٢١٧٥٦٠٠	١,٦
الصين	٩٥٩٦٩٦١	٧	المكسيك	١٩٧٢٥٤٧	١,٥
الولايات المتحدة	٩٣٧٢٦١٤	٦,٩	أندونيسيا	١٩٠٤٥٦٩	١,٥
البرازيل	٨٥١١٩٦٥	٦,٣	ليبيا	١٧٥٩٥٤٠	١,٣
أوستراليا	٧٦٨٦٨٤٨	٥,٦	ایران	١٧٥٩٥٤٠	١,٣
الهند	٣٢٨٧٥٩٠	٢,٤	منغوليا	١٥٦٥٠٠	١,١
الأرجنتين	٢٧٦٦٨٨٩	٢	ألباني	١٢٨٥٢١٦	٠,٩
السودان	٢٥٠٥٨١٢	١,٨	تشاد	١٢٨٤٠٠	٠,٩
الجزائر	٢٣٨١٧٤١	١,٧			

- المستند: مصادر الأمم المتحدة.

ملحق رقم ٣: توزيع السكان بالقارات (١٩٩٢)

القارة	الكلمترات المربعة	المساحة بآلاف الكلمترات المربعة	نسبة المساحة إلى العالم	السكن بالآلاف	النسبة إلى سكان العالم	الكثافة بالكلمتر المربع
أفريقيا	٣٠٣٣١	٣٠٣٣١	%٢٠,٣	٦٧٧٠٠	%١٢	٢٢,٢
أمريكا	٢٩٧٨٥	٢٩٧٨٥	٢٨,١	٧٣١٦٠	١٣,٨	١٨,٣
آسيا	٢٧٥٩٢	٢٧٥٩٢	١٨,٤	٣١٥٥٠٠	٥٨,١	١١٤,٣
أوروبا	٤٨٦٩	٤٨٦٩	٣,٣	٥٠٢٠٠	٩,٩	١٠٣,١
أوقيانيا	٨٥٥٠	٨٥٥٠	٥,٧	٢٧٠٠	٠,٥	٢,٢

الدول الأكثر سكاناً في العالم (١٩٩٢)

الدولة	عدد السكان بـ (مليارين)	الدولة	عدد السكان بـ (مليارين)	نسبة السكان إلى سكان العالم	نسبة السكان إلى سكان العالم	نسبة السكان إلى سكان العالم
الصين	١١٧٠	بنغلاديش	٠٢١,٩	١١٨,٧	٢	٢
الهند	٨٥٤	باكستان	١٥,٦	١١٧	٢	٢
أوروبا (١٢ دولة)	٣٢٢,٢	نيجيريا	٦,٦	٨٨,٥	١,٧	١,٧
الولايات المتحدة	٢٥٢,٠٦	المكسيك	٤,٩	٨٥,٧	١,٧	١,٧
أندونيسيا	١٩٣٠	الفيتنام	٣,٤	٧١	١,٤	١,٤
روسيا	١٤٨,٠٤	إيطاليا	٣	٦٥,٤	٦٢	١,٢
البرازيل	١٥٣,٢	الفيليبين	٢,٨	٥٩,٥	٥٩,٥	١,٢
اليابان	١٢٤	المانيا	٢,٥			

ملحق رقم ٤:
أرقام موازنات الولايات المتحدة من ١٩٨٠ إلى ١٩٩١

الميزان	المدخول	المصروف (بمليار الدولارات)	السنة
- ٧٣,٨	٥١٧,١	٥٩٠,٩	١٩٨٠
- ٧٨,٩	٥٩٩,٣	٦٧٨,٢	١٩٨١
- ١٢٧,٩	٦١٧,٨	٧٤٥,٧	١٩٨٢
- ٢٠٧,٧	٦٠٠,٦	٨٠٨,٣	١٩٨٣
- ١٨٥,٣	٦٦٦,٥	٨٥١,٨	١٩٨٤
- ٢١٢,٣	٧٣٤	٩٤٦,٣	١٩٨٥
- ٢٢١,٢	٧٦٩	٩٩٠,٢	١٩٨٦
- ١٤٨	٨٥٤	١٠٠٢	١٩٨٧
- ١٠٥	٩١٠	١٠٦٥	١٩٨٨
- ١٢٩٥	٩٦٤,٧	١٠٩٤,٢	١٩٨٩
- ٦٣٢	١١٧٠	١٢٢٣,٣	١٩٩١

ملاحظة: يبدو من الجدول أن أصعب السنوات الاقتصادية كانت بين ١٩٨٤ و ١٩٨٦، والاتجاه الحالي في الموازنات يميل إلى تخفيض العجز في ميزان المدفوعات.

ملحق رقم ٥: مقارنة اقتصادية بين الولايات المتحدة والدول الكبرى (١٩٨٩)

الميزان الخارجي PIB (نسبة مئوية) من	الإنتاج الداخلي الصافي PIB بملايين الدولارات	الدولة
- ٢,٢	٤٨٠٥,٥	الولايات المتحدة
٢,٣	٢٢٧٢,١	اليابان
٥,٢	١٢٠٤,٦	المانيا
٠,٢	٩٤١,٩	فرنسا
٠,٣	٧٥٨,١	ايطاليا
- ٣,٥	٦٦٩,٨	بريطانيا
- ٠,٦	٤٧٩,٥	كندا
- ١,١	٣٣٩,٣	اسبانيا
- ١	٢٤٢,٩	اوستراليا
٤	٢١٢,٢	هولندا
٠,٣	١٧١,١	سويسرا
١,٥	١٥٨,٥	السويد
٣,٤	١٤٧,٥	بلجيكا
٠,٣	١٢٦,٧	النمسا
٣	١٠٧,٢	الدانمارك
- ٠,٣	١٠٤,٦	فنلندا

ملحق رقم ٦:

مقارنات بين جيوش الدول الكبرى

أ - عديد القوات المسلحة في الدول الكبرى (احصاءات ١٩٩٢)

الدولة	العام	العديد				
		جيش البر	البحرية	الطيران	ملاحظات	
الاتحاد السوفييتي	٢٤٨١٠٠٠	١٥٩٦٠٠٠	٤٣٧٠٠٠	٤٤٨٠٠	٤٧٠٠٠	احصاءات ١٩٩١
	٢٣٣٠٠٠	٢٢٠٠٠	٢٦٠٠٠			
	١٦٧٩٢٠٠	٦٤١٤٠٠	٥٥٠٠٠	٤٨٧٨٠	١١٠٠٠	
	١٤٢٥٠٠٠	١٢٦٠٠٠	٥٥٠٠٠			
	٤٤٦٨٠	٣١٦٠٠	٣٥٠٠٠	٩٥٨٠		
	٤٤١٦٠	٢٨٥٠٠	٦٤٩٠	٩١٧٠		
	٣٥٤٢٠	٢٣٠٠٠	٤٨٠	٧٦٢٠		
	٢٩٤٥٠	١٤٦٠٠	٦٢٠	٨٦٥٠		
	٢٧٥٠	٢٠٠٠	٣٩٠	٣٦٠٠		
	٢١٧٠	٤١٦٠٠	٣٦٠	٣٥٠٠		
الصين						
الولايات المتحدة						
الهند						
المانيا						
فرنسا						
ايطاليا						
بريطانيا						
اسبانيا						
اليابان						

ب - القوى العسكرية في اوروبا الوسطى (مؤتمر اوكتواوا شباط ١٩٩٠)

الدولة	جيش البر					
	العدد	دبابات	مدفعية	هليكووتر	طائرات	الجو
الحلف الأطلسي	٢٢٣٩٩٠	٢٢٦٣٥	١١٨٠٣	٢٥٤٤	٦٢٩٥٧٠	٣٩٩٧
	٢٢٥٠	٥٠٠	١٥٠	—	٤٠٣٠	٢٦٤
	٣٤٠	٥٠٥	١٢٧٢	٦٤٠	١٠٦٠	٥٠٧
	٢٩٢٠	١٣٤	٧٧٤	٦١٠	٩٤١	٥٩٨
	١٠٥٠	١٢٩	٥٠٠	٩١٣	٩١٤٥٠	٥٧٠
	٢٦٥	١٧٢	١٢٤٨	٢٢٦	٧٣٠	٣٩٠
	٢٢٥	٥٠٠	١٥٠	—	٤٠٣	٢٦٤
	٢٤٠٢	٧١١٤	٣٩٧٧٦	٢٠٠	٧٢٥٠	٦٤٦١
	٢٤٠٢	٧٣٠	٣١٥	٢٠٠	٤٤٨	٤٥٩٥
	١٥٩٦	١٥٩٦	٣١٥	٢٠٠		
الولايات المتحدة						
المانيا						
فرنسا						
بريطانيا						
ايطاليا						
تركيا						
حلف وارسو						
السابق						
الاتحاد السوفييتي						
السابق						

ج - موازنات الدفاع بملايين الدولارات (١٩٩١)

الدولة	موازنة الدفاع	المركز الوطني	نسبة مئوية من PNB
الولايات المتحدة	٢٢٧٠٥٥	١	%٥,١
المانيا	١٦٤٥٠	٧	%١,٩
فرنسا	١٨٠٤٤	٥	%٢,٨
بريطانيا	٢٢٤٢٠	٤	%٤,٢
يوغوسلافيا	٣٤٩٠	٢١	%١٨,٦
سويسرا	١٨٥٣	٣٣	%١,٧
اسرائيل	٣٢٣٩	٢٢	%٩,٩
الهند	٧٩٩٠	١٠	%٢,٩
باكستان	٣٠١٤	٢٥٤	%٧
ايطاليا	٩١٤٦	٩	%١,٧
اليابان	١٦٦٤	٦	%٨
الأرجنتين	١١٦١	٤٧	%١,٧
البرازيل	١٠٨١	٥٠	%٠,٨

د - الأسلحة النووية

النوع	الاتحاد السوفيaticي السابق	الولايات المتحدة
حشوة نووية	— ١١٣٥٠ حشوة استراتيجية ALBM ٧٢٠ منها SLBM ٣٦٧٢ و	— ٨٨٠٠ منها ١٨٠٠ حشوة استراتيجية (٥٠٠٠ عابرة القارات) الصواريخ موزعة كما يلي: ICBM ٢٠٠٠ SLBM ٣٥٠٠ — ٣٣٠٠ على طائرات قاذفة
طريقة الاطلاق	— صواريخ في مراكز ثابتة ودققة الرمي	— غواصات نووية متحركة غير معرضة للهجمات الاحترافية عدد ٣٦ (استراتيجية الرد)
	— قاذفات استراتيجية: ٩٠ توبوليف ١٦٠ بلاك جاك — قاذفات متوسطة المدى ٧٦٦ توبوليف	— قاذفات استراتيجية بعيدة المدى: B52 - H - B1B — قاذفات متوسطة المدى: FB111

هـ - مقارنة الصواريخ عبرات القارات منذ ١٩٦٠ إلى ١٩٩٢

ملاحظات	الاتحاد السوفيتي السابق		الولايات المتحدة		السنة
	SLBM	ICBM	SLBM	ICBM	
	-	٣٥	٣٢	١٨	١٩٦٠
١٢٠		٢٧٠	٤٩٦	٨٠٤	١٩٦٥
٧١١		١٦١٨	٦٥٦	١٠٥٤	١٩٧٥
١٠٢٨		١٣٩٨	٦٥٦	١٠٥٤	١٩٨٠
٩٨١		١٣٩٨	٥٩٢	١٠٣٧	١٩٨٤
٩٦٧		١٤١٨	٦٤٠	١٠٠٠	١٩٨٧
٩١٤		١٣٣٤	٦٠٨	١٠٠٠	١٩٩١
٩١٢		١٣٩٩	٤٨٠	٥٠٠	١٩٩٢

ICBM: Inter - continental ballistic missile

ALBM: Air - launched ballistic missile

IRBM: Intermediate range ballistic missile

FBM: Fleet ballistic missile

SLBM: Sea - launched ballistic missile

AGM: Air ground missile

ملحق رقم ٧:

القوات العسكرية لالاتحاد السوفيتي السابق:

أ - القوات العسكرية: العدد ٢٤٨١٠٠٠، منها ١٥٩٦٠٠٠ لجيش البر.
٤٣٧٠٠ للبحرية و ٤٤٨٠٠٠ للطيران.

ب - القوات البرية: ٦١٥٠٠ دبابة ثقيلة - ١٠٠٠ دبابة خفيفة - ٨٠٠٠ عربة استطلاع مدرعة - ٢٨٠٠ آلية مدرعة خفيفة - أكثر من ٥٠ ألف حاملة جند مدرعة - ٣٢ ألف مدفع مقطور - ٩٠٠٠ مدفع ذاتي الحركة - ٨ آلاف راجمة صواريخ - ١٣ ألف هاون - ١٧٢٣ قاذف صواريخ أرض - أرض - ٨ آلاف مدفع مضاد للدبابات - ١٢ ألف مدفع مضاد للطائرات - ٤٩٦٠ جهاز متحرك قادف للصواريخ أرض أرض. - ٤٥٠٠ طوافة منها ٢٠٥٠ مسلحة و ١٠٠ مجهزة بصواريخ معرضة للصواريخ الباليستية. - ٢٣١٥ طائرة مقاتلة - ٨٦٥ قاذفة صواريخ - ٩ أقمار صناعية لكشف اطلاق الصواريخ الباليستية - ٩ مراكز مراقبة رادار للمسافات الطويلة.

ج - جيش الجو: ٥٧٨٤ طائرة مختلفة.

د - البحرية: ٣٢٣ غواصة منها ٦٣ ستراتيجية - ١٠٢٧ سفينة رئيسية للقتال منها ٥ حاملات طائرات - ٧٥٠ طائرة و ٣٢٠ طوافة.

ه - الأسلحة النووية: ٩٢٠ صاروخاً - ٦٣ غواصة نووية - ١٣٩٨ صاروخاً باليستي عابر للقارات - ١٧٤ قاذف متوسط المدى - ٥٦٥ طائرة قاذفة.

ملاحظات:

- هذه القوات ورثت روسيا قسماً كبيراً منها خاصة الأسلحة النووية والطيران الستراتيجي والبحرية الستراتيجية. وتحاول روسيا جمع القوى النووية جميعها بعهدتها. فبتاريخ ٧ آذار ١٩٩٤ وصل أول قطار يحمل ٦٠ رأساً نووياً أوكرانياً إلى روسيا وسط تكتم شديد. وصرح خبير روسي أن روسيا ستتنزع السلاح النووي من أوكرانيا خلال سنة ويشمل ١٧٦ صاروخاً تحمل ١٣٠٠ رأس نووي وأكثر من ٣٠ مقاتلة قاذفة مجهزة بأكثر من ٦٠٠ رأس نووي

ملحق رقم ٨

نص مشروع «شراكة من أجل السلام»

قدمت واشنطن مشروع «شراكة من أجل السلام» اعتمدته في بروكسل الدول الـ ١٦ الأعضاء في حلف شمال الأطلسي على أنه السبيل الأفضل لانضمام دول أوروبا الشرقية والوسطى كلياً إلى هذا الحلف في المستقبل.

أما الدول المعنية فتخشى أن تكون هذه المبادرة وسيلة لتأخير انضمامها إلى الحلف إلى ما لا نهاية.

١ - **الدول المعنية:** أن كافة دول المعسكر الشرقي السابق معنية بهذا الاقتراح بما فيها روسيا بالإضافة إلى بعض الدول الأعضاء في مؤتمر الأمن والتعاون في أوروبا. وكانت إدارة الرئيس الأميركي بيل كلينتون شددت على الطابع غير الحصري لهذا الاقتراح لكي لا تعطي الانطباع بأن بعض الدول مؤهل للدخول إلى الحلف وأن البعض الآخر غير مؤهل لذلك.

وعلى الدول المهتمة أن توقع على إعلان مبادئ يضم التزامات هذه الدول كشريك. وتقوم كل دولة على حدة بمناقشة برنامج العمل الخاص بها.

٢ - **مضمون الاتفاق:** يتعدّد الشركاء باحترام المبادئ الأساسية للمجتمعات الغربية الليبرالية كالديمقراطية وایجاد حل للنزاعات بالتفاوض وإشراف السلطة المدنية على السلطة العسكرية وشفافية الميزانية العسكرية. ويتعهد الشركاء أيضاً

بتطوير القوات العسكرية التي يريدون وضعها تحت تصرف مشروع «الشراكة من أجل السلام» وجعلها على نمط واحد.

وفي المقابل سيشاركون في المناورات العسكرية في إطار حلف شمال الأطلسي وفي بعض المهام كعمليات إنقاذ أو عمليات حفظ السلام. وسيحق لهم تعين مراقبين في بعض هيئات الحلف الأطلسي.

لكن النقطة الأساسية هي أن بإمكانهم الاستفادة من المادة الرابعة من ميثاق حلف شمال الأطلسي أي طلب إجراء مشاورات مع الدول الـ ١٦ الأعضاء في الحلف إذا تعرض أحدهم للتهديد.

واعتبرت دول أوروبا الوسطى كبولندا والمنطقة السوفاكية وجمهورية تشيكيا أن ذلك غير كاف. فهذه الدول تفضل الاستفادة من المادة الخامسة التي تنص على أن أي اعتداء عليها سيعتبر اعتداءً على الحلف. لكن ذلك يعني أن هذه الدول أصبحت عضواً كاملاً في حلف شمال الأطلسي.

٣ - الجدول الزمني: يمكن الانضمام إلى مشروع «شراكة من أجل السلام» فوراً. لكن مدة هذا المشروع لا تزال غامضة مما يقلق دول أوروبا الوسطى التي تخشى أن تمتد فترة الاختبار هذه إلى ما لا نهاية وأن يتتحول ما هو موقت إلى نهائي.

وأوضحت إدارة كلينتون أن سير أي شريك نحو العضوية الكاملة في الحلف الأطلسي رهن بالتقدم الذي سيحرزه لجعل مستوى بمستوى الدول الأخرى في الحلف، وعلى الدول الأعضاء في الحلف أن تصوت بالإجماع لكي يصبح أحد الشركاء عضواً كاملاً في حلف شمال الأطلسي.

مصير السلاح في الشرق الأوسط بعد السلام العربي الإسرائيلي!

العميد الركن اديب سعد (*)

لم تعرف منطقة من العالم، بعد الحرب العالمية الثانية، هول الحروب بالقدر الذي عرفته منطقة الشرق الأوسط. فلم يكن يمر عقد دون اندلاع صراع ما (**). ولم تكن الحروب هذه تنتهي بالشكل الذي يحبّه كلوزفيتز: «بتمكن فريق من تحطيم قوات الخصم كلياً، فيتحكم بارادته وينهي الصراع بما يحقق أهدافه وأغراضه» (١) فما كان يهدأ القتال، حتى يتسابق كل من الأطراف المعنية للحصول على الأسلحة المتطورة لتعويض ما خسره في المعارك والإستعداد للحرب المقبلة. وكان التناقض بين مصالح الدول الكبرى، وخاصة بين القوتين العظميين، يساعد في تحقيق المزيد من العتاد الحربي. فتراءكت الأسلحة في منطقة شكلت مخزناً ضخماً لها على اختلاف أنواعها، من «حجارة الانتفاضة»، إلى القنابل النووية، مروراً بالأسلحة التقليدية والكيميائية والبيولوجية. وهكذا، أضفت مشكلة جديدة إلى مشاكل المنطقة المتعددة والمعقدة والمداخلة سياسياً وستراتيجياً واجتماعياً واقتصادياً، هي مشكلة الوجود الكثيف للسلاح وكيفية التعامل معه عندما يحل السلام في هذه البقعة من العالم.

يحدث هذا في وقت لم يعد بإمكان الدول تحمل نفقات الحروب. فالعتاد العسكري المتطور الباهظ الثمن أنهك أضخم الميزانيات، والأسلحة الحديثة ذات المفاعيل الدمرة الهائلة وأحياناً الشاملة، لم تعد تفرق بين العسكريين والمدنيين إلى درجة أنه، بعد أن

(*) عميد ركن متلاع. قائد المدرسة العسكرية سابقاً.

(**) حروب عربية - إسرائيلية: ١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣ - ١٩٨٢.

حروب استنزاف: حرب لبنان ١٩٨٢.

حروب العراق: مع إيران ١٩٨٠ - اجتياح الكويت ١٩٩٠ - مع التحالف الدولي ١٩٩١. حرب اليمن.

CLAUSEWITZ «De la Guerre» I. 2 et IV. 11-pp. 82 et 279.

(١)

كان ٩٠٪ من ضحايا الحرب في بداية القرن العشرين من أفراد الجيش، صار ضحاياها في الوقت الحاضر ٩٠٪ من المدنيين^(٢). وتحوي ترسانات الأسلحة الضخمة لدى الأطراف الشرق أوسطية باندلاع حرب جديدة ستؤدي إلى نتائج وخيمة وخسائر مؤلمة لم تعرفها المنطقة من قبل. وربما كان هذا من بين الأسباب الرئيسية التي دفعت بالمتخصصين إلى القبول بالجلوس وجهاً إلى وجه حول طاولة المفاوضات لحل مشاكلهم سلمياً بدون ارقة المزيد من الدماء. وهذا طبعاً إضافة إلى رغبة القيمين على النظام العالمي الجديد في وضع حد للنزاعات الشرق الأوسط. ويفترض السلام استتباب الأمن، وخلق جو من الارتياح والاستقرار والطمأنينة بحيث يشعر المواطن بأن وجوده غير مهدد بخطر الحرب أو الإضطرابات على أنواعها أو الإرهاب وغيره، فيينصرف إلى أعماله المجدية مطمئن البال. وإذا ارتكز الأمن النسبي أثناء الأزمات والحروب على الردع العسكري الذي تؤمنه الجيوش لمواطنيها بواسطة اسلحتها المتقدمة، فلا شك أن آلة الحرب هذه تشكل في وقت السلام كما في وقت الحرب بالنسبة إلى الآخرين مصدر خوف وقلق، فكيف يمكن اذن عند حلول السلام التوفيق بين الأمن والاستقرار وبين السلاح المدمر!

اولاً: افتراضات

ان الجو السائد حالياً في الشرق الأوسط لا يدعو كثيراً إلى التفاؤل بحل قريب. ففي حين يُحكى عن السلام، لا تزال الدول المعنية تسعى إلى الحصول على المزيد من الأسلحة المتقدمة، كذلك فإن ما يرشح عن المفاوضات بين الأطراف، والأخبار التي تتناقلها وسائل الإعلام ليست أكثر تشجيعاً. انطلاقاً من هذه المعطيات، وطالما أن الاتفاques النهائية حول السلام لم توقع بعد، لا بد من بناء هذه الدراسة على افتراضات اقلاها ما يلي:

أ - إن مفاوضات السلام العربية - الاسرائيلية التي انطلقت من مؤتمر مدريد في تشرين الأول ١٩٩١، وإن تعثرت فهي لن تتراجع حتى بلوغ هدفها النهائي، ألا وهو السلام.

ب - إن راعي عملية السلام (الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا)، سيقيان على وفاق في ما يتعلق بموضوع هذا السلام، فلا تعود ستراتجيتها إلى التصادم في هذه المنطقة، كما كانت الحال سابقاً.

ج - إن السلام سيكون عادلاً كي لا يشكل قبلة موقوتة يفجرها الطرف المغبون عندما تتيح له الظروف ذلك.

(٢) تقرير الأمم المتحدة في ١ حزيران ١٩٩٤ نقلته جريدة النهار في اليوم التالي عن (رويتر - وص ف)

د - إن السلام سيكون شاملًا، فلا تستفرد فيه دول دون غيرها، أو تبقى دول خارج الاتفاق فتشكل في المستقبل مصدرًا للصراعات والتزاعات. يبقى أن دراسة ميدانية لما تحقق من خطوات إيجابية إثر مؤتمر مدريد، من شأنها تسلیط بعض الأضواء وانضیللة على ما سيتحقق في المستقبل.

ثانيًا: ما تم تحقيقه على طريق السلام

بالرغم من الجو التشاروئي السائد حالياً، فإن هناك أموراً يمكن اعتبارها إيجابية، تلت مؤتمر مدريد ومنها:

أ - إيجابيات في الجانب الإسرائيلي

إسرائيل، التي كانت تعتقد أن «القوة هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العرب» والتي جعلت منها وسيلة ستراتيجيتها الرئيسية، عادت وعدلت عن رأيها وأصبحت:

- تقبل بمبادلة الأرض بالسلام، بعدما كانت ترفض البحث في هذا الموضوع أو العودة إلى حدود ما قبل ١٩٦٧، كما تقبل بتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٨٨ المتعلقين بالأراضي المحتلة في فلسطين وفي هضبة الجولان^(٣).
- تقبل بالكلام عن تدويل القدس الشرقية. وهكذا فإن ياسر عرفات لم يعد يصرّح كما في السابق بأن القدس سوف تكون عاصمة فلسطين. وبالرغم من تصريحات المسؤولين المتشددة حول هذا الموضوع، فإن مباحثات سرية جرت بشأنه في «فيينا» في ١٢ أيار ١٩٩٤ بين نواب إسرائيليين ومسؤولين فلسطينيين في محادثات وُصفت بأنها غير رسمية^(٤).

- تقبل بالتفاوض مع ياسر عرفات بالذات بعدما كانت ترفض التفاوض بصورة مطلقة مع منظمة التحرير.

- تمنع الحكم الذاتي لغزة وأريحا، بعدما كانت ترفض فكرة السماح بوطن للفلسطينيين.

- تفرج عن الآلاف من المعتقلين الفلسطينيين، بينما كانت سابقاً تبحث عن أسباب لتوقيف المزيد منهم.

ب - إيجابيات في الجانب العربي

- أعلنت منظمة التحرير الفلسطينية رغبتها في السلام. وكانت قد مهدت لذلك قبل مؤتمر مدريد حين أعلنت في العام ١٩٨٨ اعترافها بـ إسرائيل، وبحثها في العيش

IISS Military Balance (1993-1994) p. 107.

(٣)

(٤) النهار تاريخ ١٤ - ٥ - ١٩٩٤، نقلًا عن (و ص ف - روبر).

- والوجود، وقبولها بالقرار رقم ٢٤٢ الذي كانت تتجاهله في السابق.
- توصل العرب إلى الجلوس مع الاسرائيليين وجهاً لوجه على طاولة المفاوضات. وهذا لم يكن ممكناً في السابق، أقله علينا.
- استقبل الملك الحسن الثاني رابين وبيريز في مطار الرباط غداة توقيعهما مع ياسر عرفات اعلان المبادئ المشتركة في أيلول ١٩٩٣^(٥).
- شاركت وفود اسرائيلية في مؤتمرات عدّة عقدت في دول عربية: ففي بداية أيار ١٩٩٤، شارك مدير عام طيران العال الاسرائيلي في مؤتمر سياحي عقد في دبي. وكانت سلطنة عمان قد استقبلت في نيسان من العام ذاته لجنة لدرس الموارد المائية. تلا ذلك وبعد شهر تقريباً وضمن لجنة الحد من انتشار الاسلحة، استقبال قطر لوفد اسرائيلي مماثل للسابق^(٦).
- التقى الملك حسين ورئيس الوزراء الاسرائيلي اسحق رابين في لندن في ٢٧ أيار ١٩٩٤ وتبع اللقاء عدة اجتماعات بين مسؤولين اردنيين واسرائيليين^(٧).
- عقد مؤتمر في امارة دبي، وبضغط من واشنطن، لتخفيض المقاطعة الاقتصادية لاسرائيل، بحث خلاله دول خليجية من بينها السعودية والبحرين رفع الحظر عن الشركات المعاملة مع اسرائيل^(٨).
- خلقت الانسحابات من الاراضي المحتلة كغزة واریحا جواً من الارتياح والطمأنينة وصفه رئيس منظمة التحرير في البداية بأنه «سار»^(٩).
- تراجعت حدة الانتفاضة في الاراضي المحتلة، وبالتالي عدد ضحاياها.

ج - السلبيات

- يبقى أنه لا تزال توجد نواحٍ سلبية تشوّب الوضع القائم حتى تاريخه ومنها:
- إن الحكم الذاتي للفلسطينيين لا تطال صلاحياته الأمور الهامة، كالامن والدفاع والسياسة الخارجية، إضافة إلى وجود بروتوكولات تقييد الفلسطينيين في مجالة عدّة.
 - اعتبار المسؤولين الاسرائيليين أن الفلسطينيين سيتم توطينهم حيث هم في الدول العربية. وقد كان هذا من بين شروط قبول فلسطينيين من الشتات في الوفود المفاوضة. ففي رأي شيمون بيرين، وزير خارجية اسرائيل، أن العودة: «ستمسح

(٥) المرجع السابق في ١٠ - ٥ - ١٩٩٤.

(٦) المرجع السابق في ١٤ - ٥ - ١٩٩٤.

(٧) النهار في ١١ حزيران ١٩٩٤.

(٨) النهار في ١٠ أيار ١٩٩٤ نقلأً عن (و ص ف).

(٩) النهار في ١٤ أيار ١٩٩٤.

الوجه القومي لدولة إسرائيل، محولة الأغلبية اليهودية إلى أقلية. وبالتالي فليست هناك أية فرصة لقبولها، سواء الآن أو في المستقبل»^(١٠) ويشكل لبنان في هذا المجال الحلقة الأضعف، نظراً لوضعه بعد سبعة عشر عاماً من الحرب ولكثره اللاجئين الفلسطينيين على أرضه. وقد بدأت أصوات الرسميين اللبنانيين تتعالى داعية إلى مقاومة هذا الطرح حتى أقصى الحدود، كما عارضه الفلسطينيون أنفسهم.

● خشية المسؤولين العرب من تزايد حدة الخلافات الداخلية في دولهم، لأن تغذية النعرات على اختلافها أسهل أثناء السلم منها أثناء الحرب.

● إمكانية دخول دول شرق أوسطية غير عربية في التسوية، كتركيا وأيران وحتى باكستان، وهي دول كبيرة قد تفرض في المستقبل نوعاً من الهيمنة على المنطقة العربية ضمن نظام إقليمي موسع، وتأخذ دور الدول العربية ازاء إسرائيل، كما تصبح الناطقة باسمها.

● عدم دخول بعض الدول العربية في الحل، كليبيا وال العراق مثلاً، ثم انسحابها لاحقاً من جامعة الدول العربية وخلق جو من التشرذم داخلها. وهذا لا بد من التساؤل لماذا لا يتم التفاوض مع جامعة الدول العربية بدلاً من المفاوضات الثانية؟ ففي الحالة الأولى، يكون وضع العرب أقوى وأمن من أثناء المفاوضات وبعدها، كما تؤمن إسرائيل عدم وجود دول عربية خارج الحل إلا إذا انسحب أعضاء من الجامعة العربية.

● استمرار التسابق على التسلح. وهذه الظاهرة تشكل النقطة السلبية الأهم، لا سيما وانها تحدث في وقت كثرت فيه مسامعي السلام، وصار ما تملكه كل دولة من الأسلحة يفوق حاجاتها الدفاعية. هذه التطورات، بالرغم من كثرتها وكثرة النواحي الإيجابية فيها، لا تشكل سوى تقديم خجول في سبيل ما يجب تنفيذه على طريق حل المشاكل الهامة التي لا تزال عالقة، ومن بينها مشكلة السلاح التقليدي والسلاح ما فوق التقليدي. فما هي الانواع والنماذج التي يتكون منها هذا السلاح؟

ثالثاً: الأسلحة التقليدية في الشرق الأوسط

ساهمت الثروات النفطية في تمويل العرب للحصول على الأسلحة المتطورة، وتطوير تكنولوجيات وإن في ميادين محصورة. بالمقابل، ساهمت المساعدات الخارجية للدولة العربية، وخاصة تلك التي أتت من الولايات المتحدة الأميركية، في تدعيم تسلح هذه الدولة وتطوير التكنولوجيات الموجودة لديها. وبالنسبة إلى العرب كما بالنسبة إلى إسرائيل، كان لا بد من اقتطاع الجزء الهام من الميزانية لتخصيصه للدفاع، وحرمان قطاعات أخرى هي أجدى نفعاً من غيرها وأكثر حاجة إلى المال لأن

(١٠) بيريز شيمون: «الشرق الأوسط الجديد» - الطبعة العربية - عمان ١٩٩٤ ص ٢٠٨.

مقتضيات الدفاع كانت تفرض ذلك. ويأتي تطور الأسلحة في الثمانينات واحتضان التناقض بين الدول الكبرى، ليدفعا بدول المنطقة إلى التهافت على ابتياع الأسلحة وأضافتها إلى الترسانات السابقة جاعلين من منطقة الشرق الأوسط القوة العالمية الثانية بعد أوروبا في مدى تركيز الأسلحة التقليدية^(١١). وبالرغم من انطلاق مسيرة السلام، يلاحظ حالياً أن الدول المعنية بالصلح لا تزال تعزز قواها، إن من حيث عديد الجيوش أو من حيث العتاد الحربي الذي تحقق. وهذه الظاهرة تنفرد بها منطقتنا عن سائر مناطق العالم. فقد جاء في التقرير السنوي للمعهد الدولي لأبحاث السلام في «ستوكهولم»، أن مبيعات الأسلحة في العالم تراجعت العام ١٩٩٣ بنسبة ٣,٦٪ عن السنة السابقة، في حين أن هذه النسبة قد ارتفعت في الشرق الأوسط بنسبة ١٣٪^(١٢). وفيما تركز إسرائيل على العتاد البحري وعتاد الدفاع الجوي والدبابات، تركز مصر على سلاح الجو (تحقيق ٤ طائرة مقاتلة من نوع إف - ١٦ / ت)، ونقلات الجندي (٧٠٠ - إم ١١٢)، وسلاح الدفاع الجوي. كما تركز سوريا على المروحيات والمدفعية، وتتركز السعودية والكويت على أسلحة البحر والجو^(١٣). وينتظر بعد اتفاق حلف وارسو مع الحلف الأطلسي على تخفيض أسلحتهما التقليدية في أوروبا، أن يتذبذب بعض هذا السلاح إلى الشرق الأوسط. في ما يتعلق بالسلاح التقليدي، سعت الدول العربية دوماً للمحافظة على التفوق الكمي بالنسبة إلى إسرائيل. وهكذا فإن دولاً مثل مصر وسوريا والعراق ما قبل «عاصفة الصحراء»، تخاهي منفردة ما تملكه إسرائيل من أسلحة تقليدية، وتتفوق عليها بعديد الجيوش في الخدمة الفعلية. وهذا ما تبيّنه آخر احصائيات في هذا المجال، والتي نورد البعض منها المتعلقة بإسرائيل والدول العربية القريبة منها.

IISS Military Balance (1993-1994) p. p.111-134, 252

(١١) مرجع سابق:

(١٢) النهار ١٧ حزيران ١٩٩٤ عن (و ص ف).

(١٣) مرجع سابق صفحة ١١١ إلى ١٢٤ وصفحة ٢٥٢ IISS M.B.

الأسلحة الرئيسية - (عدد القطع)				عدد القوات المسلحة			
طائرات مختلفة	قطع بحرية مختلفة	مدفعية	دبابات	احتياط	خدمة فعلية	الدولة	
٤٠٠	١٢٨	١٤٠٠ هاون ١٠٠٠	٣١٦٨	٣٠٤٠٠	٤٣٠٠٠	مصر	
٣٠٠	٦٦	٢٠٠٠ هاون ١٠٠٠	٢٢٠٠	٦٥٠٠٠	٢٨٢٠٠	العراق	
١١٤	زوارق دورية فقط	مدفع ٢٥٠ هاون ٤٠٠	١٠٠٠	٣٥٠٠	١٠٠٦٠٠	الأردن	
٥٤٨	٤٥	مدفع ٢٣٠٠ هاون ٥٠٠	٤٥٠٠	٤٠٠٠٠	٤٠٨٠٠	سوريا	
-	١٢	مدفع ١٧٠٠ هاون ١٣٠٠	٣٦٥	-	٤١٣٠٠	لبنان	
٨٢٠	٧٣	مدفع ١٧٠٠ هاون ٥٥٠٠	٤٤٠٠	٤٣٠٠٠	١٧٦٠٠	اسرائيل	

معلومات مأخوذة من

- II SS Military Balance (1993-1994) pp. (111-131).

وقد ذاق شعب هذه المنطقة طعم أهوال الأسلحة هذه في الحروب المتتالية التي عانى منها. وكانت هذه الأسلحة، بالرغم من مفعولها الدمر، تترك أملاً في النجاة من خطرها، عكس اسلحة الدمار الشامل التي، وإن كان وجودها لا يزال قليلاً نسبياً يخشى فإن الجميع خطرها لأنها لا تترك مجالاً للخلاص من مفعولها الفتاك، وبالتالي فإن وجودها يسم العلاقات بين الأفرقاء في وقت الحرب كما في وقت السلم.

رابعاً: الأسلحة فوق التقليدية (أسلحة الدمار الشامل)

أ- ماهية هذه الأسلحة: أصبح من المعروف أن لدى مصر وسوريا وليبيا و العراق ما قبل حرب الخليج الثانية، الكثير من الأسلحة الكيميائية والبيولوجية التي تعتبر «القنبلة النووية للدول الفقيرة». وكان العراق يسعى في الثمانينات للحصول على رؤوس نووية من خلال مفاعل تموز «أوزيراك» الواقع قرب بغداد، لكن إسرائيل أقدمت على تدمير هذا المفاعل في بداية الحرب العراقية - الإيرانية في ٧ حزيران ١٩٨١،

بتصفه خلال غارة جوية لطائراتها من ضمن ما اسمته بـ «الضربة الاجهاضية». إلا أن هذه الغارة لم تثن العراق عن مواصلة جهوده في المجال النووي، لكن حرب «عاصفة الصحراء» فلأجأته قبل أن يحقق ذلك بعامين فاهدرت كل ما لديه. حالياً وبعد تدمير كافة منشآته، يرى المراقبون الدوليون العاملون في العراق أن هذه الدولة لم يعد لديها القدرة لانتاج الأسلحة النووية^(١٤). ويضيف أحد المراقبين العاملين في العراق ضمن لجنة الأمم المتحدة للأمن (Unscom) انه منذ ٣٠ حزيران ١٩٩٣، لم يعد يوجد شيء تقني لاكتشافه^(١٥). كما اعلنت الأمم المتحدة، في ١٥ حزيران ١٩٩٤، أنها انتهت من تدمير مخزون الكيميائيات المعدة للاستخدام في انتاج الأسلحة^(١٦). يبقى أن هذه المصانع والأسلحة وإن دُمِرَت فإن التقنيين لم يُدْمِروا وكذلك التكنولوجيا، وإمكان العراق مع الزمن أن يستعيد قسماً مما فقده بمجرد أن تزول عنه المراقبة الشديدة المفروضة من الأمم المتحدة.

وكان العراق الدولة الوحيدة التي أقدمت على استعمال الأسلحة الكيميائية في حربها مع ايران ومع الأكراد العراقيين حيث أعلن عن سقوط الآلاف من الضحايا في بلدة حلبة فقط.

وتحوم الشكوك حالياً حول امتلاك ايران السلاح النووي. ولكن الخبراء الغربيين يرون انها وان كانت تملك حالياً وسائل الاتصال Delivery system من طائرات وصواريخ فليس بإمكانها انتاج الرؤوس النووية قبل العام ٢٠٠٠^(١٧). والمعروف ان ایران وكوريا الشمالية هما بين الدول الموقعة على معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية، فهل سيعدم المراقبون الدوليون، بعد الانتهاء من أزمة كوريا الشمالية، الى الانتقال الى ایران للتحقق من وجود السلاح النووي او صنعه.

أما بالنسبة الى اسرائيل، فيسود الاعتقاد منذ الستينات بأن لدى الدولة العربية أسلحة ذرية، بدليل أن المفاعل الموجود لديها في ديمونا قادر على انتاج القلب القابل للانشطار، كما انها تملك ما يلزم من مواد انشطارية ومن معرفة تقنية في هذا المجال. يومها، لم يتمكن أحد من اثبات ذلك. ولكن في العام ١٩٧٦، أكدت مجلة «التايم» اللندنية ان اسرائيل أقدمت خلال حرب ١٩٧٣ على تجهيز ١٣ قنبلة نووية لاستعمالها عند الضرورة^(١٨). وقد يكون عدول اسرائيل عن الاستعانة بالأسلحة النووية آنذاك نتيجة لانقلاب الوضع القتالي لصالحها في الأيام الأخيرة من الحرب. ثم

IISS Military Balance (1993-1994- p. 231).

(١٤)

(١٥) المرجع السابق.

(١٦) النهار في ١٥ حزيران ١٩٩٤ عن (رويتر و ص ف).

(١٧) مرجع سابق

Military Balance p. 231.

(١٨) مجلة التايم - لندن - ١٢ نيسان ١٩٧٦ ص ٣٩.

يأتي العام ١٩٨٦ ليكشف الخبر الفني النووي الإسرائيلي «موردخاي فانونو» أسراراً قادته إلى المحاكمة فالسجن في إسرائيل. ومفاد تلك الأسرار أن دولة قد صنعت مائة رأس نووي على الأقل، وإن بإمكانها إنتاج القنبلة الهيدروجينية^(١٩). والمعلوم أن عدداً كهذا من القنابل النووية كافٍ لدمير معظم الدول الشرق أوسطية خلال فترة لا تتعدي الأربع وعشرين ساعة. ثم تأتي مجلة «Military Balance» التي يصدرها المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن والمعروفة برصانتها ودققتها، لتوكّد ما جاء على لسان «فانونو» بأنه «أصبح من المعروف أن لدى إسرائيل قدرات نووية تفوق المائة رأس»^(٢٠).

لكن امتلاك أسلحة الدمار الشامل يبقى غير كافٍ بدون وسائل تنقله إلى الهدف. من هنا ضرورة الحصول على نظم الإيصال «Delivery System» من صواريخ وطائرات.

ب - نظم الإيصال: Delivery system

إن الصواريخ البالлистية التي تصلح ل إيصال القنابل فوق التقليدية إلى أهدافها موجودة في الشرق الأوسط منذ السبعينات. فمن ضمن الاستعدادات لحرب ١٩٦٧، كانت مصر قد نشرت بعضها والتي تحمل رؤوساً تقليدية في صحراء سيناء. ثم تردد أن بعض الصواريخ البالлистية قد استعمل بصورة محدودة خلال حرب ١٩٧٣ من دون أن يحدث ذلك ضجة. ومرد ذلك يعود إلى عدم دقتها آنذاك وإلى أن الرؤوس المجهزة بها كانت من الذخيرة التقليدية ولم تعط النتائج المرجوة نسبة لحجمها وتكتاليقها. علماً أن مصر كانت استعانت منذ السبعينات بعلماء المان لانتاج صواريخها فكان لها: الظافر والقاهر والرأئد. لكن مدى هذه الصواريخ لم يتجاوز الخمسين ميل^(٢١).

في الثمانينات، أظهر العراق أن لديه صواريخ تصل إلى ٥٠٠ كلم مكتنة من قصف مدینتين في إيران هما طهران وقم. هذا القصف، وإن كان برؤوس تحمل حشوات تقليدية، قد يكون من الأسباب التي حملت الإيرانيين على القبول بوقف القتال وتطبيق قرار مجلس الأمن رقم ٥٩٨، خشية الانتقال من التقليدي إلى الكيميائي. ثم طورت بغداد صواريخها، فوصل مداها إلى ٩٠٠ كلم وانتقلت تسميتها من «الحسين» إلى «العباس». وفي السابع من كانون الأول ١٩٨٩، أعلنت بغداد أنها نجحت بتطوير

-Sunday Times - London oct. 5 - 1986.

(١٩)

-Military Balance p. 118.

(٢٠) مرجع سابق

- BREZOSKA Michael and OHLSON Thomas. «Arms Production in the third world». London 1986, pp. 112, 118.

(٢١)

صواريختها ليصل مداها إلى ٢٠٠٠ كم^(٢٢). ومنذ اليوم التالي لحرب «عاصفة الصحراء» التي بدأت في ١٦ كانون الثاني ١٩٩١، أخذت الصواريخت العراقية تتسلط على حيفا وتل أبيب، المدينتين اللتين تشكلان مع القدس أكبر كثافة من السكان اليهود في إسرائيل إذ يعيش فيها أكثر من نصف عددهم. هكذا ولأول مرة منذ العام ١٩٤٨، تتعرض جبهة إسرائيل الداخلية لقصف عربي. وما ضاعف خوف السكان هذه المرة امكانية تزويد العراق لهذه الصواريخت بخشوات كيميائية سبق وأظهرتها فاعليتها في الحرب مع إيران ومع الأكراد. وقد أطلق على إسرائيل ما مجموعه ٣٩ صاروخاً بالستياً، إضافة إلى الصواريخت التي أطلقت على السعودية وسقطت في الرياض وفي الظهران، ولم تتمكن صواريخت الباتريوت من اعتراض أكثر من نصفها^(٢٣)، علماً أن اعتراض صاروخ فوق الظهران قد أدى بانفجاره فوق مبنى يأوي تجمعاً عسكرياً أميركياً، إلى مقتل وجراح العشرات من جنود هذا التجمع. من هنا ضرورة اعتراض الصاروخ بأكراً كي ينفجر فوق أراضي الخصم بعيداً عن الأماكن السكنية، لأن انفجاره فوق الأرض الصديقة قد يؤدي أحياناً إلى النتيجة ذاتها فيما لو لم يعمد إلى اعتراضه.

وفي الحرب اليمنية التي بدأت في الرابع من شهر أيار ١٩٩١، استعمل الجنوبيون الصواريخت البالستية أرض - أرض السوفياتية الصنع التي بلغ عددها خلال نصف الشهر الأول من القتال ٢١ صاروخاً^(٢٤)، استهدفت صناعات، وقد ردَّ الشماليون، ولو بعد حين، بقصف عدن بأسلحة من النوع ذاته لكنها أقل عدداً.

وتنفرد السعودية عن جاراتها في الشرق الأوسط بامتلاك صواريخت من فئة «المدى الوسيط» أو فوق المتوسط التي يصل مداها إلى ٣٠٠٠ كم^(*)، وهي صناعة الصنع تعرف باسم «دونغ فونغ ٢» أو (سي. اس. اس ٢١) (C. SS-21) وبإمكانها حمل رؤوس نووية وكيمائية وبيولوجية.

وبغياب العراق عن الساحة مع صواريخته التي كانت تصل إلى ٢٠٠٠ كم، فإن

(٢٢) عبيد مجدي - الفكر стратегي العربي، عدد ٣٢ نيسان ١٩٩٠ ص ٨٢.

(٢٣) سلمان رضى - الدراسات الفلسطينية العدد ٦ ربى ٩١ ص ٦٠ نقلًا عن وزير الدفاع الإسرائيلي موشي آرنز في «آفي بطلهائهم» معاريف ٣/٨ ١٩٩١.

(٢٤) إذاعة مونتي كارلو في ١٩ أيار ١٩٩٤.

(*) يبين الجدول التالي التصنيف المتفق عليه دولياً للصواريخت البالستية، نسبة مداها:

قصير المدى: أقل من ٨٠٠ كم Short Range Ballistic Missile: (SRBM)

متوسط المدى: بين ٨٠٠ كم و ٢٤٠٠ كم Medium Range Ballistic Missile: (MRBM)

واسط المدى بين ٢٤٠٠ و ٦٥٠٠ كم Intermediate Range Ballistic Missile: (IRBM)

عابر القارات: أكثر من ٦٥٠٠ كم Intercontinental Range Ballistic Missile: (ICBM)

المصدر: - Charles Henri FAVARD. «La Stratégie» COMA- Paris 1975 p. 226

- Jane's weapon system 1981-1982 p.p850-854.

اسرائيل هي التي تلي السعودية بامتلاكها صواريخ متوسطة المدى من نوع اريحا ٢ التي يصل مداها الى ١٥٠٠ كم. أما الصواريخ التي تملكها سائر دول الشرق الأوسط فيمكن حصرها في الجدول الآتي:

الدولة	النوع	عدد المنصات	ملاحظات
مصر	صقر - ٨٠ فروغ - ٧ سكود - ب	غير محدد ١٢ ٩	قيد الاختبار
العراق	فروغ - ٧ سكود - ب	غير محدد	هذا العدد كان قبل حرب «عاصفة الصحراء» يذكر هنا لأنَّه وان دمر العتاد فالเทคโนโลยجيا باقية
لبنان	فروغ - ٧ سكود - ب	٤٠ ٨٠	
السعودية	سي - إس إس - ٢١	١٠	٤ صاروخ
سوريا	فروغ - ٧ سكود - ب / ث	١٨ ٢٠ ١٨	
اليمن	سكود - ب فروغ - ٧ إس إس - ٢١	٦ ١٢ ١٠	قبل الوحدة عام ١٩٩٠ كانت بحوزة اليمن الجنوبي
ایران	فروغ - ٧ سكود - ب / ث	١٠٠	غير متطورة
اسرائيل	لانس اريحا - ٢/٢/١	٢٠	غير محدد

المصدر: IISS Military Balance (1993-1994) pp. 111-133.

بالعودة الى اسرائيل، فانها عملت منذ السبعينيات على تطوير سلاح الصواريخ. فكان لها شافيت - ٢، - وشافيت ٣، وشافيت - ٤. لكن مدى هذه الصواريخ لم يتجاوز مسافة ٧٠ ميلًا^(٢٥). ثم استحصلت على صواريخ لانس الاميركية الصنع،

(٢٥) حمود أحمد معين - «صناعة الأسلحة في اسرائيل» - بيروت - ايار ١٩٧٧ ص ١٣٩ - ١٤٥.

وتطورت في الوقت ذاته صواريختها من نوع «اريحا». وفي رماية تجريبية لصاروخ من نموذج اريحا - ٢ اجريت بتاريخ ١٤/٩/١٩٨٩، اجتاز هذا الصاروخ مسافة ١٥٠٠ كم ليسقط في البحر المتوسط ٤٠٠ كم، شمالي مدينة بنغازي الليبية. وبما ان هذا الصاروخ بامكانه حمل رؤوس فوق التقليدية، فقد احتج الاتحاد السوفياتي في حينه على هذا التصرف الذي يهدد مصالحه الاستراتيجية والاقتصادية^(٢٦).

وتفرد اسرائيل عن جاراتها كونها بعد مضي خمسة أيام على إطلاق صاروخ اريحا - ٢ وفي ٩ - ١٩، ١٩٨٩، اطلقت الى الفضاء قمراً اصطناعياً اطلقته عليه اسم (افق - ١) يعمل بالطاقة الشمسية ويدور حول الأرض دورة واحدة كل ٩٠ دقيقة وعلى ارتفاع يتراوح بين ٢٥٠ - ١٠٠٠ كم^(٢٧). والمعلوم ان بامكان قمر كهذا حمل مطلق حشوة الى ايّة نقطة في العالم، اضافة الى وجّه استعماله الأساسية التي هي المراقبة والتّجسس. وهكذا تكون اسرائيل قد انفردت عن غيرها من دول هذه المنطقة بحيازتها هذه التكنولوجيا الجديدة. يبقى أن قمراً منفرداً من هذا الطراز يمكن التّخفي عنه لتنفيذ عملية سريعة إذ أنه لا يكفي لمراقبة ميدان معركة بصورة مستمرة، أو للعمل بمفرده ضمن نظام اعتراض الصواريخت البالлистية. وكانت الولايات المتحدة الأميركيّة في حرب الخليج الثانية قد وضعت بالتصريف المباشر لقوى التحالف ٧ أقمار صناعية لم تسمح لها بتصوير سوى ٣٠٪ الى ٤٠٪ من الأهداف التي كانت قوى التحالف تقوم بوصفها وأصابتها يومياً^(٢٨).

اما اعتراض الصواريخت البالлистية العراقيّة، فكان يتطلّب عمليات من نوع آخر وقد استعين لتشغيل صواريخت «باتريوت» بنظام معد لخدمة الحلف الأطلسي^(*): وترتبط اسرائيل بالولايات المتحدة الأميركيّة بموجب عقود واتفاقيات، كمبادرة الدفاع стратегية المعروفة بـ «حرب النجوم» وبرنامج انتاج الصاروخ «حيتس»، «أرو»، الذي سيحل مكان الصاروخ «باتريوت». وهي أيضاً شريكـة أميركا في اتفاق التعاون стратегي منـذ العام ١٩٨١. وهذا الـاتفاق ينص في بندـه الثالث على تخزين اسلحة أميركية متـطورة على الأراضـي الاسـرائيلـية، وعلى دعـم الصنـاعة

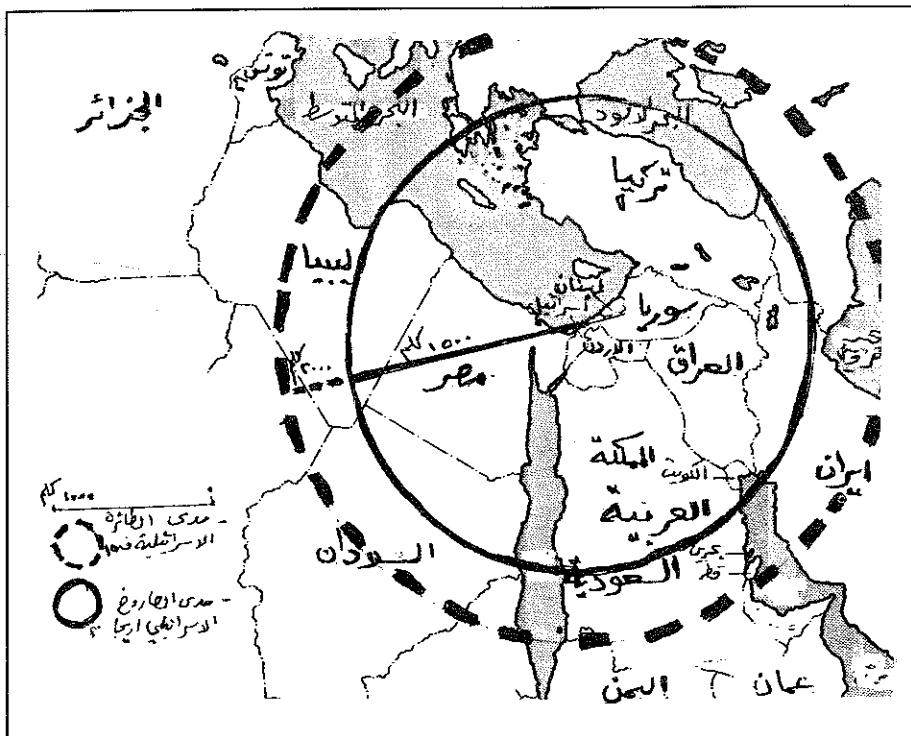
(٢٦) عبيد علي مجدي - الفكر الاستراتيجي العربي عدد ٢٢ نيسان ١٩٩٠ ص : ٧٨.

(٢٧) عبيد علي مجدي، مرجع سابق ص: ٨٠.

(٢٨) لوران اريك «عاصفة الصحراء» - الجزء الثاني - الطبعة العربية - بيروت ١٩٩١ ص ٢٦٤.

(*) «كان القمر الصناعي، فور اطلاق صاروخ العدو، ينقل الخبر في الوقت المحدد الى القوات الجوية الأميركيّة المتمركزة في «الليس سبرنجز» (Alice Spring) في اوستراليا. فيعمد محللون في ٤٥ ثانية إلى تقويم الخبر ونقله الى مقر القيادة العامة في الـ «تورادا» (Torada) - North American Aerospace Defense Command وقادته في «كولورادو سبرنجز» حيث يؤخذ القرار الأخير. وتكون آنذاك قد انقضت دقيقتان على اطلاق الصاروخ، ولكن يصل الخبر من جبال كولورادو الى الخليج، كان يتوجّب مرور دقيقة أو دقيقتين... فيبقى للرد دقيقتان تقريباً وتلك سعة من الوقت كافية مبدئياً لكتها ضعيفة. المصدر: اريك لوران «عاصفة الصحراء» الجزء الثاني الطبعة العربية - بيروت ١٩٩١ ص: ١٨٩.

العسكرية الاسرائيلية^(٢٩). وهكذا تكون الدولة العربية قد اكتسبت امتداداً استراتيجياً بتحالفها مع الدولة الأقوى في العالم، ومن خلالها مع الحلف الأطلسي. وهذه ضمانة أكيدة ومميزة في ظل النظام العالمي الجديد. وتملك اسرائيل، إضافة الى الصواريخ التي يامكانها حمل رؤوس نووية، طائرات من طراز «إف - ٤» و «إف - ١٥ - ١» بـ «بـ» بامكانها القيام بالمهمة ذاتها ومسافة تصل الى ٢٠٠٠ كلم. هكذا يصبح بامكان مالكة هذه العتاد قصف أهداف في معظم دول الشرق الأوسط، كما تشير الخريطة أدناه.



خامساً: نزع السلاح أو الحد منه تدعيمًا للأمن

ان الحدّ من السلاح يقلّل من امكانية حصول حرب. وفي حال نشوبها، يخفّف من الدمار الذي تسبّبه. هذا إضافة الى الحد من المصارييف التي يتطلّبها التسلح والتي غالباً ما تذهب سدى. واثر مؤتمر يالطا العام ١٩٤٥، نشأ بين الجبارين ما عرف

(٢٩) محارب عبد الحفيظ، الفكر العسكري العربي عدد ٣ كانون الثاني ١٩٨٢ ص: ٥٦.

بـ «الحرب الباردة» التي تميزت بالتسابق على التسلح وبخاصة النووي منه، وبلغ السياق أوجهه في الثمانينات، فانتقل من التسابق الجوي والبحري والبري إلى الفضاء الخارجي فاطلق عليه تسمية «حرب النجوم». ولم يتحقق هذا التناقض أي مكسب بل كان على العكس من الأسباب التي أدت إلى تفكك الاتحاد السوفياتي وأنهياره. وبعد نصف قرن تقريباً، كان لا بد من العودة إلى يالطا لعقد قمة بين الجبارين في ٣ كانون الأول ١٩٨٩، ولإعلان نهاية الحرب الباردة «وبنذ المجاهة والعداء وسباق التسلح»^(٣٠)، كما جاء على لسان غورباتشوف.

وكان سبق ذلك، اعتباراً من مطلع السبعينات، عدة محاولات للحد من التسلح منها:

اتفاق «سالت - ١» العام ١٩٧٢ لتحديد الأسلحة الاستراتيجية البعيدة المدى بين القوتين العظميين، وتحديد نشر الأسلحة المضادة للصواريخ. تبعه العام ١٩٧٩ اتفاق «سالت - ٢» لتحديد أعداد الرؤوس النووية لكل دولة والذي لم يوافق عليه الكونغرس الأميركي. كما عقدت عدة اتفاقيات في العام ١٩٨٨ لازالة الصواريخ القصيرة والمتوسطة المدى. وفي العام ١٩٩٢، عقدت اتفاقية «ستارت - ١» التي تلتها، في ٢ كانون الثاني ١٩٩٣، اتفاقية «ستارت - ٢» التي قضت بأن تخفض كل من الدولتين العظميين الرؤوس النووية التي بحوزتها بما مقداره ٣٠٠٠ إلى ٣٥٠٠ رأس وذلك خلال مهلة لا تتعدي العام ٢٠٠٣^(٣١).

لكن نتائج الحد من التسلح لم تكن بحجم المؤتمرات التي عقدت في شأنها، وبقي السلاح الذي يتناقض وجوده مع الأمن، وبخاصة سلاح الدمار الشامل، يسمم العلاقات بين الأطراف كما في زمن الحرب. فمن المفترض إبان السلم أن ينعم المواطنون بجو من الطمأنينة وراحة البال، فينصرف كل إلى عمله المنتج. كما تخفض ميزانيات الدفاع، التي هي في الشرق الأوسط الأعلى نسبة في العالم^(٣٢)، فيُحول جزء منها إلى مشاريع ائمية ذات منفعة كما تحول أجزاء من مصانع الأسلحة إلى صناعات أخرى كالآلات الزراعية وغيرها.

فهل ما حدث في الغرب من جراء التسابق إلى التسلح، يشكل أمثلة للدول الشرق أو أوسطية المرشحة لتوقيع معاهدات سلام فتتجاوز العقبات التي تحول دون نزع السلاح أو على الأقل الحد منه.

(٣٠) هيلير ميشال - «السكرتير السابع والأخير (غورباتشوف)» - الطبعة العربية الأولى بيروت ١٩٩٢ ص ٤٠٣.

(٣١) مرجع سابق ص ٢٢٩ - ٢٣٠
IISS. M.B.

(٣٢) المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

سادساً: الصعوبات التي تعرّض الحد من التسلح في الشرق الأوسط

أ - الخوف من تجدد النزاعات:

في العام ١٩٢٥، عرّف المارشال «شابوشنيكوف»، المستشار العسكري لستالين، السلام بأنه «استمرار الحرب بغير وسائل»^(٢٢)، بحيث يستفاد منه للتحضير للحرب القادمة أو للتوجه إلى أنواع أخرى من الحروب كالنفسية والاقتصادية والثقافية وغيرها... ومنذ بدء التاريخ حتى يومنا، عقد أكثر من ٨٠٠٠ معاهدة صلح^(٢٤). ثم جاءت «عصبة الأمم» و«الأمم المتحدة»، فابرمتا الاتفاقيات الدولية. وفي كل مرة، كان يظن العالم أن الحرب رحلت إلى الأبد، لكنها كانت دوماً تتجدد. ولذلك فإن الدول وإن نعمت بسلام مع بعضها البعض، لا تتخلى عن أسلحتها بسهولة بل تبقى مستعدة لكل طارئ. فالمعاهدات قد تصبح أوراقاً عاديّة لا قيمة لها وليس بالامكان الركون إليها. فقبيل الحرب العالمية الثانية، عقد في موسكو في آب ١٩٣٩، بين المانيا وروسيا، معاهدة عدم اعتداء وقعاها عن الجانب الروسي «مولوتوف» Molotov^(٢٥)، وعن الجانب الألماني «فون ريبنتروب» Von Ribbentrop^(٢٦). والمعروف أن عدم الاعتداء كمعاهدة هو أقوى وأشد من معاهدة السلام. والجميع يعرف ما حدث خلال الحرب العالمية الثانية بين الدولتين موقعي الاتفاقية من معارك ضارية تشهد ستالينغراد ولينينغراد وموسكو وبرلين ومدن غيرها على مأساتها. مما تخشاه دول الشرق الأوسط أن ينقض طرف ما اتفاقية السلام ويشن حرباً على الآخر. وما تخشاه إسرائيل هو أن تقوم الدول العربية، مالكة الصواريخ الباليستية، بشن هجوم منسق ومفاجئ عليها لا تتمكن خلاله صواريخ «باتريوت» أو «أرو» من اعترافها بكمالها الأمر الذي يلحق بها أضراراً جسيمة. وهذا سبب اضافي لضرورة الاتفاق على ازالة أسلحة الدمار الشامل من كافة الأطراف، فيزول بذلك الخوف. فهل توافق إسرائيل على ذلك؟

ب - وجود خلافات هامشية:

إن الأسلحة المكّسة في الشرق الأوسط، ليست كلها للاستعمال ضد الأعداء التقليديين عرب وأسرائيليين. فال المشكلة الفلسطينية هي واحدة فقط من عدة مشاكل، وحلها لا يستلزم حل المشاكل العديدة المتبقية ومنها:

● مشكلة المياه التي قد تكون موضع نزاعات بين لبنان وسوريا والأردن، من

- Général SALVAN Jean - «Paix et Guerre». Paris 1992 p. 135.

(٢٢)

(٢٤) المرجع السابق ص ٣١٣.

- Colonel BREM. «Politique, Stratégie, Tactique» ESG-Paris, octobre 1975 p. 14. (٢٥)

جهة وأسرائيل، من جهة ثانية. وقد تدخل تركيا والعراق هذا النزاع^(٣٦).

- مشكلة الحدود إذ لا توجد دولة تقريباً إلا وهي على خلافات مع جاراتها. فحرب ايران مع العراق كانت يسبب الخلافات على الحدود في شط العرب والخلافات موجودة بين ايران والامارات وبين المغرب و Moriitania..

- مشكلة الأصولية الدينية المعروفة بعدها لصهيونية والأخذة بالتصاعد، والتي قد تتوصل الى استلام الحكم في دولة ما وتغير النظام وتلغي المعاهدات. وحتى الان، لا تملك عناصر هذه المنظمات سوى القليل من الأسلحة الثقيلة.

- مشكلة النفط الذي أدى الى خلق دول غنية ودول فقيرة. وهذه الأخيرة تشهد تزايداً سكانياً قد يهدد في المستقبل أمن الدول الغنية. وما نشهده من سلاح على الساحة الشرق أواسطية متعدد الغايات: وصواريغ «سكود وفروغ» و «س س - ٢١» اليمينية الجنوبية ليس بامكانها أن تصلك الى تل أبيب، لكنها وصلت بسهولة الى صنعاء. كذلك صواريغ «سي إس إس - ٢١» السعودية، لم تأت نتيجة الخوف من اسرائيل فقط بل أيضاً من دول شقيقة ومن بلاد فارس. أما الصواريغ الاسرائيلية التي بامكانها اصابة أهداف في ليبيا وفي تركيا وفي ايران، فليست «دول الطوق» المعنية بها وحدها. لهذه الأسباب، اقترح الوفد الإسرائيلي، في اطار لجنة الحد من التسلح وذلك في الاجتماع الذي عقد في قطر بتاريخ ٥/٥/١٩٩٤، أن يشمل الحل نطاقاً إقليمياً واسعاً يتجاوز النزاع العربي الإسرائيلي^(٣٧). وهو يقصد بذلك تركيا وايران وباكستان ودولًا في شمال افريقيا ووسطها.

ج - مشكلة العدد:

وهذا الأمر الذي تتخوف منه اسرائيل، وعلى أساسه تطلب أن يسمح لها بالاحتفاظ بالتفوق التكنولوجي في نطاق الأسلحة فوق التقليدية كقوة رادعة. وتكتن أهمية التكنولوجيا الحديثة بالتغيير الجذري الذي أحرزته في الأبعاد الاستراتيجية الثلاثة. فمن حيث المكان، جعلت مسرح العمليات يتخذ حجماً أكبر. ومن حيث الزمن، قصرت مهلة الإنذار وأعطت أهمية الوقت بالدقائق والثوانی. ومن حيث حجم القوات، أصبح بامكان نفر قليل إحداث تدمير كان يتطلب فرقاً كبيرة لبلوغ النتائج ذاتها. وهذا التفوق التكنولوجي تملكه اسرائيل منذ وقت بعيد، لكنه لم يمنع مصر وسوريا من مهاجمتها العام ١٩٧٣، وصدام حسين من قصفها بالصواريغ بدون أن يبالي أحد بما يمكن أن تكون ردة الفعل غير التقليدية من قبل تل أبيب.

(٣٦) تقرير للأمم المتحدة نشرته النهار بتاريخ ١ - ٦ - ١٩٨٤ يفيد أن اسرائيل تسرق كمية كبيرة من مياه نهر الليطاني اللبناني.

(٣٧) السفير في ٦/٥/١٩٩٤.

د - تجارة الأسلحة:

تقيد الشركات المنتجة للأسلحة والدول المصدرة لها من حدوث نزاعات لتصريف انتاجها. وهذه التجارة صارت على درجة من الأهمية بحيث تبحث الدول المصنعة بجهد كبير عن أسواق لترويج بضائعها. ويتفاقم هذا الوضع مع بروز دول جديدة على الساحة العالمية تمتلك تكنولوجيا الصواريخ ولم توقع معااهدات حظر تصديرها إلى دول الشرق الأوسط، ومن بين هذه الدول: الصين والبرازيل والأرجنتين وكوريا الشمالية. هذه الأخيرة، ترفض حالياً دخول مفتشين دوليين إلى مصانعها للتأكد من عدم انتاج الأسلحة النووية^(٣٨). وما جنته الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا والصين وكوريا الشمالية من الدول العربية وإيران، منذ حرب الخليج، بلغ ٣٠ مليار دولار^(٣٩) كما وان إسرائيل تنفق على الدفاع ٢٦٪ من إجمالي الناتج المحلي^(٤٠) (Gdp)، ويعود القسم الكبير منه لتحقيق العتاد العسكري.

ه - فكرة التأثر في الشرق الأوسط

وهي متأصلة لدى الشعبين العربي واليهودي منذ زمن ابراهيم الخليل وولديه اسحق واسماعيل. وتتمثل حالياً اعمال التأثر بالأعمال الارهابية وردات الفعل عليها. ولا تزال إسرائيل تلاحق من بقي على قيد الحياة من الذين أضطهدوا اليهود خلال الحرب العالمية الثانية، فتقدم على خطف بعضهم ومحاكمتهم وتنفيذ أقسى الأحكام بحقهم. كذلك لا يزال العرب يتذكرون المجازر التي ارتكبها اليهود بحقهم، كمجازرة دير ياسين مثلاً وكفرقايس ويدعون للتأثير لهما. وكلما استشهد مناضل عربي على يد الاسرائيليين، أطلق اسمه على مجموعة من تنظيم مسلح تكافل القيام بعملية التأثر.

و - الركون إلى القوة طالما لا توجد ثقة متبادلة:

وحدها الثقة المتبادلة بامكانها أن تحل مكان القوة في هذه المنطقة، لأن القوة العسكرية تشكل لدى كل طرف العامل الهام إن لم يكن الأساس في اتخاذ القرارات، ومن الصعب التنازل عنها بدون بديل.

بالنسبة إلى إسرائيل، فإن قوة السلاح هي التي أوجتها وضمنت وجودها وأمنها. فهي، قبل كل شيء، قوة عسكرية. وما قيل في الماضي عن بروسيا: «أن لكل دولة جيشها باستثناء بروسيا التي هي جيش له دولته»، ينطبق حالياً على إسرائيل.

بالنسبة إلى العرب، فالقوة هي فخرهم، بواسطتها تصدوا للتتوسع الإسرائيلي،

(٣٨) سبق لكوريا الشمالية وإيران أن وقعاً معاهدة عدم انتشار الأسلحة النووية ويعتقد أن لديهما برنامج أسلحة نووية، ولكن لا يمكن إثباته.

(٣٩) بيريز شيمون مرجع سابق ص: ٩٤.

(٤٠) المرجع السابق ص: ٩٥.

ووضعوا حدًّا له ومنعوا إسرائيل من العبث بثرواتهم. والصواريخ العراقية التي سقطت على حifa وتل أبيب، يفتخر بها العربي أكان مع صدام حسين أو ضدّه.

ز - غياب التمثيل الدبلوماسي لدى الأطراف المعنية:

إن الوضع القائم بين العرب وإسرائيل هو حالة من الحرب ولا يوجد تبادل دبلوماسي بينهما كما هي الحال بين الشرق والغرب. وغياب البعثات الدبلوماسية المعتمدة لدى هذه الدول يجعل المفاوضات متقطعة وغير مستمرة. وعندما يراد متابعتها، يقتضي ذلك زيارة مبعوث من قبل أحد راعي السلام لتحريكها. هذا وإن عدم اعتراف الدول العربية بإسرائيل يحول دون التخاطب معها خارج جلسات التفاوض بصورة علنية. يستثنى من هذا الوضع دولة مصر التي تتبادل مع إسرائيل التمثيل الدبلوماسي.

ح - مشكلة العمق السرطاني، والحدود الآمنة ومهلة الإنذار بالنسبة إلى إسرائيل:

تدعي الدولة العربية أن ليس لديها العمق الاستراتيجي، وبالتالي مهلة الإنذار اللازمة لتأمين سلامتها. هذا إضافة إلى قلة عدد سكانها بالنسبة إلى العرب وصغر مساحة أراضيها. ومع أن الميزة الأخيرة تشكل عاملاً سلبياً للغاية في حال استعمال الأسلحة النووية، فهي تشكل عاملاً إيجابياً في الحروب التقليدية، إن كان من حيث سهولة الدفاع وإن في الهجوم بالسماح للدولة بالقيام بالمناورة حسب «الخطوط الداخلية»(*). وهذا ما طبقته إسرائيل بمهارة خلال حرب ١٩٦٧ حيث هاجمت تباعاً بالقوى ذاتها الجبهات المصرية والأردنية والسورية، الأمر الذي لم يمكن تنفيذه بسهولة في حرب ١٩٧٣، لأن الجبهات كانت قد اكتسبت مسافات أكبر. أما مهلة الإنذار التي تحد من المفاجأة وتعطي الوقت الكافي للرد، فهي التي دفعت ببريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية إلى اختراع الرادار لاكتشاف الطيران الألماني المغير على أراضيها، من مسافة تسمح بالتصدي له قبل بلوغ أهدافه. وهكذا، كانت الطائرات العدوة، بدلاً من أن تفاجئ البريطانيين، تتفاجأ هي بطائراتهم الاعتراضية تكبدّها الخسائر وتنزعها من تنفيذ مهامها. وقد أظهرت حرب الخليج أهمية العمق الاستراتيجي، ومهلة الإنذار التي مكنت صواريخ «باتريوت» من اعتراض الصواريخ العراقية المتوجّهة نحو إسرائيل وال سعودية. فالصاروخ العراقي الذي تستغرق مدة طيرانه ست أو سبع دقائق من منصة إطلاقه إلى تل أبيب، كان يستغرق الوقت اللازم لاعتراضه. ولو أطلقت هذه الصواريخ من الأراضي الأردنية أو

(*) المناورة حسب الخطوط الداخلية هي التي تقوم دولة بموجبها بشن هجوم على دُوَّن في جبهة ما ثم تنقل القوى ذاتها التي نفذت هذا الهجوم ودائماً داخل أراضيها للقيام بهجوم آخر على غير جبهة أو جبهات.

السورية، لما سمح وقت الطيران القصير باعتراضها قبل بلوغها الهدف. هذا ما يتسلح به المتشددون في تل أبيب لعدم القبول بمبدأ «مبادلة الأرض بالسلام». أما بالنسبة إلى شيمون بيريز فالعمق الاستراتيجي لم يعدله من معنى. فالصواريخ بعيدة المدى وأسلحة الدمار الشامل قد حولت جبهة الداخل إلى جبهة أمامية»^(٤١).

سابعاً: الإرهاب:

ليست الأسلحة الضخمة والصاروخية وحدها التي تهدد الأمن، وبخاصة أمن المواطنين. فهناك وسائل محدودة وبدائية يدخل استعمالها ضمن استراتيجية غير المباشرة وتستعمل لبلوغ أهداف سياسية معينة. هذا ما يعرف بالارهاب وهو متعدد الأوجه، من خطف الطائرات، إلى خطف الأشخاص أو اغتيالهم، إلى زرع المتفجرات في الأماكن الآهلة والأمنة، إلى نسف وتدمر نقاط حيوية وإلى غيرها من الأعمال التي تلقي الرعب بين الأهلين. وأصبح معلوماً أن بعض دول المنطقة قاتلت على الإرهاب وساندته أو سهلت التدريب لعناصره. كما أقدمت أجهزة رسمية من هذه الدول على القيام شخصياً بأعمال ارهابية. ومن الطبيعي أن يرافق عمليات السلام تنشيط للأعمال الإرهابية يقوم بها المتضررون من الحل أو غير الراضين عنه.

والإرهاب لا يمكنه الاستمرار ما لم تسانده دول أو تنظيمات وتموله وتقدم له الحماية. وعلى هذه الدول القيام بعكس ذلك، بأن تنسق بين بعضها وتبغض على الإرهابيين وتقتضى منهم، سيما وأن تنقلاتهم أثناء السلم بين دولة وأخرى، تصبح أكثر سهولة منها أيام الحرب، وكذلك اهدافهم وخطرهم.

ثامناً: لحنة ختامية

شكل السلام والأمن في الشرق الأوسط موضوعاً شائكاً شغل المسؤولين السياسيين والجالس الدولي لعدة عقود. وهذه الدراسة ليست الأولى التي تعالج مدى خطورة السلاح على الأمن، والصعوبات التي تعترض التخلص من بعض الأسلحة وبخاصة تلك التي تؤدي إلى الدمار الشامل. كما وأنها لا تتroxى أخذ مكان الأجهزة المتخصصة في هذا المجال أو مراكز الأبحاث والدراسات الدولية المؤهلة أكثر من غيرها لايجاد حلول لمشاكل بهذه الصخامة، والتي يكون قد أصبح في جمعتها أكثر من مشروع حل، كما أن لكل دولة أجهزة ترسم لها ما يجب فعله حفاظاً على مصالحها. يبقى أن الحل المختار يجب أن يكون مجدداً، فلا يغلب مصلحة فريق على مصلحة الفريق الآخر، الأمر الذي لم يعد بالأمكان احتفاؤه على أحد. فالحل الذي يلحق الظلم والغبن بالآخرين بدلاً من العدالة لا يمكنه أن يدوم.

(٤١) بيريز شيمون - مرجع سابق ص: ٦٤.

ان حلاً مقتبساً من اتفاقيات الهدنة التي وقعت بين دول عربية واسرائيل إثر حرب ١٩٤٨ والتي أوجدت بين المتخاصلين مناطق مجردة من السلاح أو حددت حجم القوى التي يسمح لها المرابطة في تلك المناطق، مع الأخذ بعين الاعتبار تطور الأسلحة والتكنولوجيا خلال نصف قرن، يضاف اليه ما طبق في سيناء اثر السلام المصري - الاسرائيلي من مناطق منزوعة السلاح؛ يقودنا الى ما يلي:

أ - تصدر الأمم المتحدة مقررات بشأن الترتيبات الأمنية، وتعهد بتنفيذها بحذافيرها الى راعي السلام.

ب - يُصار الى فك الارتباط بين القوى العسكرية المتخاصة بحيث تفصل بينها مناطق منزوعة من السلاح أو محظوظة التسلح، كما هي الحال في سيناء. هكذا يزول الاختلاط بين القوى المسلحة ويخف عنصر المفاجأة.

ج - يوقف تسلح دول المنطقة، ويصار الى مراقبة الانتاج المحلي للسلاح اضافة الى مراقبة الحصول على العتاد العسكري من الدول المنتجة، بحيث تفرض عقوبات شديدة وصارمة على الدول المخالفة لحملها على الانصياع.

د - يُعمل على إزالة أسلحة الدمار الشامل أو تخفيضها تدريجياً، لأنه، حسب شيمون بيريز لم يحن الوقت بعد لتفكيك اسلحتنا وإعادة جنودنا الى بيوتهم... اننا نستطيع على أية حال أن نؤسس لعملية تدريجية بعيدة المدى من نزع السلاح المقابل»^(٤٢).

هـ - تشكّل قوة حفظ سلام لتفصل بين المتخاصلين تكون تحت سلطة الأمم المتحدة، ولا يتم انسحابها الا بموافقة جميع الأطراف بمن فيهم الأمم المتحدة. فلا يحدث ما جرى في سيناء العام ١٩٦٧ حين انسحب قوى مماثلة بمجرد أن طلبت منها مصر بمفردها إخلاء المنطقة.

و - تؤلف هيئة اقليمية للإشراف على تنفيذ الترتيبات المتفق عليها، والتحقق من تنفيذها.

ز - يتبادل الأطراف البعثات العسكرية التي تحضر المناورات كما كانت الحال بين حلفي وارسو والناتو، ويسمح لهذه البعثات بالحصول على معلومات دقيقة عن الأسلحة وعن تشكيل القوات المسلحة وإمكاناتها للحؤول دون مفاجآت.

ان هذه الترتيبات تدعم الثقة والأمن، وتمهد الطريق أمام تسوية سياسية تساهם في اطلاق عملية السلام بصورة تدريجية حتى بلوغ مرحلة السلام الدائم في الشرق الأوسط. هذا، بالطبع، إذا خلصت النوايا، وعمل الجميع بصدق لبلوغ هذا الهدف السامي الذي يتطلب الوقت الطويل، لأن صراعات عمرها نصف قرن لا يمكن تسويتها بين ليلة وضحاها.

(٤٢) بيريز شيمون مرجع سابق، ص: ٧٢ و٧٣.

الحرب في اليمن خلفياتها ونتائجها

د. ميشال سلامة (*)

منذ مطلع أيار ١٩٩٤، تتناقل وسائل الاعلام أخبار الحرب الناشبة في اليمن، والمعارك الدامية، والواسطات الحميدة، والمواقف والقرارات الإقليمية والدولية.

لماذا يقاتل الاخوة في اليمن، وما خلفيات الحرب القائمة بينهم؟ هل انها حرب عقائدية أم اقتصادية أم قبلية، أو أنه صراع على نفوذ أو سيطرة؟

هل الوحدة التي قامت بين دولتي اليمن الشمالي والجنوبي في ٢٢ أيار ١٩٩٠ كانت مصطنعة ومفروضة؟ أهي وليدة اتفاق بين القادة في اليمن أم أنها تحظى بتأييد الشعب بالرغم من اختلاف في العادات وفي نمط الحياة؟

وماذا حدث في ظل الوحدة؟ هل شعر الناس بتحسين أحوالهم أم عانوا من أوضاع مستجدة فيها تحكم من فريق بالفريق الآخر؟

وهل الانفصال الذي أعلنه الجنوب في ٢٠ أيار ١٩٩٤ هو من صنع قادة أو حزب مع مساندة إقليمية من الجيران، أم أنه يلقى تجاوباً من أوساط الشعب؟

في هذه الدراسة سنحاول توضيح بعض الأمور التي تساعد في الاجابة على التساؤلات المطروحة.

١ - الاطار الجغرافي

تقع اليمن في الجزء الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية. يتكون الجزء الشمالي منها من كتلة صخرية من العهد الجيولوجي المعروف بالـ Archéen، وهي شديدة الانحدار نحو الغرب باتجاه البحر الأحمر، إنما تنحدر ببطء نحو الشرق

(*) متقاعد، سفير لبنان في ليبيجان ثم في لاغوس سابقاً.

والجنوب الشرقي لتبلغ المناطق الصحراوية في حضرموت شرقاً وشبه جزيرة عدن البركانية في الجنوب.

أما جبال اليمن فترتفع في المنطقة الشمالية لتبلغ ٣٩٠٠ م. ويمتد على شاطئ البحر الأحمر وعلى أقدام جبال اليمن، سهل ساحلي هو سهل تهامة^(١).

تعاني المناطق المنخفضة من اليمن من الجفاف في تهامة وعدن وحضرموت، أما الكثلة الجبلية الشمالية فهي خصبة، وتربتها الأمطار الموسمية في الصيف من ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ مم في السنة حيث تنمو المزروعات (التبغ، القطن، والنيل) وتخصب عند ارتفاع ١٢٠٠ م وما فوق (القمح، الشعير، الذرة). أما البن والقات فيزرعان على ارتفاع ١٤٠٠ م^(٢).

ونظراً لخصب جبال اليمن في محيط صحراوي، سميت، منذ القدم، «بلاد العرب السعيدة».

أما القات (Catha edulis) فنبتة برية وزراعية تعلو حوالي ٣ أمتار، أوراقها معنقة، وثمارها دقيقة مستديرة حافظة الطعم مأكولة، تزرع في اليمن والحبشة حيث يمضغون أوراقها المتเบحة، ويستخرجون من تقطير ثمارها مشروباً كحولياً مؤثراً على الأعصاب^(٣).

وعادة مضغ القات متصلة في الشعب اليمني، حتى أنه أثناء المعارك الأخيرة كانت هناك هدنة غير معلنة بعد ظهر كل يوم حتى يتتسنى للمتحاربين فرصة مضغ القات^(٤).

سهل سهama، على الشاطئ بين البحر الأحمر والجبال اليمنية، يعني من الجفاف ومن المناخ السيء، أما المرتفعات الشرقية منه فتسقط عليها بعض الأمطار الموسمية في الصيف. وعلى الشاطئ يقع مرفاً الحديدة وهو أهم مرفأً لليمن على البحر الأحمر.

أما عدن فهي أهم مرفأ على الشاطئ الجنوبي. وهي شبه جزيرة تقع في البحر، وتنتمي بالبر بأرض بركانية. وتعيش المدينة من التجارة الدولية ومن تصريف المنتجات اليمنية الزراعية وعلى الأخص تصدير البن.

وإلى الشرق من عدن، تمتد منطقة حضرموت الصحراوية المناخ ذات الأرضي

GOUROU Pierre «L'Asie» Hachette, Paris 1953, p. 477.

(١)

BIROT et DUSH «La Méditerranée et le Moyen-Orient», T.II, PUF, 1956, p. 430.

(٢)

الموسوعة في علوم الطبيعة تأليف أدوار غالب، المجلد الثاني، ص ٢٦٦، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦٦.

(٤) خبر أوردته وكالة رويتر ونشرته جريدة النهار في ٢٠/٥/١٩٩٤.

الكلسية التي تؤلف واجهة بحرية مرتفعة تنخفض تدريجياً نحو الداخل لتبلغ صحراء الربع الخالي. وفي الأودية تمتد واحات من النخيل، أما التلال المطلة على الساحل فتلتقي بعض الرطوبة من المحيط الهندي، وتتمو عليها شجيرات البخور والمرن. وقد عُرف أهل حضرموت منذ أقدم العصور بالنشاط البحري كصيد الأسماك والملاحة، وقد وصلوا بمراكمتهم الشراعية إلى الهند وأندونيسيا وماليزيا حيث أسسوا مراكز تجارية مهمة. وتقع على شواطئ حضرموت سلسلة من المرافئ وأهمها مرفأ الملاّم^(٥).

وبإضافة إلى النشاطات الزراعية والبحرية التقليدية، تم اكتشاف البترول في منطقة مأرب في الشمال (شركة Hunt الأمريكية) وفي وادي مسيلة في حضرموت (شركة Canoxy الكندية)^(٦).

٢ - السكان

اليمن من المناطق المأهولة بالسكان منذ أقدم العصور، نظراً لخصب المناطق الجبلية فيها، ولتوفر سبل العيش من البحر على السواحل. وببلاد اليمن مهد القبائل القحطانية التي انتشر بعض منها نحو الشمال حيث اختلطت بالقبائل المصرية^(٧) وكانت أكبر هجرة لأهل اليمن من بلادهم نحو الشمال لدى انهيار سد مأرب في منتصف القرن السادس ب.م^(*).

(٥) بشان تهامة وعدن وحضرموت، انظر المرجعين (١) و(٢).

(٦) جريدة لوموند الباريسية، عدد الأحد ٢٩ - الاثنين ٣٠ آيلار ١٩٩٤.

(*) تعلو مأرب عن سطح البحر ٣٩٠٠ قدم، وكانت عاصمة دولة سبا، وتقع على ملتقى الخطوط التجارية التي كانت تربط بلدان اللبان (حضرموت) حتى المتوسط (غزة).

وفي ظل الاستقرار الذي وفرته دولة سبا، بدأت تشييد الأقسام الأولى من السد في النصف الأول من القرن السابع قبل المسيح (٧٠٠ - ٦٥٠ ق.م.)، وكان السد من عجائب الفن الهندي، وينم عن مجتمع مستقر ومنظم في ظل سلطة مركبة قوية. وظل قائماً حتى ظهر فيه تصدع في سنة ٤٥٠ م. ولكنه أصلح في حينه، وكان انفجاره في منتصف القرن السادس بعد المسيح (٥٤٢ - ٥٤٣) فأخذ كارثة إذ غمر السيل الأرضي، تفرق القوم أيدي سبا». ولا تزال آثار السد ظاهرة حتى اليوم. وكان سبب انهياره التأكل الذي أحدثه الماء في قواudem. وهناك سلسلة شعبية تقول إن جرذاً حفر في أساس السد وقلب صخرة كبيرة فوقعت الكارثة. ومن القبائل المشهورة التي تزاحت من اليمن بعد انفجارات السد القديمة والمتاخرة، بنو غسان إلى حوران، بنو لخم إلى الحيرة، بنو نتوخ إلى سوريا والعراق، بنو طيء وبنو كنده إلى شمال الجزيرة العربية.

(راجع فيليب حتى، تاريخ العرب المطول، الجزء الأول من ٧١ و ٨٤ - ٨٦ - دار الكشاف - بيروت ١٩٥٢).

وأهل عدن يعتبرون أنفسهم متدينين على يد البريطانيين، بالنسبة إلى أهل الجبال الشمالية^(٧)، ولهم تقاليدهم البحرية واحتلالهم بالشعب الأجنبي، والرابطة القبلية ضعيفة بينهم.

أما أهل حضرموت فمنهم المزارعون الذين يعيشون في واحات النخيل التي تمتد في الأودية الداخلية، ومنهم البحارة الذين يعيشون على امتداد الساحل من صيد الأسماك ومن الملاحة.

(٧) انظر المرجع رقم (٢).

وأهل الجبال في اليمن يعيش أكثرهم في قرى معلقة على المرتفعات وعلى حافة الأودية السحيقة. وقد استصلحوا الأرض على شكل مصاطب (جلالي كما نقول في قرأتنا) معلقة، وهم يقومون بزراعة الأشجار (البن، القات) أو المزروعات الأخرى (الكرمة، القطن، الذرة، إلخ...) كما يعيشون في بيوت منغلقة على ذاتها لا ينفرون من الأغرب^(٨)، ويختضعون لتنظيم قبلي محكم يشد الروابط بينهم ويساعدهم على مصاعب العيش إنما يأثر في استمرار حال من التأثر الاجتماعي والثقافي. وسكان اليمن الجبليون ينتمون إلى فرقة الزيدية من أتباع زيد حفيد الحسين، وهي فرقة شيعية متساهلة وقريبة إلى السنة^(٩).

أما أهل السواحل فهم يعتاشون من صيد الأسماك والنقل البحري.

وفي تهامة، حيث تساقط بعض الأمطار القليلة في الشتاء، تنبت المزروعات الاستوائية نظراً لارتفاع الحرارة في هذه المنطقة. ويساقط على الهضاب الذي مما ينعش المزروعات قليلاً. أما المناخ فسيء وغير صحي، وكثافة السكان قليلة وهم مختلطون بعناصر افريقية أتتهم من الحبشة والصومال واريترية.

أما عدن فهي صحراوية تعيش من مرافقها وهو من أكبر المرافق على المحيط الهادئ، سكانها خليط من العرب (السكان الأصليون) ومن الأفارقة الذين كانوا يهاجرون إليها للإسترداد.

٣ - لمحة من التاريخ الحديث

احتل الأتراك عدن العام ١٥٤٧ وأقاموا في اليمن بعض المراكز العسكرية. وقام أحد الزعماء الزيود ويدعى القاسم بطرد الوالي التركي من اليمن العام ١٦٣٣، وأسس أمامة وطنية دامت حتى ١٨٧١. ومنذ العام ١٨٤٧، عاد الأتراك وجعلوا من اليمن ولاية تركية دامت حتى قيام الإمام يحيى باحتلال صنعاء العام ١٩٠٥ وجعل منها عاصمة له. ولكن الأتراك لم يعترفوا باستقلال حكومة الإمام حتى العام ١٩١١، ولم ينسحبوا من اليمن إلا بعد نهاية الحرب الكبرى في أواخر ١٩١٨.

وفي العهد التركي، ظلت البلاد مستقلة فعلياً تحت سيطرة مشايخ القبائل الموالين للإمام الزيدى في صنعاء وخاصة في المناطق الجبلية الوعرة. وكانت

(٨) هذا ما ذكره نزير العظم ثم أمين الريحاني، وأورده فيليب حتى في «تاريخ العرب المطول» ج ٢، ص ٨٦٩ (دار الكشاف - بيروت ١٩٥٢).

(٩) قتل زيد في ثورته على الأمويين عام ٧٤٠ ميلادية. والزيدية تخالف الشيعة في أنها لا تعتقد بالإمام المستور ولا تسمح بالملائكة ولا تمارس التقىة، على أنها توافقها في معاداة التصوف (المراجع السابقة، ص ٥٤٠ و ٨٦٩).

مشايخ القبائل في تهامة وعدن وحضرموت تدين بالولاء للإمام وكذلك عسير في شمال اليمن.

وفي العام ١٨٣٩، احتل الانكليز عدن من أجل تأمين طريق الهند البحرية وجعلوا منها مستعمرة في العام ١٩٣٧. ونشر الانكليز حمايتهم شرقاً على مناطق لحج وحضرموت. وكانت هذه المناطق قبل وصول الانكليز إليها تحت حكم أمام صنعاء، الذي كان حكمه بالأحرى ولاء، إذ كان مشايخ القبائل يعتمدون باستقلال فعلي، حافظوا عليه تحت الحماية البريطانية^(١٠). وبعد الحرب الكبرى وانسحاب الأتراك، أقام الإمام يحيى اتصالات باليطاليين الذين كانوا يسيطرؤن على الشاطئ المقابل من البحر الأحمر في الصومال وأرتريا، وعقد معهم معاهدة صداقة العام ١٩٢٦، مما شجعه على القيام بضغط على الانكليز لاسترجاع الأرضي الواقعة شرقي عدن. لكن الانكليز رفضوا الرضوخ له واستعملوا الطيران ضده^(١١).

وكان ابن سعود قد أقام دولته واحتل الحجاز وعسير المتاخمة لليمن. وظلت الحدود عند عسير ونجران عرضة للتحرشات الدموية. وكان الإمام يماطل في توقيع معاهدة لتحديد الحدود مع السعودية على أمل أن يستعيد عسير. فأرسل إليه الملك عبد العزيز بن سعود انذاراً في ربيع ١٩٣٤ لم يكتثر له الإمام. عندها قام الملك السعودي بحملة من عسير، وجرت بعدها مفاوضات في الطائف بالسعودية كان من نتائجها الوصول إلى اتفاقية للحدود بين البلدين في ٢٠ أيار ١٩٣٤. علمًا أن ابن سعود لم يُغامر باحتلال اليمن نظراً لوعرة أراضها وشكيمتها أهلها.

وظل الإمام يحيى حميد الدين في السلطة حتى العام ١٩٤٨ إذ قُتل في قصره بمؤامرة دبرها جماعة سيف الإسلام ابراهيم الذين ولوا عبد الله بن الوزير. لكن ابنه الإمام أحمد بن يحيى، استطاع أن يعيد نظام الإمامة إلى اليمن بعد أن قضى على ابن الوزير وحكومته في العام نفسه^(١٢).

وهكذا استقرت الحال في المملكة المتوكلة اليمنية في المناطق الجبلية الشمالية في تهامة، وفي المستعمرة البريطانية في عدن وفي المحفيات البريطانية في لحج وحضرموت، وظل هذا الاستقرار حوالي ثلاثين سنة حتى قيام ثورة الجمهوريين في صنعاء ومقتل الإمام أحمد في أيلول ١٩٦٢.

(١٠) حتى فيليب: «تاريخ العرب المطول» ج ٣، ص ٨٣٧ - ٨٦٩ - ٨٧٠ (دار الكشاف بيروت ١٩٥٢).

G. BROCKELMANN: «Histoire des Peuples et des Etats Islamiques», Payot, Paris, 1949, p 390 - 397. (١١)

عسه أحمد: «معجزة فوق الرمل»، المطبع الأمهلي اللبناني - بيروت ١٩٦٥ ص ١٢٠ - ١٢٥. (١٢)

٤ - ثورتان في الشمال وفي الجنوب

أ - كانت لأفكار القومية العربية التي حمل رايتها الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وللنظام الذي أقامه في مصر بعد الثورة على الملك فاروق العام ١٩٥٢، أثر عميق في مختلف البلدان العربية وفي المملكة المتولدة اليمنية أيضاً. واختتمت الأفكار في صفوف الضباط الشباب في الجيش اليمني، خاصة وأن نظام الإمام كان تقليدياً قاسياً ساحقاً لكل أفكار تقدمية. وعملت المخابرات المصرية على تشجيع الأفكار الثورية في أوساط الضباط في اليمن. حتى تحركت الثورة على النظام القائم بمقتل الإمام أحمد في ١٨ أيلول ١٩٦٢، وهرب ابنه «البدر» في ٢٦ منه، وأعلان النظام الجمهوري في اليمن. وكان أبرز الضباط الذين قاموا بهذه الحركة الثورية العقيد عبد المغني والعميد عبد الله السلال الذي أصبح في ما بعد رئيساً للدولة. وفي ٢٨ أيلول ١٩٦٢، اعترفت الجمهورية العربية المتحدة بالنظام الجمهوري في اليمن، وبدأت فوراً باستجابة نداء الجمهوريين بالمساعدة العسكرية المباشرة في اليمن مما دفع بالسعودية والأردن إلى مساندة الأمير بدر والملكيين بواسطة القبائل المحافظة في شمال شرق اليمن. ودام التدخل العسكري المصري في اليمن حتى كانون الأول ١٩٦٧، مع ما رافق ذلك من معارك ومن مفاوضات مع السعودية والأردن والولايات المتحدة الأمريكية. وكان من نتيجته القضاء على نظام الإمام وعلى بيت حميد الدين، وتثبيت الجمهورية اليمنية التي اعترفت بها الولايات المتحدة الأمريكية في ١٩ كانون الأول ١٩٦٢. وبعد انسحاب الجيش المصري من اليمن، تابع الجمهوريون حربهم مع القبائل المساندة للملكية بمساعدة السعودية حتى العام ١٩٧٠ تاريخ انتهاء الحرب الأهلية في اليمن الشمالي^(١٢).

ب - أدت الاطاحة بنظام الإمامة في الشمال سنة ١٩٦٢، وما أعقبها من تدخل عسكري مصري، إلى تشجيع قيام ثورة مسلحة على البريطانيين في الجنوب سنة ١٩٦٣ حصل خلالها الثوار على مساعدة سياسية وعسكرية من صنعاء ومن المصريين. ودامت الثورة أربع سنوات، قرر الانكليز بنهایتها التخلّي عن مستعمراتهم ومحمياتهم شرقي قناة السويس. وفي ٣٠ تشرين الثاني ١٩٦٧، نال اليمن الجنوبي استقلاله، وقامت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية.

(١٢) التدخل المصري العسكري في اليمن عالجه من الوجهة السياسية محمد حسنن هيكل في «سنوات الغليان»، ص ٦١٨ وما يليها حتى ٦٧١. منشورات مركز الأهرام للترجمة والنشر - القاهرة ١٩٨٨، ودرسه من الناحية العسكرية أحمد يوسف أحمد في مجلة الفكر الاستراتيجي العربي العدد الخامس، تشرين الأول ١٩٨٢، ص ٢١ وما يليها.

٥ - تطور العلاقات بين اليمنيين حتى قيام الوحدة بينهما

قبل التحدث عن العلاقات بين الدولتين اليمنيتين، يجدر بنا أن نلقي نظرة على بعض المعلومات للمقارنة بينهما من حيث:

الجنوب	الشمال	
٢٨٧٧٠٠ كم²	١٩٥٠٠ كم²	- المساحة
٢٥٠٠٠ نسمة	١١٥٠٠٠ نسمة	- عدد السكان
عدن +	صنعاء	- العاصمة
عدن - المكلا	مأرب - الحديدة	- أهم المدن
اشتراكي	جمهوري تحت تأثير قبلي	- النظام السياسي
بحري	زراعي	- النشاط الاقتصادي
مسيلة	مأرب	- النفط (الحقل)
١٦٠٠٠ برميل في اليوم	١٦٠٠٠ برميل في اليوم	الكمية:
١٥٠ مليون دولار في السنة	١٥٠ مليون دولار في السنة	الدخل:

منذ البدء، اختلفت توجهات النظميين إذ تولى اليسار حكم الجنوب في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية مانحاً الأولوية للقطاع العام والتقارب مع الدول الاشتراكية (الصين والسوفيات على الأخص).

وهذا التوجه السياسي دفع التيار الجمهوري سنة ١٩٧٠ إلى التصالح مع الملكيين المعتدلين في الشمال تحت رعاية المملكة العربية السعودية، من أجل الوقوف في وجه امتداد اليسار نحو الشمال ونحو المملكة.

وفي العام ١٩٧٠، أعلن كل من النظميين رغبته في الوحدة، وفي نهاية كل فريق السيطرة على الفريق الآخر. ولم تكن القبائل الموالية للسعودية متحمسة للوحدة، فساد جو من عدم الاستقرار الحدود بين اليمنيين، حتى نشب نزاع مسلح بين النظميين في أيلول ١٩٧٣، وتدخلت الجامعة العربية، وجرت مفاوضات أسفرت عن توقيع اتفاق وحدة عارضته القبائل في الشمال. وتجددت الحوادث على الحدود سنة ١٩٧٤، حتى وصول العقيد ابراهيم الحمدي إلى السلطة في صنعاء بانقلاب في حزيران ١٩٧٤ فأوقف خطة الوحدة وأرسى التقارب مع السعودية.

وفي سنة ١٩٧٨، تسلم السلطة علي عبد الله صالح بانقلاب عسكري.

وفي شباط ١٩٧٩، نشب قتال على الحدود أحرز فيه الجنوبيون تقدماً. وبعد وساطة سورية - عراقية وضغوط عربية، وقع الفريقان اتفاقاً وقف إطلاق النار في ٣٠ آذار ١٩٧٩، ثم وقعا اتفاقاً للوحدة في الكويت. وتحسن العلاقات بين النظميين، لكن رجال الدين الشماليين عارضوا الوحدة مع الجنوب «المتحد».

في كانون الثاني ١٩٨٦، جرت في اليمن الجنوبي تصفيات في صفوف الحزب الاشتراكي، كان من نتيجتها ترحيل الرئيس علي ناصر محمد مع الجناح المؤيد للسوفيات ووصول علي سالم البيض إلى قيادة الحزب ثم إلى قيادة البلاد. وفي السنة التالية، أعلن الجنوب عن رغبته في الوحدة، وقام علي سالم البيض بزيارة صنعاء، وشكلت لجان مشتركة لهذا الغرض، واتخذت خطوة أولى بالسماح بانتقال الأشخاص بين البلدين بدون جوازات سفر^(١٤).

٦ - الوحدة

في مطلع العام ١٩٩٠، وبعد انهيار الاتحاد السوفيتي، اعتبر أصحاب السلطة اليساريون في الجنوب شعور بالقلق من أن يقود ذلك إلى تردي الأوضاع الداخلية لديهم، وإلى عزلتهم في الجزيرة العربية؛ فعمدوا باللحاج إلى قيام الوحدة مع الشمال. وتلقى الشمال هذه الرغبة بالقبول من أجل قيام دولة كبيرة وقوية في الجنوب الغربي من الجزيرة يكون لها وزنها السكاني والسياسي والاقتصادي بحسب منطقة شبوه الجنوبية الغنية بالنفط، ومدينة عدن المرفأ العالمي الشهير. ولacci الاتجاه الوحدوي تأييداً شعبياً ونقابياً، وخف تحفظ القبائل عليه بعد انهيار الشيوعية.

وفي غفلة من السعودية وغيرها من دول الخليج، أُعلن في ٢٢ أيار ١٩٩٠ توحيد السلطة في حكومة واحدة وإدارة مدنية واحدة ورئيس واحد من الشمال ونائب رئيس من الجنوب. وبقيت فرق القوات المسلحة منفصلة إنما صار خلط تمركزها بين الشمال والجنوب. أما قوات الأمن الداخلي، فظللت في مراكزها في البلدين. وهكذا كان عدم توحيد القوات المسلحة وقوات الأمن نقطة الضعف التي ساعدت على الانفجار لاحقاً^(١٥).

وبعد اعلان الوحدة بقليل، قام العراق بغزو الكويت في آب ١٩٩٠ واندلعت «حرب الخليج» في مطلع ١٩٩١. يومها اتخذت دولة اليمن الموحدة الفتية موقفاً واضحاً إلى جانب العراق مما تسبب لها بمصاعب مع السعودية التي طردت ٨٠٠ ألف عامل يمني، عادوا إلى بلادهم ليزيدوا من عبء الضائقة الاقتصادية فيها. ومنذ ذلك الحين، أخذت السعودية تعمل على ذلك الوحدة تجنياً لقيام دولة قوية إلى جنبها، واتخذت الكويت موقفاً معاذياً لصنعاء للاقتصاص منها على موقفها من حرب الخليج وكذلك مصر تخوفاً من مساندة صنعاء للحركات الإسلامية^(١٦).

(١٤) دراسة لوكالات الصحافة الفرنسية نشرت في جريدة الديار في ٢١ شباط ١٩٩٤.

(١٥) دراسة نشرتها جريدة لموند الباريسية في عددها الصادر في ٢٩ - ٣٠ أيار ١٩٩٤.

(١٦) مراجعة دراسة وضعها رياض نجيب الرئيس ونشرها في جريدة النهار يوم الاثنين في ١٦/٥/١٩٩٤.

ومن أجل تثبيت الوحدة وتنظيم سلطاتها، جرت في نيسان ١٩٩٣ انتخابات تشريعية بنظام الاقتراع العام المباشر.

٧ - المصاعب في ظل الوحدة

بعد الانتخابات التي جرت في نيسان ١٩٩٣، ظهر التوتر بين شطري البلاد بسبب النظرة المختلفة لكل منهما إلى منهج الحكم، فقد تخوف الجنوبيون من سيطرة النظام القبلي على شؤون الدولة، وخشي الشماليون من تغلغل الأفكار الاشتراكية الحرة في أوساط الدولة في الشمال مما يقوض الثوابت التي يقوم عليها الحكم الجمهوري القبلي فيه. وأخذ الجنوبيون يظهرون تمللاً من الشماليين القادمين إلى مناطقهم بعقلية قبلية وعدم انضباط أمني^(١٧)، كما اعتري الجنوبيين قلق على مستقبل مواردهم من البترول المكتشف في شبوه شرقي عدن، ومن هيمنة الشماليين لاحقاً على عدن والتجارة الدولية فيها فعدن لم تعد العاصمة، بل صنعاء حيث المراكز الإدارية الكبرى والمرافق الهامة بيد أهل الشمال. واتهم الجنوبيون سياسة الدولة بأنها غير مرئية للرياح الديمقراطية التي أتى بها الجنوبيون، وأن صنعاء تعطف على التيارات الإسلامية والقبلية المتطرفة التي يمثلها ويحميها الشيخ عبد الله الأحمر رئيس البرلمان^(١٨). وتصاعد التوتر بين الفريقين، فاعتكف نائب الرئيس علي سالم البيض في عدن منذ ١٢ آب ١٩٩٣ مشترطاً لعودته إجراء اصلاحات جذرية في نظام الحكم وفي تنظيم القوات المسلحة، وإقامة لامركزية إدارية ومالية. وبذلت محادثات عسيرة، وتآلفت لجنة حوار القوى السياسية توصلت في ١٨ كانون الثاني ١٩٩٤ إلى وضع «وثيقة العهد والاتفاق» التي تم التوقيع عليها في عمان بتاريخ ٢٠ شباط ١٩٩٤ من قبل الرئيس علي عبد الله صالح ونائبه علي سالم البيض برعاية الملك حسين، الذي أيد الوحدة من أجل التوازن في الجغرافية العربية بقيام دولة يمنية قوية إلى جنوب السعودية.

وقد نصت «وثيقة العهد والاتفاق» على اصلاحات أساسية من أجل تثبيت الوحدة، جاءت أكثرها تلبية لوقف الجنوبيين، وهي تتناول:

- ١ - تدابير أمنية وعسكرية: إخلاء المدن من القوات المسلحة، وانهاء الوجود المسلح غير الرسمي، وتقليل حجم الجيش.
- ٢ - تدابير تتعلق باللامركزية: تقسيم إداري جديد ولا مركزية إدارية ومالية.
- ٣ - اصلاحات إدارية وسياسية: تنظيم مجلس الرئاسة وتحديد صلاحيات نائب الرئيس وتأليف مجلس شورى من وحدات الحكم المحلي.

(١٧) انظر تقريراً شرطه جريدة لوموند الباريسية في عددها الصادر في ٢٩ - ٣٠ أيار ١٩٩٤.

(١٨) راجع المراجعين (١٥) و(١٦).

٤ - تعديل الدستور: الالتزام بالدستور القائم إلى أن يتم تعديله خلال فترة من ٣ إلى ٥ أشهر وتكليف لجنة حوارقوى السياسية متابعة تنفيذ القرارات^(١٩).

٨ - القوى السياسية

يسطير على السلطة في اليمن ثلاثة أحزاب وثلاث شخصيات بيدها القرار:

أ - الأحزاب: اعتمدت اليمن الموحدة حرية إنشاء الأحزاب، وحرية الصحافة. فتكاثرت الأحزاب والصحف، مما ولد حذراً لدى السعودية من النظام في اليمن إنما أكسبه عطف الأميركيين.

أما الأحزاب الرئيسية فهي ثلاثة:

١ - حزب المؤتمر الشعبي العام: وهو، بالأحرى، تكتل يضم أنصار السلطة في الشمال وليس له أيديولوجية محددة، إنما أدخل الممارسات الديمocrاطية إلى اليمن مما سهل اجراء الانتخابات العامة في البلاد في نيسان ١٩٩٣.

٢ - الحزب الاشتراكي اليمني: الذي كان يحكم وحده اليمن الجنوبي، وظل مسيطراً عليه بعد الوحدة، وتعرض لأزمات داخلية كانت أعنفها الأزمة الدموية العام ١٩٨٦ كما مرّ معنا. ومنذ انهيار الشيوعية العام ١٩٩٠، اتّخذ الحزب الاشتراكي منهجاً حراً مع تصور حدث للحكم.

٣ - التجمع اليمني للاصلاح: ويضم زعماء القبائل^(٢٠) بقيادة زعيم قبيلة حاشد الشيخ عبد الله الأحمر رئيس البرلمان، يسانده الاخوان المسلمين الذين يرأسهم الشيخ عبد الجيد الزنداني. وحزب الاصلاح حسن التنظيم وكبير النفوذ ويتلقى مساندة من المملكة السعودية.

أما الأحزاب الصغيرة، فأهمها مجمع في كتلة المعارضة الوطنية^(٢١)، ولكن ليس لديها كبير تأثير على مجرى الأحداث، وأهميتها تكمن في الشخصيات التي تقودها بدون أن يكون لها قاعدة شعبية واسعة.

(١٩) النقاط الأساسية في «وثيقة العهد والاتفاق»، نشرتها وكالة الصحافة الفرنسية في ٢١/٢/١٩٩٤.

(٢٠) في اليمن حوالي ٢٠٠ قبيلة:

في الشمال ١٦٨ قبيلة منها ١٤١ قبيلة في المناطق الجبلية، وأكبرها قبائل حاشد وقبائل بكيل ويوجد اتحاد قبلي ثالث هو الزرانيق في تهامة. والقبيلة ذات النفوذ في الشمال هي سخان قرب صنعاء وبيت الأحمر منها. والقبائل في الشمال لها كيانها وسلطتها، وبإمكانها مواجهة سلطة الدولة.

في الجنوب ٣٢ قبيلة كانت تتوزع على السلطans في الجنوب، إنما الغفت بعد توحيدها بدولة جنوب اليمن، ولم يبق كيان قبلي فاعل في الجنوب. (مقال بقلم رشيد البذر نشر في جريدة الحياة بتاريخ ١٣ حزيران ١٩٩٤).

(٢١) تضم كتلة المعارضة الوطنية خمسة أحزاب صغيرة هي: التنظيم الناصري - رابطة أبناء اليمن - اتحاد القوى الشعبية - التجمع الودوي - حزب الحق.

ب - الشخصيات القيادية:

- ١ - علي عبد الله صالح، رئيس اليمن الشمالي منذ العام ١٩٧٨، ورئيس الدولة اليمنية الموحدة منذ العام ١٩٩٠. عمره ٤٢ سنة، أتى إلى السلطة من الجيش بانقلاب من قبيلة حاشد القوية. عمل في السياسة، كانت علاقاته جيدة مع السعودية حتى حرب الخليج، ولم تغفر له هذه موقفه المؤيد للعراق.
- ٢ - علي سالم البيض، رئيس الحزب الاشتراكي في جنوب اليمن، ونائب رئيس الدولة اليمنية الموحدة منذ العام ١٩٩٠. عمره ٥٥ سنة، وهو من أشراف حضرموت. درس الهندسة في القاهرة خلال السبعينات حيث تشبع بالقومية العربية، وكان شيوعياً ثم ماركسيًا اشتراكيًا، خطيب مفوه يعمّل من أجل المنهج الحر.
- ٣ - الشيخ عبد الله الأحرم، زعيم قبائل حاشد في الشمال، صاحب نفوذ كبير. عمره ٦٠ سنة، رئيس البرلمان منذ العام ١٩٩٣، صاحب حس سياسي، مؤمن بالجمهوريّة وبالأفكار التقدمية بالرغم من تربيته القبلية، وهو السندي الأهم للرئيس علي عبد الله صالح، الذي هو من قبيلته.

وبإضافة إلى الزعماء الثلاثة الأساسيين، هناك بعض الشخصيات السياسية، وخاصة في صفوف المعارضة، انضم جزء منهم إلى حكومة الجنوب الانفصالية، مثل حيدر أبو بكر العطاس رئيس الوزراء، ونائب رئيس مجلس الرئاسة عبد الرحمن الجفري، وهو رئيس رابطة أبناء اليمن^(٢٢).

٩ - التوتر فالانفجار والانفصال

عاد علي سالم البيض من عمان وعرج على الرياض في طريقه إلى عدن. ولم يجف الحبر على توقيع «وثيقة العهد والاتفاق» حتى بدأت المناوشات في ٢١ شباط ١٩٩٤ بين الوحدات العسكرية التابعة لكل من الفريقيْن، وعلى الأخص في ذمار وابيان ولحج. واتهم كل من الفريقيْن الآخر ببدء التحرشات التي كانت تقوم المساعي فور حصولها لتطويقها. وأخذ الحزب الاشتراكي يطرح «الكونفدرالية» كحل. وواصل نائب الرئيس علي سالم البيض اعتكافه في عدن. وقامت مصر والإمارات العربية المتحدة بوساطة مشتركة لحل الأزمة اليمنية، إذ أوفدت مصر في الأسبوع الثاني من نيسان وزير الإعلام صفت الشريف، كما أوفدت الإمارات وزير الخارجية راشد عبد الله النعيمي. كذلك زار سالم صالح عضو مجلس الرئاسة اليمني دمشق وبحث فيها الأوضاع في اليمن.

(٢٢) بشان الأحزاب والشخصيات - مراجعة المراجع (١٥) و(١٦).

ولكن الوضع كان يزداد سوءاً في البلاد، والتحرشات بين الجيشين تتواتي وتزداد، وعلي سالم البيض يزيد من شروطه للعودة عن الاعتكاف، وعلي عبد الله صالح يزيد من الشدة في الرد على الشروط بشروط مضادة. وجرت المساعي على الصعيد العسكري بعد اجتماع لجنة العسكرية المشتركة في ١٠ نيسان في عدن كان من نتيجته إعادة بعض الوحدات إلى موقعها لتخفيف التوتر.

إنما ظل كل فريق يتهم الآخر بأنه يعمل لتصفية وحداته الموجودة في المنطقة المقابلة، وساد جوًّ من عدم الثقة، وتنابت التحرشات والمعارك المحدودة بين الفرق، حتى وقع الانفجار الكبير في ٤ أيار ١٩٩٤ في معارك نظامية بالمدافع والدبابات والصواريخ. في البداية، تفوق الطيران الجنوبي في إصابة الفرق الشمالية، وفي توجيه غارات جوية على صنعاء وضربها ببعض صواريخ «سكود». ووضعت القوات الشمالية خطة لاكتساح الجنوب تمهدًا لاحتلال عدن وبقية المناطق الواقعة شرقها. وجرت المعارك العسكرية في جوًّ من الحملات الإعلامية العدائية المتبادلة. واتخذت قرارات في الشمال لتزييد في التباعد، إذ أقال مجلس النواب في ٥ أيار ١٩٩٤ علي سالم البيض من منصبه كنائب رئيس، وقرر مجلس الرئاسة إقالة وزير الدفاع ووزير النفط ومحافظ عدن (وهم جنوبيون).

وفي غمرة الأحداث المتتسعة والمعارك الدموية، إلتآمت الجامعة العربية لمعالجة الأزمة اليمنية من أجل وقف القتال، واستبعدت اقتراحًا مصرياً بإرسال وحدات عربية إلى اليمن. لكن صنعاء رفضت مبدأ تدخل الجامعة العربية أو غيرها في الأزمة باعتبارها شأنًا يمنيًّا داخليًّا، وما الحرب التي تقودها صنعاء سوى لإعادة متمردين جنوبيين إلى الطاعة. وكان هذا موقف صنعاء الصريح الذي واجهت به الأمين العام للجامعة عصمت عبد المجيد عندما زارها لاحقاً. وتتالت التذاءلات لوقف الاقتتال، من مجلس التعاون الخليجي، ومن دمشق وطهران ومصر، ولكن بدون جدوى، إذ كان الشمال مصممًا على المحافظة على الوحدة، والجنوب يحاول تحويل الوحدة إلى كونفدرالية^(٢٣).

وفي جوًّ من التوتر المتصاعد ومن المعارك الطاحنة، أعلن الجنوب الانفصال عن الشمال في ٢٠ أيار ١٩٩٤، أي بعد أربع سنوات من قيام الوحدة، وإنشاء دولة «جمهورية اليمن الديمقراطية» بمجلس رئاسي رئيسي علي سالم البيض، ونائب

(٢٣) وفي خضم المعركة تعرض بعض اللاجئين الصوماليين في مخيمات أقيمت لهم في الجنوب لنيران المقاتلين، مما تسبب بموت العشرات منهم، ويقدر عدد الصوماليين الذين لجأوا إلى اليمن بـ ١٣ ألف نسمة. وكذلك حصلت هجرات بين السكان اليمنيين هرباً من نار الحرب. منهم نزحوا إلى مناطق أخرى في اليمن وبعضهم إلى السعودية، وبعض الآخر قطع البحر الأحمر إلى الشاطئ المقابل، وبعض التقديرات تقول إن عدد اليمنيين المهاجرين قد يبلغ المليون نسمة، وهو رقم مبالغ فيه.

رئيسه عبد الرحمن الجفري، وبحكومة يرأسها حيدر أبو بكر العطاس، مع ضم بعض الشخصيات من غير الحزب الاشتراكي إلى الرئاسة وإلى الحكومة تأييدها للنهج الديمقراطي في دولة الانفصال. الدولة المنفصلة لم تزل اعترافاً من أحد إنما نالت عطفاً ظاهراً من السعودية ومصر والكويت وبقية دول الخليج مع تحفظ قطر، في حين رفض انفصالها العراق والأردن والسودان وليبيا، أي أن انقسام الدول العربية بعد حرب الخليج ما زال يتفاعل.

وكان لاعلان الانفصال رد فعل عسكري عنيف من قبل صنعاء التي زادت من حدة القتال وصممت على احتلال عدن رمز الدولة الانفصالية. وانتقل علي سالم البيض وأعوانه إلى الملا في حضرموت بشرقى البلاد وهي منطقة نائية، وفي ذلك رسالة إلى صنعاء بأنها وإن استطاعت الاستيلاء على عدن فحكومة الانفصال ستبقى في موقع يمكّنها من المقاومة.

وكان من مصلحة الشمال القضاء السريع على الانفصال بجسم عسكري، ولما عجز عن تحقيق ذلك، عمد إلى ضرب البنى التحتية في الجنوب وإلى احرار مصافة النفط في عدن، وإلى قصف شركة الكهرباء والمطار والأحياء السكنية وفندق عدن الفخم.

١٠ - التدخل الدولي

ازداد التوتر بازدياد المعارك ضراوة، فقادت المملكة السعودية بالتوافق مع دول الخليج، باستثناء قطر، بتقديم طلب إلى مجلس الأمن من أجل النظر في قضية اليمن والعمل لوقف الاقتتال. رفضت صنعاء الفكرة منذ البدء بحجة أن ما يجري في اليمن هو شأن داخلي يخص اليمنيين وحدهم، وما الحرب إلا للمحافظة على وحدة البلد وسلامة أراضيه، ودرء التدخل الأجنبي عنه. ولكن أوساط الأمم المتحدة لم تأخذ بوجهة نظر صنعاء نظراً لكتافة المعارك وقتل المدنيين وتشريدهم، وخراب المنشآت. فاتخذ مجلس الأمن قراراً رقم ٩٢٤، بتاريخ أول حزيران ١٩٩٤، يدعوه إلى وقف اطلاق النار فوراً، والكف عن توريد الأسلحة إلى اليمن، وإلى حل الصراع بالوسائل السلمية وبالفاوضات. لكن مجلس الأمن لم يعترف بالواقع الانفصالي وطلب من الأمين العام ايفاد بعثة لتقسيمي الحقائق وتقويم امكانات تجدد الحوار^(٢٤). تلقى الشمال قرار مجلس الأمن كصفعة، إنما لم يكن بإمكانه إلا أن

(٢٤) النص الحرفي لقرار مجلس الأمن:

في ما يلي النص الحرفي للقرار ٩٢٤ حول اليمن الذي تبناه مجلس الأمن الدولي بالإجماع يوم الأربعاء في أول حزيران ١٩٩٤
«أن مجلس الأمن»

في مجلس الأمن تجاه هذا الوضع المتفاقم، بناء على مبادئ «ميثاق الأمم المتحدة»^(٢٦).

وفي الفقرة الأخيرة، تلوين بلجوء دول الخليج، في حال فشل مبعوث الأمم المتحدة في وقف النار، إلى استصدار قرار جديد ملزم من مجلس الأمن وفقاً للمادة السابعة من ميثاق الأمم المتحدة. علماً أن البيان صدر بتحفظ من قطر، وهي المرأة الأولى الذي يُصدر المجلس قراراً مع تحفظ أحد أعضائه، إذ كان أعضاء المجلس في السابق يعدّون قراراتهم حتى تصبح مقبولة من جميع الأطراف.

١١ - محاولات لوقف اطلاق النار

لم يكن باستطاعة صنعاء إلا الجهر بقبول قرار مجلس الأمن، فأعلنت عن موعد لوقف اطلاق النار في منتصف ليل الاثنين - الثلاثاء (٦ - ٧ حزيران ١٩٩٤). ولكن القرار لم ينفذ، وتبادل الطرفان التهم بانتهاكه.

وتتنفيذنا لقرار مجلس الأمن، عين الأمين العام للأمم المتحدة د. بطرس غالي بعثة لتقسيي الحقائق برئاسة الأخضر الإبراهيمي كمبعوث شخصي له. وصل الإبراهيمي إلى صنعاء في ٨ حزيران بعد أن عرج على القاهرة، ومكث ثلاثة أيام

إليكم ما جاء في البيان تفصيلاً:

وفي ما يتصل باليمن قال البيان إن المجلس الوزاري «تابع بقلق بالغ التطورات المؤلمة في اليمن، وما ترتب على استمرار القتال بين الطرفين ما جعل القادة في جنوب اليمن يعلنون قيام جمهورية اليمن الديمقراطية». وفي هذا السياق رحب المجلس بتصور قرار مجلس الأمن رقم رقم ٩٢٤، وأعرب عن بالغ أسفه لاستمرار الاقتتال رغم صدور هذا القرار.

وأضاف أنه «إذا كان مجلس الأمن قد أكد في قراره ٩٢٤ حرص المجتمع الدولي على ضosen السلم والاستقرار في اليمن، فإن هذا الحرص يتضاعف أكثر في إطار مجلس التعاون لدول الخليج العربية، ولذلك فإن المجلس يدعو القادة اليمنيين إلى وضع مصلحة اليمن وشعبها فوق كل الاعتبارات والاستجابة فوراً لمقتضيات قرار مجلس الأمن وذلك بوقف العمليات العسكرية فوراً واللجوء إلى الحوار حقناً للدماء وحفظاً على الأرواح والممتلكات.

وانطلاقاً من حقيقة ان الوحدة مطلب أبناء الأمة العربية فقد رحب المجلس بالوحدة اليمنية عند قيامها بترابي الدولتين المستقلتين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية في أيار (مايو) ١٩٩٠، وبالتالي فإن بقاءها لا يمكن أن يستمر إلا بترابي الطرفين. وأمام الأمر الواقع المتمثل بأن أحد الطرفين قد أعلن عودته إلى وضعه السابق وقيام جمهورية اليمن الديمقرطي، فإنه لا يمكن للطرفين التعامل في هذا الإطار إلا بالطرق والوسائل السلمية. وتقديرنا من المجلس لد الواقع المخلصين من أبناء اليمن في الوحدة، فإنه يؤكد أنه لا يمكن اطلاقاً فرض هذه الوحدة بالوسائل العسكرية. كما يبين المجلس أن استمرار القتال لا بد وأن تكون له مضاعفات، ليس على اليمن وحده وإنما على دول والتشاور مع الأطراف العربية والدولية حول الإجراءات اللازم اتخاذها من مجلس الأمن تجاه هذا الوضع المتفاقم وبناء على مبادئ «ميثاق الأمم المتحدة».

وأعلن البيان تحفظ دولة قطر عن الفقرتين الأولى والثالثة من بيان المجلس في ما يتعلق باليمن.

قام خلالها باتصالات مع القادة في الشمال، واستحصل من الرئيس علي عبد الله صالح على اعلان لوقف اطلاق النار الساعة السادسة بالتوقيت المحلي من مساء الجمعة في ١٠ حزيران، وغادر صنعاء عن طريق جدة وعمان ليتصل بالقادة الجنوبيين، لكن وقف اطلاق النار انها ثانية.

ومن أجل دعم المبعوث الدولي، أصدرت واشنطن بياناً تطلب فيه عدم عرقلة مهمة الإبراهيمي، كما اتخذت بعض دول الخليج، وعلى الأخص الإمارات والكويت، موقفاً واضحاً بتأييد الجنوب قائلة انه في حال عدم توقيف القتال فإنها ستتدار بالاتفاق مع جهات عربية ودولية إلى الاعتراف بدولة جمهورية اليمن الديمقراطية، وستتجأ إلى مجلس الأمن لاتخاذ قرار جديد ملزم بوقف النار.

واجتمع الإبراهيمي بالزعماء الجنوبيين في الملا بعد أن عرج على السعودية وسلطنة عمان، وعاد إلى صنعاء، ولكنه لم يتوصل إلى وقف لإطلاق النار، ولم يقنع الشماليين بالكف عن قصف عدن. واشترط الرئيس الشمالي لاجراء محادثات مع الجنوب أن يتم ذلك مع زعماء من الحزب الاشتراكي يقبلون مسبقاً باستمرار الوحدة أي غير علي سالم البيض وأعوانه. ولم يكش الشمال عن قصف عدن بالرغم من تحذير صدر عن وزارة الخارجية الأمريكية.

ومن أجل الاشراف على وقف اطلاق النار، اقترح الشمال احياء اللجنة العسكرية المشتركة التي شكلت في العام ١٩٩٢ والتي كانت تضم ضباطاً يمنيين وأردنيين وعmaniين وللحرين العسكري والأميركي والفرنسي. فلم يقبل الجنوب بإحياء هذه اللجنة فقط إنما طالب بمقابلين دوليين أيضاً. وبعد أن أجرى الإبراهيمي اتصالاته بالشمال وبالجنوب، دعا الطرفين إلى إرسال وفدين إلى القاهرة للاجتماع به مع محاولة لبدء حوار من أجل وقف اطلاق النار.

أرسل الجنوب وفداً برئاسة سالم صالح، وأرسل الشمال وفداً برئاسة رشيد داودو، وأجرى الإبراهيمي محادثات منفصلة بين الوفدين الذين لم يتقابلوا لأن وفد الجنوب يعتبر نفسه ممثلاً للحكومة الديمقراطية، ووفد الشمال لا يعترف بوجود هذه الحكومة، فلم يتمكن الإبراهيمي من التوصل إلى أي قاسم مشترك بين الفريقين من أجل وقف اطلاق النار. فعاد أدراجه إلى نيويورك لتقديم تقرير عن مهمته إلى الأمين العام للأمم المتحدة، والقتال ما يزال مستمراً في اليمن والنصف الشديد ما يزال يتسلط على عدن. وتتالت المساعي لوقف النار، فاجتمع في أواخر حزيران ٩٤ في نيويورك برعاية الإبراهيمي الدكتور عبد الكريم الأرياني وزير التخطيط والتنمية في الشمال بالمهندس حيدر أبو بكر العطاس رئيس الوزراء في الجنوب. وجمع وزير خارجية روسيا في موسكو، في آخر حزيران، وزير خارجية الشمال محمد سالم باسندوه مع عضو مجلس الرئاسة في الجنوب سالم صالح

محمد، وتوصل الفريقان إلى اتفاق لوقف النار، ولكن كل اتفاقيات وقف إطلاق النار لم تنفذ، مما حمل مجلس الأمن إلى اتخاذ قرار رقم ٩٣١ بتاريخ ٣٠ حزيران لتأكيد قراره السابق ٩٢٤ لوقف إطلاق النار مع الدعوة إلى إنشاء آلية للإشراف على ذلك مقبولة من الجانبين ويفضل أن تشارك فيها بلدان من المنطقة. وتنفيذاً للقرار، سعى الإبراهيمي إلى تأليف اللجنة من أندونيسيا ومالي إلى جانب الأردن وعمان وسوريا ومصر وأحدى دول المغرب بالإضافة إلى الجامعة العربية.

١٢ - تفاقم الوضع وانهيار دولة الانفصال

في آخر حزيران، قام الجنوب بغارة على حقل النفط في مأرب فأصابه بأضرار بالغة، وكانت آخر عملية عسكرية كبرى يقوم بها طيران الجنوب.

وفي مطلع تموز، أتت الأنبياء المتضاربة عن سقوط الملا حتي تأكيد ذلك في ٦ منه بعد أن غادرها علي سالم البيض وأعوانه إلى سلطنة عمان. وكان سقوط الملا بسبب انضمام القبائل في حضرموت إلى جيش الشمال، لأن الحكم الاشتراكي كان قد أخضعها لسلطة الدولة، فخشيت من عودتها إلى الوضع السابق.

وكان الوضع الملح هو الحصار المضروب على عدن وقطع الكهرباء والماء عن سكانها البالغ عددهم نصف مليون نسمة في ظل حر شديد يتجاوز الـ ٤٠ درجة مئوية. و انهالت النداءات من الصليب الأحمر ومن الأمم المتحدة ومن رؤساء الدول على صناعة للسماح بإصلاح أنابيب الماء لتجنب الكارثة الإنسانية. وتحت الضغط العسكري المتزايد، سقطت عدن في ٧ تموز بيد الجيش الشمالي بعد أن غادرها زعماء الانفصال بحراً نحو جيبوتي وعلى رأسهم نائب الرئيس عبد الرحمن الجفري. تبع سقوط عدن فلتان أمني وأعمال نهب. وسرعان ما بدأ الجيش الشمالي انسحابه وبادر إلى تسليم الأمور إلى السلطات المحلية في عدن.

١٣ - ماذا بعد النصر الشمالي؟

بعد سقوط عدن والملا وانهيار الجيش الجنوبي، أصدر مجلس الرئاسة اليمني في صنعاء بياناً مساء ٧ تموز أعلن فيه انتهاء كل الأعمال العسكرية، ومنح عفو عام عن جميع الجنوبيين باستثناء القادة، وإزالة آثار التمرد، ومواصلة التزام النهج الديمقراطي والتعددية الحزبية والسياسية، وضمان حرية الصحافة واحترام حقوق الإنسان، وايجاد نظام للحكم المحلي يضمن صلاحيات واسعة للوحدات الإدارية، وإعادة اعمار ما تخرّب والتغويض على المواطنين المتضررين.

وأبلغت حكومة صنعاء الأمم المتحدة بانتهاء الأعمال العسكرية، وأعطت خمسة عهود إلى المنظمة الدولية: وقف كل نشاط عسكري - مباشرة أعمال الاغاثة في

عدن - منح عفو شامل وتعويض الخسائر - احترام الديمقراطية والتعددية الحزبية وحرية الصحافة وحقوق الإنسان - استئناف الحوار الوطني في إطار الشرعية الدستورية^(٢٧).

أما القادة الجنوبيون الذين لجأوا إلى الخارج فما زالوا يرسلون التهديدات بأنهم سيناضلون من أجل رفع الكابوس الشمالي عن مناطقهم، في حين تسعى الحكومة اليمنية إلى استمالة قادة من الحزب الاشتراكي يعتزفون بالوحدة، إذ في قلب الحزب تيارات قديمة تختلف بالرأي عن علي سالم البيض وأعوانه.

ومن بوادر النظام المنتصر في اليمن أنه اتخذ خطة لتطبيق الشريعة الإسلامية في الجنوب من حيث منع الكحول واقفال المقاهي والحانات، كما هدم مصنع البيره في عدن. وهذه الخطوة هي من سياسة القبائل الشمالية المحافظة وفيها اسكات للسعودية كي تخفف من معارضتها لقيام يمن موحد. ولكن ما هو الموقف الذي ستتخذه السعودية ودول الخليج من الواقع اليمني بعد انتصار الشماليين الساحق؟ من المرجح أن القادة والقوى السياسية الانفصالية في الجنوب يأملون في تلقي العون والمساعدة من دول الخليج التي من مصلحتها قلقة الأوضاع في اليمن كي لا يقوى عليها. في حين عبر العراق عن فرحته بانتصار الشمال على الجنوب.

أما الموقف الأميركي من الحرب في اليمن فإنه كان معقداً لأنه كان موقفاً معارضًا للوحدة بالقوة وللانفصال بالقوة، داعياً إلى حل النزاع بالحوار، ولكن من دون اتخاذ أية خطوة حاسمة لفرض هذا الحوار في مجلس الأمن وللالتزام بوقف اطلاق النار. وبعد انتصار الشمال، طلبت الولايات المتحدة من صنعاء: سد الحاجات الإنسانية لسكان الجنوب - العمل على تحقيق المصالحة السياسية الداخلية - تطمين الجيران إلى التزام الاستقرار الإقليمي^(٢٨).

(٢٧) جريدة النهار تاريخ ٩ تموز ١٩٩٤.

(٢٨) بعاصيري سحر: فرصة اليمن؟ (جريدة النهار تاريخ ٩ تموز ١٩٩٤).

المهرون اللبنانيون

من الدعوات والوعود بالعودة إلى العودة الفعلية!

د. نسيم الخوري (*)

يعني طرح ملف المهجرين في لبنان الدخول في تلمس عشرين عاماً من الحروب اللبنانية في تناقضاتها وتأثيرها ومأساتها ومبادراتها التي يستحيل حصرها بشكل موضوعي. وتظهر الصعوبة في القدرة على عزل هذه المسألة عن غيرها من المسائل الجوهرية، مثل الطائفية والوفاق والوحدة والصيغة الوطنية والانتماء الوطني والتحول الديمغرافي والاعمار... الخ. فالتهجير بمعناه الأفقي، كان يأتي نتيجة لحركة لكنه كان ينقلب ليصبح مسبباً لعارك وحروب أخرى وكثييرات مجددة من المهجرين. لكنه أيضاً كان مؤشراً خطيراً لعدٍ كبير من «المؤامرات»(**) والأفكار التي كانت تستهدف هذه المسائل كلها بالطبع، وهو ما لا يظهر إلا في قراءة معمقة للكثير من المشاريع والطروحات السياسية الخاصة⁽¹⁾ بالأزمة اللبنانية الأخيرة.

بهذا المعنى، تتدخل الأسباب بالنتائج، وتتناقض المواقف الداخلية والإقليمية والدولية، ويجد الباحث نفسه أمام معضلة لبنانية في زمن السلم عنوانها «المهرون» خصوصاً وأن الحروب زالت. وإذا كانت الحروب في جذورها التاريخية سبباً للتهجير، فإن عودة المهجرين تبدو، بالضرورة، عنواناً لترسيخ السلام.

(*) مدير كلية الاعلام والتوثيق الجامعية اللبنانية.

(**) رغم أننا نعرض عن استعمال مثل هذه التعبيرات، إلا أننا اثبتناه هنا كتعبير لا زم أذهان اللبنانيين والستتهم طيلة الحروب المشار إليها. والمؤامرة تعني الإشارة دوماً إلى الدهشة والتهرب من المسؤولية، وهذه أمور بحاجة إلى دراسات لغوية واجتماعية معمقة.

(1) يونس عمار، «سلسلة الوثائق الأساسية للأزمة اللبنانية»، ٥ أجزاء، من دون تاريخ أو دار نشر أو اسم مدينة، لكنه صادر في بيروت ومتوفّر في المكتبات الرئيسة.

وسرعان ما نكتشف أن وجهات النظر في التعامل مع هذا الموضوع كانت متناقضة ومتباينة تماماً كما الحروب. كيف؟

١ - كان يقوى ملف المهاجرين ويتخذ أبعاداً إنسانية واجتماعية ووطنية، عندما تتحرك الجمعيات الخيرية الكثيرة^(*) في لبنان، أو يمسك المهاجرون بأذمتهم يلوّحون بها فتظهر المأساة والكوارث الاجتماعية، وتبدو الأزمات الصحية وجذور الانحراف والأدمان وغيرها من المشاكل النفسية التي تفترض ملفاً قائماً في حد ذاته.

ونعزو هذا الاهتمام بالموضوع، في قسم كبير منه، من قبل المؤسسات الأهلية، إلى البعد المادي الذي كان يتقدّم على الجمعيات بغرض مساعدة المهاجرين الذين كانوا أحياناً يتذكرون لكل من يمثلهم أو يتكلّم باسمهم.

ويظهر من المقابلات التي أجراها طلاب كلية الاعلام مع عدد كبير من المهاجرين، أنهم كانوا يبحثون عن «الدولة الوحيدة القادرة على مساعدتهم»^(٢). وقد أخذوا حرفيتهم في الكلام عن الأحزاب وهيئات الأمر الواقع. وربما يكون السبب في كون هذه المقابلات جاءت صريحة أنها لم تكن معدة للنشر وهي ما زالت غير منشورة حتى الآن. وهنا يمكن إعادة النظر في المساحة الإعلامية التي كانت تتصوّر للناس أن المهاجرين لا يودون العودة أو هم لا يثقون بدولتهم، وهو تضليل كان القصد منه سياسياً أو منفعياً قريب أو بعيد المدى.

٢ - كان يتحول الملف في ثقله الإنساني والاجتماعي والعلائقي والصحي، إلى ورقة سياسية تتلاعب بها القوى غير الشرعية. والكلام عن «الفدرالية والمجتمعات التعددية»^(٣) في لبنان، كان ينشط مع التقدم في النشاط السياسي بشأن إعادة المهاجرين. وتعتبر قضية المهاجرين القضية المفصلية في هذا المجال، إذ إنها تسقط

(*) لقد أحصينا على سبيل المثال ٧١٩ حزاً سياسياً وجمعية في لبنان بين ١٩٢٦ - ١٩٧٢، ولا نعرف عدد الجمعيات والأحزاب التي رُخص لها بعد هذا التاريخ، عدد كبير منها كان يتعاطى الشؤون الاجتماعية وعلى علاقة بالمؤسسات الدولية. راجع دراسات لبنانية، مركز النشر اللبناني، وزارة الاعلام، ١٩٧٩، وهو عدد يتضمن لائحة بالأحزاب السياسية والجمعيات في لبنان.

وكذلك أحصينا ١٠٨ هيئات لبنانية سياسية ومدنية تتعاطى الشأن العام، وعرضنا هذا الأمر بأن كل هيئة تستذكر حدث ما أو تدينه أو تشارك في مناسبات وطنية وقومية. وقد أخذنا حدثاً مهماً يستقطب معظم الهيئات وهو استشهاد الرائد باسل الأسد، وراجعنا صحفة الديار من ٢٢ - ١ - ١٩٩٤ حتى ٢٩ - ١ - ١٩٩٤ فوصلنا إلى هذا العدد المذكور من الأحزاب والهيئات.

(2) «ملف الهجرة في لبنان»، إعداد طلاب السنة الرابعة في كلية الاعلام والتوثيق، الفرع الثاني ١٩٨٩ - ١٩٩٠. و «هيدي الحرب»، إعداد طلاب ١٩٨٨ - ١٩٨٩، بإشراف الدكتور ملحم شاول وفهمي ٩٢ مقابلة مع مهجرين في مناطق ومناطق مختلفة وتحمل دلالات وادانات كبيرة لتعامل الهيئات المدنية والحزبية مع المهاجرين من النواحي الاجتماعية والمادية.

(3) د. سليمان عصام «الفدرالية والمجتمعات التعددية في لبنان»، دار العلم للملاتين، بيروت، ١٩٩١.

مستلزمات أو شروط «المجتمعات الذاتية» التي كانت تُروج لها بعض الفئات السياسية، وهي فئات لا تندمج إلى أن تتوحد كطاقة عسكرية، في أو مع سواها في طاقات مجتمعها العسكري القانونية في منطقتها «الحررة»، ولا أن يندمج أو يتوحد سواها من هذه الطاقات فيها أو معها...»^(٤). مقابل هذا الكلام، كان هناك ذاتية المجتمعات التي انتصرت إلى إدارة شؤونها مع انكفاء الدولة القسري. فقد وُجدت «الادارات المدنية مثلاً بهدف المشاركة الوطنية ولتنبغي، مهما كانت الظروف المحيطة بالأزمة اللبنانية سلماً أو حرباً...»^(٥).

وقد سهل ضعف الدولة القسري سياقات التفجر السياسي للمجتمع اللبناني القابل للتناقض أصلاً بسبب «التوازنات التقليدية التي كانت ترتكز على منطق الاقتسام في إدارة البلاد بين مختلف الطوائف والفئات». وصار الكلام عن النزاعات الطائفية والسياسية والاجتماعية بما فيها التحولات الديمغرافية، يرتبط بصلابة الداخل اللبناني مقابل التدخلات العسكرية الإسرائيلي المتعددة في لبنان، وفتح جبهات مباشرة ضاغطة وهادفة دوماً إلى المجابهات اللبنانية. لذا «لا يمكن لأي تحليل للحرب اللبنانية إلا وأن يتعقب في الخلاف الجوهرى المرتبط بموقع لبنان في النزاع العربي الإسرائيلي...»^(٦).

إن النظرة إلى المهجرين كورقة في الفرز السكاني الجديد، كانت «تصر» على ترسیخ المهجرين حيث هم. وقد تعددت على ضوئها المشاريع والمفترضات في خصوص مستقبل لبنان، سواء على صعيد المساحة الجغرافية أو التركيبة الديمغرافية، أو نظام الحكم ونوعه ومشاريع^(٧) إعادة النظر فيه.

٣ - كانت قضية المهجرين في وجهة النظر الثالثة، وتعني الدولة، ترتفع فوق الورقة والملف فتضاهي قضية الوطن بل تتجاوزه أحياناً كثيرة، تشكل الحلقة المفصلية في مصير لبنان، إذ أن عودة المهجرين تعنى عودة الوطن في تضامن اللبنانيين «وبهدف العيش المشترك الواحد، نظراً لما يرتبط بهذه القضية من مشاكل اجتماعية واقتصادية لا بدّ من تخطيها لتصبح العودة حقيقة ويصبح

(٤) راجع نص مشروع القوات اللبنانية: «القدرة والمجتمع الذاتي»، السفير، السبت، ١/٦/١٩٩٠، ص ٢.

(٥) «الادارة المدنية في الجبل، التجربة المهمات والأفاق»، الدار التقدمية، ١٩٩٠، وهو كتاب يجمع وقائع الندوة الدراسية التي أقيمت في بيت الدين في ١٤/١٠/١٩٨٩، ص ٩.

(٦) نصر سليم ودوبار كلود، «الطبقات الاجتماعية في لبنان»، مؤسسة الأبحاث العربية، تعریف جورج أبي صالح، بيروت، ١٩٨٢، ص ٣٦٥.

(٧) راجع مشاريع التقسيم التي طرحت للبنان في النهار العربي والدولي، الاثنين ٩ الأحد ١٥ كانون الثاني / يناير ١٩٨٤، عدد ٣٤٩، ص ١٠.

لبنان حقيقة وطنًا كائناً موحداً لا كيانات متشرذمة...»^(٨). وكيف نكشح الخطابية نتساءل: ماذا نعني بالدولة هنا؟ ولماذا الكلام في العيش المشترك؟.

يفترض القول أن الدولة، في هذا الإطار، تعني اللبنانيين الذين تلقوا الحرب ولم يشاركو فيها، واستمروا على قناعة أو في اجتهداد فكري وحواري «حول إعادة اللحمة والوفاق للشعب الواحد.. في ظل وطن قوي وعادل.. مع ايجاد حلول سريعة للمهجرين في وطنهم...»^(٩).

ويرى اللبنانيون المتلقون في هذا الإطار، وهم الأغلبية «أن من الواجب أن نخلع من قواميسنا السياسية كلمات مثل التعايش، والعيش المشترك، والعيش الواحد، والعيش، تدليلاً على الجوامع لا القواسم المشتركة في ما بينهم»^(١٠)، فالصفات تؤشر إلى السلبيات في نسيج المجتمع اللبناني المحتاج إلى الوحدة الصلبة. هذه الرؤى الثلاث التي فصلناها، رغم تشابكاتها وتعقيداتها تسهيلاً للبحث، تدفعنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة:

ما هو تاريخ التهجير في لبنان؟ بل ما هي الظروف والأسباب الفعلية للتهجير؟.

وهل صحيح أن التهجير ظاهرة يتسم بها المجتمع اللبناني منذ نشأته؟ ما علاقة التهجير بالطائفية والتوازن بين الطوائف؟ وما هي المحطات الأساسية التي شكلت ظاهرة التهجير منذ اندلاع الحرب اللبنانية العام ١٩٧٥.

ما هي أنواع التهجير وكم هو عدد المهجرين وكيف كانوا يتوزعون؟ وما هي ملامح خرائط التهجير الأخيرة؟.

ما هي نتائج التهجير على المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والجغرافية.. والتربوية؟.

ما هي المشاريع التي وضعت بهدف عودة المهجرين؟ بل ما هي أهم المبادرات والتسويات التي بُوشر بإعدادها لحل قضية المهجرين، ولماذا كانت في مجلملها تبوء بالفشل؟.

ما هي الظروف المحلية والإقليمية والدولية التي ساهمت في ملف المهجرين من حيث التعجيل في حلّه؟.

(٨) «عودة الوطن بعودة مهجريه»، مجلة الحوار، حزيران / يونيو، ١٩٩٣، ص ٢٢٨.

(٩) قصيفي جورج، «مدخل إلى دراسة الهجرة القسرية والخارجية في لبنان خلال ١٩٧٥ - ١٩٩١»، مجلة المستقبل العربي، عدد ١٦٨، ١٩٩٣، بيروت، ص ٤٨.

(١٠) كتاب «واقع المؤتمر الوطني للمهجرين»، الجمعة ١٩ - الأحد ٢٨ حزيران - يونيو ١٩٩٢، الجلسة الأولى، من مداخلة نسيم الخوري، ص ٧، محفوظات وزارة المهجرين.

ما هو دور اتفاق الطائف في هذا المجال؟ وماذا عن ظروف العودة؟ وما هو الدور الذي رسمته وزارة المهاجرين؟.

ما هي الأبعاد الفعلية لخطوة انتشار الجيش كمبادرة ميدانية في حسم قرار عودة المهاجرين؟.

ما هي النتائج الإيجابية المنتظرة من هذه الخطوة؟.

كيف السبيل إلى تحصين العودة التي باشر الجيش بتنفيذها وفقاً لقوله «أن الجيش هو ضمان العودة وممنوع التعدي أو التحدي... وأن العودة عملية انصهار وطني متآخ ضمن ضوابط أمنية ملزمة للجميع وقادرة على كل الاحتمالات...»؟⁽¹¹⁾.

قبل الإجابة على هذه الأسئلة وأسئلة أخرى كثيرة من هذا النوع نباشر إلى وضع الملاحظات المنهجية التالية:

١ - يصعب الركون إلى المكتبة الخاصة بالحرب اللبنانية والتي وصلت حتى العام ١٩٨٥، أي خلال عشر سنوات، إلى ١١٨٩ كتاباً «تؤلف شهادات تجمع خليطاً غير منتظم، هو أشبه بمنجم تستخرج منه حقائق وأكاذيب معاً... والعبء ثقيل على المؤرخين في أن يستخلصوا من جميع تلك الوثائق المهمة المشوهة آثاراً منصفة وكاملة تشهد للأجيال القادمة، في وقت تكون فيه الأهواء قد هدأت تماماً. وحيثئذٍ فقط تتصفهم تلك الأجيال وتجلّهم...»⁽¹²⁾.

لقد بدأ مجمل النصوص التي اطلعنا عليها بحثاً عمّا يتعلق بموضوع المهاجرين الذي لم يأت إلا بتفاً، خطابية، متحيزة، والتاقضيات كبيرة حتى في الكتب التي جاءت باللغات الأجنبية كالفرنسية مثلاً؛ بدأ محكمة باليدان وباسقاطات(*) صارخة لا تخدم الباحث. ولهذا السبب، ستكون الحرب في لبنان

(11) راجع حديث الشهر لقائد الجيش العماد إميل لحود بعنوان «عودة المهاجرين واجب وطني وليس منته من أحد..»، مجلة الجيش، العدد ٩، أيام، ١٩٩٤، ص ٦.

(12) نعمان عبدالله، «الحرب اللبنانية ١٩٧٥ - ١٩٨٥»، دار نuman للثقافة، ١٩٨٥. وهو دراسة بيبلوغرافية اشتملت على نحو ٢٠٠ عنوان في «الحرب في لبنان» وشملت توسيقاً أساسياً في عشر لغات: العربية، والفرنسية، والإنكليزية، والعبرية، والسويدية، والإيطالية، والألمانية، والاسبانية، والبرتغالية، واليابانية، وهذا الرقم غير كامل، بالطبع، لأمرين:

١ - لأن كتاباً آخرى كثيرة صدرت بعد هذا التاريخ ولم يصدر الجزء الثاني من كتاب عبدالله نعمان.
ب - لأن كتاباً آخرى كثيرة صدرت في لغات أخرى كثيرة لم يرصدها الباحث.

(*) الاسقاط بمعنى projection، ويعني أن يسقط الكاتب بشكل لا واع فهو واع وواقعه في الكتابة، على اعتبار أن الكتابة بالمعنى الموضوعي المطلق، وخصوصاً في العلوم الإنسانية، نادرة الوجود. وهو تعير يستعمله علماء النفس التحليليون للتعرف إلى الشخصية من خلال النص. وبمعنى الاشارة إلى عناوين بعض الكتب للتدليل على هذا الاسقاط الذي لم يعد لا واعياً في مجمله بل صار الكتاب أدلة حرب:

هذاً ثانوياً لبحثنا. فنصوص الحرب كثيرة بين أيدينا وهي «عدة» متأهبة للقتال، ونصوص السلام قليلة (يمكن أن تمثل هذه الظاهرة ميدان بحث منفصل حول أثر الكتابة والاعلام عامة على الحروب).

٢ - إن الكتب التي تتناول موضوع التهجير تكاد تكون نادرة بالمعنى الموضوعي. لكن الكتابات الصحفية هائلة، إلا أنها سريعة ومبسطة في مضامينها.

وقد تندد الدراسات الميدانية الجدية التي يفترض العودة إليها في البحث عن الأرقام والاحصاءات والتي تتناقض في عشوائية غريبة بين أيدي الباحث. والسبب لا يعود دوماً إلى عدم جدية الأبحاث بل إلى تداخل التهجير بالهجرة، وتراكم ملف المهرجين، وتبدل سكنهم وظروفهم، ولصعوبة الاتصال بهم من منطقة إلى أخرى لظروف أمنية أو لواقف رفضية منهم.

وبقيت المحاولات الفردية مبتورة حتى انشاء وزارة المهرجين، التي، رغم الدراسات المهمة التي قامت بها، لم تحظى، بالطبع، بكل التفاصيل والأرقام الضرورية لهذا الملف الضخم، وهذا ما سنشير إليه لاحقاً^(١٣).

٣ - تكاد تجمع الأطراف أن العام ١٩٧٥ هو عام التهجير الأول، وهو العام الذي نشب فيه الحرب في لبنان، بدون اتفاق نهائي بين الأطراف على تاريخ محدد لنشوب هذه الحرب التي انطلقت شراراتها الأولى في ١٣ نيسان ١٩٧٥ كما هو معروف.

وإذا كانت الخلافات في وجهات النظر سياسية، فإن هذه الحرب ١٩٧٥ - ١٩٧٦ قد شكلت منعطفاً في تاريخ لبنان المعاصر لعنف المواجهات المسلحة، وتجدد التناقضات المترامية على كل الصعد. ولقد غطت جغرافية المعارك في المدن والأرياف مختلف المجالات الطائفية... أما المناطق المختلطة فقد قاومت الاستقطاب

- PERONCEL-HUGOZ jean pierre; «une croix sur le Liban», Lieu commun, paris, 1984.

- RANDAL j.; «La guerre de mille ans», Grosset, paris, 1983.

- مفرج طوني «حرب الردة»، دار الجريدة، بيروت، ١٩٧٩.

- مطر فؤاد، «سقوط الامبراطورية اللبنانيّة»، ٥ أجزاء، دار القضايا، ١٩٧٦.

- BAUDIS Dominique; La passion des chrétiens au Liban, France-Empire, paris, 1979.

- BENASSAR; «Anatomie d'une guerre et d'une occupation», Galilée, paris. 1978.

- علوش ناجي، «في الحرب الأهلية اللبنانيّة»، بيروت، ١٩٧٦.

ونعترف للفارق، مكتفين بهذا القدر، أننا نخجل من إيراد عدد من عناوين الكتب ومن الكتب التي لاأسماء مؤلفيها وهي ظاهرة واضحة في هذه البيبليوغرافيا. ونعتبر أن بحثاً منفصلاً كاطروحة دكتوراه يفترض أن يكتب يوماً حول دور الكتاب في الحرب اللبنانيّة أو النص وال الحرب.

(١٣) تم اقرار مجلس وطني يدير وزارة المهرجين مع صندوق للتمويل مرتبط برئيس مجلس الوزراء مباشرة في ٢٢/١٢/١٩٩٢، راجع النصوص في صحف ٢٣/١٢/١٩٩٢. وكانت جريدة النهار قد نشرتها في ٤/١٢/١٩٩٢.

الجغرافي الشديد الذي حصل ميدانياً، وكانت نادرة جداً حيث انقسمت ضواحي بيروت إلى أحياط ومناطق متنازعة تتبدل الحصار وتتجابه بتساوٍ..^(١٤).

وما من شك في أن هذه الحرب قد اتسمت في بعض مراحلها بحدة الطابع الطائفي، وحصول اعتداءات وتهجير ما بين الطوائف، غير أن هذا التهجير في أبعاده الداخلية له أسبابه الخارجية أيضاً التي تفاعلت وشكلت الحرب التي اتخذت صفة «الأهلية» العام ١٩٧٥. ويضاف إلى التهجير الحاصل بين الطوائف المتنابدة سلسلة تهجير ضمن الطائفية والمذهب الواحد. فقد هجر المسيحيون بعضهم البعض، كما هجر المسلمون أيضاً بعضهم البعض خصوصاً العام ١٩٩٠ (حروب «الإلغاء» في المناطق الشرقية، وفق تسمية القوات اللبنانية). وقد تداخل التهجير أحياناً ذو الصفة الطائفية مع التهجير السياسي والذي انحصر عموماً ضمن الطائفية الواحدة في صراع على النفوذ، وهناك من نزح بداعف الهرب من مخاطر الحروب والتوترات الأمنية.

ويمكن القول أن الطائفية كانت في أساس التهجير «والأكثرية الساحقة.. تعرّضت لما تعرّضت له على أساس هويتها الطائفية، لا بناءً على معايير الأراء السياسية أو الانتماءات الاجتماعية...»^(١٥). ويصح القول أن الحرب الأهلية قد اتخذت كل أشكال الحرب الطائفية...»^(١٥).

وقد لا تسمح لنا منهجية البحث بالتطرق إلى إشكاليات الحروب اللبنانية بأكثر من هذا التعميم الأقرب إلى الواقع في ما يتعلق بالارتباط بين الحرب والتهجير.

٤ - إذا كانت الطائفية الملحم الأساسية للحرب في وظيفتها التهجيرية، فإن التهجير خاضع لتضارب وتناقض في التفسير والمعلومات. فمن هو المهجّر؟ هل هو من ترك مقر سكنه الأصلي لأسباب أمنية ولو لمرة واحدة ولو قت زمني محدد؟ أو لأوقات متعددة وفترات زمنية متعددة، مثل أهالي الجنوب؟ أم أن المهجّر هو الذي ترك مقره ولا يستطيع العودة إليه بسبب تهديم منزله أو رفضه العودة أو اندماجه في مجتمعه الجديد؟

هناك من يرى أن التعريف السائد للمهجّر هو ذلك «الشخص أو المؤسسة الذي اضطر إلى الانتقال من مكانه الطبيعي لمکوث في مكان آخر تحت تأثير ظروف قسرية...»^(١٦). وهذا تعريف لا يبيّن إمكانية تردي الأوضاع الأمنية في منطقته

(١٤) نصر سليم ودوبار كلود، المرجع نفسه. ص ٣٦١.

(١٥) المرجع السابق، ص ٣٦١ - ٣٦٢.

(١٦) مجلة الحوار، المرجع نفسه.

«الجديدة» مما اضطره إلى العودة أو القيام بهجرة ثانية وثالثة أو أكثر.

وهناك من يرى أن «الأسرة المهجّرة هي التي فقدت مسكنها لأسباب أمنية أو اضطهاد سياسي أو طائفي، وأُجبرت على مغادرته خلال أعوام الحرب، بدون أن تتمكن من، أو يسمح لها بالعودة»^(١٧)، وهذا تعريف ينطبق عليه ما لاحظناه بالنسبة إلى التعريف الأول، بالإضافة إلى أنه لا يبيّن طائفة المهجّر. فقد يكون المهجّرون من طوائف مختلفة أو من طائفة واحدة.

بهذا المعنى، تبدو صعوبة الوثوق بإمكانية الوصول إلى أرقام وثوابت نهائية في ملف متحرك طيلة عشرين عاماً، وهذه إشكالية مهمة يفترضأخذها في الاعتبار عند قراءة وثائق التهجير المثبتة أو الكتابة في هذا الموضوع.

غير أن هذا الملف المتحرك في الحروب ليس ثابتاً في السلام، لأن علاقة عضوية بين لبنان والهجرة رافقته عبر العصور. وقد «شكلت هذه الهجرة ظاهرة اتسّم بها المجتمع اللبناني، وهي موسمية أو ظرفية، أو دائمة. وقد تكون لمدة زمنية قصيرة أو طويلة، وقد تتجه من القرية إلى المدينة أو من المدينة إلى الضواحي، أو بالعكس...»^(١٨). وقد أصبح لبنان من البلدان النادرة التي يساوي عدد المهاجرين منها عدد المقيمين فيها»^(١٩). وقد ارتبط لبنان في وجوده مصرياً بذلك النزف البشري الذي لم يتوقف منذ الفينيقيين. إذ أصبحت الهجرة رئة يتنفس عبرها الوطن... ومهنة يتوارثها الأبناء عن الآباء...^(٢٠).

وإذا كانت هذه الأنواع من الهجرات في مدلولها الحضاري مرتبطة بتغيير مكان العمل، أو الدراسة والالتحاق بالجامعات، أو الزواج، أو تحسين المسكن، فإن الأسباب الأمنية لم تكن تعني التهديد المباشر بقدر ما تعني الشعور بالخوف للسكن في مناطق مختلطة أو وقوع المساكن في مناطق مهددة. وهنا لا بد من دراسة التربية وهو الملف الأساسي في مجال المشاعر والقناعات المكتوبة التي تفرض نفسها في خطاب اللبناني، بمعنى حديثه المزدوج الانتقام والمحكوم بالجغرافيا في معظم الأحيان، كما لا بد من الإشارة إلى سيكلولوجية الجماعة التي كانت تحكم أبناء الطائفة الواحدة في المنطقة المعينة، من حيث بقائهما أو تحركها نحو منطقة من لون طائفتها. وهنا يصبح الكلام عن القيادات الوطنية المسيحية التي لم تغادر مناطق سكنها مثلاً في المناطق «الغربية» المختلطة رغم الظروف

(١٧) قصيفي جورج، المرجع نفسه.

(١٨) د. الآثار أسعد، «الهجرة»، مجلة الطريق، العدد الثاني، ١٩٧٩، ص ٤٥ و ٥٠.

(١٩) «المهجّرون»، اللجنة الوطنية المركزية للمهجرين، تقديم فؤاد شبلقى، من دون ذكر اسم المؤلف أو دار النشر أو مكانه أو تاريخه. ص ٧١.

(٢٠) المرجع السابق.

الصعبه والتهديدات التي تعرضت لها، وكان يكفي أن يترك «زعيم» ما منطقته أو يلوّح بإشاعة عن مغادرته حتى يفعل الخوف الجماعي اللاشعوري فعله في أبناء الطائفة التي يتتمى إليها هذا «الزعيم».

يمكن القول على ضوء ما تقدم أنه رغم المدلول «الحضاري» الذي اتسمت به الهجرة من لبنان، فإن الخط العريض لهذا النزف البشري هو أقرب إلى التهجير منه إلى الهجرة، يبدأ في مشاعر خاصة في أيام السلم ويحدث فيقوى في أيام الحرب واحتدام المعارك. وهنا نشير إلى شريحتين واسعتين من التهجير:

- التهجير الإفرادي الناتج عن الاحتراز الأمني الاختياري، أو الناتج عن تهديد مباشر أو غير مباشر أو اعتداء على أملاك أو شخص.

- التهجير الجماعي الناتج عن موجة تهجير عامة بدون مواجهات دموية بين أبناء المدينة أو البلديات، أو الناتج عن مواجهات داخلية أو مع الجوار.

محطات التهجير

يصعب الكلام عن الحرب في هذين النوعين من التهجير كملف شامل. بل يرمي الكلام عن المحطات إلى تحديد أبرز التواريخ والأحداث والواقف السياسية والعسكرية التي أدت إلى موجات عنف كبيرة يمكن أن يلحظها الباحث في أطلس التهجير في لبنان^(٢١). وهذا يعني رسم الإطار العام لعمليات التهجير بدون اغفال أو تناسي الأحداث الصغيرة المتكررة التي دفعت أيضاً إلى التهجير.

ويمكنا أن ندرج تحت هذا العنوان المحطات الرئيسية التالية^(٢٢):

١ - حرب الستين، ١٩٦٧ - ١٩٧٥، وهي حافلة بالهجرات القسرية

٢ - الغزو الإسرائيلي لجنوب لبنان في آذار/مارس ١٩٧٨ (نزوح جماعي)،

(٢١) راجع في ختام هذه الدراسة أطلس التهجير في لبنان ١ و ٢. وتم نقلهما من ملف اقتصادي يعنوان «أعادة إعمار القرى المهرجة»، أعده الطلاب مهى نخلة، تريز منصور، وليد أبو رزق، في السنة الرابعة، صحفة ووكالات أبناء، كلية الإعلام والتوثيق II - الجامعة اللبنانية، بشرف الدكتور انطوان متى.

ويراجع كذلك للمزيد من المعلومات حول أهم تحركات المهجرين في بيروت الكبرى، وتوزع السكان في جبل لبنان قبل الحرب من الزاوية الطائفية وحركة نزوحهم، وكذلك تحركات النزوح والعودة في الجنوب بالإضافة إلى الهجرة والتهجير في منطقة سهل البقاع. كتاب: LABAKI Boutros et ABOU RJEILY Khalil; «Bilan des guerres du Liban, 1975-1990», Harmattan, paris 1993. p. 54-63-72 et 79.

(٢٢) مجلد حرب الستين - جريدة النهار، وقد اعتمدنا في إثبات التواريخ وضبطها بدون التطرق إلى وقائعها العسكرية ونتائجها التدميرية على مجلة «حاليات» من العدد الأول آذار ١٩٧٧ حتى عددها الأخير ٤٨ خريف ١٩٨٧.

والذى صدر على أثره القرار رقم ٤٢٥ الذي يُعتبر مادة المفاوضات بين لبنان وإسرائيل^(٢٣). وأحداث الشمال في حزيران / يونيو ١٩٧٨.

٣ - الاحتلال الإسرائيلي الذي تخطى الجنوب بدءاً من حزيران / يونيو ١٩٨٢ وأدى إلى هجرات جماعية من بيروت «الغربية» والضاحية، وحاصرهما ليجتاح العاصمة.

٤ - حرب الجبل، وهي الأحداث التي بلغت ذروتها في أيلول (٩ / ١٤) ١٩٨٣ وعممت مناطق الشوف وعاليه وبعبدا والمن، وأدت إلى هجرات قسرية كبيرة، وتعتبر من أهم المحطات في خريطة التهجير، وتسمى أيضاً أحداث الشّحار الغربي.

٥ - موجة شتاء ١٩٨٤، وعرفت تهجيراً جماعياً واسعاً من مناطق الضاحية الجنوبية ورأس النبع.

٦ - أحداث شرقي صيدا في ٢٦ نيسان / أبريل ١٩٨٥، وطاولت قرى صيدا وساحل جزين، ثم في ٢٨ نيسان / أبريل من العام نفسه في إقليم الخروب حيث طالت الأحداث ما تبقى من قرى الشوف.

٧ - حرب الضاحية، وهي الأحداث التي امتدت من ٦ شباط / فبراير ١٩٨٤ حتى ١٩٨٨. وشملت مناطق الضاحية الجنوبية وغربي بيروت.

٨ - حروب المخيمات، وهي الأحداث التي نشبت في نيسان / أبريل ١٩٨٦ بين بعض الفصائل الفلسطينية، من جهة، وحركة «أمل» وحلفائها، من جهة أخرى.

(٢٣) قد يكون من المفيد للقارئ إثبات نص هذا القرار هنا بدون الديباجة كونه يشكل مادة وموضوع الاهتمام فقد نصَّ على أن مجلس الأمن:

١ - يطلب أن تُحترم بدقة وحدة وسلامة أراضي لبنان وسيادته واستقلاله السياسي داخل حدوده المعترف بها دولياً.

٢ - يطلب من إسرائيل أن تكتفَ فوراً عن عملها العسكري ضد وحدة وسلامة أراضي لبنان، وأن تسحب بدون ابطاء قواتها من كل الأرضي اللبناني.

٣ - يقرر في ضوء طلب الحكومة اللبنانية أن يقيم فوراً تحت سلطته قوة مؤقتة تابعة للأمم المتحدة لجنوب لبنان، من أجل تأكيد انسحاب القوات الإسرائيلية، وتنشيط السلام والأمن الدوليين، ومساعدة حكومة لبنان على تأمين عودة سلطتها في المنطقة، على أن تتألف هذه القوة من عناصر توفرها الدول الأعضاء في الأمم المتحدة.

٤ - يطلب من الأمين العام أن يبلغ خلال ٢٤ ساعة تقريراً عن تنفيذ هذا القرار.

راجع دراسة هذا القرار وابعاده والتواصص الكامنة فيه في:
سليم محسن، «القرار ٤٢٥ وقوات حفظ السلام الدولية في لبنان»، منشورات المؤسسة العربية للنشر والتوزيع والابحاث القانونية، من دون تاريخ أو مركز النشر.
وأيضاً:

GENNAOUI Josette; «Le liban sud», les cahiers de l'association France nouveau Liban n°2, Editions du pylone, paris, 1978.

٩ - «حرب التحرير» التي بدأت في آذار / مارس ١٩٨٩، وأدت إلى موجات تهجير ونزوح كبيرة للسكان المقيمين في غربي بيروت.

١٠ - «حرب الإلغاء» التي بدأت في شباط / فبراير ١٩٩٠، وأدت إلى تهجير واسع النطاق للسكان المقيمين في شرقي العاصمة^(*).

١١ - التهجير الجنوبي ويشمل منذ العام ١٩٦٨، نتائج الاعتداءات الإسرائيلية التي ما تزال مستمرة على الجنوب والبقاع الغربي، يضاف إلى ما يتصل بهذه الأحداث من صراعات محلية بين القوى والأحزاب في الجنوب وفي «الشريط الحدودي» المحتل.

وتُعتبر هذه المحطة من أشد المحطات في نزف اللبنانيين وتهجيرهم^(٢٤)، وخلق خلل في المجال الديمغرافي، والحد من إمكانية إيجاد الحلول الجذرية لعدد كبير من المشكلات اللبنانية المرتبطة بالسكان.

١٢ - وإذا كان التهجير الجنوبي هو غلاف هذا الملف الواسع، حيث يسبق تاريخ الحروب اللبنانية في الزمان والمكان، ويتجاوزها، فإن المحطة الأخيرة تمثل المارك العسكرية الشاملة التي تملأ «الفراغات» بين هذه المحطات - ١١ بكل ما تحمله من أثقال. فيكتمل بذلك عقد الحروب اللبنانية المتنقلة خلال هذه السنين الطويلة.

(*) تعتبر هذه الحرب، بالرغم من شراستها ونتائجها الخطيرة من حيث الدمار والخراب والقتل الذي أصاب المناطق الشرقية من بيروت، من المحطات المهمة والأساسية في كسر الحدود «النفسية» بين الجزء والبقاع اللبنانيتين التي انعزلت عن بعضها البعض أكثر من خمسة عشر عاماً حتى ذلك التاريخ (١٩٩٠)، وقد اختلط الناس بمختلف طوائفهم واظهروا في تعاملهم مستوىً أسقط صفة الأهلية عن الحروب التي دارت في لبنان. فقد نزحت موجات الأهالي من شرقي بيروت إلى مختلف المناطق اللبنانية الأخرى، وسرعان ما سقطت تلك الأطنان والتواريخ من الأوهام والرغبات التقسيمية التي كان يُشحّن بها الناس أثناء الحروب، وأثبتت اللبنانيون في هجراتهم القسرية هذه أنهم أقوى من الحروب.

ويذكر أن السيد حسين الحسيني، وقد كان رئيساً لمجلس النواب واشتهر عنه بأنه «عرب الطائف»، كان قد دعا إلى اجتماع عمل وغداء في منزله في عين التينة (بيروت)، في ٢ شباط فبراير ١٩٩٠، حضره عدد من السياسيين والمفكرين والأساتذة الجامعيين بينهم كاتب هذا البحث، وكان الهدف من هذا الاجتماع إيجاد الأجوبة على السؤال التالي: كيف إلى افتتاح المناطق اللبنانية، وخاصة غربي بيروت وشقيقها على بعضها البعض؟ واقصص الحسيني في ذلك التاريخ أن أشد وأخطر ما يعاني منه اتفاق اللبنانيين هوبقاء هذا الوفاق (الطائف) نظرياً ومحدوداً. وطلب من الحاضرين التفكير بهذه الإشكالية لوضع حلول عملية لها. ولم يعقب هذا الاجتماع اجتماع آخر للمهدى نفسه بسبب اندلاع الحرب التي سميت بـ«حرب التحرير» وجاءت بعدها الحرب بين الجيش اللبناني والقوات اللبنانية (حرب الإلغاء) واحتلّت اللبنانيون وكان حرباً لم تكن ومن مختلف الطوائف أو أنهم غير معنّين بحروب التحرير والإلغاء التي أدانوها واجتمعوا على عدم جدواها.

(٢٤) «الجنوب اللبناني ١٩٤٨ - ١٩٨٦ حقائق وأرقام». منشورات وزارة الإعلام، مديرية الدراسات والنشرات اللبنانية: من دون تاريخ.

تحت هذه المحنات التي اختصرنا فيها ملف الحرب، يبرز حجم الكارثة البشرية التي حصّدت الآلاف وهدمت حضارة، وخرّبت بـلداً من بلدان المتوسط الراقيّة. وتتناقض الأرقام في هذا المجال، فبينما نرى مثلاً أن «مسلسل العنف في لبنان بالترافق بالقذائف المدفعية والمصاروخية، ثم التحول إلى القصف العشوائي والتصفيات الطائفية والاغتيالات قد حصّد ١٤٤٢٤٠ قتيلاً و١٨٤٠٥١ جريحاً و١٧٤١٥ مفقوداً و١٣٩٦٨ مخطوفاً و١٣٤٥٥ معاشاً، بين ١٣ نيسان/أبريل ١٩٧٥ وأواخر ١٩٩١، وهي أرقام لا يدخل فيها عدد القتلى الذين سقطوا في المخيمات الفلسطينية... ولا تدخل فيها الغارات الإسرائيليّة على المخيمات الفلسطينيّة ولا غارات الطيران العربيّ الفرنسي على موقع حركة «أمل الإسلاميّة»، و«الحرس الثوري الإيراني» في بوداً في البقاع وغيرها... ولا ما حصّدته أعمال تفجير ٣٦٤١ سيارة: ٣٤٨٦ قتيلاً و٦٧٨٤ جريحاً... إلخ»^(٢٥)، نرى، من ناحية أخرى، وفي دراسة شاملة صدرت باللغة الفرنسية، أن نتائج الحروب اللبنانيّة جاءت على الشكل التالي: ٧١٣٢٨ قتيلاً، أي ٢,٧ بالمئة من اللبنانيّين، و٩٧١٤٤ جريحاً، أي ٤ بالمئة، و٩٦٢٧ معاضاً، أي نسبة ٠,٣٦،^(٢٦) من اللبنانيّين، و١٩٨٦٠ مخطوفاً، أي نسبة ٠,٧٥،^(٢٧) «بالمئة منهم...»، بينما نرى، من ناحية ثالثة، أن الحروب قد تسّبّبت «بمقتل مئة وخمسة وعشرين ألف شخص...»^(٢٨).

مهما اختلفت هذه الأرقام التي يصعب ضبطها، كما أشرنا سابقاً، يفترض لتبیان الثقل الديمغرافي لهذه المحنات في أبعادها التهجرية، والتغيرات الكبّرى الحاصلة، إعادة قراءة للأماكن التي سلكتها قوافل المهاجرين^(٢٩)، وتعين المجالات الريفية والمدينيّة التي تحركت فيها بحيث «لم تشهد دولة صغيرة المساحة كلبنان، ما شهدته الأراضي اللبنانيّة من عنفٍ واقتتال وتشريد متواصل للسكان... وبهذا

(٢٥) النهار، الخميس ٥ آذار - مارس، ١٩٩٢، «١٦ سنة ملعونة من عمر لبنان». LABAKI Boutros..., op cit, p. 211.

(٢٦) قصيفي جورج، المرجع نفسه، ص ٤٨.
(٢٧) لمزيد من المعلومات حول الإطار الجغرافي للمهاجرات القسرية في لبنان

يراجع: د. فاعور علي، «تهجير السكان واستنزاف الموارد البشرية في لبنان»، دراسة قدمت في الندوة التي نظمتها الجمعية اللبنانيّة للسلم الأهلي الدائم في لبنان حول «كلفة النزاعات الداخليّة في لبنان»، قيرص، أيلانيا ٧ - ١٢ تموز - يوليو ١٩٨٧.

وكذلك كتاب «جغرافية التهجير»، الصادر عن المؤسسة الجغرافية، ويعتبر من أبلغ المراجع في البحث عن ارتباط المهاجرين بالجغرافية وقد يكون من اندرها ٣٥٢ صفحة). وقد صدر له مؤلف آخر في العام نفسه مكملاً لهذا الملف، بحث فيه التزف اللبناني خارج حدود الوطن اللبناني، وهو كتابة عن دراسة ميدانية للمهاجرين اللبنانيّة في ٢٤٠ صفحة وعنوانها: «الهجرة للبحث عن وطن»، المؤسسة الجغرافية أيضاً.

ويراجع أيضاً أطلس التهجير في آخر دراستنا هذه.

المعنى فالخريطة السكانية التي تتضمن توزيعات المهجرين تعتبر وثيقة اجتماعية تساعده في تحديد أكلاف الحرب على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي...»^(٢٩).

وقد شملت عمليات التهجير بالمعنى الجغرافي «١٩٦٢ قرية وبلدة متوزعة على المناطق اللبنانية كافة... بالإضافة إلى بيروت الكبرى، وهؤلاء المهجرون موزعون على مختلف الطوائف اللبنانية خصوصاً الموارنة والمسلمون الشيعة والدروز...»^(٣٠).

حجم الهجرة

ما هي الترجمة العملية لهذه المخططات والوثائق والأحداث من حيث اعداد المهجرين؟

يصعب الجواب الدقيق أيضاً، والسبب تضارب الأرقام التقديرية الخاصة بهذا الموضوع من باحث إلى آخر:

١ - هناك من يعتقد هذه التقديرات، فيعتبر أنها بلغت في بعض الأحيان أرقاماً خيالية يصعب تصديقها... لكنه يبدو الأكثر مبالغة في الدراسة نفسها، إذ يرى أن الحرب قد تسببت بتهجير ثلاثة أرباع المليون من السكان... وترافق ذلك مع هجرة خارجية كثيفة ناهزت المليون مهاجر، وذلك خلال الفترة ١٩٧٥ - ١٩٩١.^(٣١)

٢ - هناك من يرى أن عدد الأسر المهاجرة ١٢٥٣٦٠ أسرة، وعدد المهجرين ٦٨٠٩٨٠ نسمة، مقابل ٦٦٧٨٦٠ عدد الأسر المقيمة من السكان البالغ عددهم ٣٠٦١٠٠ نسمة^(٣٢).

٣ - ذكرت دراسة ثالثة أن كثافة موجة التهجير وما أعقبها، ربما هي الأكبر في تاريخ لبنان، كونها «شملت، بشكل عام، أكثر من مليون ونصف المليون ساكن، اضطروا لاخفاء مساكنهم على فترات متقطعة والعودة إليها ثم الهجرة من جديد، ثم العودة... بحيث تحول السكان إلى ما يشبه «الطيور المهاجرة». فهناك هجرات

(٢٩) د. فاعور علي، «بيروت ١٩٧٥ - ١٩٩٠ التحولات الديمografية والاجتماعية والاقتصادية»، المؤسسة الجغرافية، بيروت، ١٩٩١، ص ٧٨ - ٧٩. وكان المؤلف قد قصد في إشارته ربما إلى «الوثيقة» كتابه الذي وعده باصداره حول خريطة التهجير بعنوان «الحرب والتهجير في لبنان»، لكنه أعاد اصداره تحت عنوان: «جغرافية التهجير»، المشار اليه.

(٣٠) اعادة اعمار القرى المهجورة، المرجع نفسه، ص ٥٧.

(٣١) قصيفي جورج، المرجع نفسه، ص ٤٨. والمستغرب أنها ارقام قدمت اساساً إلى ندوة حول «السياسات السكانية» التي نظمها مجلس السكان الدولي، القاهرة، شباط، فبراير، ١٩٩١.

KASPARIAN Robert et BEAUDOUIN André; «La population déplacée du Liban, 1975-1987», publications C. R. D. I (centre de recherches pour le développement international, Ottawa, Canada, 1991, p. 32- tableau.

الصيف الحار (معظم الهجرات الكبرى حدثت في الصيف، وهجرات الربيع والشتاء والخريف، عدا هجرات المواسم، وهناك التنقلات الكثيفة داخل العاصمة، وحركات الترحيل الجماعي عبر خطوط التماس بين بيروتين (الغربيّة والشرقية..)).^(٣٣)

٤ - هناك من يقدر أن عمليات التهجير قد طالت «ثلاثي سكان لبنان. وهذا يعني أن اثنين من ثلاثة من اللبنانيين إجمالاً أجبروا أو اضطروا إلى ترك أماكن سكفهم مرّة واحدة على الأقل...».^(٣٤)

٥ - هناك «أكثر من ٨٠٠ ألف لبناني، أي أكثر من ٣٠ بالمئة من السكان هجرتهم الحروب قسراً مع كل ما يستلزمها هذا التهجير من مشاكل سكنية وتربوية وصحية وغذائية.. ويرتفع هذا العدد مقداراً موجات المهرجين الموسميين أو المؤقتين ليصل إلى مليون ومنه ألف مهجرة...».^(٣٥)

٦ - خلافاً لهذه الأرقام والتناسبات، باشر مكتب ملف المهرجين في ١٩ حزيران / يونيو^(٣٦)، بإعطاء بعض المعلومات والجداول الاحصائية والأبحاث التي استخلصها حول «قضية التهجير في لبنان ١٩٧٥ - ١٩٩٠»، وقد جاءت الورقة الأولى التي قُرِّبت في اليوم نفسه تحمل عنواناً: «القضية نصف الوطن... نصف الوطن ضحية». وفيها ان دراسة وزارة المهرجين قد أظهرت النتائج التالية:

١ - المهارون: عدد المهرجين	٣٥٦٠٤
عدد أسرهم	٧٠٥٣١
بلداتهم وقراهem	٩٤٩

د. فاعور علي؛ بيروت ١٩٧٥ - ١٩٩٠، «التحولات الديمografie والاجتماعية والاقتصادية»،^(٣٣) المرجع نفسه، ص ٧٨. وقد أشار الباحث في الكتاب نفسه ص ١٥٢، إلى أن عدد الأسر المهرجة التي شملتها الدراسة للميدانية هو ٣٩٤٩ موزعة على تسع مناطق مختلفة، ولا تدري من أين استقى الباحث أرقامه في توزيع المهرجين مثلاً حسب تاريخ التهجير الأول كما يسميه (١٩٧٥ - ١٩٧٦) الوارد بداية في الصفحة ١٥٣.

LTAYF Myra; *Les déplacements de population au liban, filéau ou arme*, Middle East^(٣٤) Council of Churches, rapport XXI, mai, 1984.

LABAKI Boutros Ibid, p. 212 et 81, tableau 19.^(٣٥) وقد استقى هذه الأرقام حسبما أشار في الصفحة ٨١ من المرجع المذكور من صحف النهار، السفير، والأنوار للفترة الممتدة من ١٩٧٥ - ١٩٩٠.

- ABOU RJEIBY Kalil; «Le déplacement des chrétiens, rapport dactylographié», oct. 1984.
- كاريتس لبنان، بيروت، كانون الأول - ديسمبر، ١٩٧٨.
- رويت، نيسان / أبريل ١٩٩٠.

Le commerce du levant, 7 Aout 1989.

وفي رأينا أنها معلومات وأرقام بحاجة إلى تدقيق وقابلة للمناقشة.

.^(٣٦) المؤتمر الوطني العام للمهرجين، الجمعة ١٩ حزيران / يونيو - الأحد ٢٨ حزيران ١٩٩٢.

ب - مساكنهم مهدمة كلياً ٢٣٥٧٥
مهدمة جزئياً ١٢٢٨١
متضررة ٩٠٢١
صالحة للسكن ٢٥٦٥٢
مشغولة بشكل غير قانوني ٣٤٤٥٣.

ج - الضحايا من غير المهجرين ٢٠٠٠٠ (شُغلت أملاكهم ومساكنهم بشكل غير قانوني).

ومن دون الخوض في التفاصيل، يبدو أن هذه الأرقام أقرب إلى الواقع لسبب بسيط هو أن الإمكانيات المالية التي وُضعت في خدمة الدراسة كانت على مستوى الدولة، ولأنها دراسة جاءت متأخرة نسبياً عن باقي الدراسات الأخرى الفردية في هذا المجال. وإذا كانت الأرقام التي أظهرتها النتائج هابطة قياساً إلى الدراسات الأخرى، فهذا يدل على أنها أرقام لم تتحسب، بالطبع، عدد المهاجرين أو المنخرطين في مجتمعات أخرى، والذين لا يحبذون العودة، بالإضافة إلى أنها جاءت وفقاً لاستمارات وضعها مكتب المهجرين، وقام المهجرون من أصحاب المصالح بتبنيتها حفاظاً على حقوقهم بالعودة، كما التف حول المكتب كل الهيئات والمؤسسات الحكومية والأهلية غير الحكومية بهدف دعم مشروع الدراسة وانجاحها.

آثار التهجير

١ - كان لهذا التهجير الآثار الخطيرة التي انعكست على الحياة الاقتصادية والترívية والتعلمية والاجتماعية والتي فجرت أزمات كبرى، مثل الأزمة السكنية وغيرها من الأزمات الاجتماعية والنفسية. وتأتي السمة الطائفية للتهجير التي أدت إلى الفرز الطائفي للسكان في أساس التوزيع demografique الجديد الذي عزّز روح الانتقام الطائفي بدلاً من الانتقام الوطني.

٢ - لقد تغير حزام الفقر مثلاً في بيروت، وسقطت بعض معالله، حتى أن الأحياء الفقيرة شهدت موجات ترحيل للفقراء أكثر من مرة توزعوا فيها داخل العاصمة، وحتى في الأحياء الضخمة التي كانت مخصصة للطبقات الميسورة. وهكذا يكون التهجير قد كسر حدّة الارتباط بين الطبقة والجغرافيا. وتدل البيانات والأرقام «أن نسبة كبيرة من المهجرين إلى بيروت وضواحيها قد قدموا من لبنان الجنوبي (أكثر من ٣٩٪)، وأن أكثر من ٣٢٪ قدموا من محافظة جبل لبنان، أي ما نسبته ٧٢٪ من مجموع المهاجرين في الداخل...»^(٣٧).

(٣٧) طبارة رياض، «التنمية الريفية والتحضر في لبنان»، النشرة السكانية، اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا، (إسكوا)، عدد ١٤، حزيران/يونيو، ١٩٧٨، ص ١٠.

وقد أدى هذا الأمر إلى التأثير في الأشكال الهندسية وتنوعها، إذ ظهرت المجمعات السكنية الفقيرة غير المنظمة داخل المساحات الخضراء من احراج العاصمة، وتمت مصادرة الأملاك العامة والخاصة ليقام فوقها قرى من الأكواخ والأبنية المرتبطة. وقد طبعت ظاهرتا «التكويخ» و«التريف»^(*) المدن، وخصوصاً العاصمة بيروت التي لم تعد تخضع لآلية قواعد مدينة أو ديناميات اجتماعية، خلافاً لما قبل الحرب، حيث بقي الاختلاط بين الريفيين الواقفين وسكان بيروت محدوداً، «ونشأت بذلك «أحياء معزولة» تجمع فيها سكان الأرياف وكانت نسبة الكثافة السكانية فيها حوالي ٥٥٪...»^(٢٨).

وقد بقيت هذه الأحياء المعزولة المتصفه بارتفاع مستوى الإنجاب والأمية وكثرة الشباب ممن هم بين ١٥ و٤٩ سنة من العمر، متماسكة، متشابهة من الناحية الاجتماعية حتى مع حفلات التنقل والتهجير بين الأحياء داخل العاصمة ومن الضواحي إلى العاصمة، لأن هذه الطبقات الاجتماعية سرعان ما كانت تعود إلى أماكنها الأولى في ضواحي بيروت أملاً بالبقاء ورغبة في التجربة مرة جديدة بعد توقيف المارك.

وهنا يصبح التساؤل؟ كيف كانت تشكل الطائفة؟.

يكفي اعتداء طائفة على أخرى ليتم هذا التشكيل. ولو تذكرنا «مغامرة الإنقاذ» التي مهد لها الحكم اللبناني مثلًا العام ١٩٨٤، وأطلق مشروع بيروت الكبرى بشأنها الذي لازمه مشروع آخر هو الضاحية؛ لتعرفنا إلى دينامية هذا التشكيل.

فقبل هذا التاريخ، لم يكن هناك بيروت كبرى أو صغرى، كما لم يكن هناك حي اسمه الضاحية بل كان هناك ما يعرف بـ برج البراجنة، حي السلم، الغبيري، الليلي، الشياح... إلخ من الأحياء المتشابهة التي سرعان ما جمعت في تسمية الضاحية التي أصبحت نقيضاً لبيروت يتداوله المواطنون.

وراح التناقض يكبر بين بيروت والضاحية، وصارت الضاحية في لغة العهد برئاسة أمين الجميل آنذاك نقطة غريبة فوق جسد العاصمة، والكل ينتظر محو معالمها أو دخولها وأخضاعها. وما أن بدأت «الاعتداءات» بهذا المعنى حتى تلوّنت بيروت كلها بالضاحية وحصل ما عرف «بالخلط الديمغرافي والنسيج الاجتماعي الجدد»^(٢٩).

(*) التكويخ أي Bidonvilisation بمعنى إشادة الأكواخ قرب الأبنية الفخمة وتقريب الأحياء الحديثة من الأحياء القديمة عن طريق منزح الطابعين. والتريف يعني طبع أحياء المدن بطبع أهل الريف وعاداتهم وتقاليدتهم، وهي ظاهرة قد نجدها في كبريات المدن الأوروبية والعالمية.

(٢٨) د. فاعور علي، بيروت، ١٩٧٥ - ١٩٩٠، المرجع نفسه، ص ٢٤.

(٢٩) لمزيد من التفاصيل، المرجع السابق.

٣ - يعتبر هذا الدمج لأهالي بيروت، القائم على أسباب أمنية فجرت الصراع بين العاصمة (وهنا بمعنى الدولة ١٩٨٤) والضاحية، أمراً غير عفوياً وله أبعاد سياسية واجتماعية حيث «تعرضت البنية السكانية لاهزات كبرى.. إذ تجمع العديد من المهاجرين في مناطق التماس، وخصوصاً في منطقة الأسواق التجارية، وتحولت منطقة مثل وادي أبو جmil (تمثيلاً فقط) إلى مدينة مصغرة للمهاجرين. إنها مدينة صغيرة «تبعد وكأنها متفردة من حيث بنيتها الاجتماعية وطبيعة المهن والنشاط الاقتصادي للسكان.. ومنها عدد كبير من الأحياء تنموا بسرعة.. في مساحات ضيقة من الأرض وبطريقة عشوائية بدون تأمين الخدمات الضرورية..»^(٤٠).

٤ - هذه الإقامات القسرية للمهاجرين في أماكن الانفجار السكاني، من ناحية، أو تردي أوضاع المناطق المهجورة، من ناحية أخرى، ولدت حالة عامة من الفقر لا تتوفّر فيها الشروط الدنيا لإقامة صحية سليمة، فتفشت الأمراض الجسدية والتشوهات النفسية والاجتماعية. وبسبب انخفاض الدخل المادي للأسرة، وانتظار المساعدات الإنسانية المخصصة بالمهجرين والتي لم توزع بشكل عادل حتى أنها لم تصل إلى أصحابها في أحيان كثيرة.

وقد انتشرت ظاهرة الأمية وتعاظمت بالطبع نسبة أبناء المهاجرين الذين لم يتمكنوا من متابعة تعليمهم بل انصرفوا إلى المهن الشاقة.

٥ - يجرنا الكلام عن العمل إلى الإشارة إلى الخلل الحاصل بين قوة العمل وضرورات الإنتاج والنمو العام في الثروة الوطنية. وهو خلل ظهر بشكل واضح في القطاعات الزراعية والصناعية، وخصوصاً السياحية، لأن أغلبية مناطق التهجير هي مناطق سياحية. بهذا المعنى، كانت عودة المهاجرين الحل الوحيد «لتصحيح المعادلة في توزيع القوى العاملة وفي استغلال الثروات الطبيعية على قاعدة التوظيف لبناء وعي وطني موحد لكل اللبنانيين...»^(٤١).

وقد ندرك الآثار الاقتصادية للتهجير بربط هذه «الظاهرة عامة بظواهر التخلف عامة... الأمر الذي أدى إلى انخفاض الإنتاج والمدخول ومستوى المعيشة... كما أثر على القطاع التجاري وساهم في انخفاض القطاع المصري.. وقد تسبّب التهجير في تعطيل طاقات إنتاجية تواصلية بين المناطق مما منع التبادل بسبب الخوف، كما قلّص انتقال الأشخاص والسلع وتبادل الخدمات، فتحطم الكثير من

(٤٠) المرجع السابق، ص ٩.

(٤١) النائب الخطيب زاهر، قضية وموافق، «المؤتمر الوطني للمهاجرين»، المرجع نفسه، المحور الرابع، ص ٢٥.

الأسواق.. ونزع لبنان إلى أن يصبح مجموعة من «الكانتونات» الاقتصادية الضيقة المرتبطة بالخارج أكثر من ارتباطها بالوطن^(٤٢). وكان لهذا الأمر عدته ومنها:

وسائل النقل البحري والبري والجوي، والمرافئ والتهريب والاتجار والنفط ومشتقاته في شركات خاصة، والضرائب على المواطنين، وربط التداول بالعملات الأجنبية على حساب العملة الوطنية. وصار لبنان أسير طبقتين فقيرتين جديدين، إحداهما فقيرة ولكنها تملك المال^(*) والغنايم وتطعم إلى استلام السلطة وهذا ما حصل، والثانية تمثل النسبة العظمى من اللبنانيين ازدادت فقرًا وهي عانت في الحرب والسلام على السواء.

لاماح العودة من الطائف إلى الوزارة

نصل على ضوء ما تقدم إلى أمرين أساسين:

١ - يعني الكلام في ملف التهجير وأثاره نبش ملف الحروب غير الموجود في شكله الموضوعي أصلًا، وهو أمر يقرب من الاستحالة. وهناك تعادل بين الكيان اللبناني وقضية السكان حتى كاد اللبنانيون يتذمرون صفة غيرهم من الشعوب التي أصبحت من دون أرض لأراضٍ مهجورة في معظمها من دون شعب. فالمهجرون بشر من دون أرض وأرضهم متروكة أو مستغلة أو محظلة أو مُباغة... إلخ. ولا داعي لتكرار معنى الارتباط بالأرض على المستوى الفردي، وخصوصاً لكتاب السن، الذي يتعادل فيه المكان بالحياة. والمعروف في القاموس النفسي إن شئت أن تقتل مستانِّما عليك إلا أن تغير له مكان إقامته، فكيف إذا كان هذا التغيير ضمن ظروف قاسية؟.

٢ - العودة أو عودة المهرجين، كانت تعني عودة الوطن إلى «الساحة اللبنانية» (تعبير يستعمله السياسيون). وإذا كان الكلام عن الحروب في قساوتها كبيرة، فإن الكلام عن العودة هو في حجم إعادة الاعمار والتركيب البشري والوطني في كل تفاصيله وفي زمن لاح بالسلام. ولكن عدداً كبيراً من أصحاب المصالح الضيقة، على مختلف المستويات المحلية والإقليمية والدولية الفردية والجماعية، كان ينسج «لقتل» أفكار العودة نهائياً. ولللاحظ أن ملامح العودة بمعناها السياسي، كانت مرتبطة بعودة السلام والأمن في الدرجة الأولى.

LABAKI Boutros, ibid, p. 213-217.

(٤٢)

وفيها الآثار الاقتصادية لظاهرة التهجير في معالجة شاملة.

(*) لقد شميت هذه الطبقة مثلاً أمراء الطوائف. وصدر كتاب بهذه التسمية عن وكالة الأنباء المركزية، من دون تاريخ، أو دار نشر، أو مركز للنشر. ولكن المعروف أنه صدر في بيروت عن الوكالة المذكورة التي يملكها جورج بشير، فيليب أبي عقل وفوزي مبارك.

٣ - تعني حكاية المهرجين بهذا المعنى، حكاية لبنان مع الاتفاques وأوراق العمل والمشاريع التي رمت إلى طي صفحة الحرب المدمرة الطويلة، لكنها سقطت كلها أو ذهبت أدراج الرياح لعدم توافق ظروف الحياة لها^(٤٣). هكذا ترك حبل الخلافات اللبنانية على غاربه، وكان قدر اللبنانيين أن ينتظروا سبعة عشر عاماً قبل أن تلوح في الأفق ملامح حل.

و«بإرادة دولية أميركية تتهيأ للنظام العالمي الجديد، وتوافق أوروبي صامت، ومع اخراج ما عربي وقبول لبناني، حمل اللبنانيون اللبنانيون ملفهم الساخن إلى مدينة الطائف السعودية، وتضافرت الجهود لاقتناص الفرصة، فأثمرت وثيقة اتفاق بديلة عن صيغة ١٩٤٣ في الحكم خرجوا بها إلى العالم في ٢٣ تشرين الأول، أكتوبر ١٩٨٩.. وانطلق «قطار اتفاق الطائف» مسرعاً، فتكرست الوثيقة في صلب الدستور في ٢١ تشرين الأول - أكتوبر ١٩٩٠، وانبثقت جمهورية ثانية وفق التسمية على أكتاف الجمهورية الأولى...»^(٤٤).

محطات «العودة» السياسية^(*)

ارتفاع قرار عودة المهرجين مع اتفاق الطائف إلى المستوى الوطني، إذ أن قضية المهرجين لا يمكن أن تكون قضية مناطق أو طوائف أو فئات بل قضية وطن بالمعنى الواسع الشامل للكلمة.

هذا الانتقال النوعي، كان أبرز^(٤٥) محاولة على صعيد عودة المهرجين، كأساس

(٤٣) لقد احصينا منذ اطلاق الرئيس سليمان فرنجية لنص الوثيقة الدستورية (١٤ شباط/فبراير ١٩٧٦)، والتي كانعلن عن عنوانيتها الكبرى في خطابه عند ازاحة الستار عن تمثال فخر الدين في بعقلين في ٢٣ آب - أغسطس ١٩٧٥، داعياً مجلس الوزراء إلى درسها في جلسات مفتوحة وصولاً إلى وثيقة للاتفاق الوطني في الطائف؛ أكثر من ٢٧ ورقة عمل ومشروع واقتراح وصيغ جديدة لليبنان. راجع: يونس عمار، «سلسلة الوثائق الأساسية للأزمة اللبنانية». المرجع نفسه.

(٤٤) راجع للكاتب (نسيم الخوري) نص الندوة الصحفية التي أقيمت في كلية الإعلام والتوثيق II في ١٦/١٠/١٩٩٢، بعنوان «اتفاق الطائف في عامه الثالث»، ونشرت حرفياً في صحيفة النهار في ٢٢/١٠/١٩٩٢ والديار في ٢٦ تشرين الثاني - نوفمبر ١٩٩٢.

(*) مجمل التواريخ والأحداث المذكورة في هذه المحطات مأخوذة من صحف النهار، والسفير، ومجلة المسيرة ١٩٩٢/٢/٢٨ إلا ما اشير إليه في مراجع أخرى.

(٤٥) يجد الإشارة في مجال ملامح العودة إلى المبادرة الذاتية الأولى التي اتخذها رئيس الحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط في أواخر العام ١٩٨٨ والتي أدت إلى عقد مؤتمر بيت الدين في مطلع العام ١٩٨٩. لكن هذه المبادرة، على شجاعتها، تجمدت مع مقتل أمين السر العام في الحزب التقدمي الاشتراكي الاستاذ أنور الفطائي في ٩ شباط - فبراير ١٩٨٩ وهو يقوم بجولة في بلدة الجاهلية في الشوف، تمهيداً للمؤتمر المذكور. وقد اعتبر الوزير وليد جنبلاط هذا الحادث مؤشراً للتجميد مبادرته.

وناتت القضية بعدها مع حرب التحرير لاستيفيق مع اتفاق الطائف. راجع مجموعتي جريدة السفير، ١٩٨٨ - ١٩٨٩.

في ترسیخ الوفاق الوطني، إذ جاء في مقدمة وثيقة الطائف: «أرض لبنان أرض واحدة لكل اللبنانيين. فلكل لبناني الحق في الإقامة على أي جزء منها والتمتع به في ظل سيادة القانون، فلا فرز للشعب على أساس أي انتماء كان، ولا تجزئة ولا تقسيم ولا توطين...»^(٤٦)

كما نص الاتفاق - الوثيقة، على «حل مشكلة المهاجرين اللبنانيين جذرياً، وإقرار حق كل مهجر لبناني منذ العام ١٩٧٥ بالعودة إلى المكان الذي هُجّر منه، ووضع التشريعات التي تكفل هذا الحق، وتأمين الوسائل الكافية بإعادة التعمير...»^(٤٧)

استناداً إلى هذا النص، بوشر الاهتمام الرسمي للدولة بشؤون المهاجرين. فنشطت في إطار بناء ملف فعلي للمهاجرين، كان دوره إيجاد الصيغة العملية للاهتمام بشؤونهم وواقعهم، والبداية الرسمية لتلمس آفاق ولامح إعادة تكوين هذا الملف في إطاره الوطني السليم.

يمكن القول أن المحاولة الأولى كانت لدراسة الملف، وقد «ساعد على ذلك توافر الظروف الأمنية والسياسية والاقتصادية نسبياً، وخلالها بدأ التنسيق مع منظمات الأمم المتحدة، مما أسفر عن مساعدات مادية ساهمت في إعادة جزء صغير من المهاجرين...»^(٤٨).

والآن، ما هي الأبعاد العملية الحقيقة للترجمة الرسمية هذه، كما وردت في الدستور، ومن خلال نشاطات مكتب المهاجرين؟

١ - قام مكتب ملف المهاجرين بدراسة ميدانية شملت ٧٠ ألف أسرة مهجرة، واستفاد من احصاءات ميدانية، قامت بها قوى الأمن الداخلي طالت ٤٠ ألف أسرة مهجرة، بالإضافة إلى «الإشراف» على دراسات أخرى قامت بها مؤسسات الانعاش الاجتماعي وغيرها مثل معهد العلوم الاجتماعية. هذه المراحل التحضيرية، كانت تتزامن مع تحضير ملف آخر هو الانتخابات النيابية. وبينما كان ملف المهاجرين يتحرك كبند أولي في أذهان المرشحين وطموحهم وبرامجهم التحضيرية^(٤٩)، كانت

(٤٦) راجع وثيقة الوفاق الوطني اللبناني التي أقرها اللقاء النيابي في مدينة الطائف بالمملكة العربية السعودية بتاريخ ٢٢/١٠/١٩٨٩ والتي صدقها مجلس النواب في جلسه المنعقدة في القليعات بتاريخ ١١/٥/١٩٨٩، منشورات مجلس النواب، ص ٦.

(٤٧) الوثيقة السابقة، ص ١٥، وتحت عنوان «بسط سيادة الدولة اللبنانية على كامل الأراضي اللبنانية». ولللاحظ أن هذا الموضوع جاء مباشرة في البند الرابع، بعد البند الثالث المختص بتعزيز القوات المسلحة.

(٤٨) الديار ١١/٥/١٩٩٢.

(٤٩) كان من أحد أهم الشعارات التي رفعها النواب المرشحون: «عودة المهاجرين جزء من بناء لبنان المستقبل» راجع إعادة اعمار القرى المهجرة - المرجع نفسه، ص ١٨.

المعارضة اللبنانية لهذه الانتخابات ترى تأجيلها حتى عودة المهجرين والمهاجرين.

وعاد المهجرون يشكلون ورقة في صراع داخلي يصعب حسمه لصالحهم. كيف ذلك؟

٢ - بعدهما أُنجز مكتب ملف المهجرين دراسته، عقد خلوته التحضيرية في مبنى كلية العلوم في الفنار (١٠ نيسان/أبريل ١٩٩٢) بهدف التحضير للمؤتمر الذي لم يحدد موعده. وسقطت بعد هذا التاريخ حكومة الرئيس عمر كرامي (٦ أيار/مايو ١٩٩٢)، وتشكلت حكومة الرئيس رشيد الصلح التي سمّي فيها الياس حبيقة وزير دولة لشؤون المهجرين. وهكذا اندرقت عملية التحضير للمؤتمر بشكل أكثر فعالية (اعتبرت هذه الوزارة أول وزارة للمهجرين في تاريخ لبنان).

وي يمكن القول أن هذا المؤتمر العام حول المسألة، كان عودة اعلامية للمهجرين ذات مستوى رسمي وسياسي عال، إذ نقلته وسائل الاعلام المرئية - المسموعة مباشرة، وهو أقيم برعاية رئيس الجمهورية الياس الهراوي وشارك فيه وزراء ونواب ومؤسسات حكومية، بالإضافة إلى الأحزاب والمؤسسات الأهلية والهيئات المبنية من المهجرين، إضافة إلى المهجرين أنفسهم.

ويعتبر هذا المؤتمر من أهم المحطات في اطلاق فكرة العودة وتعظيمها على اللبنانيين^(٥٠)، إذ انه رسم سياسة العودة، ووضع اقتراحات عملية وحلولاً لها، وتم تشكيل لجان من المهجرين والقائمين في القرى المهرجة لدراسة وضع كل بقعة أصابها التهجير والتحضير للمصالحات الأهلية في توصيات شاملة^(٥١).

وقد أقرّ مجلس الوزراء^(٥٢) التوصيات التي صدرت عن المؤتمر العام للمهجرين، في جلسة تعتبر محطة تاريخية بارزة بالنسبة إلى ملف المهجرين إذ جاء فيها^(٥٣):

أ - حل قضية المهجرين على مراحل، على أن تنفذ المرحلة الأولى في مهلة أقصاها ٢١ تموز/يوليو ١٩٩٢، أي بعد ١٥ يوماً من انعقاد الجلسة، وأن تشمل

(٥٠) عقد المؤتمر الوطني العام للمهجرين في فندق الكارلتون في بيروت في الفترة بين الجمعة ١٩ والأحد ٢٨ حزيران - يونيو ١٩٩٢، أي ثمانية أيام اشتراك فيه ٣٥٠ محاضراً وباحثاً قدموه أوراقهم في ٢٦ جلسة، وشارك فيه ٣٠٠ شخص، وبلغت تكاليفه مئة الف دولار، واعتبر من أنجح المؤتمرات من حيث دقة التنظيم والجدية في العمل. وقد صدرت هذه الأوراق والواقع والمدخلات والتوصيات الخاصة بالمؤتمر في مجلد خاص متوفّر لدى وزارة المهجرين.

(٥١) راجع هذه التوصيات في ملحق هذا البحث وقد أوردناها لأهميتها.

(٥٢) في جلسته المنعقدة في ٧ تموز/يوليو ١٩٩٢، أي بعد أسبوعين من انعقاد المؤتمر، صحف ٨ تموز/يوليو ١٩٩٢.

(٥٣) المرجع السابق.

٨٤ بلدة وقرية في عاليه والشوف وبعبدا والمن و٣٢ قرية في صيدا وجزين، إضافة إلى منطقة المدور في بيروت (المسلح والكرنثينا).

ب - إنشاء مؤسسة وطنية عليها للاهتمام بشؤون ضحايا الحرب.

ج - إنشاء المجلس الوطني للمهجرين، وتكليف وزير الدولة لشؤون المهجرين إعداد الخطة الشاملة لعودتهم، وفق الأولويات، ووضع برامج التنفيذ، واقتراح مصادر التمويل، وتشكيل لجان محلية للمصالحة في كل البلدات والقرى المشمولة بالمرحلة الأولى.

د - تكليف قيادة الجيش تطوير الخطة الأمنية لمواكبة المرحلة الأولى، وتفصيل دور قوى الأمن الداخلي والإدارات الرسمية.

٣٠ - قامت الوزارة الأولى بجولات مكثفة في مناطق سوق الغرب وبحمدون والدامور، وأعلن عن تشكيل لجان للمصالحة، لكنها بقيت خطوات محدودة. واعتبر الوزير وليد جنبلاط آنذاك أن المسألة مرتبطة بمسألة أخرى هي هندسة الخريطة الانتخابية وليس عودة المهجرين. ولهذا عندما حاولت الدولة استرجاع قصر الأمير أمين في بيت الدين والمكتبة الوطنية في بعلبك، تحول الجبل إلى تظاهرة كبرى أعلنت فيها جنبلاط اعتراضه على طريقة التعامل مع عودة المهجرين.

وهذا ما أدى إلى إرباك الوضع فبقيت الخطوات خجولة وذات أبعاد سياسية محضة «وعندما انعقد مجلس الوزراء لبحث الهواجس التي تشكّل منها الفئات المعارضة للاقترابات، اتّخذت توصيات في الجلسة (١٠ آب - أغسطس ١٩٩٢) تدعى المهجرين بكل فئاتهم إلى المباشرة باسترداد ممتلكاتهم ابتداءً من صباح الغد (١١ آب ١٩٩٢) في كل المناطق اللبنانيّة، بعد الاتصال بالمجلس الوطني للمهجرين الذي يقوم مقامه مؤقتاً وزير الدولة لشؤون المهجرين»^(٥٤). طبعاً لم يحصل هذا الأمر عملياً، بل انضم إلى ملف الدعوات للعودة المماطل لملف الوعود.

وإذا كانت الاقترابات النيابية قد حصلت في مواعيدها المحددة، (بدءاً من ٢٣ آب - أغسطس ١٩٩٢)، فإنها لم تجذب المهجرين الذين بقوا منكبين على الانتظار الظروف المناسبة لعودتهم بدون استعادة أملاكهم، كما جاء في وعود التوصيات المشار إليها، وفي إطار مشاعر الخيبة التي تدل على الارتجالية في التعامل والقراءة السريعة لأدق ملف في تاريخ لبنان المعاصر.

ماذا نستنتج من هذه المحطة الرسمية؟

(٥٤) نقل الوزير ميشال المر إلى الاجتماع الموسع الذي كان يعقد في بكركي بعد ظهر اليوم نفسه (١٠ آب ١٩٩٢) لمعالجة معارضه الاقترابات، توصيات مجلس الوزراء، وأعلن بعد انتهاء الاجتماع على باب بكركي هذه التوصيات وعلى الهواء مباشرة، صحف ١١ آب - أغسطس ١٩٩٢.

أ- الاعتراف بالعجز الحاصل من جراء حجم الملف وضخامته، ووضوح الصعوبات في تنفيذ التوصيات والقرارات الرسمية.

ب - التراجع القسري الرسمي عن عدد كبير من الوعود. فمن العودة الشاملة انحصر البحث في القدرة على تسليم الأموال الزراعية لأصحابها.

ج - عدم توفر القوة الأمنية الكافية لمواكبة القرارات ووضعها موضع التطبيق، مع دقة الوضع الأمني وعدم استقراره في أذهان المهرجين والمواطنين عموماً.

د - العجز المالي، وفقدان البنية التحتية، وعدم إمكانية السكن في القرى المهدمة.

هـ - الحملات الإعلامية التي كان ينظمها بعض أجهزة الإعلام الخاص لتشكيك بالدولة وإمكانيات إمساكها بالملف، وإعادة خلق الهواجس والمخاوف

لدى المهرجين.

و - ارتباط المراحل الأولى من العودة ارتباطاً وثيقاً بالوزير وليد جنبلاط، إذ ثبت أن لزعيم المختارة ثقلًا كبيراً في أية خطوة يفترض أن تجسم في هذا المجال، وإنما في نصيحتها التعذر، وكأنما لهذا الملف لغة خاصة لا يمكن قراءتها إلا ضمن الأصول والأعراف التي لا يُحسنها الجميع.

بالرغم من هذه الاستنتاجات السلبية، فإن اعترافاً رسمياً بحجم المشكلة، دفع الحكومة إلى تخصيص جلسة لمناقشة هذه التغيرات^(٥٠)، وعلى رأسها بدء انحسار المراحل الرسمية الأولى في تراجع الدور المرسوم لمكتب ملف المهرجين ولإعطاء زخم جديد في مرحلة جديدة من تاريخ عودة المهرجين^(٥١).

يمكن القول أن الدولة تمكنت من تحديد أطر ملف المهرجين والاحاطة بها كي تحرر اهتمامها في تأمين إمكانيات تنفيذ المرحلة الأولى من العودة التي أقرّت على مراحل كما أسلفنا. وقد بانت مشاعر الخيبة لدى المهرجين، خصوصاً وأن وسائل الإعلام وأحجام القرارات المتخذة، أوجدت قناعة لدى الرأي العام بأن العام ١٩٩٢ هو عام العودة... وهو أمر لم يحصل.

٤ - أمام انحسار آلية تطبيق القرارات والخيبة المنسوبة إليها، كان الوزير ولد جنبلاط قد حقق، وخصوصاً في بعض المفاصل غير الرئيسة، ملامح ما للعودة عن

(٥٥) قدم الوزير الياس حبيقة تقريراً إلى مجلس الوزراء في ٢٣ أيلول / سبتمبر ١٩٩٢ تناول فيه منجزات الوزارة المتعلقة بمكتب المهاجرين، والعقبات التي تحول دون التقدم في الملف، وقد طالب الوزير حبيقة من مجلس الوزراء اقرار صندوق للعودة والاعمار على أن يلحظ له اعتماد مالي لا يقل عن ٥٠ مليون دولار. راجع صحف ٧٤ آب / أغسطس ١٩٩٢، ومجلة المسيرة ١٢/٢٨/١٩٩٢.

(٥٦) صحف ١١/١١/١٩٩٢ وغلاف الكتاب: «سنة من عمر وزارة شؤون المهاجرين مقتطفات من الصحف ١١/١١/١٩٩٢ - ١١/١١/١٩٩٣»، الدائرة الاعلامية في الوزارة.

طريق مبادرات فردية. وقد نستقر في هذه الخطوات المتواضعة مع النائبين خليل عبد النور ونبيل البستانى فعاد بعض المهرجين إلى قرى الجية وجون وبعض قرى أقليم الخروب، واستلم بعضهم بعض أملاكهم على قاعدة دفع البدل المادي للمقيمين فيها.

وظهر أن مشكلة المهرجين متعلقة بالعقد وأن كل مهجر يشكل مشكلة قائمة بذاته، وأن الملف بحاجة إلى الكثير من الاستقرار الأمني وال النفسي، والمالي، وسياسة التشكيك لا تقتصر على المهرجين وحدهم بل تدار بالمعنى السياسي من جهات محلية وربما دولية كبيرة.

وحدث تطور في هذه الفترة، إذ تشكّلت حكومة جديدة برئاسة رفيق الحريري تسلم فيها الوزير وليد جنبلاط وزارة الدولة لشؤون المهرجين. وهو اعتبر فوراً «أنه يجب على جميع الفعاليات السياسية والحزبية أن تقنع بأن العودة هي نهاية الحرب. هي عودة النسيج الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والإنساني في كل قرية أو حي أو منطقة من هذا الوطن».

نتيجة لهذا التطور، تسارعت الملامح الإيجابية:

أ - تمّت عملية التسلّم والتسلّيم للوزارة (١٩٩٢/١١/٧) بين الوزيرين وليد جنبلاط والياس حبيقة الذي اعتبر خلالها أن «عملية عودة المهرجين لها دخل بالإنسان، إذ يجب تأمين المتطلبات النفسية للعودة.. والثقة وهو أمر بحاجة إلى وقت... والوقت سيمر في مراحل. وهذه مرحلة من أهم المراحل لأنها البداية...». بينما أعلن الوزير جنبلاط عن حاجته «لوزارة خاصة.. نحن نطلب صندوقاً خاصاً لوزارة المهرجين... تموّله الدولة، ولاحقاً قروضاً من مؤسسات دولية معروفة»^(٥٧).

ب - تحركت قضية المهرجين، وأعلن عن النوايا الجدية للعودة في اجتماع (١٩٩٢/١١/٢٤) حضره الوزير وليد جنبلاط في الحازمية^(٥٨)، واعتبر مفصلاً أساسياً في عودة المهرجين، وتبرّعت كاريتاس بمبلغ ٦٠٠ ألف دولار في هذا الاجتماع لاحتياج المساكن في قرى الحرف في الشوف لآخلاقها تمهدًا للتسلّيمها لأصحابها. وفي ١٥ يوماً، تم بالفعل إخلاء معظم المنازل، أي قبل ٧ كانون الأول حيث أعلن الوزير جنبلاط أن بإمكان أهالي الحرف العودة إلى ديارهم.

(٥٧) راجع وقائع حفلة التسلّم والتسلّيم لوزارة شؤون المهرجين بين الوزيرين الياس حبيقة ول VID
جنبلاط في جريدة اللواء ١٩٩٢/١١/٩.

(٥٨) عقد الاجتماع في منزل النائب فؤاد السعد في الحازمية في ٢٤ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٢ حضره الوزير جنبلاط، السفير البابوي بابلو بوينتي، المطران بولس مطر ممثلاً للبطيريك مار نصر الله بطرس صفير، وفؤاد الحاج رئيس مؤسسة كاريتاس، راجع صحف ٢٥ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٢.

ج - في ٣٠/١١/١٩٩٢، كانت مكاتب الوزارة الثانية للمهجرين في مبنى براد الدامور الذي كانت تشغله الادارة المدنية جاهزة بكافة اللوازم والاحتياجات الضرورية للعمل، وبوش الدوام فيها منذ هذا التاريخ.

وفي أول يوم عمل للوزير جنبلاط في مبنى الوزارة، باشر بتنفيذ القرار رقم ٩٢/٢ المستند على قرار مجلس الوزراء في ٧/٧/١٩٩٢ بتنفيذ المرحلة الأولى^(٥٩) لعودة المهجرين وفيها إخلاء المنازل والممتلكات من شاغليها في بعض مناطق الجبل (البيرية، المعوش كفرتيس، المريجات، شوريت، الفوار، وادي الست، وفي مهلة لا تتجاوز الـ ٧ - ١٢ - ١٩٩٢^(٦٠)).

وقد يكون من المفيد الإطلاع على بعض تفاصيل المرحلة الأولى كما وردت في الصحف لندرك مدى ضخامة وأهمية هذه المرحلة (راجع النساء، ١٨/١/١٩٩٣) والتي نقلها كما هي:

عدد قرى وبلدات المرحلة الأولى

• تشمل المرحلة الأولى لعودة المهجرين محافظات بيروت، جبل لبنان والجنوب وتضم عدداً كبيراً من القرى والبلدات موزعة كما يلي:

- بيروت: منطقة الدور.

جبل لبنان: ١٩ قرية في قضاء بعبدا.

٢١ قرية في قضاء المتن.

١٩ قرية في قضاء الشوف

٢٤ قرية في قضاء عاليه.

- الجنوب: ٢٥ قرية في قضاء صيدا.

١٤ قرية في قضاء جزين.

أوضاع مساكن المرحلة الأولى

• تشمل المرحلة الأولى من عملية إعادة المهجرين حوالي ٢٨٤٨ أسرة.

- عدد المساكن المدمرة، كلياً ٨٥٩٣، وكلفة بنائها ٨٠ مليون دولار.

- عدد المساكن المدمرة جزئياً ٤٣٠١، وكلفة تجهيزها ١٥ مليون دولار.

- عدد المساكن غير الصالحة للسكن ٣٠٨٤، وكلفة ترميمها ٥ ملايين دولار.

(٥٩) راجع بالتفصيل أطلس عودة المهجرين (المرحلة الأولى)، مستقاة من ملف إعادة اعمار القرى المهجرة، المرجع نفسه.

(٦٠) الصحف المحلية ١٢/١/١٩٩٢.

- عدد المساكن المشغولة بشكل غير قانوني ٧٣٥٥ وكلفة بناء وحدات للأسر التي ستخلصها ٢٥ مليون دولار.
وتصبح الكلفة التقريرية لإعادة تجهيز وترميم وبناء ١٥٩٧٨ مسكناً ما قيمته ١٢٠ مليون دولار.

حاجات البنى التحتية لقرى وبلدات المرحلة الأولى

- شبكات المياه: ٢٥ مدينة وقرية تحتاج إلى شبكات جديدة.
٢٦ مدينة وقرية تحتاج إلى تصليحات كبيرة.
٣ مناطق تحتاج إلى إعادة تأهيل.
١٢ منطقة تحتاج إلى خزانات أو حفر آبار.
- شبكات الكهرباء: ٢٧ قرية يلزمها منشآت جديدة.
٥ مناطق تحتاج للتصليحات وصيانة.
٢٢ منطقة يلزمها إعادة تأهيل وتصليحات كبيرة.
- شبكات الهاتف: ٤٥ مدينة وقرية تحتاج إلى شبكات هاتف جديدة.
٧ مناطق يلزمها صيانة وتصليحات وتوسيع.
- الصرف الصحي: ٢٤ مدينة وقرية تحتاج إلى شبكات مجاري جديدة.
١٠ مناطق تلزمها صيانة وتصليحات.
٦ مناطق تحتاج إلى أحواض مجاري جوفية جديدة.
الكلفة التقريرية لكل ذلك تقدر بـ ٥٠ مليون دولار.

د - أخذت قضية المهرجين على محمل من الجدية عندما أقرّ مجلس الوزراء برئاسة رفيق الحريري في ٢ كانون الأول / ديسمبر ١٩٩٢ مشروع قانون معجل يقضي بإنشاء وزارة لشؤون المهرجين:

«تعنى بجميع شؤون المهرجين في المناطق اللبنانية كافةً، وبتأمين عودتهم إلى مناطقهم وقراهم، وتحصين أوضاعهم من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية، وتمكينهم من الاستقرار في أماكن إقامتهم والمساهمة الكاملة في حقوق المواطنة وواجباتها». كما أقرّ المجلس في الجلسة نفسها مشروعًا مماثلاً، وفي سياق هذا القانون المشار إليه أى الصندوق المركزي للمهرجين وهو: «مؤسسة عامة يتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي والإداري... ويرتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء.. وغاية الصندوق تمويل مشاريع عودة المهرجين وإسكانهم، وذلك بإنشاء

أو ترميم المساكن أو بمنح المساعدات والقروض العينية أو المالية التي تؤدي إلى هذه الغاية...».

بالإضافة إلى ٥٠٠ مليون ليرة لهذه الوزارة تكون بمثابة موازنة أولية^(٦١).

وتعتبر هذه المؤشرات عملية على طريق تثبيت الروح الوفاقية، وتطبيق مستلزمات الدستور، وصائبة من حيث تكليف الوزير وليد جنبلاط ملف المهجرين وهو المعنى الأكبر، ربما، بهذه القضية.

وإذا كان الجميع قد وقع في التهجير والدواء مطلوب من الجميع، فإن النظام الطائفي هو السبب الأكبر للتهجير... «ولا يأتي تكليف الوزير جنبلاط، على دقتها، في إطار المثل القائل: «ودلوني بالتي كانت هي الداء، إنما الداء الحقيقي كان في الفساد المستشري، بالإضافة إلى عدم كفاءات المسؤولين في مرافق العودة التي لا يلزمها إلا الإمكانيات المادية...»^(٦٢).

ظروف العودة: إيجابيات وسلبيات

بالرغم من أن ملف عودة المهجرين أصبح من مقتضيات الدستور في أبعاده الإقليمية والدولية، وصارت العودة أمراً نهائياً، ورغبة العائدین والمقيمين متساوية بشأن الموضوع. وبالرغم من تجدد الكلام أن «لا لبناء من دون الجبل وأن فقدان التوازن في الجبل يفقد التوازن في كل لبنان... وأن جدية العودة هي بهدف عودة لبنان إلى كل لبنان...»^(٦٣)؛ فإن القضية بقيت لا ورقة فحسب بل غطاء تتستر بها جهات محلية عدة تحاول استغلال القضية وإيجاد العبرات لها، ومنها القول، مثلاً، أن «المهجرين قد شكلوا مجتمعات جديدة في المناطق التي تهجروا إليها، ومن الصعب أن يفكوا ارتباطهم بها...»^(٦٤).

وتدرج تحت هاتين الصورتين المتناقضتين عناصر ومواصفات كثيرة. فمقابل

(٦١) تم عرض المشروعين المنذورين في مجلس الوزراء بتاريخ ٢/١٢/١٩٩٢، حيث وافق عليهما وأحالهما إلى مجلس النواب، الذي ناقشهما وأقرهما في جلسته العامة يوم الثلاثاء في ٢٢/١٢/١٩٩٢. وقد تبرعت مؤسسة الحريري بمليوني دولار للتصندوق، وأقر مجلس النواب سافة نصف مليار دولار لعودة المهجرين.

راجع في ملخص هذه الدراسة نص المشروعين كما ورد قبل إقرارهما. وقد استقينا النص كما ورد من النهار ٤/١٢/١٩٩٢ العدد ١٨٢٩٧، ص ٤. ونشير إلى أنه لم يحصل أي تعديل على النصوص المقترحة بالمقارنة مع النص الوارد بعد الإقرار.

(٦٢) من كلمة هشام ناصر الدين في تسلمه لكتب شؤون المهجرين من سلفه كمال الفغالي في ١٤/١١/١٩٩٢. صحيفـة الـديـار ١٥/١١/١٩٩٢.

(٦٣) النائب نبيل البستاني، مقابلة مع طلاب كلية الإعلام، راجع «ملف إعادة إعمار القرى المهجرة»، المرجع نفسه، ص ٤٢.

(٦٤) المسيرة ٢٨/١٢/١٩٩٢، ص ٦٠.

صورة الدولة والضمادات والقرارات السياسية والأمنية المتخذة، ترتفع صورة الأطراف المتصاررة الكثيرة من عودة المهرجين التي تجعل الأمر إعلامياً واجتماعياً وسياسياً أكثر تعقيداً ومشقة.

وتأتي القراءة المزدوجة المتناقضة للسياسة الدولية ومقتضيات النظام العالمي الجديد من قبل أطراف الصراع المحليين في لبنان، لتنعكس على قرار عودة المهرجين الذي اعتبر نهائياً ولا رجوع عنه.

وتبدو نهاية هذا القرار أو نضجه السياسي في ظروف العودة التي يمكن اختصارها، بالإضافة إلى ما سبق ذكره في محطات العودة، في النقاط التالية:

١ - حاجة التعايش والتبادل والوجود الواحد بين الطائفتين الدرزية والمارونية في الجبل خصوصاً. فعلى الرغم من الصراعات بين الطائفتين، بقي المقيم بحاجة قصوى إلى المهجّر «ولقد أدخل إلى رأس الدرزي أن يعيش من دون المسيحي لتسع سنوات مضت. فماذا كانت النتيجة؟ إن الدرزي مع الدرزي، والسندي مع السندي، من دون وجود المسيحي، يخلق نقصاً في التوازن وفي نوعية الحياة في الشوف. ففي غياب المسيحي، افتقدت الدورة الاقتصادية، وأصبح الدرزي يريد أن يُرجع من يعيد ويخلق العمل والمستهلك من جديد. عندما كان المسيحي موجوداً كان الاستهلاك والسياحة والعمل والصناعات الصغيرة موجودة، وقد خسرها الجميع بسبب التهجير...»^(٦٥).

٢ - تصميم الوزير جنبلاط على جدية قرار العودة وعدم المناورة فيه، رغم الفتور الذي لاقاه من بعض الأوساط الدينية، أو المعارضة التي لقيها من أوساط سياسية وحزبية أخرى.

٣ - وصول الرئيس رفيق الحريري إلى الحكم الذي يعطي الملف أبعاداً وضمادات مالية ودولية وقوروضاً هي أشد ما يفترق إليه ملف المهرجين في خطوة تنفيذ العودة. والمعروف أنه، بسبب وجود العوائق المادية، تبقى الظروف تحول دون تأهيل البنى التحتية المدمرة وإعادة البناء.

٤ - الإرادة السورية في ترسیخ أسس التعايش والوفاق الوطني وطي صفحات الماضي إلى ما لا نهاية، وهذا ما يقضي بإعادة المهرجين إلى منطقة الجبل. وقد تكون هذه الإرادة أو الرغبة في صلب النقاط المركزية في أيجابيات ظروف العودة.

٥ - إحياء دور الجبل وبنائه، خصوصاً في بحمدون وعالیه. وهذا مؤشر له أبعاد عربية ذات مغزى سياحي. والمعروف أنها مناطق مثلث أهم مراكز الاصطياف

(٦٥) المرجع ما قبل السابق، النائب نبيل البستاني، ص ٣٣.

والتجارة، ولا بدّ من عودتها مع ميل العرب إلى العودة إلى الربوع اللبناني في مواسم الصيف.

٦ - التخوّف من تغييرات ديمغرافية مرتبطة تتلخص في إمكانات التوطين ومخاطره «فالوزير جنبلاط متقنع بعودة المهجرين لمنته سبب وسبب، ومنها أنه يبني تخوّفه من توطين الفلسطينيين في الجبل...»^(٦٦).

٧ - مغادرة أبناء المهجريين إلى الخارج، مثل استراليا وكندا والولايات المتحدة، بداعي اليأس، وكذلك عمليات بيع الأراضي العائدة لهؤلاء المسيحيين في مناطق الشوف وعالیه وخصوصاً الوسطى منها، مما يثبت تحولاً ديمغرافياً يضر بالتوانن والكيان الوطنيين على السواء.

٨ - غياب وجود قيادات مسيحية توافق هذا الملف وتأخذ على عاتقها موضوع دعوة المسيحيين وتشجيعهم على العودة، وإنهايار القيادات الموجودة وهجرة بعضها وانسحاب بعضها الآخر وازدواجية بعض القيادات التي بقيت تضع في حساباتها المشاريع التعددية وخيار الفدرالية في وقت أصبح أمر خيار وحدة لبنان وصلابته وعروبيته أموراً محسومة على مختلف الصعد السياسية. ولم تتمكن «الفاعليات المسيحية، من روحية وسياسية، من توحيد الرؤيا حيال عودة المهجريين ومبادرات الوزير وليد جنبلاط، فاستحال الملف مادة خلاف جديد في ما بينها»^(٦٧). وتزامن هذا الغياب مع دعوات ايجابية كانت تعتبر مثلاً «أن إعادة المهجريين لا تعني اننا رجعنا إلى الأرض بل تعني أننا رجعنا إلى العيش المشترك والوحدة الوطنية والعائلة الواحدة...»^(٦٨).

٩ - فك الارتباط عملياً بين عودة المهجريين إلى سائر المناطق اللبنانية وعودتهم إلى الجبل كمرحلة أولى من مراحل تنفيذ ملف العودة.
ماذا كانت النتيجة العملية لهذه الظروف الموضوعية؟.

كانت بروز أزمة ثقة مجددة بين الطائفتين اللتين تشكلان النسيج الاجتماعي للجبل، وهي أزمة اتخذت أشكالاً متناقضة حيال قضية المهجريين بين الطائفتين وبين مرجعيات كل طائفة على حدة. ولم تظهر عودة المهجريين مشروطة أو مقيدة بالنسبة إلى الوزير وليد جنبلاط وليس محسورة في بلدة دون الأخرى... وجاءت جولات رهبان في مناطق الجبل وكذلك جولة الرئيس العام للرهبانية المارونية

(٦٦) من مقابلة مع النائب بيار الحلو، طلاب كلية العلام، راجع «ملف إعادة اعمار القرى المهرجة»، المرجع نفسه، ص ٢٥.

(٦٧) قصيفي جوزف «ملف المهجريين المسيحيين بين بكركي والمختلرة»، السفير، ١٥/١/١٩٩٣.

(٦٨) المطران خليل أبي نادر رئيس لجنة إساقفة بيروت للطائفة المارونية، النهار ٢١/١١/١٩٩٢.

الأباضي عمانوئيل خوري، لتأكد الانطباع الإيجابي... مما يعرض عودة المسيحيين إلى قراهم بدون أبطاء أو قيد أو شرط.. ولأن عدم عودتهم تعني الهجرة الداخلية أو الهجرة إلى الخارج، أو تعني موقفاً سياسياً يرفض الدخول في مسيرة السلام الوطني في زمن سقطت فيه الحروب بقرارات كبرى... إلا أن وجهة نظر كانت ترى أن حاجة جنبلاط تجعله يزور قراره بدون الاستناد إلى ضمادات ملموسة.. فالعودة تأتي بشروطه ووفقاً للأولويات التي يحددها، فيما تبدو هذه العودة حقاً طبيعياً للمهجرين وليس منته من أحد... وأنه من الأفضل رسم خطوط واضحة لمستقبل علاقات الدروز وال المسيحيين في الجبل.. فيتحول الأمر من التعايش الضروري إلى التعايش الرسالة... وترتजز هذه العودة على قاعدة التكافؤ... وبقيت قضية المهاجرين تعاني من التباطؤ، مع قناعة بكركي التي تستمع إلى جميع الأطراف، وتعتبر أن عودة المسيحيين إلى مواطنهم التي نزحوا عنها قسراً واجب ديني ووطني ومن دونها لا يسلم النسيج الاجتماعي للبنان ولا تسقط نهائياً خيارات الفرز.. والتقطيم والهجرة الدائمة إلى الخارج...»^(٦٩).

والواقع أن هذه التباطؤ كان يشكل ضلعاً في المعارضة المسيحية القائمة على:

- ١ - المطالبة بالتمثيل المتوازن في الحكم والتركيبة السياسية.
- ٢ - التوازن في نزع السلاح بين الفئات اللبنانية من دون استثناء.
- ٣ - عودة المسيحيين المهجرين إلى الجبل.

وكانت هذه المعارضة تتسرّب عبر الشعارات الدائمة عن فقدان التوازن، وهو احساس الاحباط والغبن، وعدم المساواة، والصيف والشتاء على سقف واحد، بينما كانت الدولة تسعى إلى امتصاص هذه النقم والمعارضة في عدم مجاراتها لهذه الأمور، أو لأن سلاح «حزب الله» المقصود بهذا الكلام كان واضحأً أنه يأتي في سياق سلاح المقاومة ويتحدد مصيره وفقاً لمفاوضات السلام، وثانياً لأن الظروف والقناعات الدولية ليست في وارد تقرير الانتخابات النيابية أو عدم الاعتراف بالتمثيل الحالي المسيحي وتفصيل حكومات على قياس رغبات الأطراف المقاطعة والمعارضة، فكانت عودة المهجرين ضلعاً أساسياً إنشغلت به الدولة لرفع معنويات المجموعة المسيحية والتواصل المباشر مع رغبات المهجرين، خصوصاً بعد سلسلة من الضربات التي لحقت بقيادة المسيحية التي وضعت نفسها خارج الحكم، وثم نزع سلاحها. وكان حل حزب «القوى اللبنانية» وتوقيف قائدتها ومحاكمتها مع افراد آخرين آخر الحواجز التي سقطت بين الدولة ورعاياها.

(٦٩) قصيفي جوزف، المرجع نفسه.

انتشار الجيش والعودة الفعلية المضمنة

ورغم ذلك، بقيت الذريعة الأمنية شبحاً يسيطر على المهجّر العائد رغم تسلمه منزله وتعويضات مالية محددة. وبقي ملف المهرّبين أمراً قابلاً للشك والمساومة وملفاً مفتوحاً على مختلف الإحتمالات والمراهنات إلى أن قررت الدولة القيام بأهم خطوة في تاريخ الحرب اللبنانية، واضعة ثقلها لحل مشكلة المهرّبين الفعلية كأهم مشكلة واجهتها خلال الجمهورية الثانية.

هكذا كان لا بدّ من الانتقال بهذا التاريخ من المأسى اللبناني من مستوى الوعود والدعوات الكثيرة إلى مستوى العودة الفعلية المحسنة. كيف؟.

١ - بدأ توقيت الخطوة بتصريح لعماد إميل لحود قائد الجيش في مجلة الجيش في شهر أيار/مايو ١٩٩٤^(٧٠). وكانت بداية تنفيذ خطة رسمتها الدولة للدخول في تفاصيل وتقرّارات ملف الجبل. وأهم ما في هذا الحديث:

أ - «إن ما يقوم به الجيش من إنجاز هنا يستلزم تطويره بإنجاز هنالك لتعزيز الانتماء والانصهار الوطني، لا سيما في مواجهة المشكلات الكبرى التي أفرزتها الحرب، وأهمها مشكلة المهرّبين، وأكبرها حجماً قضية مهجري الجبل، وإن قيادة الجيش ترى أن عودة المهرّبين عموماً ومهجري الجبل خصوصاً واجب وطني ملخّ وحتمي لم تعد الظروف تسمح باستمرار معالجته بالاستهانة. إنها قضية كالأمن مرتبطة مباشرة بالأمن الوطني العام، وبالتالي يصبح مفهوماً للجميع أن هذه العودة بمقدار كونها لا تشكل تحدياً لأحد فإنها أيضاً ليست من أحد، لذلك فهي لا تفترض الموافقة المسبقة من أحد عليهما، وهي قرار الدولة، والجيش سينفذ هذا القرار بالعزم الذي نفذ فيه كل القرارات المصرية السابقة وسيضمن هذه العودة بكل ما تقتضيه من أمن وكرامة».

ب - «بذلّت القيادة جهداً لإبلاغ جميع فرقاء الحرب.. أن زمن الفلتان الأمني قد ولّى إلى غير رجعة، وأن الجيش يضمن للجميع حرية العمل السياسي المعارض للدولة والموالي لها على حد سواء، شرط عدم افتتاح الخلل الأمني أو استغلاله لتحقيق غaiات سياسية. وقد كان صعباً، في البداية، على الكثرين التخلّي عن دوبيالتهم لمصلحة الدولة الواحدة... أو التخلّي عن مرافق عامة مفترضة ومرافقه غير شرعية، وأسلحة دمار، وجبايات وحواف وسوهاها مما أفرزته الحروب المتعاقبة على الوطن والمواطنين...».

(٧٠) مجلة «الجيش»، عدد ١٠٩، أيار ١٩٩٤، ص ٦.

ج - «... إن ما سببه سلاح المسيحيين ضد المسلمين وسلاح المسلمين ضد المسلمين، هو أعنف وأشرس مما سببه أي سلاح موجه من فئة ضد أخرى... والعبارة أن لا بديل عن الدولة، ولا بديل عن الجيش الشرعي في حماية المواطنين وفي ضمان أمنهم وكرامتهم إلى أي فئة انتموا... ويخوض الجيش معركة مصرير عنوانها الوحيد أن يبقى لبنان وطناً وأن تكون فيه دولة...».

٢ - في ١٨ حزيران/يونيو ١٩٩٤، نفذت وحدات من ٨ آلاف جندي من الأولوية الثالث وال السادس، والعشر والحادي عشر وفوج التدخل الثالث في الجيش اللبناني، واحتياط القيادة أي فوج المغاوير والتدخل، عملية انتشار واسعة في الجبل، تم بموجبها تعزيز وتبديل نقاط تمركز عسكرية واستحداث نقاط جديدة من مقطع نهر الأولى جنوباً وحتى منطقة المتن الأعلى شمالاً.

وقد حددت أهداف العملية في بيان لمديرية التوجيه بإيجاد المناخ الأمني الملائم وال دائم لعودة الحياة الطبيعية إلى سابق عهدها من خلال عودة المهجريين وتعزيز التعايش الوطني الذي هو أحد المقومات الرئيسة للوفاق^(٧١).

وقد تمت هذه الخطوة في ثلاثة أيام تحت شعار مدروس عنوانه «لا للتعدي ولا للتحدي»، كما جاء في أمر اليوم الذي اعتبر فيه العماماد لحود منطقة الانتشار «عبر التاريخ صورة رائعة لوحدة اللبنانيين وانماؤجاً حضارياً للعيش المشترك والتآخي في ما بينهم، لم تستطع وطأة الأحداث السابقة النيل من أصالتها والتغيير في جوهرها...» وتابع مخاطباً الجنود «أنتم اليوم مدعاون للمساعدة على إعادة الحياة الطبيعية لهذه المنطقة بعودتها اللحمة بين أهلها الذين هم أبناء تاريخ واحد ومصير مشترك.. وأنتم مدعاونون أيضاً بالوسائل المتوفرة لديكم لتخفيض المأساة الاجتماعية عن أبناء المنطقة المقيمين منهم والعائدين، فلا توفرُوا جهداً ولا ترددوا سائلاً عن مساعدة مهما كان نوعها، ولن تلوا القيادة جهداً، وبالتنسيق مع الوزارات والمؤسسات الاجتماعية المختلفة، لضمان نجاح العودة... لأن العودة هي رمز الوحدة ووحدة الجبل من وحدة لبنان..»^(٧٢).

٣ - يأتي هذا التدخل «رسالة» إنسانية تتعاطى مع مستقبل الوطن والوفاق والسلم الأهلي.

ويبدو من نص العودة الفعلية أن خطة العودة لا تهدف فقط إلى العودة المادية وإنما تتعامل مع الجوهر الذي يبحث عن إعادة صهر المجتمع اللبناني الذي فككته الحرب، كما يهدف إلى ترسیخ العيش المبني على الأسس الوطنية الصالحة

(٧١) النهار، السفير ٦/٢١/١٩٩٤.

(٧٢) «انتشر الجيش فعادت الروح إلى الجبل»، مجلة «الجيش»، عدد ١١١، تموز/يوليو ١٩٩٤، ص ٥٢.

يتحققه أمن اجتماعي حقيقي وسلم أهلي دائم. وبهذا المعنى، يمكن قراءة توقيت هذا الملف الذي جاء بعد التحسين النهائي لوضع المناطق الشرقية وفي قراءة متأنية لاستحقاقات المرحلة المقبلة.

ويبدو الإنتشار غير عادي في المهمات التي أوكلت إلى الجنود والتي تتجاوز طبيعتها الأمنية المعروفة وتتخذ أبعاداً اجتماعية وانسانية وربما اقتصادية و عمرانية (تأهيل البنى التحتية أو شق الطرق الزراعية).

٤ - وإذا كانت هذه الخطوة العسكرية العملية قد غيرت طريقة التعاطي مع هذا الملف الشائك، فإنها تأتي وفق خطة وضعتها الدولة بالطبع وساهمت وزارة المهجرين في وضعها. وتكتفي القراءة الأفقية للدليل العملي لتنفيذ المرحلة الأولى من العودة، كما أعدته وزارة المهجرين وفي الخطة الأولى منه، لاكتشاف أنه خارج إطار الجيش لم يكن في الامكان حسم هذا الموضوع: «تهدف الخطة الأمنية إلى بسط سلطة الدولة على كل الأراضي اللبنانية، من أجل فرض الأمن وتطبيق القوانين لتأمين الطمأنينة لجميع المواطنين، وتحضير الأجواء لعودة المهجرين.

أما ستراتيجية التنفيذ فلها هدفان: تنفيذ خطة أمنية شاملة بواسطة القوى الشرعية المتاحة، ومواكبة الخطة الأمنية بمناخ سياسي وفاقي اجتماعي يوحى بالثقة والطمأنينة والاستقرار، وهيئ الأجواء الصالحة للعودة والعيش^(٧٣) المشترك..»

وتسددي القراءة الأفقية لردود الفعل التي أحدثتها هذه الخطوة الوصول إلى الاستنتاجات التالية:

١ - أظهرت المؤسسة العسكرية وقادتها الوطنية أن الجيش اللبناني قد استعاد نسج الوطن من خلال إعادة بنائه، ملتزماً وحدة البلاد أرضاً وشعباً ومؤسسات، وأنه قادر على تحمل المهام الوطنية الكبيرة وفي كل المناطق وربما في الجنوب عندما تحزم القيادة السياسية قراراتها المناسبة وفي أوقاتها المناسبة. وأعتبر الانشار «عودة جبل لبنان إلى ولادة جديدة تُعبر عن التعايش في جميع أنحاء لبنان، فالمهجرين هم حزب الوحدة، وبدون وحدتهم فإن الانقسام الديمغرافي سيبقى خطراً على لبنان. وتنتعاد خطوة الانشار من حيث أهميتها بخطوة الدمج الجريبة بين الولية الجيش اللبناني والتي كانت في أساس إعادة بناء الجيش.

(٧٣) راجع «الدليل العملي» لتنفيذ المرحلة الأولى من العودة كما أعدته وزارة المهجرين وفيه الخطط التالية: الأمنية، التمويلية، السياسية، القانونية، الاسكانية، الإنمائية، الاقتصادية، الاجتماعية، الإعلامية، التربية، الثقافية، والبيئية، وكذلك شروط التنفيذ والأخلاقيات. من وثائق وزارة المهجرين، ونشرت في جريدة السفير في ٢٢/١/١٩٩٣.

٢ - إن عودة المهرجين إلى الجبل، كجزء من خطة شاملة ترمي لاعادة كل مهجر إلى أرضه وبيته في أي مكان من لبنان، ليست فضلاً على أي مهجر بل هي حق من حقوق المواطن اللبناني في وطنه، ولهذا، فإنها يجب ألا تتسم بأي شكل من أشكال التعدي أو التحدي، لأن اعادة اللحمة الوطنية وترسيخ عوامل السلم الأهلي على قاعدة من الثبات إنما تكون بانهاء عوامل الفرز الديمغرافي والتفرقة الطائفية والمذهبية التي انتجتها الحرب اللبنانية. وإن عودة المهرجين المنشودة إلى أي مكان هُجّروا منه في لبنان، لا يمكن ضمان نجاحها إلا بانتشار الجيش اللبناني في مناطق العودة وتمركيزه في كل موقع أو نقطة يراها ضرورية كي يوظف انتشاره بالصورة التي تضمن الأمان والطمأنينة للجميع، ونُسقط كل تشكيك بالدولة أو اتهام لها بالالتوازن، وتأكد أن عودة المهرجين، جميع المهرجين، ليست خطوة ظرفية مرهونة بعوامل سياسية أو أمنية، بل أساساً نهائياً لاستعادة الوحدة الوطنية اللبنانية لا رجوع عنه ولا تهاون فيه، وأن هذه العودة تكمل ملامحها باعمار القرى والبلدات المدمرة التي طالها التهجير، لا في الجبل فحسب، بل في كل منطقة من مناطق لبنان^(٧٤).

٣ - وإذا حاولت بعض أجهزة الاعلام التشويش على خطوة الانتشار وتجديد الكلام عن الاحتياط وربطه بهذه الخطوة، فإن لا علاقة على الاطلاق بين هذه الخطوات الوطنية والمشاعر الفئوية الصغيرة. ويعتبر وجود الجيش أمراً أساسياً في بناء الوطن وشاشة الأمان «ليس في قرى العائد़ين فحسب بل في جميع المناطق اللبنانية، ولكن وجوده في القرى التي شملها قرار العودة، بشكل خاص، أمر ضروري لتأمين الحد الأدنى من الطمانينة للمواطنين... ولكن هذا لا يعني أن يرافق كل مهجر عائد دبابة أو بندقية وإنما الإيمان بـلبنان الواحد والعمل على ترسيخته»^(٧٥).

لقد شهدت منطقة الجبل «تدابير مباركة بدأها الجيش اللبناني، وهي التدابير التي يتوقع أن تؤتي ثمارها في غضون الأشهر المقبلة، وأن تعزز مسيرة التلاحم الوطني بين اللبنانيين كافة وبين إبناء الجبل بشكل خاص»^(٧٦).

٤ - وإذا كانت بعض الأطراف اللبنانية التي قاطعت، منذ الطائف الدوَلة في مبادراتها وقراراتها، واتخذت موقف الالامبالة، فإنها قد غيرت من هذه الموقف بعد الانتشار، ورأى أن الأمان المنجز يأتي في المرتبة الأولى للبحث في «عناصر

(٧٤) ناصر الدين هشام، «عودة الوطن بعودة المهرجين»، مجلة الحوار، حزيران/يونيو ١٩٩٣.

(٧٥) الرئيس رفيق الحريري أمام مجلس النواب، نهار الثلاثاء ٢١ حزيران/ يونيو ١٩٩٤. راجع النهار وغيرها من الصحف المحلية ٢٢/٦/١٩٩٤.

(٧٦) المسيرة، ٢٧/٦/١٩٩٤، عدد ٤٥٢.

العودة ومقوماتها وظروفيها الفعلية..»^(٧٧). فالاستقرار النفسي والمعنوي للذان وفرّتهم خطوة الانتشار، يؤديان بالطبع إلى الإنكباب هذا الصيف (١٩٩٤) على موضوع المصالحات كخطوة هادئة وداعمة للعودة، خصوصاً وأن هذا الانتشار قد خلق أجواء متوازنة للمصالحة أكثر من ذي قبل. فقد ولد الانتشار قناعة ما بعد الحرب التي أثبتت أن الانتصارات تبقى وهمية مهما طالت، وأن الخسائر يمكن أن تُعرض بوحدة الجيش والوطن مهما عظمت.

وإن بقيت مشاكل كثيرة عالقة من النواحي المالية بهدف:

- تأمين الأمن الاجتماعي والإقتصادي.
- ترميم الطرق وترفيتها.
- تأمين الكهرباء في القرى المدمرة وصيانتها.
- صيانة الأعطال في شبكات المياه.
- تأمين الهاتف لكافة القرى.
- دعم الزراعة حيث أن معظم هذه القرى تعتمد الموارد الزراعية، ولذا يفترض استصلاح الأراضي، وأقنية الري، وشق الطرق الزراعية، وإنشاء خزانات.. الخ.
- ترميم المنازل وبناء المهدّم منها.
- تأمين القروض الكافية لأصحاب المنازل المتضررة.
- إعادة فتح المدارس الرسمية وترميم المهدّم منها وإعادة بنائه.
- فتح مراكز الخدمات الاجتماعية والصحية.
- ترميم الكنائس والأديرة.

يمكن القول إن الخطوة الأساسية جاءت في انتشار الجيش في ٥٢ قرية وبلد، واضعة الملامع الأساسية الفعلية في ملف عودة الوطن إلى الوطن، وعلى المؤسسات أن تتبعها وتتماهى بنسج الجيش من أجل وطن نهائي عادل وثابت وحضاري. فالجيش جيش وطني سليم بقيادة حكيمة، قيادة العماد أميل لحود، من دون تمييز طائفي أو مذهبي أو سياسي، الجيش هو لكل اللبنانيين، وما خطوة تعزيز انتشاره سوى مدخل لعودة الحياة إلى طبيعتها من طريق صهر الشباب والمواطنين في بوتقة وطنية واحدة بهدف لبنان الموحد وطنياً واجتماعياً.

(٧٧) وليد جنبلاط، مجلة الجيش، تموز/يوليو ١٩٩٤.

وتوزعت المناقشات على ست وعشرين جلسة متخصصة. أثبتت أبحاث المؤتمر أن وراء الأحداث اللبنانية التي أدت إلى التهجير جملة من الأسباب الداخلية والخارجية أبرزها.

- ١ - البنية الاجتماعية اللبنانية التي أنت محصلة مسار تاريخي احتضن تفاعلاً معقداً ودقيقاً بين تمایز طائفي وثقافة فئوية وتفاوت اجتماعي اقتصادي، توأمه درجة عالية من قابلية المجتمع للاختراق الخارجي المتعدد بتنوع الطوائف والأحزاب.
- ٢ - طبيعة النظام اللبناني الذي كان انعكاساً سياسياً لهذه البنية الاجتماعية وقام على التمييز الطائفي والاجتماعي والاقتصادي.
- ٣ - المشروع الإسرائيلي القائم على الفرز السكاني الطائفي والعامل على تفتيت المنطقة على قاعدة هذا الفرز.
- ٤ - المشروع السياسي الداخلي الساعي إلى إقامة الدوليات الطائفية والذي وجد في المشروع الإسرائيلي حلifaً طبيعياً.

وقد أمن هذا المؤتمر مشاركة وطنية شاملة، وأنجز دراسات عميقة ودقيقة واستقطب الاهتمام الرسمي والشعبي، كما قدم، من خلال لقاء الدولة بسلطتها التنفيذية والتشريعية مع أصحاب القضية، ومشاركة الأحزاب، والمؤسسات الأهلية والمثقفين وأصحاب الاختصاص، والمواطنين عاماً. النموذج العلمي والعملي لمعالجة شتى المسائل الوطنية.

وقد أعطى هذا المؤتمر مسألة المهجرين حجمها الواقعي وجعل منها الهاجس الوطني الأول، ومن العودة القضية الوطنية الأساس.

وشكل هذا المؤتمر بآبحاثه العلمية الموضوعية الوفيرة والمتعددة، فرصة للتلاقي، وخطوة على طريق الحوار المؤدي إلى المصالحة الوطنية ومرجعية معلومات، ان في الإحصاءات والدراسات أو في التوصيات، وتقديم المؤتمر باقتراحات توصيات كثيرة جدية وانحصرت بالخطوط العريضة على أن تحال بعد اقرارها إلى لجان اختصاص تتولى تحويلها إلى خطط تفصيلية كل في مجاله.

أولاً - في تنظيم العودة

اصدار قرار عن مجلس الوزراء يعلن فيه:

- ١ - إعادة جميع المهجرين اللبنانيين منذ العام ١٩٧٥ إلى بيوتهم وأملاكهم وأماكن إقامتهم السابقة ومصادر أرزاقهم، على أن تحدد كيفية العودة ومراحلها وشروط تنفيذها وبرنامجهما الزمني.
- ٢ - تشكيل «المجلس الوطني للمهجرين» كي يعني بشؤون المهجرين وتنظيم عودتهم. وهو مجلس استشاري يرأسه وزير الدولة لشؤون المهجرين ويشارك فيه مندوبون عن الوزارات المعنية ومجلس الإنماء والاعمار والهيئات الأهلية والحكومية وممثلو المهجرين، على أن يكون التمثيل منبثقاً من لجان القرى والاحياء.

ثانياً - في الوفاق الوطني

- ١ - السعي الحثيث لتحقيق بنود وثيقة الوفاق الوطني - اتفاق الطائف الهادفة إلى تأكيد السلام والوحدة الوطنية وصولاً إلى إلغاء الطائفية، وأحداث الاصدارات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية وغيرها وصولاً إلى قيام دولة العدالة والمساواة.
- ٢ - إنجاز المصالحة الوطنية الشاملة على الصعد والمستويات كافة وعلى أساس وطنية ثابتة تحول دون العودة إلى مسلسل الحروب والتهجير.
- ٣ - حل النزاعات والخلافات السياسية بالحوار الحر الديمقراطي.
- ٤ - اصدار ميثاق شرف عن الأحزاب والفعاليات السياسية يلتزم فيه بدعم العودة، والعمل على منع أسباب التهجير من تغيير المجتمع اللبناني مجدداً.
- ٥ - تأطير البقطة الشعبية العارمة التي شهدتها لبنان حول قضية المهرجين من أجل خلق حالة تساعده على الوحدة والانصهار الوطنيين.

ثالثاً - في التشريعات والتدابير الاستثنائية

- ١ - تشكيل لجنة من «هيئة التشريع والقضايا» في وزارة العدل» ومن حقوقين ومندوبيين عن «المجلس الوطني للمهجرين» ينطاط بها إعداد صيغة مشاريع القوانين المنصوصية في باب حل مشكلات المهرجين.
- ٢ - استصدار قوانين بتعليق العمل بمهل مرور الزمن العائد لحقوق المهرج في عقود الإيجار وفي ما يتعلق بإكتساب ملكية العقارات غير المسروقة وغير المقيدة في السجل العقاري تحديداً. وإلغاء جميع النصوص التشريعية التي تتعارض مع حق المهرج في العودة.
- ٣ - إنشاء محكمة خاصة استثنائية لحل النزاعات الناشئة عن التهجير تكون أحكامها نهائية وغير قابلة للطعن.
- ٤ - وقف تنفيذ أحكام أخلاء الأماكنة التي يشغلها مهجرين لحين ايجاد حل لقضيتهم وأصدار عفو عن المهرجين بسبب الاحتلال.

رابعاً - في الأمن

- ١ - توفر الدولة عن طريق القوى الشرعية المتاحة لها جواًًاً مسقراًًاً يوحى بالطمأنينة ويساعد على تطبيق القوانين وحفظ حقوق المواطنين.
- ٢ - يواكب قرار الدولة مناخ سياسي وفاسي واجتماعي يوحى بالثقة والطمأنينة والاستقرار الاجتماعي ويهيء الأجواء الصالحة للعودة والعيش المشترك.
- ٣ - استكمال عملية حل المليشيات واستيعابها وجمع الأسلحة.

خامساً - الجنوب والبقاع الغربي والشريط الحدودي المحتل

- ١ - العمل على تنفيذ القرار ٤٢٥.
- ٢ - دعم المقاومة الوطنية على الصعد كافة.
- ٣ - تعزيز الصمود الوطني عموماً، والجنوبي خصوصاً، وذلك عن طريق:
 - أ - تنشيط المؤسسات الرسمية وخدماتها على كل صعيد.
 - ب - دعم الإنتاج الاقتصادي ومكافأته وتعزيز رعاية العمل التربوي والثقافي.
 - ج - رفع قيمة التعويضات عن الأضرار البشرية والمادية، بما يتناسب وضرورات الصمود.
 - د - تأمين الوسائل الازمة لحماية المدنيين ونجدهم (ملاجيء، تجهيزات وخدمات طبية...).
 - ه - تعزيز مسؤولية مجلس الجنوب بما يتواافق مع مراحل الصمود والتصدي.
 - ئ - التحرك عبر المنظمات الدولية لتأمين الإفراج عن المعتقلين والأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي.

سادساً - في الإسكان

- ١ - إعادة اعمار القرى والبلديات والاحياء المهدمة وفق تخطيط مدني حديث يتلاءم مع قوانين البيئة الاجتماعية والطبيعية.
- ٢ - اعتماد سياسة اسكانية تلحظ:
 - أ - الأفضلية في القروض السكنية الميسرة للمهجر العائد وللمواطن المتضرر من الحرب من ضمن خطة اسكانية شاملة تطال جميع اللبنانيين.
 - ب - تشجيع قيام الصناعات والمؤسسات الإنسانية في مناطق العودة تسهيلاً لتأمين مواد البناء بأسعار مخفضة.
 - ج - تفعيل المؤسسات الاسكانية لجهة تأمين الاعتمادات الازمة لها.
 - د - اختصار المعاملات الادارية والفنية المتعلقة برخص البناء والترميم.
 - ه - تشجيع قيام المشاريع الاسكانية في مناطق العودة، خاصة المساكن لذوي الدخل المحدود.
 - و - إمكانية استخدام أراضي الدولة والمشاغلات والأوقاف لإقامة التجمعات السكنية في أماكن العودة.
- ٣ - تضمين القانون الجديد للايجارات نصوصاً تلاحظ حلولاً عادلة للمشكلة السكنية العامة والتي أصبحت متداخلة مع مشكلة المهجرين.

سابعاً - في الانماء

- ١ - اعتماد سياسة ائمائية شاملة ومتوزانة:
 - أ - تشجيع النازحين على العودة.
 - ب - تؤمن الدخل الاقتصادي للإقامة والاستمرار.
- ٢ - تشجيع إنشاء المؤسسات الصناعية والحرفية والزراعية في الريف، وتأمين قروض وتسليفات واعفاءات ضرائبية، وإسداء توجيهات وإرشادات ومساهمة في تأمين تصريف الإنتاج.
- ٣ - إعادة تفعيل المشروع الأخضر والانعاش الاجتماعي.

ثامناً - في التعاونيات

- ١ - استصدار قانون تعاوني يتلاءم مع الحاجات الحالية.
- ٢ - تشجيع تأسيس التعاونيات في مناطق العودة يشارك فيها العائدون والمقيمون في كافة الحقوق ضمن برنامج يواكب عودتهم وعلى الخصوص:
 - أ - التعاونيات السكنية.
 - ب - التعاونيات الزراعية.
 - ج - تعاونيات للحرفيين واليد العاملة النسائية.
 - د - إعداد دورات تدريبية وتنقifyية للتعاونيين.
- هـ - التعاون مع الهيئات الدولية والمحالية لتأمين الخبراء التعاونيين.
- ٣ - تشجيع صناديق التعاضد والتضامن في جميع المجالات.

تاسعاً - في التمويل

في التمويل الخاص الداخلي

- ١ - النظرة الشاملة.
 - أ - توجيه المصارف والمؤسسات المالية للقيام بدورها في تأمين القروض المتوسطة الأجل لتمويل مشاريع ائمائية في مناطق العودة.
 - ب - خلق الوسائل المالية القادرة على استقطاب المدخرات بهدف توجيهها لتمويل مشاريع إئمائية.
- ٢ - الاقتراحات المحددة توفير الاطر التشريعية والإدارية التي تدفع القطاع الخاص نحو إعمار مناطق العودة.

في التمويل العام الداخلي

١ - النظرة الشاملة

تصحيح وضع المالية العامة لجهة ضغط الإنفاق العام وتحسين الجباية وذلك لإتاحة المجال أمام مساهمة الخزينة في تمويل المشاريع الإنمائية.

٢ - الاقتراحات المحددة

أ - اقتطاع نسبة معينة من مجموع الضرائب والرسوم الجبائية لتمويل صندوق خاص بعودة المهاجرين.

ب - فرض ضرائب على الكماليات لصالح مشاريع العودة وفرض ضرائب ورسوم خاصة للغرض عينه.

ج - تحويل ضريبة التعمير إلى تمويل مشاريع ملزمة للعودة.

د - اصلاح النظام الضريبي.

هـ - إنشاء مؤسسة ضمان التسليفات.

في التمويل الخارجي

١ - النظرة الشاملة

أ - العمل على استقطاب المساعدات الخارجية ورؤوس الأموال.

١ - بتأمين الاستقرار النقدي.

٢ - بوضع خطة اقتصادية شاملة واضحة الأهداف والأولويات ومراحل التنفيذ.

٢ - الاقتراحات المحددة

أ - ضبط وضع المالية العامة وذلك لتعزيز قدرة الدولة على التوسيع في الدين العام الخارجي وخدمته.

ب - وضع مشاريع محددة ومدروسة وتأمين التمويل لها عبر مؤسسات خارجية حكومية وغير حكومية.

ج - استقطاب رساميل المغتربين للمشاركة في إعادة الاعمار.

د - الغاء التدابير والقيود التي تحد من حرية أصحاب الرساميل العربية والاجنبية للحصول على إجازات أرباب عمل لإدارة أموالهم ومشاريعهم في لبنان.

عاشرأً - في الخدمات الاجتماعية والصحية

١ - تعميم الخدمات الصحية العامة على المناطق كافة ضمن خطة شاملة، وإعادة تأهيل وتجهيز المستشفيات والمستوصفات الحكومية.

٢ - تعزيز الطب الوقائي العام.

- ٣ - إقامة مراكز خدمات صحية في مناطق العودة وإعادة تأهيل وتجهيز القائم فيها خاصة الاهتمام بالأمهات والأطفال والمسنين.
- ٤ - إنشاء مؤسسة وطنية عليا للاهتمام بشؤون ضحايا الحرب ورعايتهم وخاصة الأرامل والأيتام والمعاقين والجرحى والأسرى والمعتقلين والمبعدين والمفقودين.
- ٥ - اعتبار الهيئات الأهلية غير الحكومية شريكاً في التخطيط والتنفيذ.
- ٦ - دعم المؤسسات المحلية من رسمية وأهلية في تعاونها مع المؤسسات العالمية لمكافحة الانحرافات الأخلاقية والاجتماعية وتفضي المخدرات زراعة وترويجاً وتعاطياً...
- ٧ - التشدد في مراقبة إيصال المساعدات إلى مستحقها الفعليين.

حادي عشر - في التربية

- ١ - اعتماد سياسة تربوية تنطلق من أهداف تربوية وطنية تترجم وثيقة الوفاق الوطني، ووضع المناهج الملائمة.
- ٢ - ترميم المدارس الرسمية في أماكن العودة.
- ٣ - استحداث مدارس تأهيل وتدريب مهني وتقني.
- ٤ - أن تأخذ الدولة على عاتقها عملية التربية، وتعزز التعليم الرسمي.
- ٥ - إعادة تخطيط مشروع تجميع المدارس وتنفيذه بما يساعد على عودة المهرجين ويحقق الانصهار الوطني.
- ٦ - توحيد كتابي التاريخ والتنشئة الوطنية على قاعدة الموضوعية بما يحقق الانصهار الوطني ويتلاءم مع الأهداف التربوية العامة.
- ٧ - تأليف لجنة تربوية لتقدير الكتب المدرسية قبل نشرها والترخيص بها.
- ٨ - تعزيز الجامعة الوطنية فعلياً وتحصين دورها التنموي وتوسيعها على قاعدة توزيع الكليات مناطقياً.

ثاني عشر - في الإعلام

- ١ - رسم خطة إعلامية تتبنى من ميثاق الوفاق الوطني، توافق الجهود السياسية وعملية الإنماء والإعمار وتكون فيها وسائل الإعلام عاملاً فاعلاً في تعزيز الوحدة والانصهار.
- ٢ - وضع ميثاق شرف إعلامي تتبناه وسائل الإعلام والأحزاب والهيئات والمنظمات مساهمة في اشاعة أجواء الحوار والانفتاح وتجنب اثارة المشاعر والحساسيات.
- ٣ - مواكبة إعلامية مكثفة للعودة وتخصيص برامج إعلامية تعالج شؤون العودة بالتنسيق مع المجلس الوطني للمهرجين.
- ٤ - وضع خطة إعلامية توجيهية خاصة ببناء المناطق المحتلة لتعزيز صمودهم وإنتمائهم الوطني.

ثالث عشر - في البيئة

- ١ - إزالة الأضرار التي أصابت البيئة من جراء الحرب وتحديداً:
 - أ - إعادة الترميم وتنظيف الشواطئ.
 - ب - استحداث معامل لتصنيع التفاحيات والمياه المبتذلة.
 - ج - المحافظة على الأبنية القديمة والترااث الوطني في عملية إعادة الاعمار.

رابع عشر - في العودة

تخصيص يوم للعودة تقام فيه المهرجانات والندوات إحتفاء بالحدث واعتبار هذا اليوم عيداً وطنياً شعبياً ويترافق مجلس الوزراء تحديد موعده.

نص مشروع القانون المعجلين بعد اقرارهما

مجلس وطني يدير وزارة المهاجرين وصندوق لتمويل مرتبط برئيس الوزراء

يتضمن مشروع القانون المعجل لانشاء وزارة شؤون المهاجرين الذي أقره مجلس الوزراء في جلسته الأخيرة انشاء جهاز تنفيذي ذي ملاك خاص موقت ومجلس وطني له صلاحيات عدّة تتعلق بتحضير المعطيات والخطبة والبرامج العملية لعودة المهاجرين. وينص مشروع مماثل لانشاء صندوق مركزي للمهاجرين على تكوين موارد لتمويل مشاريع العودة على أن يرتبط الصندوق مباشرة برئيس مجلس الوزراء.

مشروع وزارة شؤون المهاجرين

«المادة الأولى: تحدث وزارة تسمى «وزارة شؤون المهاجرين».

المادة الثانية: تعنى وزارة شؤون المهاجرين بجميع شؤون المهاجرين في المناطق اللبنانية كافة، بتأمين عودتهم الى مناطقهم وقراهم، تحصين أوضاعهم من كل النواحي الاجتماعية والاقتصادية، تمكينهم من الاستقرار في أماكن اقامتهم والمساهمة الكاملة في حقوق المواطنة وواجباتها.

المادة الثالثة: تتالف وزارة شؤون المهاجرين من:

– جهاز تنفيذي ذي ملاك خاص وموقت. وتنظم جميع الاحكام التي ترعى شؤونه الادارية والمالية بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير شؤون المهاجرين.
– المجلس الوطني لشؤون المهاجرين ويعرف في سياق هذا القانون بعبارة المجلس.

المادة الرابعة: ١ – يتتألف المجلس من رئيس ومن ممثلين عن المهاجرين ومندوبي عن الادارات العامة والمؤسسات العامة والخاصة ذات العلاقة بالشؤون الحياتية والاجتماعية والأمنية والخدمات العامة للمهاجرين.

٢ – يتم تعيين أعضاء المجلس بقرار من وزير شؤون المهاجرين على أن تراعى في اختيار الممثلين عن المهاجرين شمولية التمثيل بالنسبة الى المناطق والقرى التي حصل فيها التهجير.

٣ – تحدد تعويضات حضور جلسات المجلس بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء بناء لاقتراح وزير شؤون المهاجرين.

المادة الخامسة: يمارس المجلس الصلاحيات المحددة له في هذا القانون وفي النصوص المتممة له وهو يتولى في صورة خاصة من دون أن يكون هذا التعداد على سبيل الحصر الصلاحيات الآتية:

- تحضير المعطيات الالازمة التي من شأنها المساهمة في اتخاذ قرارات العودة والاخلاط وتنفيذها وتحصينها.
- اعداد الخطة العامة الشاملة وغيرها من الخطط بما فيها التشاكلات الاعلامية وبرامج التوعية لعودة المهجرين.
- اقتراح البرامج العملية لاخلاء المناطق والأماكن والمنازل التي يقيم فيها المهجرين بدون مسوغ شرعي بما في ذلك الشواطئ البحرية والمؤسسات السياحية على انواعها.
- اقتراح الحلول للمشكلات الناجمة عن التهجير أو العودة وتقديم المساعدات والمساهمات للمهجرين مع كل ما من شأنه تحصين عودتهم.
- اقتراح الأولويات وبرامج التنفيذ المرحلية للخطة العامة.
- اقتراح مصادر التمويل والقيام بواسطة الوزارة المختصة بالاتصالات الالازمة مع الهيئات والمنظمات الدولية والاقليمية كذلك مع الدول الصديقة والهيئات الانسانية والاهلية.

المادة السادسة: يتم افراز مشاريع الاعمار والمساعدات وأولويتها بقرار يصدر عن وزير شؤون المهجرين.

- يمول هذه المشاريع الصندوق المركزي للمهجرين بعد موافقة رئيس مجلس الوزراء ويتم بالطريقة ذاتها تكليف مجلس الانماء والاعمار تنفيذ المشاريع التي تدخل ضمن اختصاصه.

المادة السابعة: تحدد دقائق تطبيق أحكام هذا القانون بمراسم تتخذ في مجلس الوزراء بناء على اقتراح وزير شؤون المهجرين.

المادة الثامنة: يعمل بهذا القانون فور نشره في الجريدة الرسمية.

مشروع الصندوق المركزي للمهجرين

«المادة الأولى: انشاء صندوق مركزي للمهجرين يسمى في سياق هذا القانون «الصندوق»، غايته تمويل مشاريع عودة المهجرين واسكانهم، ذلك بانشاء أو ترميم المسakens أو بمنح المساعدات والقروض العينية أو المالية التي تؤدي الى تحقيق هذه الغاية.

المادة الثانية: الصندوق هو مؤسسة عامة يتمتع بالشخصية المعنوية وبالاستقلال المالي والإداري، ويخضع لأحكام هذا القانون ويرتبط مباشرة برئيس مجلس الوزراء.

المادة الثالثة: تكون موارد الصندوق من:

- ما يلاحظ له في الموازنة العامة.

- ما يحول مصلحته أو يحدث من ضرائب ورسوم.
- المساعدات والهبات التي يقدمها أشخاص معنويون أو طبيعيون لانفاقها في الغايات التي انشئ من أجلها.
- أية موارد أخرى تلحظها نصوص خاصة.

- سلفات خزينة يحدد مقدارها وطرق تسديدها بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.
المادة الرابعة: تمول المشاريع بمموافقة رئيس مجلس الوزراء وفق برامج سنوية أو طارئة يضعها وزير شؤون المهاجرين.

المادة الخامسة: تتولى إدارة الصندوق هيئة تتتألف من:

- رئيس متفرغ.
 - أربعة أعضاء يكون أحدهم مندوباً عن وزارة شؤون المهاجرين.
 - يتم تعيين رئيس الهيئة والأعضاء بمرسوم يتخذ في مجلس الوزراء.
- المادة السادسة: رئيس الهيئة هو الرئيس التسلسلي لجميع العاملين في الصندوق ويتولى رئاسة السلطة التنفيذية فيه وهو يمارس بصورة خاصة (دون أن يكون هذا التعداد على سبيل الحصر) المهام الآتية:
- ١ - إدارة ومراقبة أعمال الصندوق.
 - ٢ - السهر على تطبيق القوانين والأنظمة.
 - ٣ - تمثيل الصندوق لدى مختلف المراجع.
 - ٤ - تقديم الاقتراحات والدراسات وأعداد المشاريع لعرضها على الهيئة.
 - ٥ - الدعوة إلى اجتماعات الهيئة ووضع جدول أعمالها وترؤس جلساتها.
 - ٦ - عقد اتفاقيات القروض والمساعدات التي يقدمها الصندوق بعد الموافقة عليها من الهيئة مهما بلغ قيمتها.
 - ٧ - عقد نفقات الموازنة الإدارية للصندوق.

المادة السابعة: لا يخضع الصندوق لأحكام المرسوم رقم ٤٥١٧ تاريخ ١٢/١٣/١٩٧٢ (النظام العام للمؤسسات العامة). كما أنه لا يخضع لرقابة مجلس الخدمة المدنية والتفتيش المركزي وتنحصر رقابة ديوان المحاسبة على الصندوق بالرقابة المؤخرة.

المادة الثامنة: تحدد بمراسيم تتخذ في مجلس الوزراء بناء لاقتراح رئيس مجلس الوزراء.

- ١ - أنظمة الصندوق (النظام الداخلي - النظام المالي) ومهمات الهيئات وصلاحياتها ومخصصات الرئيس والأعضاء.
- ٢ - الأنظمة والملاكات وسلم الرتب والرواتب والتعويضات للمستخدمين وسائر الأجراء والتعاقدات في الصندوق وشروط استخدامهم أو تعاقدهم.

٣ - بقية دقائق تطبيق هذا القانون.

المادة التاسعة: يعمل بهذا القانون فور نشره في الجريدة الرسمية.

«الدليل العملي» لتنفيذ المرحلة الأولى من العودة كما أعدته وزارة المهجرين

رفع الوزير جنبلاط الى مجلس الوزراء ملف قضية التهجير بالواقع والأرقام في ما يتعلق بالمرحلة الأولى. كما وضع مكتب ملف المهجرين دليلاً عملياً للخطة العامة لعودة المهجرين الذي سيتم الإعلان عنه لاحقاً، مع ملف خاص بالإنجازات، التي تحقق على الأرض.

الخطة الأمنية

تهدف الخطة الأمنية الى بسط سلطة الدولة على كل الأراضي اللبنانية من أجل فرض الأمن وتطبيق القوانين لتأمين الطمأنينة لجميع المواطنين وتحضير الأجواء الملائمة لعودة المهجرين. أما ستراتيجية التنفيذ فلها هدفان: تنفيذ خطة أمنية شاملة بواسطة القوى الشرعية المتاحة، ومواكبة الخطة الأمنية بمناخ سياسي وفاقي اجتماعي يوحي بالثقة والطمأنينة والاستقرار يهيء الأجواء الصالحة للعودة والعيش المشترك.

الخطة التمويلية

وتهدف الى تأمين التمويل اللازم لتحقيق عودة جميع المهجرين. أما ستراتيجية التنفيذ فتلخص بابحاج صندوق خاص بالمهجرين لتمويل اعمال العودة وخاصة في المجال السكني من إعادة بناء أو ترميم أو اصلاح للمنازل حيث يمول الصندوق خارجياً من:

- المساعدات والهبات من الدول والمنظمات الصديقة والشقيقة.
- الهبات والمساعدات من الهيئات الأهلية الدولية غير الحكومية.
- التبرعات والهبات من المغتربين اللبنانيين.
- القروض من حكومات ومؤسسات مالية عالمية ومنظمات دولية.

وداخلياً عبر مساعدة الدولة باقتطاع جزء من موازنتها لدعم الصندوق، وتخصيص ضرائب خاصة بالصندوق المركزي للمهجرين، ووضع نظام ضرائي عصري جديد بإمكانه مواكبة إعادة الاعمار في لبنان، وتقديم اعفاءات خاصة بالعائلتين لتشجيعهم على الاستثمار في مناطق العودة، ومرافقه العودة بسياسة اسكانية شاملة عبر تفعيل دور مصرف الاسكان والسياسة الاقراضية الاسكانية الفردية أو التعاونية التي من شأنها توفير حل ملائم للمشكلة الاسكانية التي تداخلت مع مشكلة التهجير خلال سني الحرب، وأصدار طوابع بريدية وعملات تذكارية مخصصة لدعم صندوق العودة.

اما مساعدة القطاع الأهلي، ف تكون عبر توجيه الهيئات الأهلية غير الحكومية كي تضع

في أولويات برامج مساعداتها وتقديماتها، مشاريع في مناطق العودة، وبالتعاونات المالية من مؤسسات وهيئات وأشخاص وتنظيم حملات تطوعية يشارك فيها مواطنون من طلاب وعمال واختصاصيين ونقابات وجمعيات ومؤسسات خاصة عبر تقديم خدمات خدمية وانشاء تعاونيات انتاجية خاصة بالمواد المستخدمة في اعادة الاعمار.

الخطة السياسية

وتهدف الى استكمال تهيئة الاجواء السياسية للعودة والتي بدأت مع اتفاق الوفاق الوطني في الطائف، وتحصين عودة المهرجين على جميع المستويات لتبنيهم في مناطقهم، ومنع حصول تهجير جديد مستقبلي، تحقيق العدالة والديمقراطية والمساواة، تحقيق الانصهار والسيادة الوطنية، ترسیخ السلام، تعزيز الوحدة الوطنية وصولاً الى الغاء الطائفية، خلق التوازن الاقتصادي والأنمائي والاجتماعي في جميع انحاء الوطن حتى لا تتحول قرى العودة الى قرى مهجورة.

أما ستراتيجية التنفيذ فحددت بالآتي:

- تحقيق بنود وثيقة الوفاق الوطني.
- انجاز المصالحة الشاملة على أساس وطني ثابتة تحول دون العودة الى مسلسل العنف.
- حل النزاعات والخلافات السياسية بالحوار الديمقراطي.
- التزام الأحزاب والفاعليات السياسية بدعم عودة المهرجين.
- اعتماد الولاء الوطني والقومي بدلاً من الانتماء الطائفي والقبلي، احترام المواطن كقيمة انسانية، صهر الجماعات في اطار وطني واحد كقاعدة لتأسيس الحياة المشتركة، تنفيذ عملية اعادة المهرجين على أساس القرار الوطني الشامل للعودة.

الخطة القانونية

وتهدف الى استحداث النصوص التشريعية بما يتلاءم مع دولة القانون والأوضاع التهجيرية، وحفظ حقوق ضحايا التهجير، للمهجر في منطقة تهجيره في المكان الذي لجأ اليه، للشخصية غير المهرج، الذي لحق به أذى التهجير في المناطق التي لجأ إليها المهرجون.

أما ستراتيجية التنفيذ فتهدف الى تطبيق القوانين التي تكفل حق حماية الملكية الفردية في لبنان ومنها حفظ حقوق المهرج في الأملك التي منعته ظروف التهجير من الاستفادة منها واستثمارها، ووضع تشريعات قانونية كفيلة بتفعيل وزارة المهرجين والمجلس الوطني للمهرجين والصندوق المركزي للمهرجين، استصدار تشريعات خاصة بعودة المهرجين تشجع المهرج على العودة الى مكان اقامته الأصلية وتلحظ تعليق العمل بمهل مرور الزمن العائد لحقوق المهرج في بعض عقود الإيجار أو الاستثمار واكتساب حق ملكية العقارات غير المسروقة وغير المقيدة في السجل العقاري واصدار اعفاءات ضريبية للمهرجين العائدين في ما خص الضرائب العقارية وضرائب البناء وانشاء محكمة

خاصة استثنائية للبت بالنزاعات الناتجة عن التهجير ومراعاة واقع اقامة المهرجين في الأماكن التي لجأوا إليها من ناحية، ووقف تفزيذ أحكام الأخلاع للأمكنة التي يشغلها المهرجون بشكل غير قانوني بانتظار توافر الحلول الملائمة لوضعهم وتوحيد المرجعية المعنية باتخاذ قرارات الأخلاع وإصدار عفو خاص عن جرم الأشغال غير القانوني (الاحتلال) للعقارات بسبب التهجير.

الخطة الاسكانية

وتهدف الى تأمين مسكن لكل اسرة مهجرة أو متفرعة من أسر مهجرة. خصوصاً تلك التي تقيم في أماكن غير مخصصة للسكن وبشكل غير قانوني وإعادة اعمار شاملة للقرى والبلدات والأحياء المهدمة جزئياً أو كلياً أو المتضررة وحل المشكلة السكنية لغير المهرجين الذين فقدوا حق استعمال مساكنهم ومؤسساتهم وأشغالها من قبل مهجرين ومراعاة التنظيم المدني الحديث قدر الامكان في اعادة بناء القرى المهدمة.

أما ستراتيجية التنفيذ فتهدف الى:

- المساعدة في اصلاح المساكن المتضررة وترميم المساكن المهدمة جزئياً وإعادة بناء المساكن المهدمة كلياً وتتأمين مساكن جديدة للأسر المتفرعة من أسر مهجرة أو للأسر غير المهرجة التي تشغّل مساكن بشكل غير قانوني ولا تملك مكاناً آخر للإقامة. وذلك عبر مساعدات مادية جزئية من الصندوق الخاص مباشرة، أو من الهيئات الأهلية غير الحكومية، على أن ينسق المجلس الوطني للمهجرين توزيع هذه المساعدات.

- بناء مجتمعات سكنية على عقارات مخصصة لوزارة الاسكان أو على أملاك ومشاعرات تخص الدولة أو على أملاك عائدة للأوقاف يقدمها القائمون عليها وتباع مقسطة على آماد طويلة أو تؤجر لأسر مهجرة وتقيم في أماكن غير مخصصة للسكن أو بشكل غير قانوني ولا تملك مكاناً للإقامة كالأسر المتفرعة من أسر مهجرة وكانت تقيم في مأجور واحد.

- التنسيق مع التنظيم المدني والكليات الهندسية الجامعية والمؤسسات المتخصصة لوضع مخططات مدنية عصرية في عملية إعادة الاعمار. وتؤمن بيوت جاهزة للاستعمال المؤقت للذين يعملون في ورش البناء في مناطق العودة وللذين يشرفون على استثمار أراضيهم والاعتناء بها بانتظار استكمال بناء منازلهم وتفریغ المنازل المشغولة بشكل غير قانوني.

الخطة الانمائية

وتهدف الى تحقيق الانماء الشامل اقتصادياً واجتماعياً وخلق التوازن في انماء المناطق والقطاعات والفئات الاجتماعية والخدمات العامة واستثمار الامكانيات والموارد المميزة لكل منطقة في إطار الخطة العامة الشاملة وتعزيز المشاركة الفعلية والتتنسيق بين مختلف القطاعات (الحكومية، الخاصة والهيئات الأهلية غير الحكومية...) في تنفيذ الخطة الانمائية.

أما استراتيجية التنفيذ فتهدف إلى وضع خطة ائمائية تعطي الأولوية للمناطق المنكوبة والمتضررة وتلك التي تعاني من الحرمان والاهمال وبرمجة عملية التنفيذ بحيث تباشر في مناطق العودة في إطار المرحلة الأولى لعودة المهرجين ويأتي التنفيذ داعماً للعودة ومساعداً لها. وتعزيز سياسة التخطيط لدى مجلس الانماء والاعمار وتأمين الموارد المالية اللازمة لها ووضع استراتيجية لخلق التوازن الانمائي للحد من النزوح الداخلي والهجرة إلى الخارج ووضع استراتيجية لتنمية الموارد البشرية واستقطابها ووضع الخطط الالازمة وتحديد الأولويات التنفيذ وتأمين قروض ومساعدات الخطة الانمائية الشاملة والمنطقية وتحديد الأولويات التنفيذ وتأمين توجيهات وتقديم مالية وعينية للمشاريع الانمائية وتأمين اعفاءات ضريبية لها واسداء توجيهات وتقدير ارشادات من قبل اختصاصيين ومؤسسات متخصصة لتوجيه حقول الانتاج وتأمين تصريفه، وتفعيل كل من «المشروع الأخضر» و «المؤسسة الوطنية للاستخدام» و «المؤسسة الوطنية لضمان الاستثمار».

الخطة الاقتصادية

وتهدف إلى خلق وانعاش الوضع الاقتصادي في مناطق العودة. أما استراتيجية التنفيذ فتكون عبر وضع وبرمجة خطة اقتصادية شاملة واضحة الأهداف والأولويات وتعزيز المصالح الاقتصادية المشتركة بين المجموعات السكانية المختلفة وتشجيع العمل التعاوني الزراعي والحيواني عبر المساعدة على تحسين وسائل الانتاج وتسويق المنتوجات وایجاد سياسة اقراض خاصة بالزارعين واعطاء الأولوية لحل المشكلات الناتجة عن استثمار الملكيات الزراعية من قبل مستثمرين غير شرعيين، وذلك بالوسائل الرضائية الوفاقية بهدف تأمين الحافز الأساسي للعودة والاستقرار، فهي الأسهل حلّاً من حيث المبدأ خاصة أن لا استثمارات كبيرة على هذا المستوى إلا في حالات نادرة. واعطاء الأولوية لحل المشكلات الناتجة عن استثمار الملكيات الصناعية والتجارية والسياحية والانتاجية عامة من قبل مستثمرين غير شرعيين وذلك بالوسائل الرضائية الوفاقية بهدف تأمين الحافز الأساسي للعودة والاستقرار ودعم الحرفيين والمشروعات الصغيرة في مناطق العودة لتحسين مستوى المعيشة وتحقيق الاكتفاء الذاتي عند العائدين وتشجيع القطاع الخاص على الاستثمار في مناطق العودة ولا سيما الريفية منها، وتشجيع عمل النساء عبر انشاء مشروعات حرفية خاصة.

الخطة الاجتماعية

وتهدف إلى تعزيز العلاقة بين القطاعين الأهلي والعام بين المواطن والدولة وإلاء المجموعات البشرية الضعيفة عناية خاصة وتحقيق التوازن الوطني في المجال الاجتماعي الانمائي أما استراتيجية التنفيذ ف تكون على مستوى الجماعات الأهلية غير الحكومية والشؤون السكانية والتنمية الاجتماعية والمؤسسات العامة.

الخطة الإعلامية

وتهدف الى اعلام مواكب ومشجع على العودة وسياسة اعلامية هادفة الى تقوية روحية العيش المشترك ومحضنة لعودة المهرجين.

اما استراتيجية التنفيذ فتهدف الى مواكبة اعلامية مكثفة للعودة تهدف الى ازالة الشكوك وتؤكد على القرار الوطني الشامل بعودة المهرجين وتخصيص برامج اعلامية تعالج شؤون العودة ووضع خطة اعلامية خاصة موجهة الى اهلنا في مناطق الاحتلال لحثهم على الصمود ولنقل صورة عن اوضاعهم الى باقي انحاء الوطن والعمل على ابقاء قضية المهرجين حية وحاضرة في الذهان.

الخطة التربوية

وتهدف الى تحصين عودة المهرجين اما استراتيجية التنفيذ فتكون عبر اعطاء الاولوية لاعادة بناء المؤسسات التربوية الحكومية والخاصة وتعزيز الجامعة اللبنانية واستعادة الادمغة المهاجرة وقيام نشاطات تربوية مركزية تتناول العودة وتوحد كتابي التاريخ والتنشئة الوطنية على قاعدة الحوار العلمي والموضوعي ووضع خطة اصلاح تربوي شامل وربط التربية بالتطور العلمي عن طريق تعديل المناهج مواكبة العصر واقامة تجمعات مدرسية حكومية وتأهيل الهيئة التعليمية وتعزيز دور المعلمين واقامة مجالس تربوية وثقافية على مستوى القضاء وكذلك ملاعب رياضية ونواد وتعزيز التعليم المهني في لبنان عامة وفي مناطق العودة على وجه الخصوص وذلك بانشاء مدارس مهنية متخصصة رسمية وخاصة على مستوى القضاء والمحور.

الخطة الثقافية

وتهدف الى تعزيز ثقافة الوحدة الوطنية والعيش المشترك وتشجيع النشاط الثقافي في وسط المهرجين من مناطق العودة.

اما استراتيجية التنفيذ فتكون عبر نشر ثقافة الوحدة والعيش المشترك وحق العائدين في الانخراط في الهيئات الثقافية وعلى انشاء هيئات مماثلة والقيام بأشطة ثقافية وفنية بصورة دورية.

الخطة البيئية

وتهدف الى مواكبة العودة بسياسة بيئية سلية وعصيرية.

اما التنفيذ فيكون عبر ازالة الأضرار التي أصابت البيئة الطبيعية من جراء الحرب من تنظيف الشواطئ واعادة التحرير ووضع حد لاعتداءات العشوائية على الطبيعة والمحافظة على البنية القديمة والاثرية والتراث الوطني عن طريق لحظ موازنة خاصة لترميمها وادارتها وضرورة أن يلحظ برنامج تأهيل البنى التحتية واعمارها مشروعياً عصرياً للصرف الصحي والمياه المتبذلة من تمديدات وتصنيع كذلك جمع النفايات وتصنيعها.

التنفيذ

أما تنفيذ الخطط هذه فيتم عبر هذه الاقتراحات العملية.

في العودة السياسية:

- التهجير الأفراقي الناتج عن احتراز أمني، شروط عودته تتمثل بالعودة الفورية إلى المناطق التي أصبحت في عهدة الشرعية.

- التهجير الأفراقي الناتج عن تهديد مباشر أو اعتداء شروط عودته تتمثل بضرورة اجراء مصالحات فردية قبل البدء بالعودة خاصة اذا كانت المواجهات قد حصلت بين ابناء الحي أو القرية الواحدة، ومن هنا يأتي دور اللجان والمحاكم المختصة وقانون العفو في تنفيذ عملية المصالحات.

- التهجير الجماعي الناتج عن موجة تهجير عامة من دون مواجهات دموية بين أبناء البلدة الواحدة أو البلدات المجاورة تتمثل شروط عودتهم بتيسير العودة من الناحية السياسية بعد توفير وتعزيز الأمان في المناطق المهرجة مثلًا: منطقة الحرف - قضاء الشوف، تضم سبعة قرى تتسمى الى طائفة واحدة، تهرج أهاليها في اطار موجة تهجير عامة من دون مواجهات دموية مع البلدات المجاورة وبالتالي لا مرر للقيام بمصالحات محلية بل يقتصر دور اللجان على إعادة تطبيع العلاقات وعودة التفاعل مع المحيط.

- التهجير الجماعي الناتج عن مواجهات دموية داخلية أو مع الجوار. تتمثل شروط العودة بالعمل الجدي لإنضاج الظروف والقيام بلقاءات تمهد لمصالحات أهلية محلية خاصة في البلدات التي شهدت مواجهات دامية وأدت إلى مقتل العشرات من المواطنين مثل (كفرمتى، بمرىم، ترشيش، الجاهلية وبنوبي).

ويلاحظ أن اللقاءات التمهيدية للمصالحة بين أبناء بلدة ترشيش والتي بدأت منذ أكثر من سنتين بدأت تعطي ثمارها، وقد تكون هذه البلدة النموذج النوعي الأول في العودة إلى منطقة شهدت مواجهات دموية داخلية.

- التهجير الجماعي الناتج عن أسباب أمنية شروط عودته تتمثل بالعودة الفورية بعد زوال أسباب التهجير وهي خطوط المواجهات العسكرية السابقة.

وحدد الدليل العملي لخطة إعادة المهرجين الأصولية لإعادة المسكن المشغولة بشكل قانوني إلى أصحابها معتبراً أن هناك إمكانية لايجاد حل فوري لحوالي ثلث المنازل المشغولة بشكل غير قانوني... مقدماً اقتراحات عملية لتسليم المباني وإعادتها إلى مالكيها على الشكل الآتي:

- شاغل المسكن يحتله من دون استعماله، تكون المعالجة بإخلاء فوري من دون قرار المحكمة بالأخلاق بمؤازرة الدرك أو الشرطة العسكرية.

- شاغل المسكن يحتل منزلًا ويقيم فيه موسمياً أو في الإجازات الأسبوعية أو بشكل مؤقت وهذا يعني أنه يملك مكاناً آخر، تكون المعالجة بالأخلاق الفوري من دون قرار المحكمة بالأخلاق، كما يعالج شاغلو المنازل وفق الحالات الآتية بالأخلاق الفوري:

العاذب الذي يحتل منزلًا بمفرده.

كل من باع منزله مستفيداً من حالة الحرب واحتل منزلًا آخر.
من يشغل منزل ويملك مكاناً آخر للإقامة.

كل من انتقل من مناطق بعيدة بسبب الفتان الأمني (دير الأحمر، الهرمل، الجنوب، البقاع) وأقام بالقرب من مركز عمله.

- كل من احتل منزلًا بعد تاريخ ١٣ تشرين الأول ١٩٩٠.

- كل من أبناء مناطق الاحتلال الإسرائيلي غير المبعدين ويسكنون في بيروت ويحاولون الاستفادة من وضع المنطقة في الشريط.

- كل مهجر يملك منزلًا ولم تتأمن عودته بعد إلى منطقته الأصلية ولم يتمكن من ترميم منزله في حال كانت بنته من القرى العائدة ولا يملك منزلًا آخر في منطقة التهجير، تعالج مشكلته بتأجيل حكم الأخلاع بانتظار الحلول المناسبة.

- شاغل المسكن غير المهجور ولا يملك مكان إقامة آخر (يستثنى منه المهجر الذي باع منزله واحتل مكاناً آخر)، تعالج مشكلته بتأجيل حكم الأخلاع، ويعامل كمهجر بانتظار تأمين حلول مناسبة.

- شاغل المسكن المبعد من مناطق الاحتلال الإسرائيلي أيضاً، يؤجل حكم الأخلاع ويصار إلى تأمين مشاريع إسكانية في محافظة الجنوب.

- شاغل المسكن المهجر من جنسية غير لبنانية قبل العام ١٩٧٥ يعامل معاملة اللبناني.

- شاغل المسكن غير المهجور ومن جنسية غير لبنانية تعالج مشكلته بالأخلاع الفوري. ولاحظت الخطة الموضوعة لعملية الأخلاع ضرورة اعطاء تعويضات رمزية للمتحدة بحقهم قرارات الأخلاع الفوري، وتأمين القروض الميسرة من الصندوق المركزي للمهجرين، وسوف تصدر الوزارة لاحقاً دراسة مفصلة حول مسألة أخاء المنازل خصوصاً للحالات الاستثنائية.

أما الاقتراحات العملية لكيفية إعادة الأراضي الزراعية إلى مالكيها، فجاءت على الشكل الآتي:

بالنسبة إلى البساتين:

- الأراضي المستثمرة والمؤجرة من دون معاملة من المستثمر الحالي تسلم فوراً.
- الأراضي المستثمرة والمعاملة من قبل الشاغل جزئياً أو بشكل كامل تسلم فوراً مع دفع التكاليف التي صرفت من قبل المستثمر وخلال الفترة التحضيرية للموسم الحالي، أو الاتفاق بين المستثمر ليتحول المستثمر الحالي غير القانوني إلى ضامن أو مستأجر شرعي من المالك على أن يستعيد المالك الأرض فور انتهاء الموسم الحالي يستثنى من هذا القرار المزروعات الموجودة في الخيم الطويلة الأمد كالقرنفل مثلاً.

- زراعة الأشجار المثمرة من قبل المستثمر الحالي، يتم تقدير قيمة الاستثمار والتوعيض على أساسه للمستثمر.

أما بالنسبة إلى الأراضي الزراعية الموسمية، فجاءت الاقتراحات العملية على الشكل الآتي:

- مشاريع الخيم المحمية المستحدثة من قبل الشاغل تعالج إما بدفع المالك تكاليف هذه الخيم وبالتالي يتم شراؤها أو يستعيدها المستثمر وتعود الأرض إلى المالك الأساسي فور انتهاء الموسم الحالي.

- مشاريع الخيم الموجودة أساساً وتعود للملك الأساسي تعالج بتسليم الأرض فور انتهاء الموسم الحالي ولحظ حلول خاصة لاستثمارات تحسينية من الشاغل.

- الأراضي غير المزروعة تسلم فوراً.

- الأراضي المستثمرة تسلم فور انتهاء الموسم الحالي.

ولاحظت الخطة أنه في حال وجود مضخات أو تمديدات موضوعة من قبل المستثمر الحالي يصار إلى اتفاق أما على بيعها إلى المالك أو إعادتها إلى المستثمر ويمكن تقديم قروض مالية في الحالات المكلفة للملك الأساسي الذي يرغب في شراء مشاريع الخيم المحمية وتمتد هذه القروض على مدى سنوات ثلاثة وتأليف لجنة من الخبراء لتقدير الاستثمارات الزراعية الخاصة ليصار على أساسها دفع التكاليف المتوجبة من المالك إلى المستثمر والعكس. وسوف تصدر الوزارة دراسة مفصلة حول مسألة الأراضي الزراعية.

أما الاقتراحات العملية لكيفية إعادة المؤسسات إلى مالكيها فجاءت على الشكل الآتي:

نوع المؤسسة وشاغلها: صغيرة (دكان - محل - كاراج) يعمل فيها أقل من خمسة أشخاص ولا تتعدي مساحتها ٧٥ م.م. يشغلها مهجر فقد مصدر رزقه بفعل التهجير تعالج مشكلته بتأجيل الأخلاط لحين ايجاد حل ملائم.

أما المؤسسة التي يشغلها مهجر أو غير مهجر ولم يفقد مصدر رزقه بفعل التهجير فتعالج المشكلة بالأخلاط ضمن مهلة لا تتعدي الثلاثة أشهر. أما المهجر الذي يشغل أكثر من مؤسسة فتعالج المشكلة بالأخلاط الفوري لجميع المؤسسات باستثناء واحدة إذا كان مهجراً من دون مصدر رزق ويسري عليه القانون العام.

أما في حال دخل المهجر إنشاءات إضافية فتوضع حلول خاصة. وبالنسبة إلى المشاريع الكبيرة (فندق أو مصنع أو مسبح) فتعالج مشكلة المهجر أو غير المهجر التي يشغلها من دون استثناءات على المشروع السابق بالأخلاط السابق ضمن مهلة قصيرة محددة وبإطار حلول رضائية بين المستثمر والملك الشرعي بإشراف الوزارة.

أما المهجر أو غير المهجر الذي قام باستثمارات إضافية على المشروع السابق أو أقام مشروعًا جديداً على أملاك الغير فتعالج المشكلة باجراء تفاوض بين المالك والشاغل باشراف لجنة خبراء لتقدير الاستثمار وإيجاد حلول خاصة.

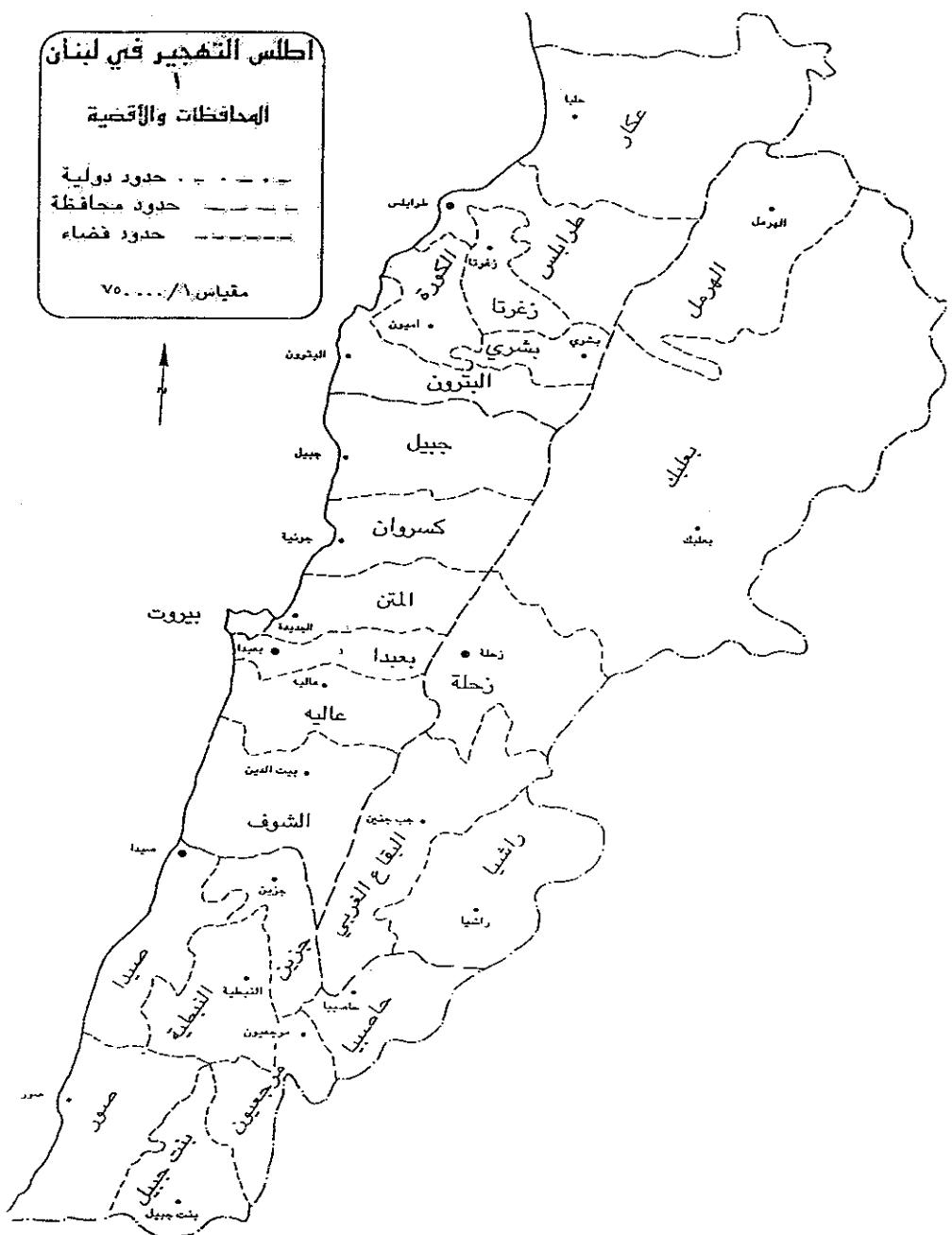
ولاحظت الخطة أن عملية البحث في التعويضات تتم عبر لجنة خبراء متخصصة تعين من قبل الوزارة، التي ستصدر لاحقاً دراسة مفصلة حول مسألة اخلاء المؤسسات لما لها من استثناءات وخصوصيات.

اطلس التهجير في لبنان

المحافظات والاقصية

— حدود دولية
— حدود محافظة
— حدود قضاء

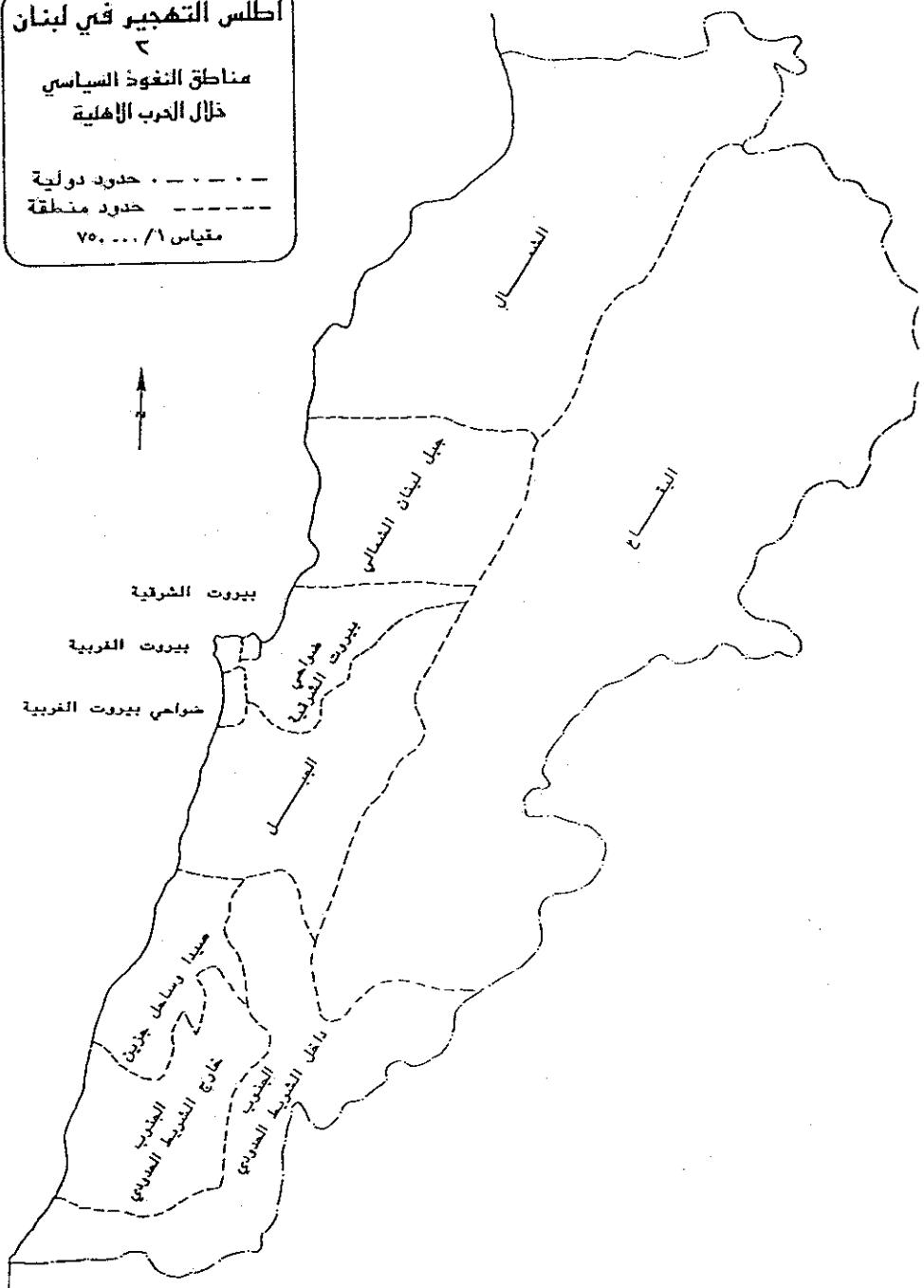
مقياس ١/٥٠٠٠٠٠

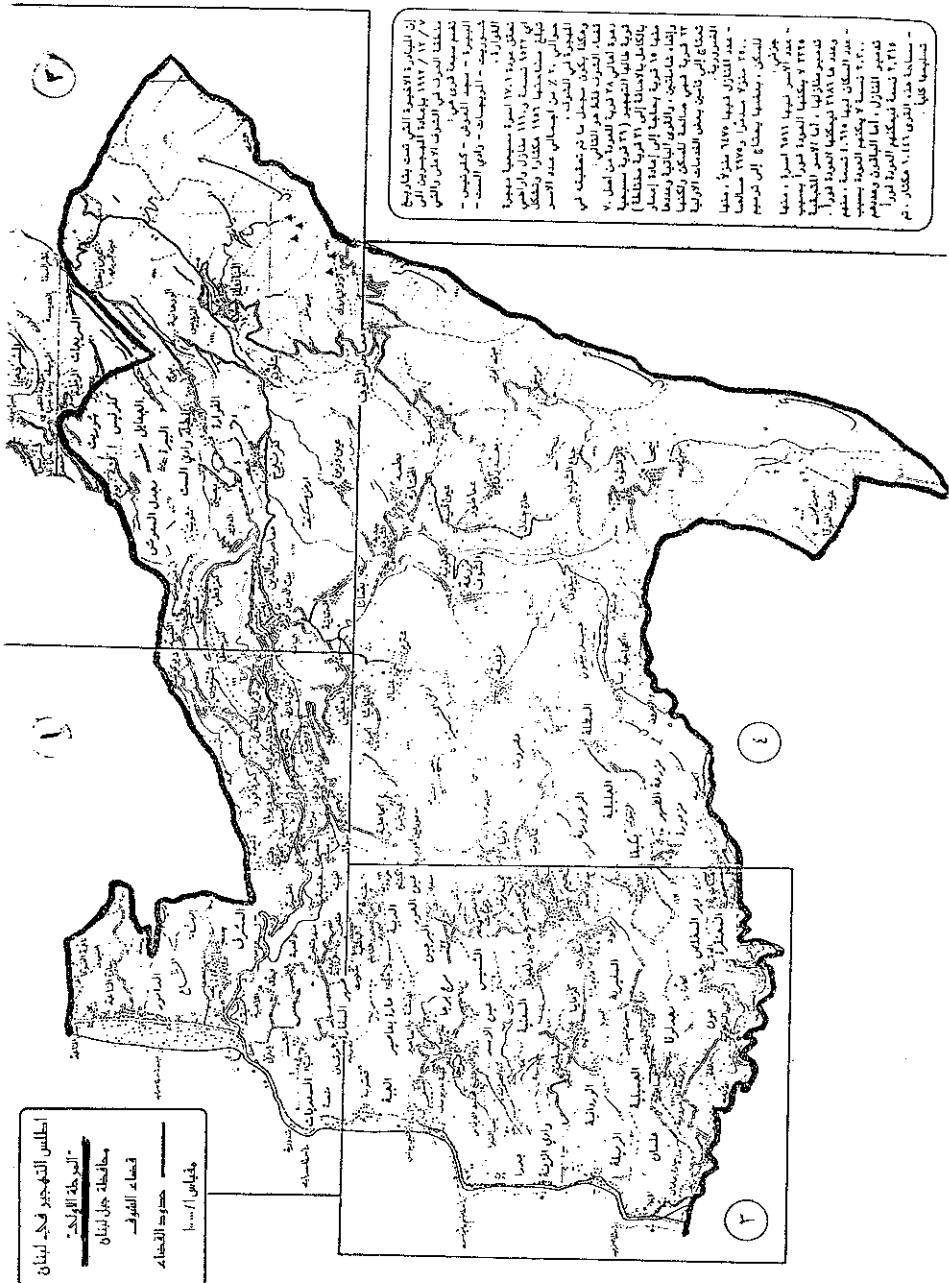


اطلس التهجير في لبنان

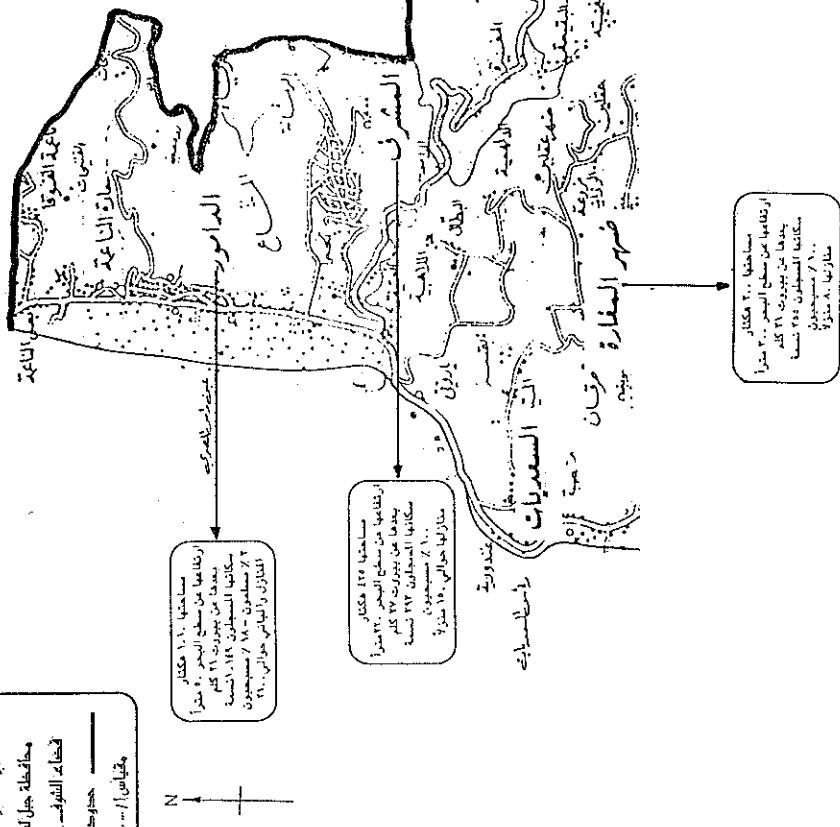
مناطق النفوذ السياسي
خالل العرب الاهليه

— حدود دولية
- - - حدود منطقة
٧٥,٠٠٠/١ مقياس





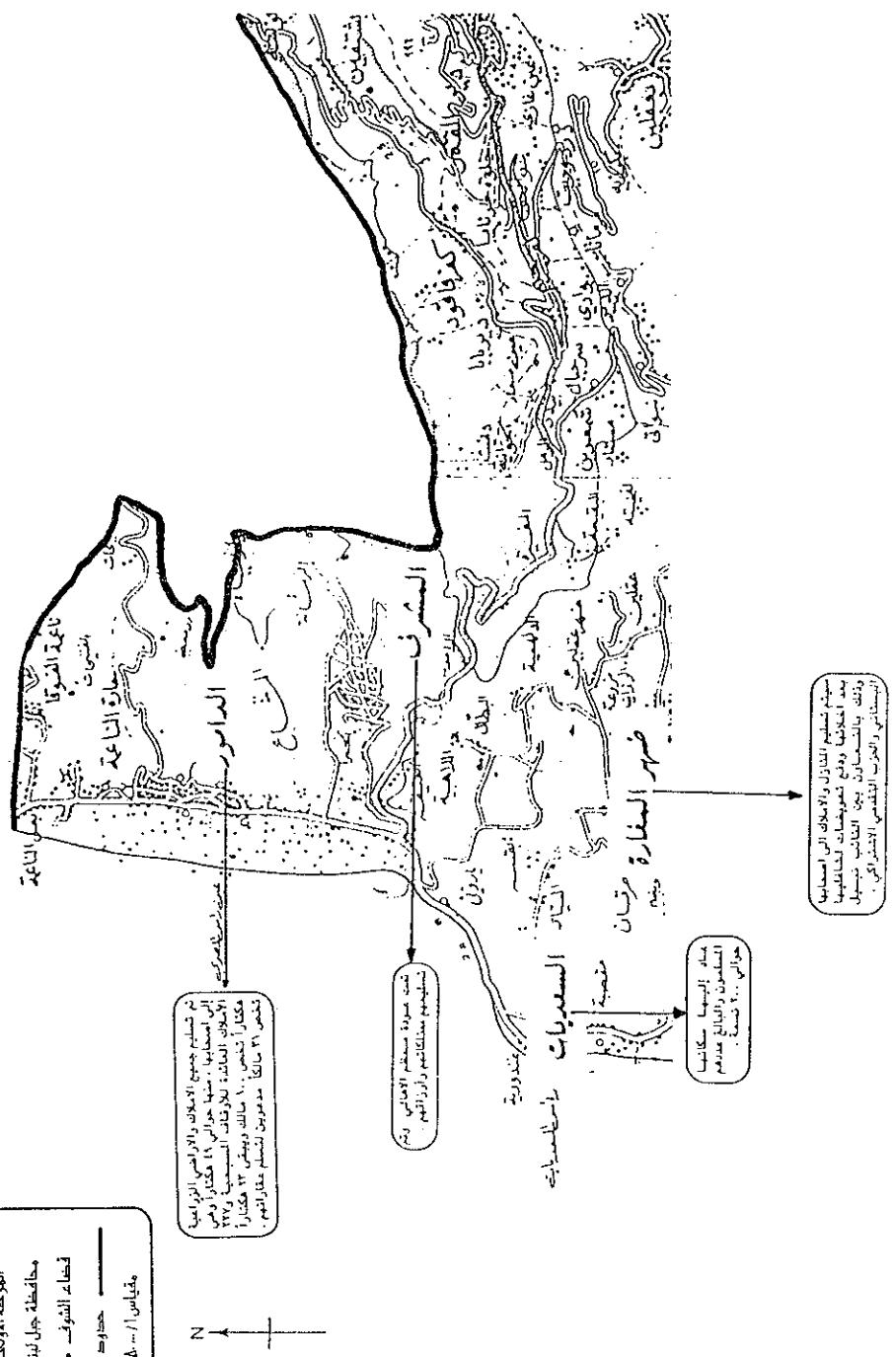
ପ୍ରାଚୀନ କରିତାମୁଣ୍ଡର
ପାଦରେ ପାଦରେ
ପାଦରେ ପାଦରେ



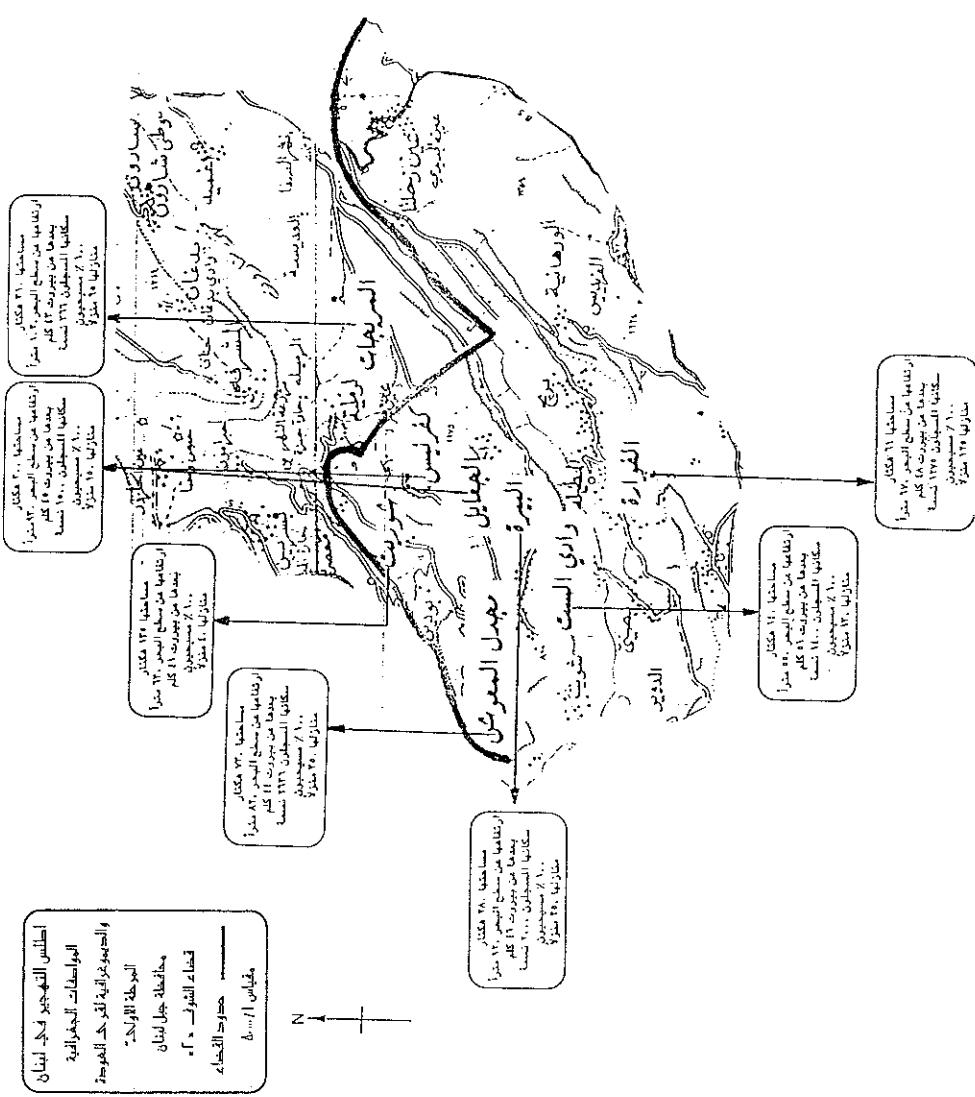
ପାଦରେ
ପାଦରେ

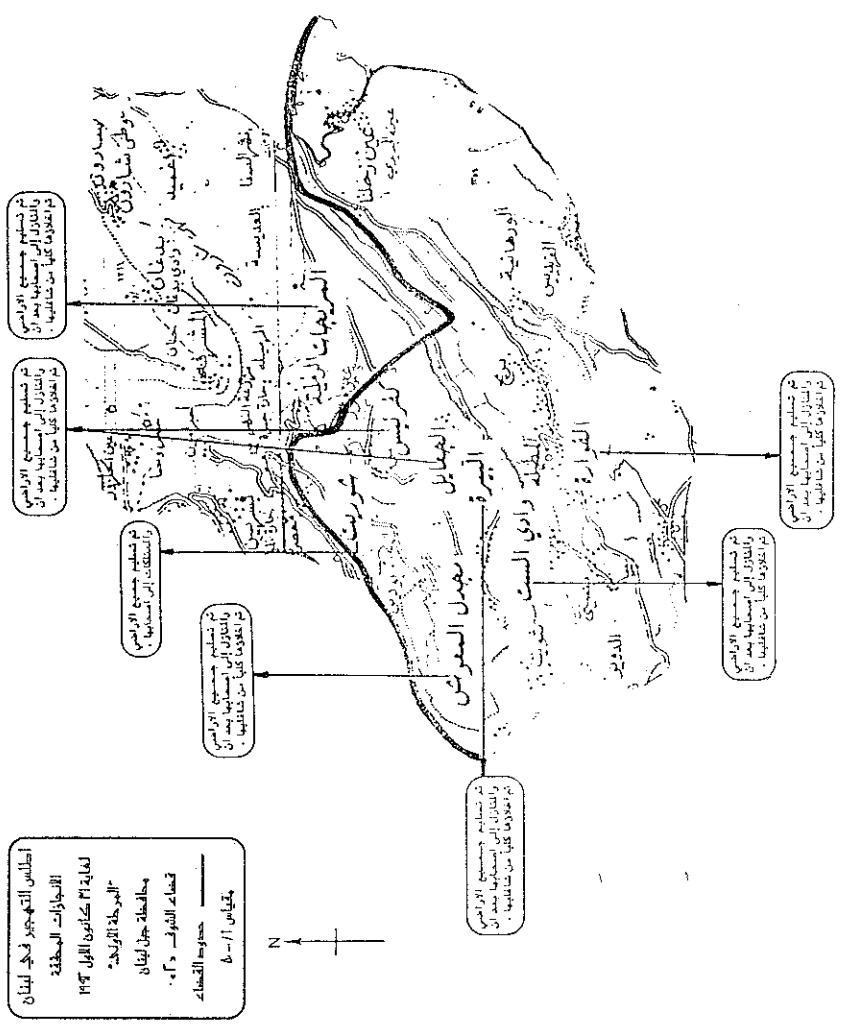
ପାଦରେ
ପାଦରେ

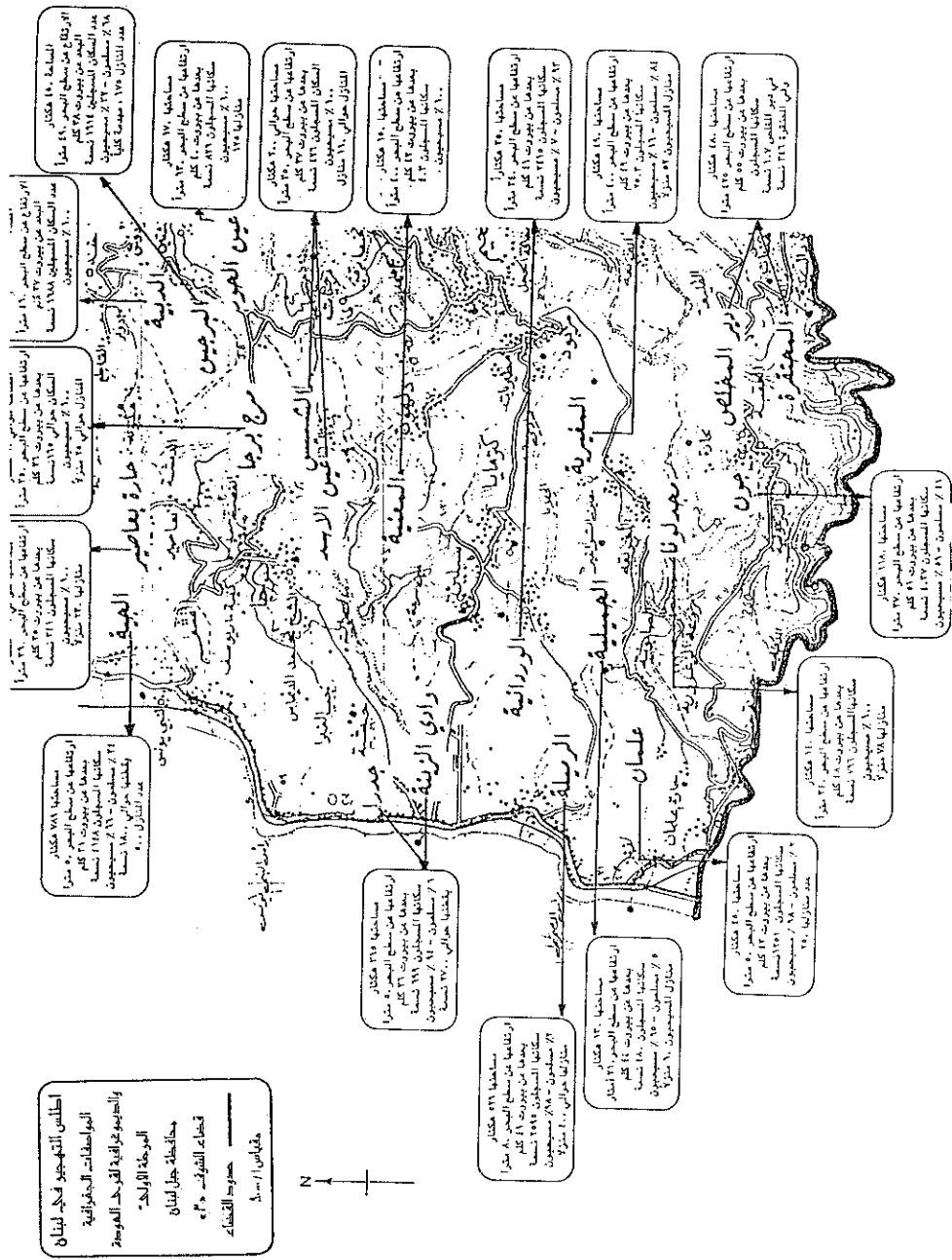
ପାଦରେ
ପାଦରେ

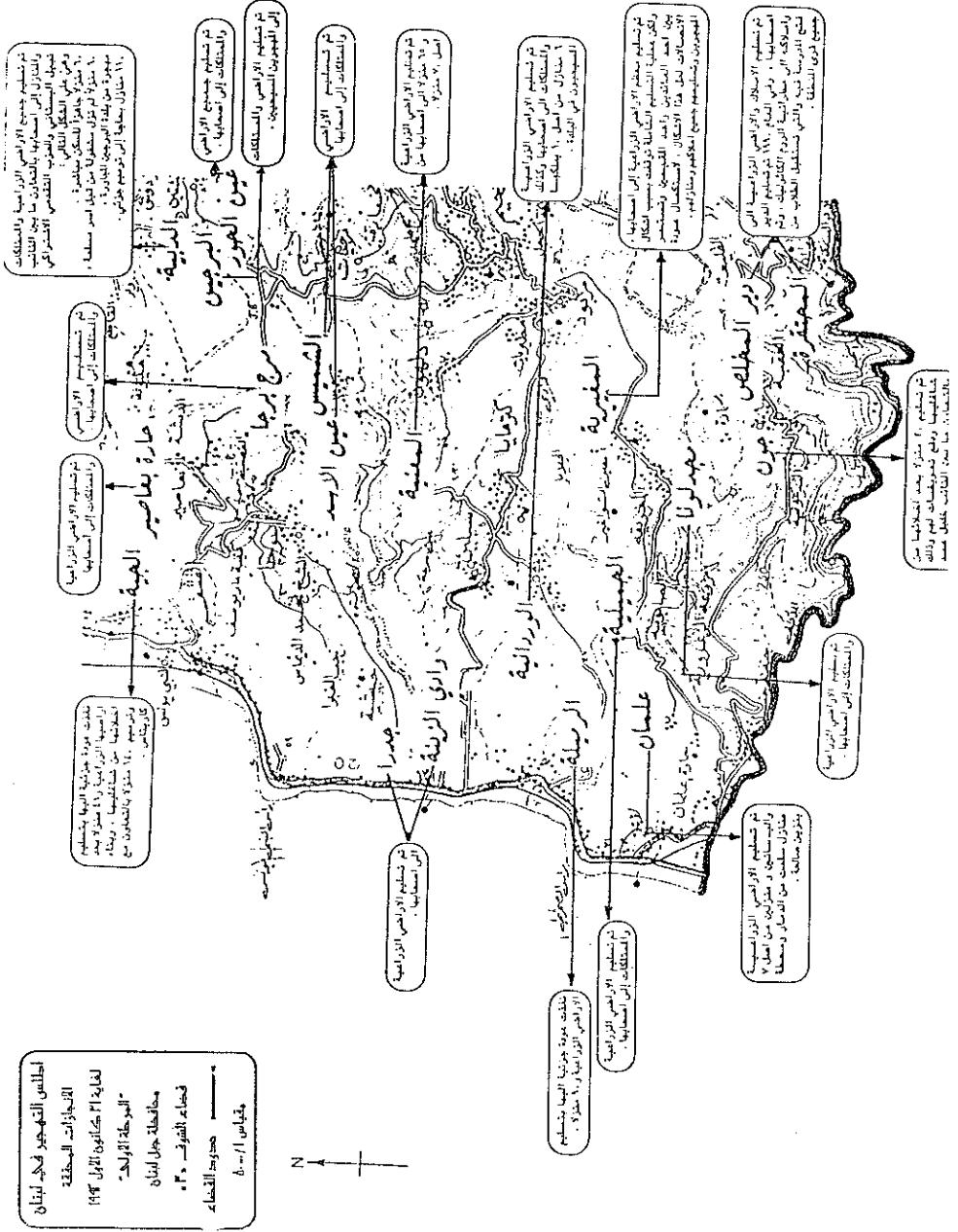


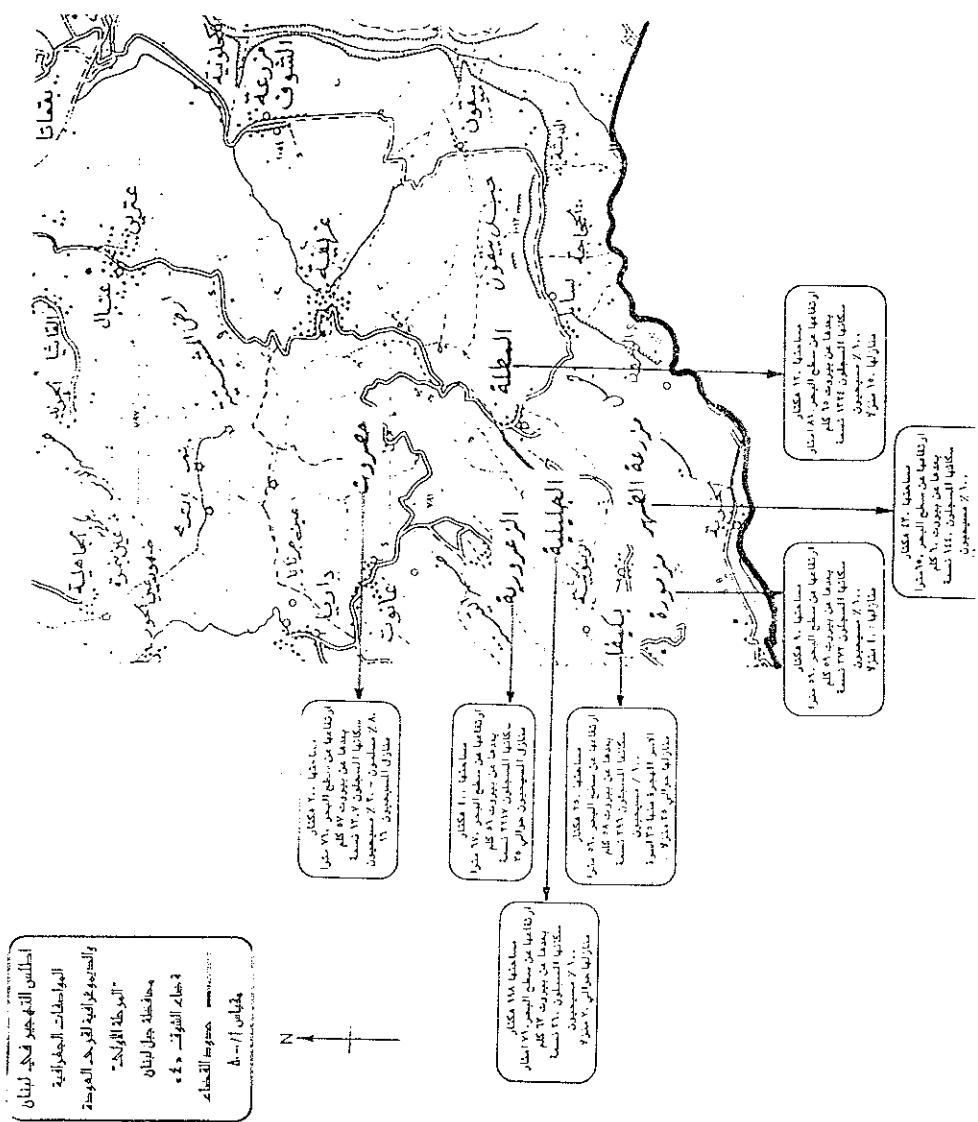
الطلبي التمهيدي لـ «بنان»
الذيازات - المحافظة
لـ «بنان» كالأول ١٤٩
المحافظة جعلت بنان
فخامة الشوف - ١٢
مقياس ١٠٠...٥

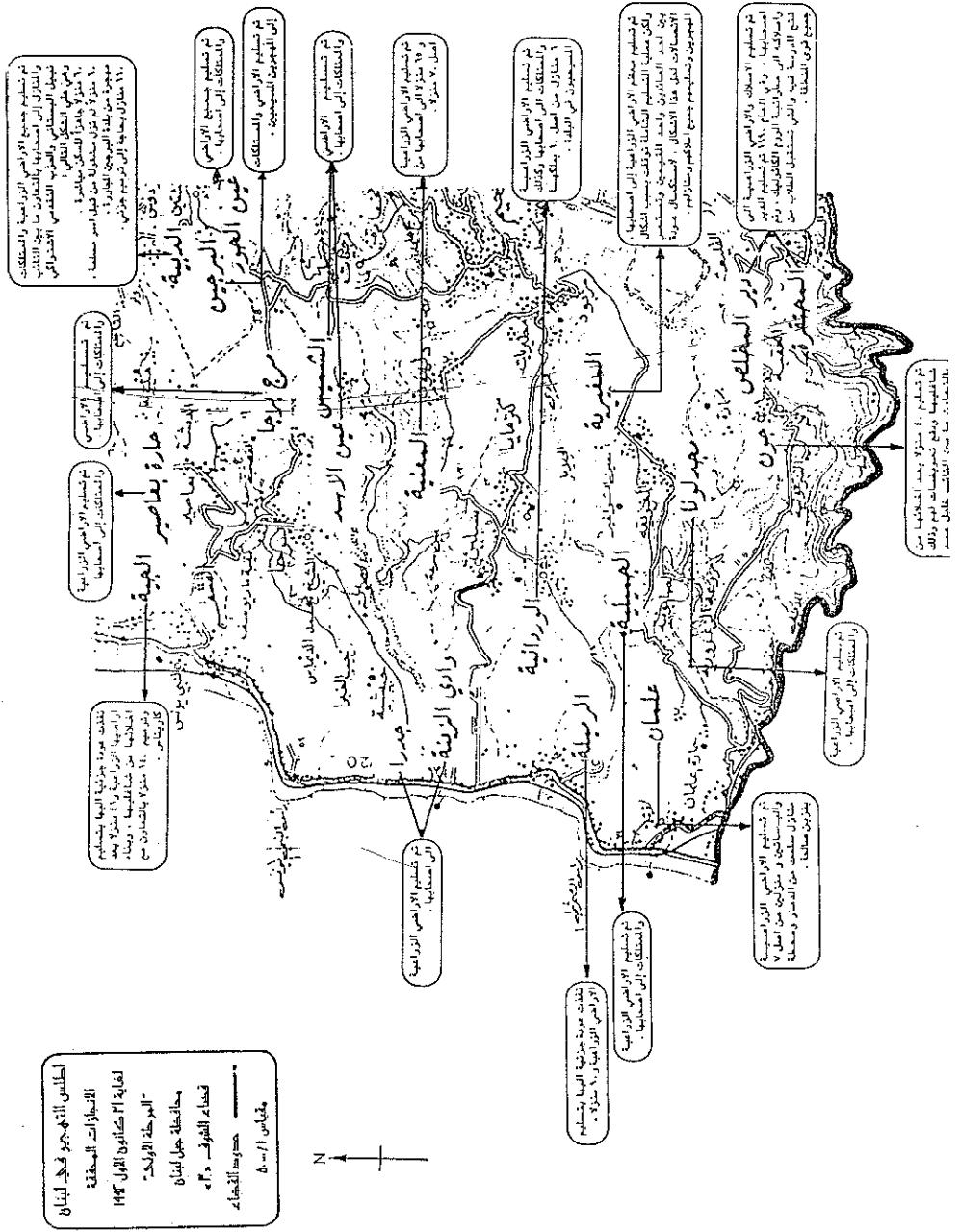












في التأهيل البحري

العميد الركن سمير الخادم (*)

إذا ما نظرنا إلى طول الساحل اللبناني البالغ ٢٢٠ كلم، وعرض المياه الإقليمية اللبنانية البالغة ١٢ ميلاً بحرياً، أي ٢٢، ٢٢ كلم؛ لوجدنا أن مساحة واجهة لبنان البحرية تبلغ ٤،٨٨٨، ٤ كلم^١، أي بحدود ٤٦,٧٧٪ من مساحة لبنان البرية.

ولما كان الشاطئ البحري بمثابة رئة للبنان نظراً لقيام العديد من المرافق الصناعية والاقتصادية والسياحية عليه بالإضافة إلى أن أكثر من ٨٠٪ من الحجم التجاري بين لبنان والدول الأخرى يتم عن طريق البحر، لهذا نرى أن لبنان ارتبط منذ القدم ارتباطاً وثيقاً بالبحر. فطابع لبنان هو طابع بحري ووجهه هو وجه بحري.

وقد أدركت الدولة هذه الحقائق، ووجدت أنه من أجل الحفاظ على ثروة الوطن وزيادة مداخيله لا بد من فرض سيادة الدولة والقانون على طول الشاطئ وضمن المياه الإقليمية لضبط الأمن وتنظيم الحركة البحرية ومكافحة التهريب.

من هنا نشأت الحاجة الملحّة إلى تطوير القوات البحرية وتجهيزها بالوسائل المناسبة التي تتلاءم مع طبيعة المهام الموكولة إليها من قبل الدولة. وقد أخذت قيادة الجيش على عاتقها بالاستناد إلى رأي قيادة القوات البحرية، تجهيز هذه القوات بالعديد والع vadat اللازمين ليتسنى لها تنفيذ ما يطلب منها على أكمل وجه وفي مختلف المجالات العسكرية والأمنية والإنسانية.

ولذا كانت طبيعة المهام البحرية صعبة نظراً لطول الشاطئ وسوء الأحوال الجوية وتلاحق الطلوعات البحرية في الشمال وما بين جسر المدفون والأولي، بالرغم من

(*) عميد ركن بحري. مساعد قائد القوات البحرية.

افتقار القوات البحرية إلى الوسائل والأعتدة الكافية والمناسبة، إلا أن المهارة المهنية والتحسّن بالمسؤولية والمعنيّات العالية التي يتحلى بها ضباط ورتباء وأفراد القوات البحرية قد جعلت تلك الهمة الحاصلة قابلة للردم.

لقد نجحت الدولة إلى حد بعيد في فرض سيادتها وحكم القانون على طول الشاطئ اللبناني وضمن المياه الإقليمية. كما أنها نجحت إلى حد ما، في مكافحة التهريب. لكنها، حتى الان، فشلت في التأهيل البحري للمرافق وداخلها الدولية وما يستتبع ذلك من تشغيل المنائر وتفعيل وسائل الاتصال والتحسّن وتركيز نقاط الاعتلام البحرية، بالإضافة إلى إهمالها قطاع البحر وعدم احياء مراكز تصليح وصيانة وتعهد المراكب والسفن في مرفأ بيروت وغيره. وانه من السذاجة القول أن تغيير مجالس إدارة المرافق اللبنانية، وإنشاء محطات خاصة للمستوعبات، أو توسيع مرفأ بيروت وتطويره، قد تؤدي إلى نمو الاقتصاد الوطني.

I - في التأهيل البحري للمرافق وداخلها

إن التأهيل البحري للمرافق يمتد على ثلاث مراحل:

المراحل الإنسانية: وتتناول عمليات بناء الأحواض والانشاءات والتجهيزات بمختلف أنواعها.

المراحل الفنية البحرية: وتتناول العمليات الآلية إلى تنظيم الدخول إلى المرافق والخروج منها، بوضع الإشارات البحرية المناسبة، وتنظيم عمل المنائر والاتصالات البحرية والإرشاد.

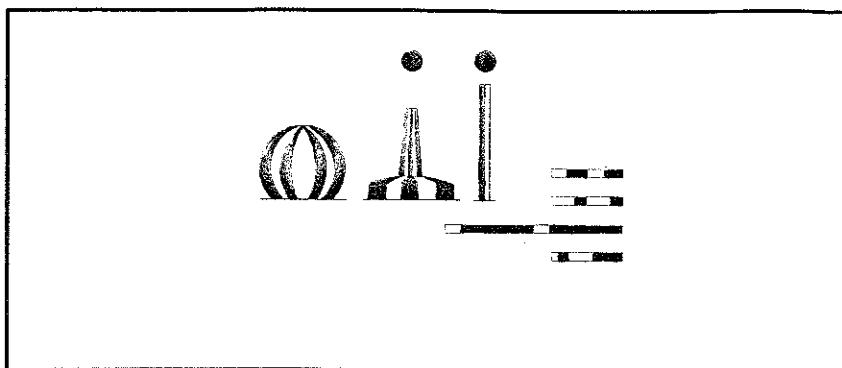
المراحل الادارية: وتهدف إلى وضع تصور عام لتشغيل الوحدات العاملة في المرفأ، وتنظيم ترابطها على كافة المستويات توخيًا للإنتاجية الفضلية.

وسوف نضمّن بحثنا دراسة مختصرة حول المراحل الفنية للتأهيل البحري للمرافق وداخلها، نظرًاً لافتقار مرافئنا إليها. ومن أبرز الوسائل المعتمدة هي الإشارات البحرية للتاريم (Balisage)

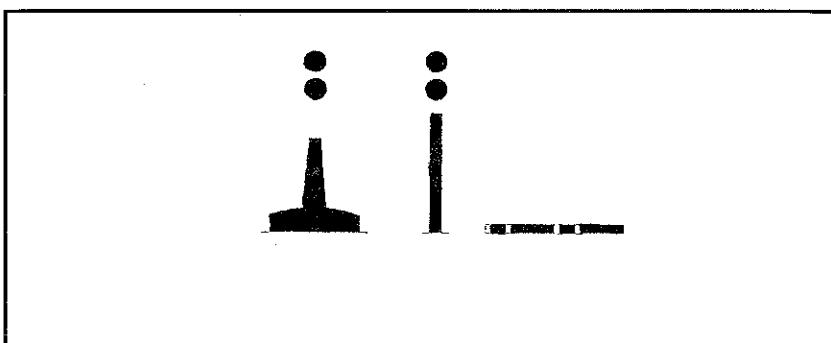
١ - نظام الإشارات البحرية

أ - دواعي الاستعمال: تُعتمد الإشارات البحرية في المجالات التالية:

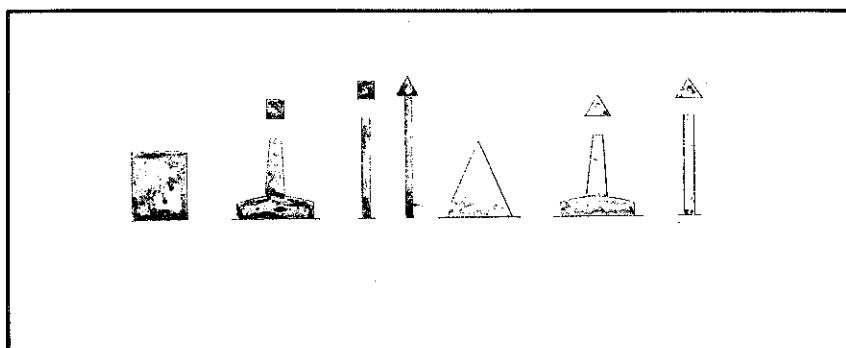
- تحديد الحدود الجانبية لمداخل ومخارج المرافق، بما فيها الممرات المائية.
- تحديد موقع الأخطار الطبيعية (صخور) وبقايا المراكب الغارقة.
- إعلام كلّ جديد طارئ ليتنبه للربابنة والملاحين الاطلاع عليه وأخذ الحذر.



اشارات الخطر المعزول

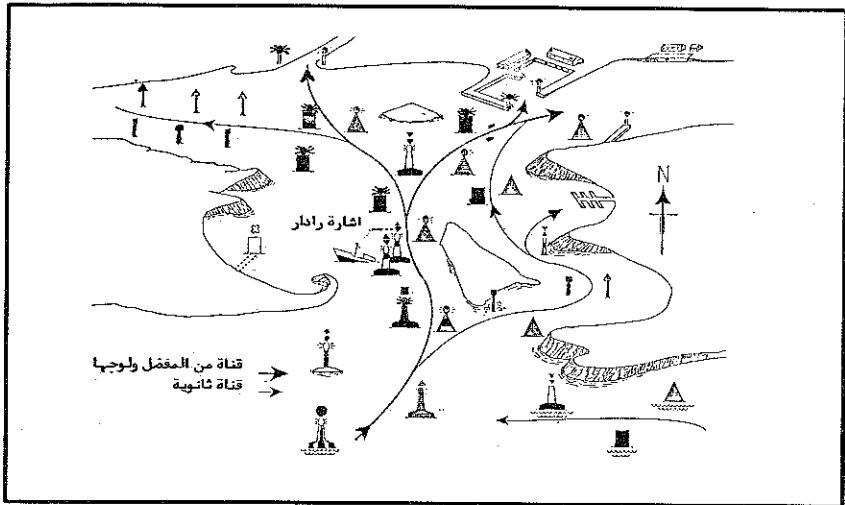


اشارات الخطر المعزول

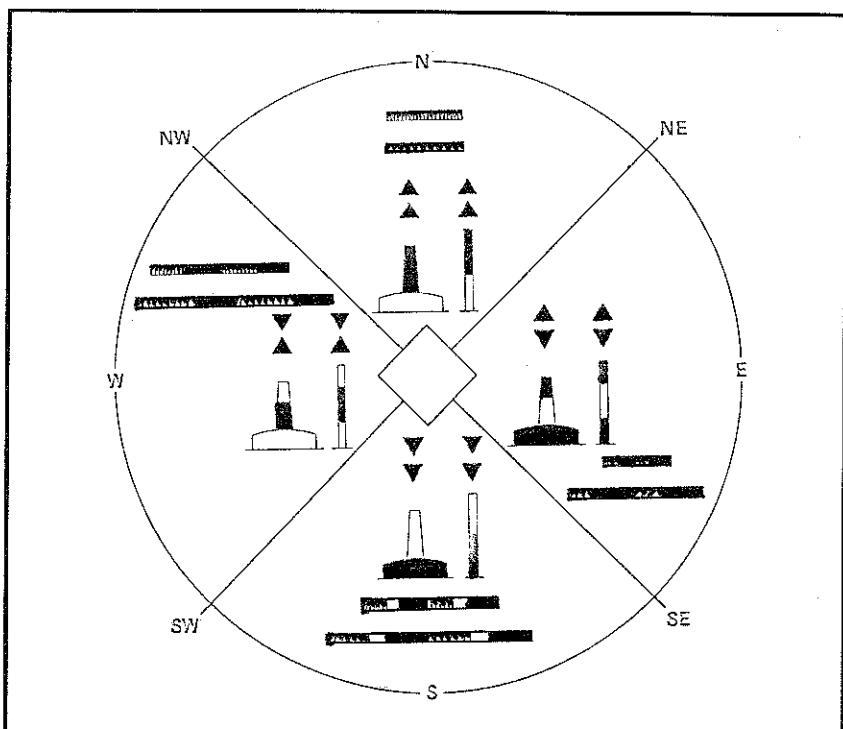


اشارات اليسار

اشارات اليمين



إشارات الاتجاهات البحرية



إشارات الاتجاهات الرئيسية

ب - أنواع الاشارات

في التأمين البحري - ١٥٧

الاشارات الجانبية: Marques Latérales

وهي إشارات تضبط خط سير المركب في دخوله أو خروجه من أحد المرافئ، وتحدد يمين ويسار المرور الواجب عليه ولوجه.

- اشارات اليمين تكون ذات لون أخضر Marques de Tribord

- إشارات اليسار تكون ذات لون أحمر Marques de Bâbord

وتُعتمد الاشارات الجانبية إجمالاً لتحديد المرات المائية ومداخل المرافئ.

ج - إشارات الاتجاهات الرئيسية:

تعتمد هذه الاشارات إجمالاً لتوجيه المركب شمالاً، شرقاً، غرباً أو جنوباً، أي بالاتجاه الأكثر أماناً للملاحة وسلامة المركب. فإذا صادقنا مثلاً إشارة اتجاه الشرق، فعليها توجيه المركب شرقي هذه الإشارة حفاظاً عليه. وهكذا دواليك بالنسبة للإشارات الأخرى...

د - إشارات الخطر المعزول:

هي إشارة تُعتمد لتحديد بقعة في الماء تشكل خطراً على الملاحة وبالتالي على سلامة المركب. لذا يتوجب على القبطان أن يتلافاها.

ه - إشارات المياه الآمنة:

وهي اشارات تعني أن المسالك المائية حولها آمنة. وتُعتمد أساساً لتحديد وسط ممر مائي.

و - إشارات الخاصة:

وهي إشارات تُعتمد إجمالاً من قبل الادارات البحرية المسؤولة لتحديد مناطق بحرية ذات نشاطات مخصصة:

- مناطق محددة لأخذ عينات للبيئة.

- مناطق مخصصة لنشاطات البحرية العسكرية.

- مناطق توجد فيها كابلات اتصالات سلكية.

- مناطق مخصصة لرياضة البحري.

علمًا أن الاشارات المذكورة أعلاه لها شكلان:

- شكل يعتمد نهاراً.

- شكل يعتمد ليلاً.

٢ - المنشآت ومرافق الاتصالات البحرية

أ - المنشآت:

منذ قديم الزمان وبدايات الملاحة، اعتُبرت المنشآت وسيلة أساسية لتوجيه المراكب

نحو ميناء آمن ومحدد أو لمساعدة الربابنة على تحديد موقعهم. وهي عبارة عن أبنية مرتفعة يمكن التعرف إليها بواسطة مواصفاتها الخاصة بها. وفي هذا المضمار، يعتمد على مواصفات الشكل واللون نهاراً وعلى مواصفات الضوء ليلاً.

وتتجدر الإشارة إلى أن غالبية منائر لبنان لا تعمل، وقد آن الأوان لتشغيلها، وفي مقدمتها منارة بيروت لعلها تهدي ليلاً رباناً تائهاً وتذكر العالم أن بيروت قد استفاقت من غفوتها الطويلة.

ب - مراكز الاتصالات البحرية:

وهي موجودة إجمالاً داخل المرافق، أو في أبنية المنائر، أو في بقع محددة من الشاطئ وذات دوام عمل متواصل، ومهتمتها الأساسيةبقاء على اتصال دائم بالراكي لاعطائها التوجيهات الازمة والاجابة على كافة اتصالاتها واعطائها المساعدة الضرورية عند الحاجة.

لقد نجحت الدولة اللبنانية، في هذا المجال، عن طريق إنشاء غرفة العمليات البحرية الرئيسية في بيروت وفرعيها في طرابلس وصيدا في مراقبة المياه الإقليمية اللبنانية، وتنظيم حركة المراكب ومكافحة التهريب. غير أن نشاط الغرفة يطغى عليه الطابع الأمني، وهو الهم الشاغل لقيادة الجيش. ففي حين تعمل الأجهزة الأمنية ليلاً نهاراً، نرى بقية الأجهزة المرفقة وغيرها قد غابت عن الساحة، خاصة خارج أوقات الدوام وأيام الأحاداد والأعياد.

لقد تحقق خطوة خطيرة عن طريق تركيز رادار بحري صغير في منارة بيروت لتحسين حركة المراكب ليلاً ومراقبتها، ولا بد لهذه الخطوة أن تعم الشاطئ اللبناني كافة لتغطيته عن طريق تركيز مجموعة من الرادارات المتغيرة بهدف مراقبة المياه الإقليمية اللبنانية كلها من الشمال إلى الجنوب وربط هذه المجموعة بشبكة من الاتصالات السلكية واللاسلكية المناسبة.

٣ - مراكز الرصد الجوي

وهي مراكز أساسية يجب أن تكون على طول الشاطئ اللبناني وخاصة في المرافئ الكبرى والمصنفة مرفائعاً دولياً. مهمتها الأساسية الحصول، بكلفة الوسائل التقنية، على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول حالة الطقس والرياح والبحر، ومعالجتها على شكل نشرات رصد بحري *Bulletin de Météo Marine*، ووضعها بتصرف المرافئ والقواعد ومركبات الاتصالات البحرية ومختلف المراكب في البحر، ليلاً نهاراً بهدف الإطلاع المستمر على حالة البحر، وتجنب الكوارث والحوادث الناجمة عن سوء الأحوال الجوية.

إننا في لبنان نفتقر إلى مثل هكذا مراكز على طول الشاطئ، وكل ما لدينا مراكز معلومات رصد جوي، بشكل عام، وأهمها دائرة الرصد الجوي في مطار بيروت الدولي، والمعلومات الدقيقة حول حالة البحر والرياح في شرق المتوسط أي المنطقة التي تشمل الساحل السوري واللبناني والفلسطيني تأتي عادة عبر محطات البث لمراكز الرصد البحري في الأراضي المحتلة.

٤ - الارشاد البحري (Pilotage)

محطات الإرشاد هي وحدات ذات أهمية أساسية في العمل المرفئي، ويجب أن تتمتع بالصفات والمزايا التالية:

- العمل تحت اشراف إدارة المرفأ وبالتنسيق المباشر مع رئاسة الميناء، وذلك تلافياً للفوضى والمزاجية في العمل.

- التمتع بالوسائل الفنية المتقدمة المناسبة، من قاطرات من مختلف الأحجام تتراوح ما بين قاطرات مرتفعة صغيرة وقاطرات أعلى البحار مجهزة بوسائل اتصالات بحرية متقدمة وكافة المعدات التقنية الالزمة لهذا العمل البحري المتخصص، لتمكن من العمل ليلاً نهاراً ما بين المرافئ والمرابك الموجودة في البحر.

- أن تكون مزودة بالعديد البحري الفني الكفوء، لأن المرشد يجب أن يتمتع بمهارات تقنية عالية بالإضافة إلى اتقانه اللغات الأجنبية المتداولة، إذ ان المسؤوليات الملقاة على عاتقه في مجال ممارسة عمله هي مسؤوليات جسام، وأي خطأ فني أو خطأ لجهة القرار والمناورة قد يعرض المركب وطاقمه للخطر مما يرتب على المرفأ المعنى خسائر مادية ومعنوية فادحة ويسوء إساءة بالغة إلى سمعة المرفأ ومستواه وبالتالي إلى مصداقية الدولة.

إعادة النظر في طرق منح الشهادات للمرشدين البحريين، واعطاء الأفضلية لأصحاب الشهادات أو الذين خدموا في البحرية العسكرية أو التجارية. لأن موضوع الإرشاد البحري هو بالغ الخطورة ومهنة المرشد البحري هي مهنة تتطلب سنوات عدة من التحصيل والتدريب، غير أنها في لبنان كغيرها من المهن تأتي بالوراثة ولا بد عاجلاً أو آجلاً، إعادة النظر في طرق منح الشهادات للمرشدين البحريين واعطاء الأفضلية لأصحاب الشهادات أو الذين خدموا في البحرية العسكرية أو التجارية.

بالإضافة إلى ذلك، يجب إعادة تأهيل مراكز الحجر الصحي وإعطاؤها الجدية الالزمة والتخصص الوظيفي الملائم، وكذلك إعادة احياء مراكز علوم البحار والبيئة، واستحداث مراكز متقدمة للبحث والتنقيب عن الثروات البحرية في المياه الإقليمية والمياه المتاخمة والمنطقة الاقتصادية.

إن التأهيل البحري للمرافئ الكبرى في لبنان، وخاصة مرفأ بيروت، لا يكون فقط

بتلزيم المباني والمنشآت والدراسات والتفكير في استكمال محطات الحاويات... بل يكون أيضاً بوضع تصور عام للغاية المطلوبة من المرفأ، والبدء الجدي بعملية التأهيل الفني والإداري للوصول إلى هذه الغاية، بالإضافة إلى تزويد المرفأ بالعديد الكفؤ والمختص اللازم لتشغيله، وتحديد مرجعية واحدة متخصصة لإدارته والشراف عليه.

إن عملية التأهيل البحري المرفأ هي عملية شاملة ومتكاملة، وإذا تمت معالجتها بنجاح يمكن لنا أن نصنف المرفأ على أنه مرفاً عادي أو مرفاً دولي مما يؤثر على تصنيف الدولة التابع لها من الناحية البحرية الدولية. وإذا ما تفحصنا بتجرد مرفاً بيروت، لو جدناه بتجهيزاته وإدارته أبعد ما يكون عن أن يصنف كمرفاً دولي، علماً أن تصنيفها لهذا له أكبر الأثر على الوضع الاقتصادي الدولة مثل لبنان واجهتها الأساسية هي البحر، وعلى البحر يرتكز العامود الفقري لاقتصادها الوطني.

II - في تأهيل العديد العامل في شؤون البحر أو التدريب البحري في لبنان

يُعتبر البحر عاملاً أساسياً من العوامل التي ميزت لبنان من النواحي الجغرافية والتاريخية والسياسية والستراتيجية والاقتصادية والإنمائية.

وإذا اعتبر لبنان ذا مركز استراتيجي في المنطقة، فذلك عائد أساساً إلى واجهته البحرية. فمنذ القدم، كان الشاطئ مركزاً للتبادل التجاري وللتواصل الاقتصادي والثقافي ما بين الغرب والشرق. لذا انتشرت المرافىء ومراكز التبادل التجارية على طول الشاطئ اللبناني.

وإذا كانت الدولة تعمل جاهدة، وبقدر الإمكانيات المتوفرة لها، لإعادة تأهيل المرافىء، إلا أن هناك قطاعاً مهماً من قطاعات البحر ما يزال مهملاً ولا يلقى الاهتمام الكافي من السلطات المختصة، عنيها به الأسطول التجاري اللبناني بشقيه الأساسيين: العتاد والعديد.

إن تجديد الأسطول التجاري اللبناني يحتاج إلى أموال طائلة تعود كلها إلى مؤسسات خاصة وأفراد يُعرفون باسم أصحاب أو مالكي السفن. والدولة لا تتحكم حتى الآن في سياسة تعمير أو تجديد الأسطول التجاري، ولكن بإمكانها أن تتدخل وتتحكم في سياسة تأهيل العديد العامل في شؤون البحر، أي في التدريب البحري لكل لما لهذا الأمر من أهمية بالغة. والدليل على ذلك أن غالبية الطواقم العاملة على متن السفن التجارية اللبنانية والتي تحمل العلم اللبناني هي أجنبية من البلدان المجاورة، خاصة من قبرص ومصر واليونان وسوريا، بالإضافة إلى الهند والباكستان وسيرلانكا وبعض الدول الشرقية وعدد لا يستهان به من الفلسطينيين. وتتجدر الإشارة إلى أن غالبية الربابنة وأصحاب الاختصاص (راديو - رadar - ميكانيك)، هم

من الدول الأوروبية، كاليونان وبريطانيا وغيرها. واستناداً إلى سجل شركة لويد للنقل البحري، هناك ١٦٢ باخرة مسجلة في لبنان مجموع وزنها الصافي ٢٨٦١٤٩ طن، أي بحدود ١٧٥٥,٥ طن للباخرة الواحدة Tons Gross، بطاقة لا يقل عن (١٢) اثنى عشر بحراً وملحاً. ولما كان قانون التجارة البحرية اللبناني يوجب المجهز في المادة ١٣٣ أن يستخدم على السفن المعدة للأسفار البعيدة المدى ٢٠٪ من الملحين اللبنانيين على الأقل، وبما أن العدد التقريبي لطاقم ١٦٢ باخرة هو بحدود ١٦٣ × ١٢ = ١٩٥٦ بحراً، فإن ٢٠٪ منهم هو بحدود $\frac{1956}{100} \times 20 = 391$ عنصراً.

وإذا افترضنا أن معدل الراتب الشهري للفرد هو بحدود ٥٠٠ دولار أمريكي، فإن رواتب هؤلاء البحارة شهرياً بحدود: $500 \times 391 = 195500$ دولار. فتكون الرواتب السنوية: $195000 \times 12 = 2,346,000$ دولار.

واستناداً إلى سجلات رؤساء المراقبة اللبنانية، فإن هناك ما لا يقل عن ١٠٠ باخرة وزنها الصافي بحدود خمسين طن أو أقل، غير مدرجة في سجل شركة لويد، وتشتمل للراحة الساحلية من مرفاً لبناني إلى مرفاً آخر وللصيد في الشواطئ اللبنانية بالإضافة إلى الأسفار البعيدة. وقد لاحظت المادة ١٣٣ من قانون التجارة اللبنانية البحرية (المعدلة بقانون ٢١/١٢/١٩٥٤) وجوب إلزام مجهز السفينة بأن لا يستخدم إلا ملحين لبنانيين للراحة الساحلية وللصيد في الشواطئ اللبنانية.

ولما كان عديد هذا النوع من السفن هو بحدود ٦ بحارة، وإذا افترضنا وجوب وجود ٥٪ من البحارة من اللبنانيين على متنها على الأقل، وبما أن العدد التقريبي لطاقم ١٠٠ سفينة أو مركب من حمولة ٥٠٠ طن هو بحدود $600 \times 6 = 600$ بحراً، فإن ٥٪ منهم بحدود $\frac{600}{100} \times 50 = 300$ بحراً.

وإذا افترضنا أن معدل الراتب الشهري للفرد هو بحدود ٣٠٠ دولار أمريكي (بسبب عدم الاختصاص)، فإن رواتب البحارة شهرياً هي بحدود: $300 \times 300 = 90000$ دولار.

وعلى هذا الأساس تكون الرواتب الإجمالية في السفن لكافة البحارة اللبنانيين على مختلف المراكب:

$$. ٢٢٤٦٠٠٠ + ١٠٨٠٠٠ = ٣٤٢٦,٠٠٠$$

أي بحدود، ثلاثة ملايين ونصف دولار أمريكي سنوياً.

أضاف إلى ذلك أن وجود بحارة بعدد كاف على متن السفن التي ترفع العلم

اللبناني، يضطر هذه السفن إلى التوجه بشكل دوري إلى المرافئ اللبنانية لفتح للبحارة زيارة أهاليهم مما يساعد أيضاً في زيادة حجم البضائع المنقولة من المرافئ اللبنانية وإليها.

إن احصاءً بسيطاً للبحارة اللبنانيين المفترض وجودهم على متن البوادر المسجلة في لبنان وعلى متن البوادر الأخرى ذات الوزن الصافي بحدود خمسماية طن أو أقل، يشير إلى أن عدد هؤلاء البحارة هو بحدود الـ ٧٠٠ بحار من دون اختصاص. وإذا افترضنا أن بإمكانية مدرسة بحرية مجهزة تجهيزاً مناسباً أن تخرج كل ٦ أشهر دفعة من البحارة الاختصاصيين بحدود ١٠٠ متدرج، لتطلب استكمال تدريب كافة البحارة ثلاث سنوات ونصف يضاف إليها نصف سنة لتحضير وتجهيز المدرسة المذكورة؛ تكون المدة المطلوبة بحدود ٤ سنوات. هذا على صعيد عديد الأسطول التجاري فقط دون سواه.

والواقع أن هناك ثلاثة فئات من العاملين في شؤون البحر:

- العديد البحري التجاري:

طواقم البوادر اللبنانية والتقنيون الذين يتولون شؤون إدارتها وصيانتها.

- العديد البحري السياحي:

ويتألف من مجمل العاملين في نطاق مراكب النزهة والمرافئ السياحية.

- العديد البحري العسكري:

أي عديد القوات البحرية في الجيش اللبناني، بالإضافة إلى كافة الذين يتعاطون الشؤون البحرية في إدارات المرافئ والدولة والبيئة إلخ... .

وستتناول في ما يلي موضوع التأهيل البحري بشكل حصري:

- واقعه الحالي.

- عرض مقترنات لتحسينه وتطويره.

وذلك بناءً لجدول التأهيل البحري التالي:

التأهيل البحري

نوع العديد البحري	الواقع الحالي للتأهيل	المقترحات
طواقم مراكب النزهة	إن مراكب النزهة أو اليخوت المرخص لها في لبنان، يتراوح طولها ما بين أربعة أمتار وحوالي الأربعين متراً، ولا يخضع ملاحوها والعاملون على متنها لای تأهيل بحري تقني، باستثناء بعض التواددي والمداهفي السياحية التي تطبي بعض الدروس السريعة لأصحاب وطاقم اليخوت المسجلة لديها، وهذا الوضع الفوضوي يشكل خطراً على سلامة الملاحة لراكب النزهة وللمرابك الأخرى.	- تقسيم مراكب النزهة إلى ثلاث فئات، على أساس حجم المركب ومدى المجال البحري المسموح لها بال航行 ضمته. - تنظيم الاجازات الممنوحة لهذه المراكب وطواقيتها على أساس تصنيفها ضمن الفئات المنوه عنها أعلاه. - إعداد برامج لتدريب العناصر التي ستتھتم بسلامة هذه المراكب وصيانتها وإدارتها، وإخضاعها لامتحانات كفاءة ضمن اختصاصاتها: (ملاحة - ميكانيك - كهرباء - راديو الخ...). تطبي على أثرها الإجازات والرخص المناسبة وضمن الفئة المطلوبة.
طواقم المراكب العسكرية	يقسم التدريب البحري العسكري إلى فئتين: - فئة التدريب المهني والتقني (الرتبة والأفراد) باختلاف بعض الدورات الدراسية في الخارج، فإن هذا النوع من التدريب تتولاه مدرسة القوات البحرية التابعة للجيش اللبناني، وهو مقسم إلى ست مراحل اصطلاح على تسميتها مكاتب وصنف من المكتب رقم صفر، أي الإعداد الأساسي البحري، حتى المكتب رقم خمسة الذي يؤهل الرتب البحري من كافة الاختصاصات لتصنيفه كضابط بحري. - فئة التدريب الأكاديمي: (تأهيل الضباط البحريين) حتى الآن، يتم تأهيل الضباط البحريين وتدريبهم ضمن إطار دورات دراسية في الخارج، وذلك بسبب افتقار مدرسة القوات البحرية لالإنشاءات، والمعدات، ومساعدات التدريب الضرورية.	- تأهيل مدرسة القوات البحرية التابعة للجيش اللبناني وتطويرها وتوسيعها بالإنشاءات والمعدات ومساعدات التدريب الضرورية لتحسين نوعية التدريب المهني والتقني وتطويرها خاصة في المجال التطبيقي بشكل يمكن الجيش اللبناني من انتساب إليه وإفراد البحريين إلى الخارج، كما ويغرس في المجال لمدرسة القوات البحرية استخدام العناصر المدنية التي ترغب في العمل على الباخر التجارية لتأدية التدريب التقني في كافة الاختصاصات البحرية وأعطائهما الشهادات الفنية المناسبة على مختلف المستويات (TS - BT - BP). - وضع دراسة برنامج لتصور مستقبلي بقية تمكن مدرسة القوات البحرية من الاضطلاع بمسؤوليات التدريب الأكاديمي (الضباط البحريين)، على أن تشمل هذه الدراسة كافة الاحتياجات والمراحل الآتية إلى تزويد مدرسة القوات البحرية بالإنشاءات الجديدة والمعدات ومساعدات التدريب المتقدمة ومركبات التدريب مما يمكنها من تنظيم البرامج الأكademie لتدريب الضباط البحريين لصالح القوات البحرية في الجيش اللبناني أو الضباط البحريين المذنبين لصالح الأسطول التجاري اللبناني.

المقتضيات	الواقع الحالي للتأهيل	نوع العدد البحري
<p>م طواف المراكب التجارية</p> <p>- ضرورة إيجاد مؤسسة أكاديمية بحرية على الصعيد الوطني تتكون من استيعاب حاجات الشباب اللبناني والعربي الراغب في التخصص في مجالات البحر، وهنا نعرض حللين:</p> <p>الأول: بناءً أكاديمية بحرية في لبنان وتجهيزها، والاستعداد بالختصيين والذوي الكفاءات في هذا المجال وفي طليعهم ضباط القوات البحرية في الجيش اللبناني.</p> <p>الثاني: تطوير درسسة القوات البحرية من كافة نواحي العميد والإنشاءات ومساعدات التدريب، ومركز التدريب، والمساحة لها كما المدرسة الحرية بالاستعارة بدكتاتورية وأساذنة جامعيين بحيث تتمكن من الإضطلاع بهذه المهمة الوطنية الكبرى.</p> <p>وفي حال اعتماد أحد الحللين، يمكننا أن نضع بتصريف المعنى</p> <p>الدراسية الكاملة لوضع التصور المطلوب قيد التنفيذ.</p> <p>- عند إيجاد المؤسسة الأكاديمية البحرية التي تزود الشباب البحري بالشهادات والخبرة المطلوبة، لن يعود هناك أي عذر لاصحاح البوارخر بالشرايين والذريعة المطلوبة، فـ</p> <p>ووضع قوانين وتحفظ عن هذا الشباب والاتجاه نحو الاجانب. مما يجب وضع قوانين وتحفظ على أصحاب المراكب التجارية اللبنانيين من الممارسة بهم وتعييدهم بالفضلية ككل لهم لبناء البوارخر.</p>	<p>- إن التاهيل البحري بشقيه التقني والأكاديمي معدوم في الوقت الحالي في لبنان، وإن المراكب التجارية اللبنانية تعتقد أساساً على محلحين وتقنيين أجانب ينافسون الشباب اللبناني الراغب في العمل في هذا المجال، مما يخلق ثغرات كبيرة في سوق العمل لدى العاملين اللبنانيين في قطاع البحر.</p> <p>أما العدد القليل من المحلحين والتقنيين اللبنانيين العاملين في هذا المجال، فهم مصروفون إما في مجال البحارة غير الوظيف أو يحصلون ك محلحين وتقنيين بدون أن يحصلوا على التاهيل البحري الأكاديمي المناسب بما يشكل خطاً كبيراً على سلامة الملاحة والملاقط، ويخلق حيلاً من عدم ثقة باللاحق والفندي اللبناني، فيدفع أصحاب المراكب التجارية إلى الاستعاة بالجانب لسد هذا النقص وعلى هذا المستوى.</p>	<p>- إن التاهيل البحري بشقيه التقني والأكاديمي معدوم في الوقت الحالي في لبنان، وإن المراكب التجارية اللبنانية تعتقد أساساً على محلحين وتقنيين أجانب ينافسون الشباب اللبناني الراغب في العمل في هذا المجال، مما يخلق ثغرات كبيرة في سوق العمل لدى العاملين اللبنانيين في قطاع البحر.</p> <p>أما العدد القليل من المحلحين والتقنيين اللبنانيين العاملين في هذا المجال، فهم مصروفون إما في مجال البحارة غير الوظيف أو يحصلون ك محلحين وتقنيين بدون أن يحصلوا على التاهيل البحري الأكاديمي المناسب بما يشكل خطاً كبيراً على سلامة الملاحة والملاقط، ويخلق حيلاً من عدم ثقة باللاحق والفندي اللبناني، فيدفع أصحاب المراكب التجارية إلى الاستعاة بالجانب لسد هذا النقص وعلى هذا المستوى.</p>

III - في صيانة السفن وترميمها

تلج الشواطئ اللبنانية، وخاصة مرفأ بيروت، سفن ومراتب عديدة من تجارية وسياحية تشكّل، بالإضافة إلى البوادر المسجلة في لبنان وغير المسجلة، حركة دائمة لا يستهان بها. وهذه البوادر، من تجارية وسياحية وعسكرية، هي كغيرها من الآليات والمركبات بحاجة إلى صيانة وترميم وأحياناً إلى تصليح نتيجة الحوادث أو سوء الاشتغال والاستعمال. إن الحرب الدمرة الأخيرة التي مرت على لبنان قد أتت على كافة مراكز الصيانة والترميم، وأدت في ما أدى إلى خراب المشاغل وسرقة أو فقدان المعدات والآلات بشكل أصبح معه ترميم أو تصليح أية سفينة يفوق وزنها الخمسين طناً يشكل صعوبة للمسؤولين اللبنانيين لجهة رفعها إلى اليابسة وإجراء الصيانة اللازمة، بسبب عدم توفر الإمكانيات المناسبة من تجهيزات ومعدات، وأحياناً الخبراء، مما دفع بأصحاب السفن في لبنان إلى نقل سفنهم إلى مرفاف أخرى غير لبنانية لإجراء عمليات الصيانة والترميم. إن خير دليل على القحط الذي أصاب مرفأ بيروت لجهة وسائل وإمكانات الصيانة، هو اضطرار السلطة اللبنانية، بناءً على طلب القوات البحرية وبعد موافقة قيادة الجيش، إلى إجراء صيانة وترميم مركب الانزال «صور» و«دامون» في قبرص. وهذا المركبان الحربيان هما مركبان متوضطان إجمالاً بطول ٥٩ متر، ووزنها الكامل ٦٧٠ طن، بحمولة ٣٣٦ طن، وبإمكانها نقل سرية مشاة مع عتادها (٩٦ عنصراً أو ١٠ شاحنات متوسطة الحجم أو ٨ ملاارات). وقد بلغت كلفة صيانة كل مركب في قبرص حدود أربعين ألف دولار أمريكي أي ثمانين ألف دولار أمريكي للمركيبين، بدون ذكر تعويضات الانتقال، وتغذية العناصر العاملة على هذين المركبين. علماً أن أعمال الصيانة الدورية تشمل إعادة رفع المركب إلى اليابسة لتنظيف الغاطس، ودهنه بالمواد الواقعية التي تؤدي إلى حمايته أطول مدة من الزمن ثم إعادةه إلى الماء. ويجري تنظيف الغاطس إما عن طريق المياه الحلوة المضغوطة بنسبة عالية مع قحط العوالق بواسطة الأدوات الحديدية الصغيرة (Grattoires)، وإما بواسطة الرمل المضغوط (Sablage)، الذي يستعمل عادة لتنظيف الغاطس المعدني. وتخالف صيانة المركب باختلاف المواد المصنوعة منها هذه المراكب، وهذا عائد إلى اختلاف تأثير مياه البحر على هيكل المراكب المختلفة. فهناك المراكب المصنوعة من المعادن التي تتعرض للتآكل والصدأ وتراكم العوالق، وهناك المراكب المصنوعة من الخشب التي تتعرض للتآكل والاهتراء والتتسوس وتراكم العوالق، وهناك المراكب المصنوعة من البلاستيك أو الفيبر غلاس التي تتعرض لدخول المياه المالحة إلى الداخل عن طريق ما يُسمى بعملية الامتصاص (Osmose) وظهور الفقاعات وتراكم العوالق.

وليس بالامكان تنفيذ أعمال صيانة الغاطس كلها قبل رفع أي مركب إلى اليابسة ووضعه على الفرز أو المزحل (cale) وبشكل يكون معه جسم المركب مرتفعاً عن

الارض نسبة كافية تسمح بالعمل تحته بسهولة. وفي البلاد المتطورة، هناك أحواض جافة (Cales Sèches) توضع فيها السفن الكبيرة من حاملات طائرات وغواصات تصيانتها، كما أن هناك مزاحل متحركة ذات مصاعد (Syncrolift) بإمكانها رفع السفن الكبيرة إلى اليابسة في ساحات كبيرة وتحريكها في عدة اتجاهات لوضعها في المكان المناسب والبدء بصيانتها أو ترميمها، كما أن هناك مزاحل عادية ذات اتجاه واحد(قزق) بإمكانها رفع مختلف أنواع السفن من صغيرة وكبيرة إلى اليابسة بهدف ترميمها.

أما في لبنان فيتوفر في مرفاً بيروت مزحل مناسب (قزق) بإمكانه رفع المراكب المختلفة من تجارية وعسكرية وسياحية بحدود ١٠٠٠ - ٢٠٠٠ طن، غير أن هذا القزق متوقف عن العمل منذ بداية أحداث ٧٥ بسبب الأضرار والأعطال التي نزلت به والعائد بمحملها إلى توقف المحرك، وتقطيع أسلاك الجر، واحتراق اللوحة، وتزع التمديدات الكهربائية. غير أن المزاحف والإنشاءات الأساسية العائدة لهذا القزق ما تزال موجودة وهي بحاجة إلى ترميم وإعادة تأهيل قابلة للتنفيذ.

وإذا ما نظرنا إلى الخسارة الكبيرة الناتجة عن عدم تأهيل وتشغيل قزق مرفاً بيروت وبالبالغة عدة آلاف من الدولارات يومياً، وإذا ما نظرنا إلى ضالة تكاليف تجهيز وتأهيل وتشغيل القزق البالغة حوالي ثلثمائة وخمسين ألف دولار بما فيها تعميق مياه البحر داخل مرفاً بيروت الموصلة إلى القزق وذلك عن طريق إنشاء ممر عميق (Couloir) خاص بالقزق يمكن تحقيقه بواسطة شفاطات متخصصة بسحب الرمول من قعر البحر داخل الحوض الأول في المرفأ حيث القزق؛ لوجدنا أنه من مصلحة الدولة اللبنانية الإسراع في تأهيل قزق مرفاً بيروتاليوم قبل غد لأن كلفة التأهيل والتشغيل يمكن تعويضها خلال أقل من ستة أشهر على الأكثر، بالإضافة إلى أن تشغيل القزق يوفر على الدولة اللبنانية، من جهة، واللبنانيين أصحاب السفن واليخوت الكبيرة الخاصة، من جهة ثانية، تكاليف صيانة مراكبهم في الخارج، عدا أن الكثير من أصحاب السفن الأجنبية يفضلون صيانتها أو ترميمها في بيروت نظراً لسهولة المعاملات وضالة التكاليف مما يشجع حركة المراكب إلى مرفاً بيروت وبالتالي يزيد مداخيل الدولة والمؤسسات الخاصة والمواطنين على السواء.

غير أن هناك عملية اجبارية تسير جنباً إلى جنب مع تأهيل قزق مرفاً بيروت، ولا بد حكماً من القيام بها، إلا وهي تجهيز وتأهيل المشاغل البحرية في مرفاً بيروت والتي كانت سابقاً موجودة في الهنغاريات المجاورة للقزق ضمن حرم الحوض الأول.

والهنغاريات حالياً موجودة في أماكنها، وهي بحاجة إلى اجراء عملية ترميم بسيطة وغير مكلفة، وبإمكان إعادة تجهيزها بالآلات والمخارط والعدة المناسبة لتصليح

وترميم المراكب والمحركات والمولدات الكهربائية البحرية وكل ما له علاقة بالبحر والمراكب.

إن إعادة أحياء وتأهيل وتجهيز هذه المشاغل المشتركة هو من الأهمية بمكان، باعتبار أنها سوف تكون قادرة على اجراء الصيانات المختلفة وتصليح مختلف الأعطال، التي تتعرض لها المراكب اللبنانية من عسكرية وتجارية ومراكب النزهة، بالإضافة إلى المراكب الأجنبية التي تؤم لبنان.

IV - الخلاصة

لقد طرقنا في هذا العرض المختصر إلى موضوع التأهيل البحري، لنشدد على الأهمية القصوى للعامل البحري في الكيان اللبناني، وضرورة عدم الاستخفاف بهذا العامل عند معالجة الأمور الاستراتيجية المتعلقة بوطننا. وأنه من نافل القول أن على الدولة اللبنانية بجميع اداراتها أن توجه اهتماماً خاصاً إلى قطاع البحر ومتقرراته، وأن تضع سياسة متماسكة وهيكلاية متكاملة وقوانين شاملة ترعى هذا الموضوع بالجدية اللازمة.

ولما كانت إدارة الشؤون البحريية على صعيد الدولة اللبنانية تعاني من تعدد المرجعيات التي تتعاطى إدارة الشؤون البحري، ومن غياب التنسيق في ما بينها، ومن الحاجة الماسة إلى توحيدتها وضرورة تماشيتها مع الركب الحضاري العالمي ضمن مرجعية واحدة على أعلى المستويات؛ لذلك نقترح تسهيلاً للأمور اجراء ما يلي:

- ١ - إنشاء وزارة لشؤون البحر ترتبط بها كافة قطاعات البحر.
- ٢ - اعتبار المرافق اللبنانية، وخاصة المرافق الأساسية، وتحديداً مرفاً بيروت، من المرافق الحيوية، وبالتالي اشراكها في المرحلة الانمائية للبنان بصورة مدرستة تقنياً تتلاءم مع المعطيات الفنية والإدارية والقانونية التي ترعى شؤون المرافق الدولية.
- ٣ - ضرورة تحديث القوانين اللبنانية التي ترعى شؤون البحر لتتماشى مع تطورات العصر، بالإضافة إلى تنظيم الدخول والخروج من وإلى المرافق عن طريق وضع الاشارات المناسبة، وتشغيل المنائر وضبط عملية الإرشاد.
- ٤ - ضرورة الاهتمام الجدي بشؤون الأسطول التجاري اللبناني لجهة العتاد والعديد.
- ٥ - ضرورة الاهتمام الجدي بتأهيل العديد العامل في شؤون البحر، وإعطاء التدريب البحري الأهمية القصوى عن طريق تطوير المدارس والمناهج البحرية وتحديثها.
- ٦ - إعادة تأهيل قرق قرقاً بيروت والمشاغل التابعة له وتشغيلها.

إن هذه الاقتراحات هي مناسبة ومقبولة وقابلة للتنفيذ، باعتبار أن الإنشاءات موجودة والخبرة موجودة ورأس المال، وهو ضئيل، موجود، ولا ينقص سوى أخذ القرار الجريء بالمضي قدماً للتنفيذ.

المصادر والمراجع

- ١ - قانون التجارة البحرية اللبنانية.
- ٢ - الخطة ٢٠٠٠ للأعمال والإنماء البند ٦ - ٤ المرافق.
- ٣ - محاضرات الدعم البحري، كلية القيادة والأركان.
- ٤ - أرشيف القوات البحرية اللبنانية.
- ٥ - مجلة الأمن: مقابلة مع وزير النقل حول تطوير مرفأ بيروت، العدد ٢٩ يناير ١٩٩٤، ص ٣٦ - ٣٧.
- Lloyd's Register of Shipping. - ٦
- Jane's Fighting Ships 1993 - 94. - ٧
- Guide Du Navigateur, Volume 3, 1992. - ٨

المرأة والحياة السياسية في لبنان

د. فاديا كيوان (*)

يتعاظم الحديث في لبنان عن مشاركة المرأة في الحياة السياسية، وتتعدد الندوات والحلقات الدراسية التي تطرح هذا الموضوع من مختلف جوانبه. ويذهب معظم الباحثين والمتكلمين إلى حد التأكيد على أن المرأة قادرة كالرجل على تسلم مراكز قيادية وعلى صناعة قرارات عامة. هذا إذا اعتبرنا أن القدرة عند بعض الرجال هي التي تؤهلهم لهذه المراكز وتلك المهام. ويُبدي بعض الباحثين شيئاً من التحفظ، فيقولون انه يجب أن تعطى النساء فرصاً متساوية مع الرجال في مجال التربية والتعليم والتنشئة الوطنية والإعداد السياسي، فإن هذه الفرص تسمح للنساء اللواتي يتحلّن بصفات خاصة قيادية مميزة، ان يتقدمن إلى مراكز المسؤولية السياسية بشكل تلقائي بحسب قاعدة إرتقاء الأفضل، وهي قاعدة محورية في النظرية الليبرالية، على أساس أن الحلة السياسية لكل نظام اجتماعي تخضع لمبدأ ارتقاء الأفضل إلى سدة المسؤولية العامة^(١). ويميل بعض المشككين إلى الاعتقاد بأن الاهتمام بالمشاركة في الحياة السياسية ليس الا «موضة» أو «طفرة» لن تثبت أن تنطفئ في لبنان لأسباب عده، أولها أن ظاهرة المشاركة النسائية في الدول المتطرفة بقيت نوعية «ولم تحول إلى ظاهرة نوعية وكمية معاً»، وعدد النساء اللواتي يعملن بالسياسة ما زال قليلاً بالنسبة إلى عدد الرجال في هذا الميدان. ثم إن ظاهرة المشاركة النسائية في السياسة في لبنان لم تأتِ لـ «تشفي غليلاً بعد». وسنأتي على ذكر الأسباب لاحقاً في سياق هذا المقال.

(*) استاذة العلوم السياسية في الجامعة اللبنانية.

(١) اشتهر عالم الاجتماع الإيطالي فلغریدو باريتو بنظرية «ارتقاء الأفضل».

فما حقيقة الوضع إذاً في أساسه؟ ما هو بالنسبة إلى لبنان؟ أين المأزق وما هي التوقعات؟... وما المرتجل؟...

١ - الوضع في الأساس

لم يخلُّ التاريخ القديم للحياة السياسية في العالم من أمثلة بعض النساء الميزات اللواتي تحلىن بصفات خاصة في إطار الحكم الامبراطوري والملكي. وقيل همساً أن بعضهنَّ كن الحكام الفعليين في بلدانهن إلى جانب أزواجهن أو بعد غيابهم^(٢). إلا أن الحديث عن مشاركة المرأة في الحياة السياسية لم يبدأ إلا مع انتشار - ولا نقول تفشي - الفكر الديمقراطي وقيم حقوق الإنسان. ولا شك في أن التطور الاقتصادي الاجتماعي في المجتمعات الغربية قد أدى إلى تطوير البنية الاجتماعية، وظهور الفرد المؤسس للمواطنية في الدول التي نشأت في الغرب. وهذا التطور للبنية الاجتماعية، حمل معه ظهور وعي نسائي في الفردية، فإذا بالمرأة تدخل حلبة الحياة السياسية، مطالبة بحقوق لها كإنسان، مدعة بالنزعة الشخصية، «الشخص - الإنسان»، التي تبلورت في إطار الفكر الديني والنظرية إلى «الشخص - الإنسان» - في كل فرد^(٣).

وتصاعدت المطالبة بالمشاركة النسائية في الحياة السياسية في الغرب بمحارات المطالبة بالديمقراطية. وكانت المبادرة السياسية إلى إشراك نساء في المؤسسات السياسية الحزبية، إحدى تجليات الديمقراطية الآتية... من الغرب. فإذا بالأحزاب السياسية تشجع النساء في الحقل السياسي وتدفع بهن - بشيء من الغوغائية في بعض الأحيان - إلى المقامات الرئيسية في صناعة القرار العام^(٤).

وفي الغرب تحديداً، كانت هناك ظروف ساهمت في تحرير المرأة من الحياة المنزلية، ودفعها إلى العمل في مختلف ميادين الإنتاج الاقتصادي والاجتماعي. وقد ساعدت هذه الظاهرة على بروز وعي نسوي لدى النساء الغربيات، أدى إلى تشكيل

(٢) نذكر على سبيل المثال، الملكة ماري دو ميديسيس (١٥٧٣ - ١٦٤٢)، أبنة فرنسوا الأول وزوجة هنري الرابع ملك فرنسا، وكانتين الثانية امبراطورة روسيا وزوجة القيصر بطرس الثالث (القرن الثامن عشر)، والملكة اليزابيت، زوجة الملك البر الأول في بلجيكا (١٨٧٦ - ١٩٦٥).

(٣) يُعتبر الفيلسوف الفرنسي غبريل مارسيل من مؤسسي المذهب الفكري الوجودي الشخصاني المؤمن أو المسيحي، في مواجهة الوجودية الملحدة عند جان بول سارتر.

(٤) نشير إلى ظاهرة التمييز الايجابي (Discrimination positive) التي طبعت ستراتيجية عدة أحزاب أوروبية في السبعينيات والثمانينيات، مثل الحزب الاشتراكي النروجي، وحزب الغروتن الألماني والحزب الديمقراطي الاشتراكي الألماني، الخ... انظر:

KIWAN Fadia «Le rôle de la femme dans la politique» in Actes du colloque sur «la femme» Centre Culturel Français - Beyrouth, Avril 1992.

حركات نسوية^(٥) ضاغطة في العديد من هذه الدول، وأفرزت شخصية نسوية غير مستعدة للتراجع «irréversible»^(٦).

لكن المشاركة النسائية في الحياة السياسية جاءت في أوروبا الغربية بشكل خاص، عبر المؤسسات الحزبية التي تسلمت تباعاً مقاليد الحكم. ولم تكن النساء دائمًا توضع في موقع مسؤولية تتعلق بشؤون النساء. بل إنهن توزعن بين مهام مختلفة لم تكن القضایا النسائية إلا جزءاً منها^(٧). بمعنى آخر، لم تأتى النساء إلى الحكم من أوساط الحركة النسائية أو النسوية، بل في إطار الأحزاب بشكل رئيسي، ولم تأتين للاهتمام بقضایا المرأة، بشكل حصري، بل لمعالجة قضایا اجتماعية متفرقة ليست المرأة إلا جزءاً منها. ففي عودة إلى الجذور الاجتماعية للنساء اللواتي شاركن في القيادة السياسية (في قيادة الأحزاب، في النيابة، في الوزارة، في المجالس الدولية)، نرى أن هذه الجذور هي نفسها التي انطلق منها الرجال الذين سلّموا مسؤوليات في الحقبة نفسها. وهذا يعني أن الوسط الاجتماعي هو نفسه الذي يُنتج رجالاً ونساء للحكم. ويبقى الفارق المميز هو أن مشاركة النساء أصبحت مألوفة أكثر مما هي عليه في بلادنا. لكن ذلك يعني أيضاً أن النساء كنَّ أكثر عدداً في التعاطي بالسياسة فألف المجتمع والمجتمع السياسي وجودهن^(٨).

٢ - ما هو الوضع من هذا القبيل في لبنان؟

يجري الحديث الكثيف عن مشاركة النساء في الحياة السياسية في لبنان، في حقبة التحضير للمؤتمر الدولي للمرأة المنوي عقده في بكين سنة ١٩٩٥، وفي زمن يتهرّب فيه لبنان - المؤسسات من تصديق الاتفاقية الدولية الخاصة برفع كل أشكال التمييز بحق النساء^(٩).

(٥) نصطلح على تسمية «نسائي» كل ما هو نسائي التركيب، و«نسوي» كل موقف يهدف إلى تعزيز موقع النساء. وفي اللغة الفرنسية، هناك كلمتان تميّزان للدلالات على هذا الفارق فيقال: Féminin و Féministe.

(٦) GADANT Monique «Nationalité et citoyenneté, les femmes algériennes et leurs droits» in peuples méditerranéens, N°44-45, pp. 293-337.

(٧) السيدة مارغريت تاتشر، رئيسة وزراء بريطانيا السابقة، تشكل مثلاً ساطعاً لهذا الوضع.

(٨) بدأ الحزب الاشتراكي النروجي بتطبيق مبدأ تخصيص حصة ٤٠٪ من مقاعده للنساء منذ أواسط السبعينيات، ومن ثم أطّل حزب الغروتن أي الخضر في المائة الأولى للنواب للنساء في التدرج إلى مراكز المسؤولية، حتى توصل إلى كتلة ٢٥ نائب امرأة من أصل مجموع نوابه في المجلس سنة ١٩٨٣. وقد سلك الحزب الديمقراطي الاشتراكي مبدأ تخصيص حصة للنساء هو الآخر، وألف المجتمع السياسي الألماني على هذا الوضع.

(٩) مغيزل لور «المرأة في التشريع اللبناني، في ضوء الاتفاقيات الدولية مع مقارنة بالتشريعات العربية»، منشورات معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، كلية بيروت الجامعية، ١٩٨٥، ص ٢٤٥ - ٢٦٣.

وبالرغم من النشاط الواسع للهيئات النسائية اللبنانيّة، والاتصالات الشاملة التي قامت بها هذه الهيئات، منفردةً ومجتمعةً، من أجل حمل – وليس دفع – الدولة اللبنانيّة على التصديق على هذه الاتفاقيّة، فإن الموقف الرسمي بقي فاتراً في أحسن الأحوال وسلبياً في بعضها بحجة أن الاتفاقيّة الدوليّة تفرض مراجعة نصوص تشريعيّة وتنظيميّة لبنانيّة غير منسجمة معها بحيث إنّها مجحفة بحق المرأة. وقد تذرع المسؤولون المعنيون بأنّه ليس هناك من موافقة عليها من المراجع الدينية والطائفيّة.

فأين هن النساء من السياسة في زمن سقطن فيه في أبسط مواجهة؟

دخلت النساء السياسة من بابها العريض – وليس العالي. فقد شهدت التسعينات في لبنان دخول ثلاث سيدات إلى البرلمان، حصلت اثنتان منهن على نسبة مرتفعة جداً من الأصوات كل في دائرة انتخابية^(١٠).

وفي الواقع، لم تكن هذه التجربة الأولى في تاريخ الحياة السياسيّة اللبنانيّة الحديثة، ذلك أنّ بعض نساء قد تجاسرن وترشحن في الانتخابات النيابيّة في عدة دورات متتالية للمجلس النيابي اللبناني^(١١). وكانت سيدة لبنانيّة قد دخلت إلى المجلس النيابي على اثر انتخابات فرعية لممثّل واحد في الشوف، فازت خلالها بالتزكية وشغلت المقعد الذي كان قد شغر بوفاة والدّها أميل البستاني. لكن الانتخابات الأخيرة شهدت فوز نساء ثلث في انتخابات عرفت في بعض الأحيان منافسة شديدة، واحتلت أحدي السيدات المرتبة الأولى في مجموع الأصوات بين سائر المرشحين المتنافسين في مختلف اللوائح لمنطقة الشمال. وهي كانت تعاطى الانتخابات شخصياً لأول مرة، بعد اغتيال زوجها الرئيس رينيه معوض. وقد تعاطف معها ناخبو الشمال، بنوع خاص، لهذا السبب فأفادت من القواعد الانتخابية التقليدية للرئيس معوض وتحالفاته. واحتلت السيدة الثانية المرتبة الثانية في مجموع عدد الأصوات في دائرة انتخابية في صيدا بعد رئيس اللائحة. وهي أيضاً كانت تعاطى السياسة بعد أن كلف أخوها، رجل الأعمال المشهور السيد رفيق الحريري، بتشكيل الحكومة اللبنانيّة. وهي أيضاً استفادت من القاعدة التي تشكلت لأنّها بعد سلسلة الأعمال الاجتماعيّة والخيرية التي قام بها خلال الأحداث في منطقة الجنوب وفي صيدا، بشكل خاص. أما السيدة الثالثة فقد فازت

(١٠) الخازن فريد وسالم بول، «الانتخابات الأولى في لبنان ما بعد الحرب»، المركز اللبناني للدراسات، ١٩٩٤، نتائج انتخابات محافظة الشمال ومحافظة الجنوب.

(١١) كيوان فادي، «مشاركة المرأة في الحياة السياسيّة في لبنان»، أعمال الندوة الإقليميّة حول موقع ودور المرأة في الحياة العامة في لبنان التي نظمتها منظمة الأونسuko في ٢٩ - ٣١ آذار ١٩٩٣ في بيروت، منشورات الأونسuko، باريس ١٩٩٣.

بالتزكية ولكن بعد قليل من الأصوات، في انتخابات شهدت مقاطعة شبه شاملة في دائرة بلاد جبيل، وهي أنت إلى السياسة بعد وفاة أخيها الذي كان مسؤولاً حزبياً.

إن ترشيح السيدات الثلاث لم يكن له علاقة مباشرة بقضايا المرأة، بشكل حصري، وفوزهن لم يكن نتيجة تضامن نسائي أو نسوية خاص معهن. وهنّ أظهرن اهتماماً متفاوتاً بهذه القضايا بعد دخولهن المجلس النسائي. أما الهيئات النسائية فلم تلعب دوراً فعالاً في هذه الانتخابات، مع أن المجلس النسائي اللبناني أصدر عدة بيانات طالب فيها بتشجيع مشاركة النساء، وفي هذا الإطار ترشحت عدة نساء من بينهن رئيسة المجلس النسائي الدكتورة أمان شعراني. لكن دعوات المجلس النسائي لم تلقى تجاوباً «كافياً»، ولم يتم التعامل بشكل جدي وصادق مع الترشيحات النسائية وبقيت هذه المطالبة صرخة في وادٍ.

ما سبب ذلك؟

يعود السبب، قبل كل شيء، إلى أن اختيار المرشحين لدخول اللوائح الانتخابية غالباً ما يخضع في لبنان لمعايير لا علاقة لها بطنومات الشعب وقضاياهم. وفي هذا الإطار، فإن ما تشكو منه النساء هو عينه ما يمكن أن يشكوا منه الرجال أيضاً فالسياسة في لبنان ما زالت، على وجه العموم، حكراً على بعض العائلات في كل طائفة، والتغيير النسبي الذي طرأ على النخبة السياسية في بعض الطوائف في الانتخابات الأخيرة، كان مردّه إلى ظروف الحرب والظروف التي رافقت عملية الانتقال إلى ما بعد الحرب وملابساتها. ولم يأت هذا التغيير وليد تطور ديمقراطي للبنيات السياسية، ولا وليد تحول ثقافي اجتماعي بدل العلاقات السياسية بين القيادات والقاعدة^(١٢)، بل كان مجرد تبديل لأشخاص آخرين من دون تبدل يذكر في النهج السياسي وفي الطروحات. والنخبة الجديدة لا تبدو أكثر تقدمية من النخب التي سبقتها في مجال الانفتاح على مشاركة النساء لها في الحياة السياسية. هذا إذا استثنينا بعض شرائح هذه النخبة الجديدة التي هي في موقع المحافظ والمتشدد، في ما خص التشريعات المنظمة لحياة المرأة الاجتماعية والسياسية والشخصية والمدنية.

على خط آخر، يتميز المجتمع اللبناني بحيوية خاصة للهيئات الأهلية والمدنية الناشطة في المجالات الاجتماعية والثقافية والإنسانية والتنموية، والمستقلة نسبياً عن الميدان السياسي وعن النظام السياسي. وفي هذا الإطار، يلاحظ أن النساء يشكلن النسبة الكبرى من العاملين في هذه القطاعات. وإن مجرد متابعة أخبار النشاطات

(١٢) كيوان فادي «قوى سياسية جديدة نظام سياسي قديم» في لبنان اليوم منشورات مركز دراسات وأبحاث الشرق الأوسط المعاصر CERMOC والمجلس الوطني الفرنسي للأبحاث العلمية، بيروت ١٩٩٤.

الاجتماعية عبر وسائل الاعلام، يبين ان الحديث يكون في مجلمه عن نساء ناشطات، وجمعيات نسائية صاحبة مشاريع وأعمال في غاية الفعالية وذات نفع اجتماعي أو نسائي. وقد تبين لنا من خلال دراسة ميدانية حول عمل النساء في الهيئات الأهلية^(١٢)، أن نشاط النساء لا يتوقف عند حدود القضايا النسائية بل يتخطاها ليشمل مجلم القضايا التي تهم شرائح المجتمع كافة، من القضايا التي تهم الأطفال، وتشمل رعاية الأطفال وتنمية قدراتهم، إلى شؤون الشباب. وإلى شؤون المعاقين والمعوزين والشيوخ والبيئة ومكافحة الغلاء وقضايا العمال. وتتأتي الشؤون المتعلقة بالمرأة كجزء من هذه القضايا العامة. وتؤكد القيادات النسائية في المجلس النسائي اللبناني، أن طروحتها ليست نسوية بل أنها اجتماعية شاملة، لكن محورها تفعيل مشاركة النساء في العمل في كل الميادين وتعزيز موقع المرأة ودورها في كل منها^(١٣). لذلك يمكن القول أنَّ ليس في لبنان حركة نسائية عنصرية، بمعنى ردة الفعل العنصرية على العنصرية الذكورية، بل ان هناك هيئات نسائية التركيب في مجلملها، تعمل بهدف تطوير البنية الاجتماعية، وتشكل قضايا المرأة محوراً «أساسياً» من اهتماماتها، باعتبار أن المرأة هي في موقع خاص في المجتمع يسمح لها بتحسّن سائر قضاياه بجميع فئاته وفي جميع نواحي الحياة^(١٤).

وكانت الهيئات النسائية ذات نشاط مميز في السنوات الأخيرة من الحرب، فاعلة في التهدئة ونشر قيم السلام والوفاق وحقوق الإنسان، وعاملة في مجال التأهيل المهني ومحو الأمية ومساعدة الفئات المحتاجة. وقد طرقت في الوقت نفسه باب النظام السياسي للمشاركة في صناعة القرار، لكن هذا الباب بقي موصداً في وجهها، لأنَّ النظام السياسي اللبناني له أهله وأقاربه ورجالاته... ونساؤه.

٣ - المأزق

إنَّ الهيئات النسائية، على فعاليتها، لم تستطع بعد خلق حالة شعبية متحالفة معها، مخترقة بذلك جدار التحالفات الطائفية والعائلية والاقطاعية. وبالتالي، فإنَّ تقدم الهيئات الأهلية النسائية التركيب وفي مقدمها المجلس النسائي اللبناني، في قطاع العمل الأهلي والمدني، وقصورها، في الوقت نفسه، عن بلوغ الميدان السياسي؛

(١٢) كيوان فادي: «عمل النساء في الهيئات الأهلية، دراسة ميدانية عن لبنان»، منشورات مؤسسة فريدريش ايرت والمجلس النسائي اللبناني، بيروت ١٩٩٤.

(١٤) كلمة رئيسة المجلس النسائي اللبناني، الدكتورة أمان شعراني، في احتفال يوم المرأة العالمي، الذي نظم في قاعة عصام فارس في الجامعة الأمريكية في بيروت، في ١١ آذار ١٩٩٤. (أرشيف المجلس النسائي اللبناني).

(١٥) كيوان فادي «الجوانب السياسية المرتبطة بالمرأة والبيئة»، في «المرأة والبيئة في لبنان»، منشورات معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، كلية بيروت الجامعية، بيروت ١٩٩٣، ص ٦٥ إلى ٧٨.

إنما يبين أكثر فأكثر مأزق النظام السياسي اللبناني الذي ينزع إلى إعادة إنتاج نفسه على قاعدة الزعامة الطائفية المتشابكة مع العائلية والتحالف مع قوى المال والأعمال. ويبقى التحرك النسائي ينتظر حلفاء الطبيعين، أي القوى الديمocrاطية التي تراجعت كثيراً خلال الحرب والتي هي مدعوة اليوم إلى نسج علاقات شعبية واسعة وعقد تحالفات مع قطاعات ناشطة في المجتمع الأهلي، بعد أن بقي جميع هؤلاء مهمشين في ظل الرجعية والتقليد.

٤ - النساء اللبنانيات والحياة الحزبية

أما وقد رأينا ان الهيئات النسائية، على نشاطها، بقيت، حتى اليوم، خارج دائرة العمل السياسي الرسمي، فعلينا إلقاء الضوء على مشاركة النساء اللبنانيات في الحياة السياسية المؤسساتية، أي في الأحزاب. ومعلوم أن لبنان يتميز، في ما يتميز به، بالعدد الكبير لأحزابه. وقد نشأت هذه الأحزاب وتتنوع مشاربها الإيديولوجية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار مروراً بالوسط، ومنها الأحزاب الشعبية ومنها الأحزاب الطائفية النخبوية التركيب. وقد اتجهت في مجملها إلى فئات الشباب والطلاب، وبعثات غالبية كواذرها من صفوف هؤلاء، وبينهم شبابات وطالبات انخرطن في العمل الحزبي وعملن لسنوات عدة في النضال الطلابي والاجتماعي الحزبي. وتأتي فترة نهاية السبعينيات وأوائل السبعينيات، لتعطي صورة غنية عن حياة سياسية حزبية مختلطة نسبياً، وهي كانت تشكل نواة نخبة سياسية بديلة لم ترى النور لأن النظام السياسي اللبناني كان سائراً بخطى سريعة نحو الحرب. لكنه يلاحظ أن النضال النسائي في الأحزاب بقي خجولاً، إذ أنه سرعان ما كانت الطالبات تنسحبن من النشاط الحزبي الكثيف بعد انتهاء مرحلة الدراسة والحياة الطلابية. فإذا بالوجود النسائي يتقلص مع تقدم المحاذبات في السن ودخولهن الحياة العملية والحياة الزوجية، بشكل خاص. ولم يقم أي حزب في لبنان بمبادرة إرادية بهدف تشجيع النساء على العمل الحزبي، عبر تخصيص مقاعد للنساء في مجالسه، كما جرى في عدة دول في العالم. ففي لبنان، جاء الانخراط الحزبي عند النساء تلقائياً فردياً، متراافقاً مع انتشار التعليم في صفوفهن والتحرر النسبي الذي عاشت فيه النساء في لبنان، في المدن بشكل خاص، حيث خرجن إلى العمل ومواصلة المهن وإلى القيام بالأنشطة المختلفة. وجاء انخراطهن في الأحزاب طبيعياً في مناخ الحرفيات العامة والحياة الطلابية التي ميزت السبعينيات وأوائل السبعينيات، والتي حملت في صدرها العديد من القضايا الاجتماعية والوطنية والقومية والأمية.

وقد عاشت الطالبات المحاذبات حياة إنسان عادي، ولم تصطدمن بجدار العنصرية الذكورية طالما بقين في صفوف القاعدة وبين المناضلين المجهولين. لكن التقدم إلى مراكز المسؤولية داخل كل حزب، كان أصعب عليهم حيث كن يواجهن

إكراهات المجتمع التقليدي المحافظ - حتى في صفوف الأحزاب والقوى التقدمية - غير المبتدأ لفكرة الحياة العامة للمرأة، لأن هذه الصورة تتعارض مع الفكرة السائدة في المجتمعات العربية والإسلامية حول المرأة التي هي جزء من المساحة الخاصة، بل محور المساحة الخاصة لكل رجل.

وفيما أدت الأحداث الدامية إلى تراجع العمل الحزبي الديمقراطي بكل أوجهه، قامت خلال الحرب عدة تجارب نسائية للانخراط في صفوف القوى المتحاربة. لكن هذه التجارب بقيت محصورة جداً ولم يكن لها انعكاسات باتجاه تعزيز دور النساء في صناعة القرار في الميليشيات. فكانت هناك وحدات عسكرية نسائية في ميليشيا حزب الكتائب، وفي القوات اللبنانية، وفي الحزب الشيوعي اللبناني على سبيل المثال لا الحصر، بدون أن ترتفق نساء إلى سدة المسؤولية في مجال القيادة. وتبقى تجربة مقاومة الاحتلال لدى العديد من الشابات اللبنانيات، - بعضهن استشهد البعض الآخر ما زال يتعذب في السجون الاسرائيلية. وهذه التجربة تشكل صفة مجيدة في تاريخ العمل السياسي النسائي في لبنان، لأنها تؤكد ببساطة وصدق أن النساء اللبنانيات هنّ مواطنات يعرفن شعور العزة الوطنية وقيمة الشهادة من أجل الوطن... وطعمها. ونذكر من الشهيدات في المقاومة الوطنية سناء محيدلة، ويولا عبود، ومن المعتقلات سهى بشاره.

إن مجمل هذه النماذج من التعاطي النسائي مع الحياة الحزبية والسياسية الوطنية في لبنان، إنما يدل على أن النساء اللبنانيات يتحلّين بوعي سياسي ووطني مثل الرجال اللبنانيين، وهن على استعداد للانخراط في العمل السياسي عندما تتسع دائرة وتصبح الممارسة الديمقراطية محوره وهدفه. في هذه الحال، يتعرّز دور الأحزاب السياسية، وتتعزّز الممارسة الديمقراطية في صفوفها، فيشتراك المواطنون، نساء ورجالاً، بشكل تلقائي وإرادي اختياري، في العمل السياسي المنظم.

٥ - المتوقع

هكذا فإن مشاركة المرأة في الحياة السياسية ليست أمراً مهماً بحد ذاته. وقد لا تحمل هذه المشاركة جديداً إن هي كانت وليدة إعادة إنتاج الزعامة التقليدية في لبنان. أما أن تأتي هذه المشاركة كتعبير عن المزيد من الديمقراطية في حياة اللبنانيين السياسية، فهو أمر صعب المنال في ظل غياب الحياة السياسية الديمقراطية.

أما المتوقع في ظل تصاعد الخطاب النسوى الذي أصبح مألوفاً، فهو أن يتم إعطاء فرص المشاركة لنساء من الوسط الاجتماعي نفسه الذي يحذر منه سائر سياسي لبناني. فتأتي زوجاتهم وأخواتهم وبناتهم بدلاً منهم أو في انتظار عودتهم أو معهم جنباً إلى جنب.

٦ - المرتجى

إن طموح الشعب اللبناني هو أن تأتيه قيادات تتحسس حاجاته، وتعرف طموحاته وتعمل على تحقيقها. وطموحات النساء أن تكون هناك نظرة خاصة لهن في كل ميادين السلطة، لأنهن تاريخياً وقعن ضحية المظالم والإكراهات كافة، وهن بحاجة إلى اهتمام خاص كسائر الفئات الاجتماعية المستضعفة والتي تستوجب في مرحلة من المراحل اهتماماً خاصاً وجهوداً خاصة.

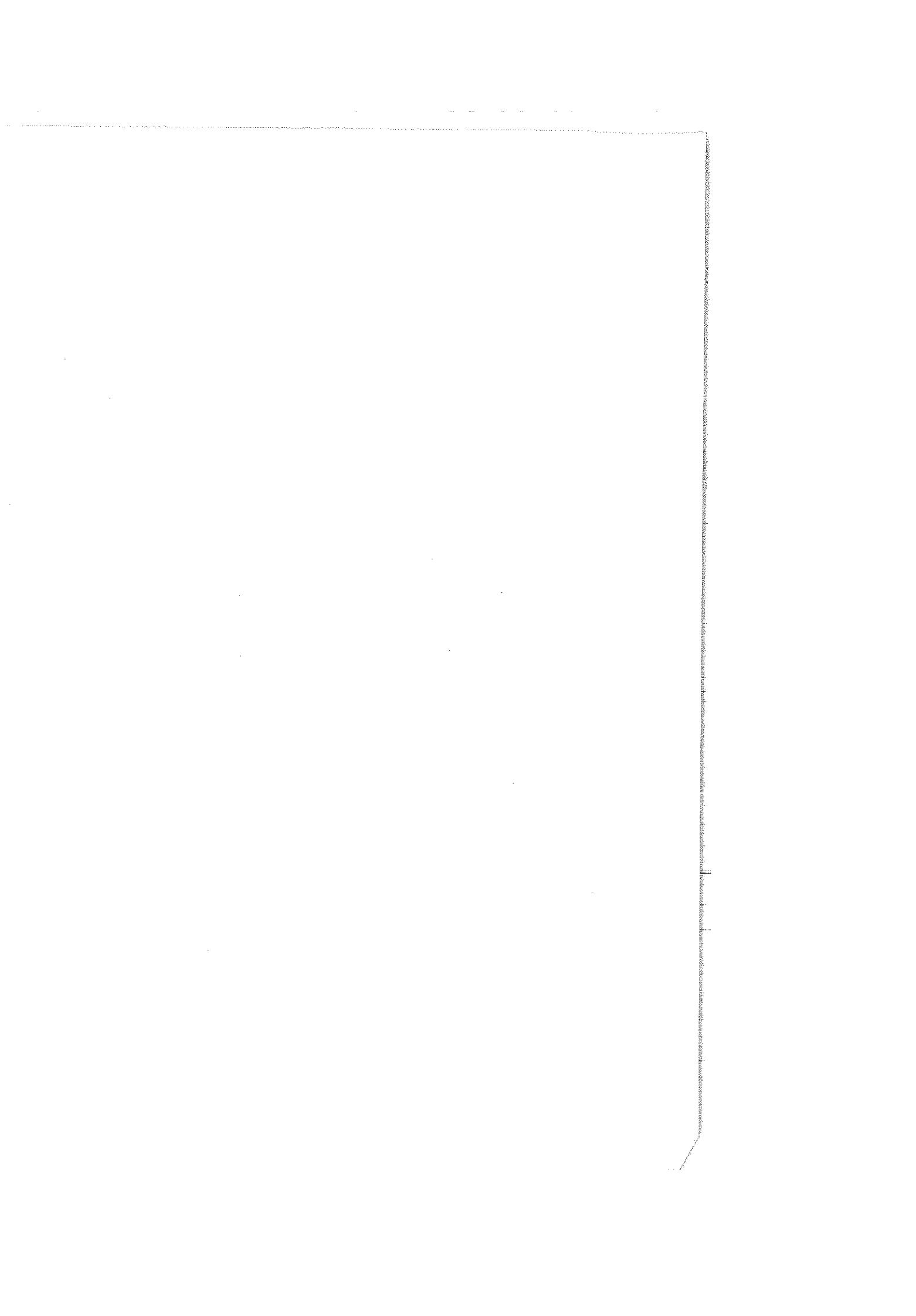
وعلينا أن نميز بين اهتمام السلطة التنفيذية بقضايا المرأة، وتخصيص جهد خاص وموازنات خاصة بهدف التهوض بوضع المرأة وتفعيل دورها كإنسان وكمواطن، وبين تفعيل الديمقراطية في الحياة السياسية في لبنان بحيث تتعزز الأحزاب السياسية كمؤسسات وتلعب دوراً أكبر فتقوم بدورها الطبيعي في إعداد النخب السياسية وتعطي في صفوتها فرصاً للنساء كما للرجال.

ويبقى الجانب الأهم، وهو اهتمام المرأة نفسها بالسياسة اهتماماً بأي نشاط آخر وبأي مهنة أخرى. إن هي اختارتها، فعليها أن تجاهد فيها للتربح وتفوز وتتفوق. ففي نظام ديمقراطي بالفعل وليس بالقول، لا أحد يعطي المرأة فرصاً ولا أحد يمكنه أن يتزعزع فرصاً منها.

وخلاصة، ربما كان مفيداً أن تكون هناك حقيقة شؤون نسائية في حكومات أحدي الجمهوريات - الثانية أو الثالثة... في لبنان، شرط أن تتبوأها شخصية ملتزمة بقضايا المرأة ومطلعة على شؤونها. لكن ذلك لا يسمى مشاركة المرأة في الحياة السياسية، بل يعيّد الطريق لهذه المشاركة التي لن تأتي إلا مع الديمقراطية وفي جعبتها.

مراجع رئيسية

- ١ - مغيلل لور «المرأة في التشريع اللبناني»، معهد الدراسات النسائية في العالم العربي، كلية بيروت الجامعية، ١٩٨٥.
- ٢ - اللجنة الاقتصادية والاجتماعية لغرب آسيا «دور المرأة في القطاع الهامشي في لبنان»، منشورات الاسكوا، ١٩٨٩.
- ٣ - شرارة عزة ببضون، «الهوية النسائية الجديدة، دراسة ميدانية في تجاوز التحيط الجنسي لدى فئة من الشابات اللبنانيات»، مجلة العلوم الاجتماعية، معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، العدد الأول، ١٩٩١، ص ١٥٢ - ١٨٦.
- ٤ - الخازن فريد وسلام بول (إشراف) «الانتخابات الأولى في لبنان ما بعد الحرب»، المركز اللبناني للدراسات، منشورات دار النهار، ١٩٩٤.
- ٥ - كيوان فادي «مشاركة المرأة في الحياة السياسية في لبنان» أعمال الندوة الإقليمية للأونسكو - ٢٩ - ٣١ - آذار ١٩٩٣، بيروت، منشورات منظمة الأونسuko، باريس ١٩٩٣.
- ٦ - كيوان فادي «قوى سياسية حديدة، نظام سياسي قديم» في «لبنان اليوم»، منشورات مركز الدراسات وأبحاث الشرق الأوسط المعاصر CERMOC والمجلس الوطني الفرنسي للبحوث العلمية، بيروت ١٩٩٤، ص ٥٧ إلى ٧٢.
- ٧ - كيوان فادي «عمل النساء في الهيئات الأهلية، دراسة ميدانية عن لبنان»، منشورات مؤسسة فريدريش ايربرت والمجلس النسائي اللبناني، بيروت ١٩٩٤.
- ٨ - كيوان فادي «الجوانب السياسية المرتبطة بالمرأة والبيئة» في «المرأة والبيئة في لبنان»، منشورات معهد الدراسات النسائية في العالم العربي.
- ٩ - خطب ومحاضرات رئيسة المجلس النسائي اللبناني، دكتورة أمان شعراني، المجلس النسائي اللبناني بيروت.



اريحا في التاريخ

د. الياس القطار (*)

١ - التسمية

اريحا، من العربية، *Yrēhô* يُرِخُو، *Yriḥo* يُرِخُو، *Yerēhô* يُرِخُو، *Yerihoh* يُرِيحوه^(١).

هكذا، وردت الكلمة في نصوص «العهد القديم» مرات عده، أما *Yriḥoh* فوردت مرة واحدة^(٢).

والمقصود بهذه التسمية، مدينة كنعان التي أعطيت لسبط بنiamين، بعد سقوطها بيد العبرانيين. أما النَّعْتُ الذي رافق التسمية «إيرحات تماريم» *Irḥat-Tamārim*، فقد أعطي لها في زمن معين للدلالة على زراعة النخل التي كانت منتشرة في الحقول المجاورة لها^(٣).

إن معنى اسم «اريحا» غير واضح تماماً. فالبعض يرده إلى لفظة *rèyah* «ريح» بمعنى الرائحة، وذلك نسبة إلى الورود التي كانت منتشرة في حدائقها؛ والبعض الآخر إلى لفظة *Yaréiah* «يَرِيَحُ» بمعنى القمر، وذلك بالنسبة إلى عبادة القمر التي كانت منتشرة بين السكان؛ ويقابل هذه الكلمة في العربية لفظة *Yerah* «يرح».

(*) أستاذ في كلية الآداب الجامعية اللبنانيّة.

HEIDET, «Jéricho», in *Dictionnaire de la Bible* (D.B.), éd. G. Vigouroux. T.VI, lettres I.K. pp. 1282- 1298.

راجع أيضاً: يوحنا الخوري، «اريحا»، دائرة المعارف، للبستانى، المجلد الحادى عشر، بيروت، ١٩٧٤، ص. ١١. أما المقال عن «اريحا» فهو بقلم التحرير وبقلم ديمتري برامكي.

HEIDET, op. cit. P.1282.

(١) سفر الملوك الأول، ١٦: ٣٤.

(٢)

(٣)

و^{Yarḥū} «يرحُو» بالأرامية، وكلتاهمَا بمعنى الشهر، وذلك لما بين القمر والشهر من علاقَة^(٤).

وإسناد اشتراق لفظة أريحا، إلى ^b*Yaréiah* بمعنى القمر، مردّه إلى أن هذه التسميات كانت دارجة في الحضارة الفلسطينية القديمة، ذلك أن مدنًا أخرى ترتبط بأسماء الكواكب، منها مثلاً: «بتسمس» أي «بيت الشمس». ولكن المحققين يميلون إلى اشتراق لفظة أريحا من ^b*réyah* «معنى» الريحَة» أي الريحَة. ولا يمكن الركون إلى ما أعطى لها من معانٍ أخرى كـ«النزول إلى السهل، والانخفاض، والمنفي...»^(٥).

الشيء الأكيد هو أن لفظة أريحا سامية الأصل، وهي صفة لشيء، لا إسم علم كما يتخيّل بعض المؤرخين العرب، كياقوت الحموي الذي ينسبها إلى «أريحا بن مالك... بن سام بن نوح»^(٦).

٢ - الواقع التاريخي المختلفة لمدينة أريحا

أريحا الحالية مدينة في غور نهر الأردن، على ضفته الغربية، تبعد عنه نحو ٨ كلم، وعن مدينة القدس ٢٧ كلم، وهي على الطرف الشرقي للبحر الميت، وتنخفض عن سطح البحر نحو ٢٥٠ م. ويعتقد الكثيرون أن مدينة اليوم هي في موقع المدينة البيزنطية^(٧).

أما أريحا القديمة، فتختلف النصوص في تحديد موقعها بالضبط. والشيء الأكيد أنها ليست المدينة الحالية، وقد تبعد عنها قربة الكلم، وبعضها يقع في ما يُعرف باسم «تل السلطان»^(٨).

وبجوار المدينة عدة ينابيع أهمها: عين السلطان أو عين «البشع النبي». ويُقال إن ماءها كان رديئاً، فجعله البشع صالحًا للشرب وعذباً^(٩).

العين الثانية هي: التويعمة، على بعد ٣ كلم غرب المدينة؛ وهذا النبع يروياني السهول المحاطة بالمدينة. وهذا ما جعل الإنسان القديم يأوي إليها، مما سمح لها

Ibid, P. 1282.

(٤) دائرة المعارف، المقال نفسه، ص ١١:

Ibid, P. 1282.

(٥)

(٦) ياقوت، «جغرافية ياقوت»، طبعة وستنبلد، لايبزغ، ١٨٦٦، ج ١، ص ٢٢٧؛ ج ٢، ص ٨٨٤.

(٧) دائرة المعارف، ص ١١.

(٨) المرجع نفسه.

(٩) سفر الملوك الرابع، ٢: ١٩ - ٢٢؛ راجع أيضاً: المرجع المذكور أعلاه.

أن تكون من أقدم مدن التاريخ^(١٠)، لا تنافسها في قدمها سوى مدينة جبيل اللبنانيّة.

بالنسبة إلى الكتاب المقدس، كانت أريحا في الجانب الآخر من الأردن بالنسبة إلى «عربة موآب» حيث حطّ العبرانيون رحالهم قبل اجتياز النهر، أي في الغرب قبالة بلدة «إيلستيم» وجبال «أباريم» و«نبيو»^(١١).

وكانت حسبما تصفها التوراة، أيضًا، واقعة عند أقدام الجبال التي تمتد إلى «بتل» على مقربة من «غلغالا» التي تقع شرق أريحا.

ويذكر المؤرخ اليهودي «يوسيفوس»، أن أريحا كانت على بعد عشرة «ستاد» Stades (١٨٧٠ م) غرب غل غالا، وتقع في السهل عند أقدام الجبال الصخرية التي تجاور الوادي من جهة الغرب، على بعد ١٥٠ «ستاد» (٢٨٠٥ م) من أورشليم التي تفصلها عنها صحراء صخرية قاحلة، وعلى بعد ٦٠٠ «ستاد» (١١٢٠ م) من نهر الأردن^(١٢).

وأريحا عند المؤرخين العرب هي في الغور، أي في وادي الأردن، على مسافة يوم من القدس (٢٤ كlm) أو على مسافة ٤ أميال (٨ كlm) من الأردن^(١٣).

أما أريحا الحالية، فتقع على الشاطئ الغربي لضفة الأردن على ضفة «وادي كلت» الذي يُعرف بوادي «أكور» في مواجهة «تل راما» التي يُقال إنها «بيترام» القديمة القريبة من «إيلستيم» حيث خيم العبرانيون، قبل دخولهم أرض الميعاد، تقريبًا في مواجهة جبل «نبأ» أو «نبيو» الوارد في التوراة^(١٤).

وهي على بعد عشرة كlm شمال البحر الميت، (٢٨ كlm) شرق - شمال - شرق القدس، و(٢ كlm) شرق أقدام الجبال حيث تنتهي الطريق المقدسة، و(٧ كlm ونصف) غرب الأردن، و(٢ كlm) غرب - شمال غرب «تل ججل» المعروف بـ «غل غالا» القديمة، وعلى (٥ كlm) شمال - غرب «دير حجل» الذي حل محل «تحفلا»، و(٤ كlm) جنوب - شرق «جبل قرنطال» أو جبل الأربعين «quarantaine» المسيحي، حيث يُقال إن السيد المسيح أمضى صومه الأربعين^(١٥).

(١٠) سفر العدد، ٢٢: ٢٦، ٦٢، ٣، الخ...

(١١) يشوع ٢: ٣، ١٦، ٧ إلخ.

(١٢)

ياقوت، المصدر المذكور، ج ١، ص ٢٢٧، ج ٢، ص ٨٨٤. أيضًا: أبو الفدا، «جغرافية أبو الفدا»، طبعة رينو ودي سلان، باريس، ١٨٤٠، ص ٢٣٦.

HEIDET, op. cit. P. 1282.

HEIDET, op. cit. P. 1283.

Ibid, P. 1283 .

(١٤)

(١٥)

أريحا الحالية، إذاً، أو «الريحا»، تقع مكان أريحا القرون الوسطى. وهي، كما أظهرنا، لا تتجانس مع الموقع القديم للمدينة السابق لفتح الإسلامي وللعهد البيزنطي^(١٦)، كما تُبرز ذلك الإشارات الكثيرة التي استقاها العلماء من كتاب العهد القديم ومن المصادر اليهودية القديمة.

بالنسبة إلى القديس «جيروم» و«أوسابيوس القيصري»، وُجدت أريحا في ثلاثة أماكنة: أريحا الأولى التي دمرها «يشوع بن نون»، وأريحا الثانية التي بناها «آحاب بن عمري» ملك اليهود، وأريحا الثالثة التي قامت بعد تدمير الرومان لها، وكانت قائمة في القرن الرابع والقرن الخامس. وكانت آثار أريحا الأولى والثانية لا تزال ماثلة للعيان في زمان مؤرخي الكنيسة المذكورين أعلاه، أي في القرنين الرابع والخامس^(١٧).

وأريحا القديمة، كانت بالنسبة إلى يوسيفوس قرب النبع الذي حسن «أليشاع» نوعية مياهه^(١٨).

ومدينة الملك «آحاب»، يعكس ما يذكره «أوسابيوس القيصري»، بُنئت مكان المدينة الأولى، وهذا ما جعل «حيثيل البيئيلي» المهندس الذي بناها، فريسة للعنة «يشوع بن نون»، حسبما جاء في التوراة^(١٩).

لذلك بُنئت المدينة، بعد هذه الحادثة، في مكان آخر لتحاشي اللعنة كما سندكر لاحقاً، وهي المدينة التي بُنئت بعد سبي بابل ثم جرى توسيعها على يد الملك «هيرودوس». وهذا ما جعل «أوسابيوس» و«جيروم»، يعتقدان أنها المدينة نفسها التي بناها «حيثيل البيئيلي» على عهد الملك آحاب^(٢٠).

أريحا الرومانية، كانت حسبما جاء في كتاب «رحلة بوردو...» المدون عام ٢٣٣ م، على بعد ١٥٠٠ قدم أو ميلين (٢٩٧٢ م)، من موقع المدينة الأولى التي كانت حسب هذا الكتاب عند النبع^(٢١).

وبحسب «بيودوسيوس» في كتابه «الأرض المقدسة»، كانت على مسافة ميلين من «غلغالا» من جهة الشرق، وحدها الغربي قرب شجرة «زكّا العشار» التي يذكر التقليد أنها تقع في أسفل الجبل^(٢٢).

(١٦)

(١٧)

(١٨)

(١٩) يشوع، ٤: ٢٦، أيضاً المرجع السابق.

(٢٠)

(٢١)

(٢٢)

Ibid, P. 1283.

Ibid, P. 1283.

Ibid, P. 1283.

Ibid, P. 1283.

«Itinéraire de Bordeaux», cité par HEIDET, op. cit. P. 1284

Ibid, P. 1284.

مصدر آخر هو «أنطوانان دو بلينس»، يضع الموقع الروماني جنوب المدينة القديمة على صفة «وادي كلت» وفي جزء كبير من الجنوب بين أريحا الحديثة والجبل. ويبدو أنها كانت تستحوذ على الزاوية الجنوبية — الغربية لمدينة الملك «هيرودوس»، وثبت ذلك أحد الاكتشافات الأثرية في العام ١٨٦٨^(٢٣).

٣ - حفريات المدينة

استرعت المدينة اهتمام الأثريين، فأجريت فيها سلسلة إسبارات وحفريات في أنقاض ما تراكم عليها من حضارات. وكانت أهم الحفريات قد جرت في القرن التاسع عشر. وطلائع الإسبارات جرت على يد الانكليز منذ العام ١٨٦٧ م، ثم لحق بهم الألمان والنمساويون، ومن أشهر هؤلاء «سلين» و«نيمان» و«فاتسنغر». ثم عاد الانكليز إلى العمل، خاصة مع «غارستونج» و«كنيون» K.M. Kenyon ونشروا خلاصة أعمالهم في:

(٢٤) Excavations of Jericho, 2 vol, 1960, 1965.

وقد ركزت الدراسات على بقايا المدينة، أو بالأحرى على الحضارات التي تعاقبت على أريحا وطمرت بعضها البعض. ونجد أطلال هذه المدن في جنوب النبع المعروف بعين السلطان، وهي تمتد حتى «خربة قاقون» الواقعة على بعد ٨٠٠ م جنوب «وادي كلت» على طول ٣ كم. كما تنتشر من الغرب إلى الشرق، من أقدام الجبال إلى ما وراء أريحا الحالية، وتبلغ مساحة هذه الكتلة من الآثار، قرابة ٩٠٠ هكتار. والعين هي في الطرف الشمالي الغربي، تنبع من أقدام التل المعروف باسم «تل السلطان» الذي يعلو النبع قرابة عشرين متراً، وهو التل الرئيسي لمجموعة من التلال الملتوية التي تبدو اصطناعية وتمتد من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، على طول ٢٥٠ م وعرض ١٢٥ م. هذه المجموعة من التلال مكونة من آجر شبه مطحون، أصفر اللون، وهو بقايا آجر مكسر وأنيء وصوان وفحم وحجارة. ورأس هذه التلال وسفحها الشرقي مغطى ببقايا بناء من حجارة، بُني قسم منه قرب العين بحجارة كبيرة غير مصقوله جيداً. وفي جنوب هذه التلال، وُجدت قبور على عمق مترين، مبنية بالأجر، ما عدا قبر واحد مبني بالحجارة.

وهذه الكتلة من الأجر المفكك، هي كلّ ما بقي من أريحا القديمة.

أما الأطلال الأخرى من الحجارة، فهي لما تلاها من مدن قامت على أنقاضها^(٢٥)، وقد ذكرنا بعضها.

Ibid, P. 1284.

(٢٣)

(٢٤) دائرة المعارف، ص ١٢.

(٢٥) حول هذه الحفريات، راجع «هيدت»، المقال المذكور أعلاه.

٤ - أريحا ما قبل التاريخ

استناداً إلى البقايا الأثرية، تم اكتشاف ما كانت عليه أريحا في فترة ما قبل التاريخ المكتوب. وقد تبين أن الينبوعين القائمين في المدينة، جذباً للإنسان للسكن في أريحا منذ العصر «الميسوليتي» أو الظراني الوسيط. وقد هبط الإنسان «النطوفي» من الجبال، وسكن في السهل قرب المدينة حوالي ٧٨٠٠ ق. م. وكان يتعاطى الزراعة، ويسكن في حفر، ويغطي نفسه بأوراق الأشجار، كما تدل الأوراق المتحجرة الموجودة في أحد القبور. وقد سُكنت القرية على أربع فترات متتالية في العصر «النيوليتي» أو الظراني الحديث. وفي سنة ٦٨٠٠ ق. م، حلّت أقوام جديدة محل الإنسان «النطوفي» لفترة من الزمن. ولا نعرف اسم هذه الأقوام، لكنها كانت تسكن الأكواخ المستديرة من اللبن، وقد بنت الأسوار الضخمة التي يبلغ عرضها المترين، وبرجاً ضخماً مستديراً يبلغ محوره ٩ أمتار وعلوّه ١٠ أمتار.

وشنّ قوم عرّفوا باسم شعوب «ما قبل العصر الفخاري النيوليتي الأول» هجوماً على أريحا، فقتلوا عدداً كبيراً من السكان، وجدت الهياكل العظمية لعدد منهم داخل البرج. وكان هؤلاء يتعاطون الزراعة وتدجين الحيوانات والحياة وصناعة السلال والحصون، ويستعملون الحراب والتبل المزودة برؤوس من الصوان والقواديم والرؤوس.

وخلَفَ هؤلاء في سنة ٦٠٠٠ أقوام أخرى، كانت تبني أكواخها المستطيلة وتستعمل اللبن في ذلك، وترصف الأرض بالجبس المصقول، وتصنع الأواني من الحجارة والخشب. وكانت أدواتها الصوانية مسننة الأطراف، وتصنع التماثيل الصغيرة من الطين الناري، وترمز تماثيل النساء لديها إلى آلهة الخصب، وتمارس عبادة الأجداد. وتحمل هذه الفترة تسمية «ما قبل العصر الفخاري النيوليتي الثاني».

ثم جاءت أقوام أخرى فقيرة، لكنها أدخلت صناعة الخزف إلى أريحا. ولربما دخلت المدينة حوالي سنة ٥٥٠٠ ق. م، فترة «العصر النيوليتي الفخاري الأول»، لكنها لم تتمكن طويلاً، إذ خلفها أقوام أرقى منها، تسكن الأكواخ، وتصنع الخزف؛ حدث ذلك في «العصر النيوليتي الفخاري الثاني»^(٢٦).

(٢٦) راجع حول حقبة ما قبل التاريخ، دائرة المعارف، ص ١٢ - ١٣.

٥ - من العصر التاريخي إلى سقوطها بيد العبرانيين أو العصر الكنعاني

حوالى سنة ٣٠٠٠ ق. م. كانت أريحا مدينة محصنة بأسوار ضخمة، فيها معابد وبيوت مشيدة للسكن. وكانت تمر بها القوافل التي تجتاز الأردن، وسيكون لها أثر كبير ودور أساسي في عملية ازدهار أريحا أو انحطاطها. فممر القوافل فيها، كان يساهم في غناها وازدهارها، اللذين داما حتى سنة ٢٣٠٠ ق. م عندما هاجمتها «العموريون»، الذين كانوا من سكان الخيم؛ فأخذوها كما أخذوا مدنًا أخرى على سواحل المتوسط الشرقي ودمروها.

وبعد أربعة قرون، أي حوالى سنة ١٦٠٠ ق. م، تحضر العموريون، كما يبدو، فيبنوا المنازل والأسوار والمعابد والقصور، وعناير تخزين الحبوب. وكانت قبورهم منحوتة في الصخر. ولبس أهالي أريحا في هذا العهد الأثواب الطويلة، وسكنوا في بيوت مفروشة بالأثاث الخشبي. وعند سيطرة الملوك «الهكسوس» (الرعاة) على مصر، كانت أريحا، ما بين ١٧٥٠ - ١٥٨٠ ق. م، معقلًا لهم، ثم خضعت للحكم المصري بعد طرد الساميين من مصر^(٢٧).

وفي الألف الأول قبل الميلاد، أصبحت أريحا من أهم مدن الكنعانيين في صفة الأردن. وكانت فيها قلعتان كنعانيتان، ارتفعت الأولى منها على إحدى التلال السبع التي بُنيت عليها أريحا. وكانت القلعة ذات ثلاثة طبقات ولها أبراج، وأسوارها مبنية بالأجر فوق دعائم صخرية، ويبلغ عرضها ٣ أمتار. وداخل السور، بيوت مفروشة بالأثاث، وتحيط بالمدينة واحات من النخيل أعطت اسمها لها^(٢٨).

وفي العهد الكنعاني، وصلت أريحا إلى قمة الازدهار والقوة، فكثرت فيها المتاجر وحيوانات النقل والأننية ومواعين النحاس وال الحديد، وأجاجين الزيت والخزفيات المنقوشة والفضة والذهب.

وقد ورد في سفر يشوع، ذكر رجل اختلس «مائتي مثقال فضة وسبعين ذهب وزنها ٥٠ مثقالاً ورداء بابلياً حسناً...»^(٢٩).

إذاً، كانت المدينة التي سيهاجمها يشوع بن نون لاحقًا، مبنية بالأجر غير المطبوخ بل المشوي في الشمس، على طريقة مدن بلاد ما بين النهرين والنيل. وكما

(٢٧) راجع أيضًا عن الحقبة ما قبل الكنعانية، المرجع أعلاه.

(٢٨) سفر تثنية الاشتراك، ٣: ٣٤، سفر القضاة، ٣: ١٣.

(٢٩) يشوع، ٧: ٢١، أيضًا دائرة المعارف، ص ١٥.

في مدن تلك البلاد، كانت المنازل في أريحا على أرض مسطحة وتحل الأسوار^(٣٠). وكان لحائط السور باب واحد يغلق ليلاً^(٣١). ويبدو أن هذا الحائط كان من الأجر. ولا يتكلم العهد القديم عن هذا الموضوع. أما إذا كان مبنياً بالحجارة، فلربما أخذت حجارته إلى مكان آخر لبناء المدينة في ما بعد.

ولا يمكن تتبع حدود أريحا القديمة أو مساحة بقعتها، ولكن يمكن تقدير مساحتها بأربعين هكتاراً ونصف hectare، وهي مساحة المدن الكنعانية الرئيسية عادةً في تلك الفترة. فقد كانت تلك المدن قرى كبيرة يسكنها ثلاثة إلى أربعة آلاف نسمة، ولها سور، وبقربها تقوم مجموعة قرى تشكل ضواحيها وتدعى «بنوتها» أي بناتها. وفي حال الخطر، كان سكان هذه القرى يهربون إلى داخل سور المدينة فيتضاعف عدد السكان فيها ليصل إلى عشرة آلاف. ولا تزال بقايا هذه القرى قائمةً بشكل تلال اصطناعية ملتوية وفيها خمس أو ست برك أو أحواض، أحدها في الجنوب وتدعى «بركة موسى»، طولها ١٢٠ م وعرضها ٨٠ م. وأبعد قليلاً قرب الطريق المؤدية إلى أورشليم، نجد خربة «بيت جابر» أو الجبار. وقرب برج الريحة، نجد ثلاثة قطع من أعمدة من الغرانيت وأجزاء من تيجان أعمدة. كما نجد بين «تل السلطان» و«تل الأربعين» ثلاثة أبنية من العقد لمطاحن السكر وخانات. وهذه الآثار يتدخل فيها العهد الروماني بالقرن الوسطى^(٣٢).

٦ - سيطرة العبرانيين ولعنة يشوع

كانت أريحا قبل احتلال العبرانيين لها، من أهم مدن بلاد كنعان، كما ذكرنا أعلاه. كان يحكمها ملك مستقل، كباقي المدن الكنعانية التي كان يسود فيها نظام المدينة - الدولة. وعندما وصل العبرانيون قبالتها، وتوقفوا عند الضفة الشرقية للأردن، كانت أريحا هي مفتاح دخولهم إلى أرض الميعاد، إما أن يأخذوها فينفتح أمامهم الحلم الذي يقولون إن الله وعدهم به، أو أن يبقوا سنوات أخرى في الصحراء بانتظار أن تتهأ الظروف لمشروعهم الكبير.

وكانت المدينة حصينة جداً، فلم يجرؤ العبرانيون على مهاجمتها، لذلك لجأ قادتهم يشوع بن نون إلى التجسس على أوضاعها. فأرسل جاسوسين، دخلا إليها وتعرفا إلى امرأة بغي تدعى رحاب، فأخفتها عندها، بعد انكشف أمرهما عند ملك المدينة ومطاردته لهما.

(٣٠) يشوع، ٢: ١٥ - ١٦.

(٣١) يشوع، ٢: ٥.

(٣٢)

وبعدها جمعا المعلومات الالازمة، تركا المدينة خلسةً بمساعدة رحاب التي دلتُهما بدخل خارج الأسوار، لأن منزلها كان يقع عند السور، وكانت قد حصلت منها على وعد بضمان حياتها وحياة ذويها في حال احتلال المدينة من قبل قومهما.

وصل الجاسوسان إلى مخيم العبرانيين وأطلعا يشوع على ما عرفاه وحالة الإحباط التي كان يمر بها سكان أريحا والكنعانيون إجمالاً^(٣٣).

وتشجع العبرانيون، فعبروا الاردن، واجتازوا السهل حتى وصلوا إلى المكان الذي دُعي «غلغالاً» أو تل «القلف». وهناك، عمدوا إلى الاحتفال بالتطهير العام للشعب (الختان)، وبعد الفصح^(٣٤)... أغلقت أريحا أبوابها، ومنعت الدخول إليها والخروج منها^(٣٥). وأمر الرب يشوع، حسبما جاء في التوراة، بأن يقوم طيلة ستة أيام بالدوران حول المدينة مرة كل يوم. فكان المحاربون يسيرون أولًا ووراءهم حملة التابوت المعروف بتاتب العهد وفيه لوحة الوصايا، يرافقهم سبعة كهنة ينفحون الأبواب، وفي المؤخرة يمشي الشعب^(٣٦).

«ولما كان اليوم السابع، بكرّوا عند مطلع الفجر، وطافوا حول المدينة على هذا المنوال سبع مرات... فلما كانت المرة السابعة، نفخ الكهنة في الأبواب، فقال يشوع للشعب: «اهتفوا، فقد أسلم الرب إليكم المدينة. ولتكن المدينة بكل ما فيها مُبَسَّلة للرب. ولكن رحاب البغي تحيا، هي وجميع من معها في بيتها، لأنها أخلفت الرسولين اللذين بعثناهما...». فهتف الشعب هتافاً شديداً، فسقط السور في مكانه. فصعد الشعب إلى المدينة كل واحد على وجهه، فأحرقوها... ودعا يشوع في ذلك الوقت قائلاً: «ملعون لدى الرب الذي ينهض ويبني هذه المدينة أريحا، يذكره يؤسّسها، وبأصغر بنية ينصب أبوابها»^(٣٧).

إذاً، احتل العبرانيون المدينة، فدمروها وذبحوا أهلها، وكل ما يدب فيها. ولم يكتف هؤلاء بذلك، بل صبّ يشوع جام غضبه على المدينة بحقد لا يُفَسَّر، عندما لعنها باسم الله، وتنبأ بأن من يبنيها يموت ابنه البكر عند تأسيسها وابنه الأصغر عند انتهاء العمل بها.

(٣٣) يشوع، ٢: ٢ - ٢٤.

(٣٤) يشوع، ٣: ٥ - ١٢.

(٣٥) يشوع، ٦: ٦ - ١.

(٣٦) يشوع، ٦: ١٢ - ١٣.

(٣٧) يشوع، ٦: ٦ - ٢٦.

وهكذا، بقيت مدينة أريحا خراباً لملئات السنين، بسبب الخوف من لعنة يشوع. وابتعدت عنها الطرق التجارية التي كانت تمرّ بها وكانت سبب غناها. وستبقى هذه اللعنة عالقة في ذاكرة اليهود حتى اليوم، يخشون منها، ويؤكدون صحتها في تاريخهم، كما سنرى في ما بعد.

وكان لسقوط أريحا صدى كبير لدى الكنعانيين، إذ تنادى الملوك «عبر الأردن في الجبل والسهل وفي ساحل البحر الكبير إلى مقابل لبنان...» لقتال يشوع^(٣٨). وبعد احتلالها، كانت المدينة من نصيب سبط بنiamين^(٣٩)، عندما توَّزَّعت أسباط إسرائيل «أرض المعيا». .

ولم يُخل خرابها دون تزاحم ملوك اليهود بعد انشقاق مملكة داود، للسيطرة عليها. فقد سيطر عليها «عجلون» ملك موآب، واستغل سهلها، واحتفظ بها سنة. وكان له فيها منزل يأتي إليه مرّة في السنة لأخذ الجزية من الإسرائيليين^(٤٠).

وفي أريحا، بقي رسل الملك داود، الذين قبض عليهم «حنون» ملك «العمونيين»، وحلق نصف لحاهما، إلى أن نبت لحاهما^(٤١).

وفي عهد الملك «آحاب بن عمرى» ملك إسرائيل^(٤٢) (٨٧٥ ق.م. - ٨٥٣ ق.م.)، تكرّست لعنة يشوع، حسبما جاء في التوراة، عندما قام المهندس «حيثيل البيتئي» من قبيلة «افرايم»، بترميم وتحصين المدينة لصالح الملك المذكور. فحلت عليه لعنة يشوع: «مات ابنه البكر «أبيرام» في اليوم نفسه الذي وضع فيه أساسات المدينة، وابنه الأصغر عندما وضع أبوابها»^(٤٣).

وقد فعلت هذه القصة فعلها في الوجдан اليهودي، لأن الذين بُنوا هذه المدينة بعد ذلك التاريخ اختاروا موقعاً آخر لها غير الموقع السابق حيث حلّت اللعنة.

وكان الأنبياء يقصدون أريحا، ومنهم النبي إيليا وتلميذه اليشع. وقد مرّ فيها إيليا قبل أن يصل إلى ضفة الأردن ويرتفع إلى السماء^(٤٤).

وبقي فيها بعده اليشع. وأثناء إقامته فيها، جاء إليه السكان وأخبروه بأن السكنى فيها ممتازة، ولكن مياهاها سيئة والأرض عقيمة. فأخذ اليشع إماءً جديداً

(٣٨) يشوع، ١: ٩ - ٢.

(٣٩) يشوع، ١: ٩ - ٢.

(٤٠) سفر القضاة، ٢: ١٢ - ١٣.

(٤١) سفر الملوك الثاني، ١٠: ٤ - ٥.

(٤٢) سفر الملوك الثالث، ١٦: ٣٤.

(٤٣) سفر الملوك الرابع، ٥: ٤ - ٦.

ووضع فيه الملح وذهب إلى العين وغرس الملح في الماء، فتحولت العين، بأعجوبة أليشع، إلى مياه صالحة للشرب وعدبة، وامتنع العقم عنها^(٤٤).
وفي أريحا، قبض الكلدانيون على الملك جديقاً سنة ٥٨٧ ق. م. وأصعدوه إلى ملك بابل^(٤٥). وبعد عودة اليهود من السبي كان بينهم ٣٤٥ من أبناء أريحا^(٤٦).
وذكرت المدينة في العهد اليوناني والروماني، وشتهرت بأشجار نخيلها. وكان يُستخرج منها دبس فاخر، ومن أفضل ثباتها البيلسان (Baume) والحناء والزقوم، وأنواع الزهور، خاصة وردها الشهير باسم «وردة أريحا»^(٤٧).

٧ - أريحا الرومانية

احتل القائد الروماني «بومبيوس» شرق المتوسط، وأخضعه لسلطة روما. ومرّ أثناء سير الحملة في أريحا فأقام فيها ليلة واحدة سنة ٦٢ ق. م. وهدم قلتين كانتا تشرفان على مدخلها^(٤٨).

وعندما استلم «أنطونيو» السلطة، أهدى أريحا إلى عشيقته «كليوباترا» التي كانت تحبّ نخيل أريحا وأشجار بيلسانها^(٤٩).

وعندما غدا هيرودوس الكبير ملكاً على اليهودية (٣٧ - ٤ ق. م.)، عمد إلى بناء أريحا جديدة في الضاحية الجنوبية للمدينة القديمة، في المكان الذي يُعرف اليوم باسم «تل أبي العلائق»، وشيد فيها القصور لأصحابه، والأبراج، والأسواق التجارية، ومسرحًا وميدانًا لسباق الخيل، وببيوتاً للهو. وكان قد أضاف إلى البرجين التقليديين اللذين يحرسان المدينة، برجاً ثالثاً. وعند موته، ثار عبيده، وأحرقوا قصره، فقام ابنه «ارخيلادس بن هيرودوس» بترمييه وأعاد المدينة إلى ما كانت عليه زمن والده، بل أكثر من ذلك، وسَعَ محيط المدينة وجرّ إليها المياه في قنوات جديدة أضيفت إلى ما كان منها قديماً، وزاد من أشجار النخل، وبنى بركاً للمياه لتلطيف جوّ المدينة زمن الحرّ في الصيف^(٥٠).

وقد استعملت المواد التي بني فيها «هيرودوس» وابنه المدينة، في بناء المدينة البيزنطية، ولنا صورة تمثل مدينة هيرودوس في فسيفساء «مأدبا» حيث تظهر

(٤٤) سفر الملوك الرابع، ٥: ١٩ - ٢٢.

(٤٥) سفر الملوك الرابع، ٥: ٢٥.

(٤٦) سفر عزرا، ٢: ٣٤.

(٤٧) دائرة المعارف، ص ١٨.

(٤٨)

(٤٩) دائرة المعارف، ص ١٨.

(٥٠) المرجع نفسه، ص ١٨.

أريحا مدينة مهمة تحيط بها الأبراج وأشجار النخيل. وكان في سهل المدينة أنواع متعددة من النخيل، اشتهرت أشجارها في كل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وإلى جانب التمر نجد أنواعاً كثيرة من الأشجار المثمرة. وكان أغلى أشجارها شجر البيلسان، ومنه ثلاثة أنواع. وتذهب الأسطورة إلى أن هذه الشجرة حملتها معها ملكة «سباء»، زمن قدومها إلى الملك سليمان الحكيم^(٥١).

٨ - أريحا في زمن السيد المسيح

هذه المدينة الرومانية، هي التي مرّ بها السيد المسيح وشفى فيها أعين برتيماؤس ورفيقه^(٥٢). وفي أريحا، زار المسيح «زكا العشار» في منزله، بعدما صعد هذا الأخير، وكان قصير القامة، إلى شجرة جميز ليتمكن من مشاهدة يسوع الناصري عندما كان واقفاً بين الجماهير^(٥٣). ويشير التقليد المسيحي إلى هذه الشجرة، ويعتبرها من زمن السيد المسيح، وهي كانت باقية إلى أمد قريب. ولا أدرى ما إذا كانت موجودة حالياً.

وعندما أطلق يسوع مثله الشهير عن قريب الإنسان، عندما سُئلَ من هو قريبك؟ فأجاب بأن القريب ليس من يكون من لحم ودم الإنسان أو من دينه، بل الذي يعمل معه الرحمة، ثم روى قصة الرجل الذي كان منحدراً من أورشليم فوقع بين أيدي اللصوص الذين سلبوه وضربوه وألقوه على قارعة الطريق بين حي وميت، فصادف أن مرّ به أناس من دينه من اليهود فأمسكوه وجازوا به. ثم مرّ به سامري، فلما رأه تحنّن عليه، برغم العداوة بين السامريين واليهود، وضمد جراحه^(٥٤).

والموقع الذي جرت فيه الحادثة التي يذكرها المسيح هو أريحا. وقد مرّ فيها الناصري مرات عدّة لتحاشي تعرّض السامريين له.

وفي التراث المسيحي، اعتقاد بأن المسيح أمضى الأربعين يوماً صائماً قرب أريحا في مغارة في جبلها، ولذلك أخذت التلة اسم «الأربعين»، وعلى رأس هذا الجبل جريه الشيطان^(٥٥).

Ibid, P. 1295.

(٥١) المرجع نفسه، ص ١٨

(٥٢) متى ٢٠: ٢٩؛ مرقس ١٠: ٤٦؛ لوقا ١٨: ٣٥.

(٥٣) لوقا ١٩: ١ - ٥.

(٥٤) لوقا ١٠: ٣٠ - ٣٧.

(٥٥) متى ٥: ٨؛ لوقا ٤: ٥، أيضاً.

HEIDET, op. cit, P. 1297.

٩ - بعد المسيح إلى الفتح العربي - الإسلامي

شهدت أريحا، كأورشليم، نواصب كثيرة أثناء ثورة اليهود على الرومان في أواخر القرن البيلادي الأول، خاصة في عهد «فسباسيانوس» وابنه «تيطس». ففي مطلع الثورة اليهودية، استولى اليهود على القصر في المدينة وقتلوا حاميته، وهدموه إلى الأرض. ثم هرب قسم كبير منهم من المناطق الأخرى ولجأوا إلى أريحا، للاحتفاء داخل أسوارها. ولكن فسباسيانوس طوق المدينة فهرب الناس منها، وتمكن الإمبراطور من إعمال السيف برقاب العديد من ساكنيها، وحول أريحا وجوارها إلى موقع عسكري لمتابعة قمع الثورة اليهودية. وعندما غزا تيطس أورشليم سنة ٧٠ م ودمّرها وشتّت أهلها، كان الجيش الروماني لا يزال معسِّراً في أريحا^(٥٦).

ويخبر أوسابيوس القيصري أن المدينة هُدمت عندما هُدمت أورشليم، ثم أعيد بناؤها وكانت عامرةً في زمانه، وأثار أريحا الأولى والثانية موجودة^(٥٧).

وابان الهجوم على أورشليم، حاول اليهود الانتقام من المدينة بقطع أشجار البيلسان، ولكن الجيش الروماني حال دون ذلك^(٥٨).

وفي عهد الإمبراطور كركلاً، الذي اهتم ببنياكل بعلبك، في زمن الأسرة السورية، وجدت في أريحا نسخ من العهد القديم بالعبرانية واليونانية محفوظة في براميل. وقد أفاد منها القديس «أوريجانوس» في شروحاته اللاهوتية. ويُستدلّ من ذلك أن المدينة كانت مأهولة وقتذاك^(٥٩)...

وأخذت أريحا بعدهاً جديداً، عندما أصبح الدين المسيحي معترفاً به زمن الملك «قسطنطين»، فدرجت عادة العمار في الأردن بالقرب من أريحا، حيث اعتمد السيد المسيح، على يد يوحنا المعمدان.

وصارت أريحا مركزاً أسقفيّاً تابعاً لبطيريكية أورشليم، واشترك أساقفتها في المجامع الكنسية المسكونية في القرن الرابع والقرن الخامس والقرن السادس. ونقرأ بوضوح اسم اسقفها في لائحة الموقعين على مجمع نيقية (٣٢٥ م)^(٦٠).

وعلى مسافة من المدينة، نجد آثاراً في شمالها لبناء كبير «صرح القديس اليشع»

Ibid.

(٥٦)

(٥٧) دائرة المعارف، ص ١٩.

HEIDET, op, cit, P. 1297.

(٥٨)

Ibid, P. 1297.

(٥٩)

Ibid, P. 1297.

(٦٠)

المرجع نفسه

الذي أقيم حيث يقال انه بارك المياه، فبنيت على الموقع كنيسة^(٦١).

وفي القرن الخامس للميلاد، كان في أريحا عدة كنائس، وأماوى للحجاج، وقد وُصفت وكأنها جنة ذلك الزمن. ويُقال إن الامبراطور «يوستينيانوس» رمَّ فيها ديراً وكنيسة على اسم مريم العذراء^(٦٢).

وسنة ٣٣٧، عندما زار سائح من مدينة «بوردو» الفرنسية المدينة، وجد فيها بيته منسوباً إلى «رحاب»، وقد بقي قائماً إلى ان تهدم سقفه إثر زلزال ضرب المدينة في منتصف القرن السادس، عندما دمر الزلزال مدينة بيروت. وقد حُول بيته رحاب إلى دير وكنيسة، ولعل هذا الدير هو الذي بناه يوستينيانوس^(٦٣).

وزاد عدد الأديرة والكنائس في أريحا في القرن السابع. فكانت كنيسة في «الغلغال»، وأخرى في المكان الذي يُقال ان المسيح خلع فيه رداءه قبل اعتماده، وأخرى داخل الدير الذي يحمل اسم القديس يوحنا. ولكن بسبب ابعاد الطرق التجارية عن المدينة، عاد الانحطاط إليها. وفي ذلك العهد والعقود التي تلتة كانت المغاور في الجبال المحيطة بأريحا مركزاً نسكيًا مهمًا. لكن غزو الفرس للبلاد سنة ٦١٤ م أسهم في تدمير المنطقة والمدينة^(٦٤).

١٠ - أريحا العربية

احتلَّ العرب أريحا سنة (٦٣٧ م)، فتبُّدِّلت هويتها السكانية، ودخلت البلدة في جند الأردن، وتحولت إلى مجرد بلدة صغيرة. ولكن الحقول بقيت غنية بمزروعاتها. وقد أشاد الحجاج والرحالة العرب بزراعة النخل فيها. لكننا لا نجد فيها ذكرًا لشجر البيلسان في العهد العربي، إذ استُبدل بالكرمة ذات الثمار المبكرة والملوز والأشجار الزكية الرائحة وقصب السكر، الذي كان يُعصر في معاصر خاصة، ويعتبر من أهم انتاج أريحا.

ولكن الوجود المسيحي في أريحا لم يختفِ بسرعة، إذ نجد فيها في القرنين الثامن والتاسع رهباناً وذكراً لأساقفتها^(٦٥).

Ibid, P. 1290. Voir aussi à propos de Jéricho chrétienne: «Dictionnaire d'Archéologie Chrétienne». T. VII, II, art. «Jéricho».^(٦١)

Ibid, P. 1297-1298, aussi (D.A.C.).^(٦٢)

Ibid, P. 1297-1298, aussi (D.A.C.).^(٦٣)

Ibid, P. 1297-1298, aussi (D.A.C.).^(٦٤)

ياقوت، المرجع المذكور، ج ١، ص ٢٢٧، ج ٢، ص ٨٨٤. أبو الفداء، المرجع المذكور، ص ٢٣٦. ابن خردانبه، «المسالك» ط. لـدين، ١٨٨٩، ص ٥٧، ٧٨. اليعقوبي، جغرافية، ط. لـدين، ١٨٦١، ص ١١٢.^(٦٥)

دائرة المعارف، ص ١٩^(٦٢)

المرجع نفسه.^(٦٣)

المراجع نفسه.^(٦٤)

وفي العهد الصليبي، ظلت أريحا بلدة صغيرة متميزة بسهولها الخصبة، وكانت تابعة للبطيريركية اللاتينية في أورشليم، ويعمل الرهبان على استثمار أراضيها. وفي سنة ١١٣٧م، وقفتها « مليسانور »، زوجة الملك « فولك »، على دير بيت عنبا الذي بنته سنة ١١٣٧م.

وقد أعاد الصليبيون الحاج الأوروببيين إلى أريحا بعدما نسوا الطريق إليها. وكانت زراعة قصب السكر مزدهرة أيام الصليبيين، وكذلك أشجار النخيل، كما في العهود السابقة، ولكن أعدادها بدأت تقل تدريجياً بعد الصليبيين^(٦٦). وبعد رحيل الصليبيين عن المشرق، وفي العهد المملوكي، بدأت مسيرة الانحطاط الكبرى في المدينة، فغدت قرية صغيرة قذرة، بعد عز وجاه.

وفي أواسط القرون الوسطى، زار المقدسي (٢٣٦ هـ / ٩٤٧ م - ٣٨٠ هـ / ٩٩٠ م) المشرق، وترك وصفاً لأريحا جاء فيه: « وما رأيت أسرع برودة من ماء تيماء وأريحا، وهو أخف مياه الإسلام... وأما فلسطين فقصبتها الرملة ومدنها: بيت المقدس، بيت جبريل، غزة،... نابلس، أريحا، عمان... أريحاء: هي مدينة الجبارين، وبها الباب الذي ذكره الله لنبي إسرائيل، وهي معدن النيل والنخيل، رستاقها الغور وزروعهم تُسقى من العيون، شديدة الحر، معدن الحيات والعقارب، أهلها سمر وسودان، كثيرة البراغيث، غير أن ماءها أخف ماء في الإسلام، كثيرة الموز والارطاب (ثمر النخل) والريحان...».

ويتابع المقدسي وصفه لأريحا فيقول: « هو أقليم متوسط الهواء... وقال لي يوماً غسان الحكيم ونحن بأريحاء ترى هذا الوادي قلت بلى، قال: « هو يمد إلى الحجاز ثم يخرج إلى اليمامة... وهو وادي الحر والنخيل... وأجود المري ما عمل بأريحا...»^(٦٧).

١١ - أريحا في العهد العثماني

مع السيطرة العثمانية سنة ١٥١٦، أخذت أريحا أسوأ صورة لها. فالمدينة القديمة لم يبق منها سوى اثنين عشر كوخاً صغيراً، علوّها خمسة أقدام أو ستة، مبنية من القصب وأغصان الأشجار والتربة ويحميها سور من الشوك من شجر النبق. وعلى مقربة منها نجد بناءً مربعاً بطول ١٢م وعرض ١٠م وعلوّه ٨ أمتار^(٦٨).

(٦٦) دائرة المعارف، المرجع المذكور. Ibid, P. 1298.

(٦٧) المقدسي، طبعة د. محمد مخزوم، دار التراث العربي، ١٩٨٧، ص ٢١، ٩٥، ١٣٦، ١٤٩، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٨، ١٦٠، ١٦١.

(٦٨)

ومنذ القرن السادس عشر، وما قبل، اختفى منها النخل وأشجار أخرى. وينذكر ادوارد روبنسن وسميث الأميركيان انهما لم يجدا في أريحا سنة ١٨٣٨ سوى شجرة نخل واحدة^(٦٩).

وأمست المدينة منطقة صحراوية تغزوها النباتات الشوكية، ولم يبق للبيلسان أثر فيها. وبقيت شجرة جمیز «زَكَّا العشار» واقفة حيث كانت زمن السيد المسيح، كما يذكر التقليد المسيحي. وكان فيها شجر الزقوم الذي يعطي ثماراً شبهاً بالزيتون وزيتاً يستعمل لشفاء الجروح. وغزا شجر النبق الشوكى السهل، وكان يُشاهد فيها تفاح سدول الأصفر الذي حل محل ثمارها الشهية^(٧٠).

وفي عهد الأمير فخر الدين المعنی الثاني، زار الراهب الفرنسيسكاني «أوجين روجيه» المنطقة، وكان يعمل طبيباً في خدمة الأمير، وترك كتاباً شهيراً عن الأرض المقدسة، يصف فيه خبرته فيها طيلة خمس سنوات (١٦٢٩ - ١٦٣٤)، ويُخبر عن أريحا أنها تستمد تسميتها من شكلها الذي كان على صورة الهلال. وهو في ذلك يتناقض مع ما ذكرناه عن تسمية المدينة. ويرى أنها تقع في سهل طوله ٦ أميال وعرضه ٣ أميال. «وفي عهد الكنعانيين، كان فيها ملك. وعندما أقاموا فيها قصراً ملكيّاً وجعلوها المسيحيون قاعدة أسفية. وهي اليوم، أي في مطلع القرن السابع عشر، بلدة تسكنها مائة عائلة من المسلمين. ولا يوجد فيها من البقايا الأثرية سوى خرائب كاتدرائية بُنيت حيث كان منزل زَكَّا العشار. ولا يزال فيها في الداخل، كما في الخارج، عدد لا يُسْتَهان به من النخل، وأشجار البيلسان والأكاسيا. وتتنمو فيها الورود التي تحمل اسم أريحا وهي حمراء اللون ثم تصبح بيضاء، فيها زيت، وتعيش طويلاً إذا وُضعت في الماء.

وبالقرب من أريحا، بين المدينة والجبل، تقع عين ماء، كانت مياهها تميّت النبات وتصيب النساء بالعمق والاجهاض إذا ما كن حبالي...»^(٧١).

ونرى أن ما يذكره أوجين روجيه عن زراعة النخل والبيلسان، يتناقض مع ما ذكره آخرون سبقوه إلى المنطقة في القرن الرابع عشر (مندريل، متيفيل، الخ) وما تذهب إليه الدراسات الحديثة.

وفي سنة ١٨٢٤، وضع ابراهيم باشا المصري قبائل صعيدية في أريحا. وفي

(٦٩) دائرة المعارف، المرجع المذكور، ص ٢٠.

(٧٠) المرجع نفسه، ص ٢٠.

ROGER Eugène «La terre sainte». éd Elias KATTAR, publications de l'USEK. Liban, 1992.

سنة ١٨٧٨، كان عدد سكانها مائتي نفس من التور أو البدو، ويعرفون باسم عرب «الغوارنة»، لونهم شديد السمرة، مشهورون بالقرصنة، نساؤهم مطعون بسيرتهن الأدبية ومشهورات بالرقص والغناء والماائد. وكان من يبيت في أريحا من الغرباء ليلة واحدة، معرض للإصابة بالحمى، خاصة في أواخر الصيف وأوائل الخريف^(٧٢).

١٢ - أريحا الحالية

في أثناء الحرب العالمية الأولى، احتل الانكليز البلاد، وأصبحت أريحا تحت الانتداب الانكليزي، الذي حكمها حتى إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨. وبعد معارك بين العرب وإسرائيل، احتلها الجيش الاردني، فجلا عنها اليهود. وانطلاقاً منها، في أول كانون الأول ١٩٤٨، نودي بالأمير عبد الله ملكاً على ضفتى الأردن.

وفي ظل الحكم الاردني، نمت أريحا وازدهرت وغدت مركز قضاء تابع لمحافظة القدس.

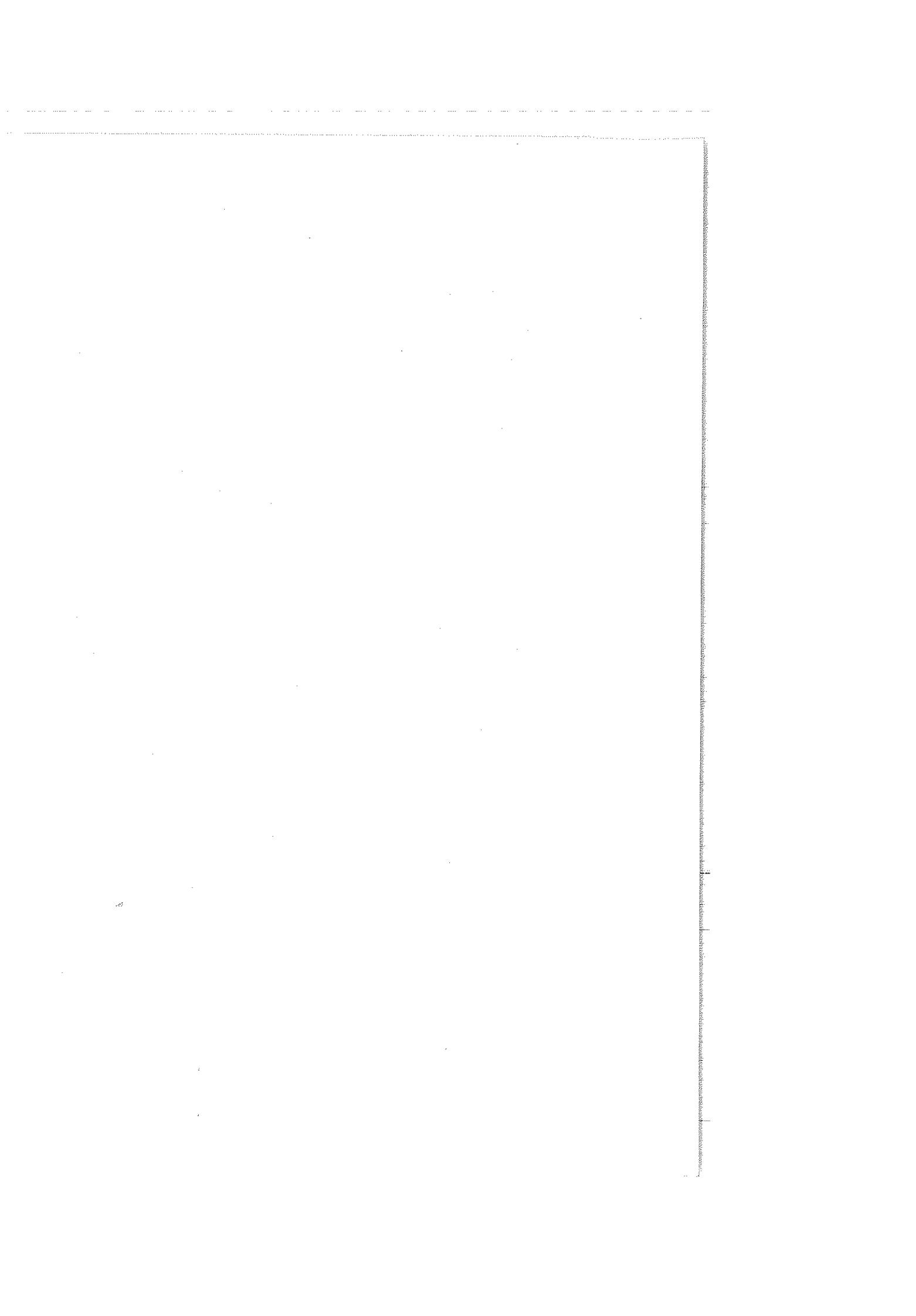
وتحولت إلى مشتى جميل بحكم وقوعها تحت سطح البحر، فبنيت فيها الفنادق والمرافق العامة والبيوت الثرية، وتحولت إلى مركز استجمام شتوي، وتحولت سهولها مجدداً من رمال صحراوية إلى واحات مزروعة، ونشأت فيها مخيمات للاجئين الفلسطينيين في عين السلطان والنويعة وعقبة جبر.

وكانت بعض الآثار من التاريخ القديم والوسطى منتشرة قرب المدينة، ومنها أطلال قصر هشام بن عبد الملك على بعد ٣ كيلومتر من المدينة، ودير الأربعين، وجبل التجربة، ومغارف النساء على بعد ٤ كيلومتر، وحيث يقال إن السيد المسيح اعتذر، بئر يوحنا المعمدان للروم الارثوذوكس. وفي كل سنة، وفي يوم الغطاس، يأتي المسيحيون من الشرق والغرب لعمادة أولادهم أو للغطاس في مياه الأردن^(٧٣).

ومع وقوع الضفة الغربية بيد إسرائيل بعد حرب ١٩٦٧، أمست أريحا تحت سيطرة الدولة العربية، وبقيت كذلك حتى توقيع اتفاق «غزة - أريحا أولًا» لتصبح جزءاً من الكيان الفلسطيني العربي.

(٧٢) راجع عن أريحا في القرن التاسع عشر: دائرة المعارف القديمة لبطرس البستاني، دائرة المعارف الجديدة، ص ٢١.

(٧٣) راجع حول أريحا الحالية: دائرة المعارف، المرجع المذكور، ص ٢٢.



التطور الكمي لنظام التعليم في لبنان التعليم العالي والتعليم المهني والتكنولوجي ١٩٨٣ - ١٩٩٣

جورج أبي صالح (*)

بعد أن تناولنا في بحث سابق^(١) التطور الكمي للتعليم العام في لبنان منذ ١٩٨٨ حتى ١٩٩٢، وبيننا أهم الاتجاهات التي سلكها هذا التعليم، مكتشفين مواطن القوة والضعف الكامنة في هذا التطور، مقدمين بعض المقترنات التي من شأنها زيادة تكافؤ الفرص التعليمية لجميع اللبنانيين في سن الدراسة، سوف نعرض في ما يلي المؤشرات الاحصائية الدالة على تطور التعليم العالي والتعليم المهني والتكنولوجي في لبنان طوال عقد كامل، بدءاً من السنة الدراسية ٨٢ - ١٩٨٣^(٢) وصولاً إلى سنة ٩٢ - ١٩٩٣^(٣).

القسم الأول

التعليم العالي: ١٩٨٣ - ١٩٩٣

يرتدي موضوع التعليم العالي أهمية بالغة في ضوء الإجماع على أن الجامعة تمثل مجتمعاً علمياً يهتم بالبحث عن الحقيقة وأن وظائفها الأساسية تتمثل في التعليم والأبحاث وخدمة المجتمع. فالتعليم الجامعي يأتي في أعلى درجات السلم التعليمي ويلعب دوراً حيوياً في رقي المجتمعات وتقدمها من خلال تنمية مواردها البشرية التي هي عنصر أساسي للتنمية الاجتماعية والاقتصادية.

(*) باحث، أمين عام الحركة الثقافية - انطلياس.

(١) مجلة «الدفاع الوطني اللبناني»، العدد السابع، كانون الثاني ١٩٩٤.

(٢) احصاءات التعليم العالي في لبنان لسنة ٨٢ - ١٩٨٣، المركز التربوي للبحوث والانماء، الدكوانة.

(٣) الاحصاءات الأولية للتعليم العام ١٩٩٢ - ١٩٩٣، المركز التربوي للبحوث والانماء، الدكوانة.

١ - الطلاب

في ٨٢ - ١٩٨٣، كان مجموع عدد طلاب التعليم العالي في لبنان ٧٣٠٥٢ طالباً وطالبة. وفي ٩٢ - ١٩٩٣، بلغ ٨٨٦٨٩، مسجلاً بذلك زيادة قدرها ١٥٦٣٧ طالباً، ونسبة ٢١,٤٠٪ في غضون عشر سنوات. لكن، ما يلفت النظر هو أن هذا المجموع ازداد في سنة واحدة، أي من ٩١ - ١٩٩٢ إلى ٩٢ - ١٩٩٣، بمقدار ٣١٩٤ طالباً وبنسبة ٣,٧٣٪، وهي نسبة تزيد عن ضعف معدل الزيادة السنوية (١,٧٦٪) في العقد المنعى بالدراسة. مما يدل على تسارع وتيرة نمو عدد الطلاب الجامعيين في الفترة الأخيرة، وضرورة التحسّب، مادياً ومالياً وتربوياً واقتصادياً، لهذا الحجم المتزايد من المتسبّبين إلى التعليم العالي (أنظر الجدول رقم ١).

جدول رقم ١
تطور أعداد طلاب التعليم العالي في لبنان ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢

١٩٩٣ - ١٩٩٢		١٩٨٣ - ١٩٨٢	
٣٩٩٢٦	الجامعة اللبنانية	٢٧١٤٧	الجامعة اللبنانية
٢٧٩٢٧	جامعة بيروت العربية	٢٨٩٩٢	جامعة بيروت العربية
٥٤٥٦	جامعة القديس يوسف	٥١٧١	جامعة القديس يوسف
٥١٧١	الجامعة الأمريكية	٤٩٥٥	الجامعة الأمريكية
٢٢٤١	جامعة الروح القدس	٢٨٢١	جامعة الروح القدس
٣٤٤١	كلية بيروت الجامعية	١٨٤٥	كلية بيروت الجامعية
٩٨٣	جامعة البلمند	٥٤٥	الاكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة
١٤٥٩	جامعة سيدة اللويزة	٢٤٤	مركز سيدة اللويزة للتعليم العالي
٤٧	معهد هايكازيان	٢٧٨	معهد هايكازيان
٨٨	كلية الدعوة الإسلامية	٢٢٨	جامعة الآباء الانطونيين - بعبدا
٥٤٩	معهد الحكمة العالي للحقوق	٢١٦	معهد الحكمة العالي للحقوق
٩٧٧	كلية الإمام الأوزاعي الإسلامية	١٢٥	كلية الإمام الأوزاعي الإسلامية
١٢٨	كلية الشرق الأوسط	١١٨	كلية الشرق الأوسط
٣٦	المهد العالي للدراسات الإسلامية	٧٨	مركز المقاصد للتعليم العالي
٦٦	معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت	٥٤	معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت
٨٢	معهد التمريض العالي الوطني	٤٤	كلية صدام حسين الطبية
٤٧	كلية اللاهوت للشرق الأدنى	٤٣	معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي
١١٢	كلية الشريعة الإسلامية	٢٨	كلية اللاهوت للشرق الأدنى
٨٨٦٨٩		٧٣٠٥٢	المجموع

١ - توزع الطلاب حسب الجنس

يُظهر توزع الطلاب الجامعيين حسب الجنس أن ٦٢,٧٣٪ منهن كانوا من الذكور و ٣٧,٢٧٪ من الإناث في سنة ٨٢ - ١٩٨٣. على أن نسبة الذكور انخفضت ما يزيد عن ١٠ نقاط لصالح الإناث في ٩١ - ١٩٩٢ (٥٢,١٣٪ مقابل ٤٧,٨٧٪). قبل أن تسترد منها ٣,٨٢ نقاط في ٩٢ - ١٩٩٣ (٥٥,٩٦٪ مقابل ٤٤,٠٤٪). إن هذا التوزع يبيّن أن الطلاب الجامعيين هم أكثر عدداً، نسبياً، من الطالبات الجامعيات، بيد أن الفارق بين الجنسين قد تقلص في خلال عقد من الزمن (انظر الجدول رقم ٢). والأرجح أن تفسير ذلك كامن في عاملين متربطين: أولاً، تناقص عدد الذكور بين طلاب لبنان في أثناء الحرب، نتيجة الهجرة والاستشهاد والانتقام إلى التنظيمات المسلحة، وثانياً، ازدياد اتكال الأسر على الإناث من أفرادها والشعور بالحاجة إلى رفع مستوى إعدادهن الأكاديمي لزيادة أو تحسين فرص حصولهن على عمل، أو لرفع مستوى أجورهن ومداخيلهن.

جدول رقم ٢
توزيع طلاب التعليم العالي حسب الجنس
(٪) ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

الجنس	١٩٨٣ - ٨٢	١٩٩٢ - ٩١	١٩٩٣ - ٩٢
ذكور	٪ ٦٢,٧٣	٪ ٥٢,١٣	٪ ٥٥,٩٦
إناث	٪ ٣٧,٢٧	٪ ٤٧,٨٧	٪ ٤٤,٠٤
المجموع	٪ ١٠٠,٠٠	٪ ١٠٠,٠٠	٪ ١٠٠,٠٠

أما أعلى نسبة للإناث فهي في جامعة القديس يوسف (٥٩,٠٧٪) ثم في الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة (٥٨,٨٩٪)، بينما تسجل أدنى نسبة لهن في جامعة بيروت العربية (٣٢,٢٨٪) وفي مركز سيدة اللويزة للتعليم العالي (٣٨,٨٦٪). إذا ما استثنينا الكليات التي تدرس اللاهوت والشريعة الإسلامية.

٢ - توزع الطلاب حسب الجنسية

في ٨٢ - ١٩٨٢، كان حوالي ٦٠٪ من طلاب التعليم العالي اللبنانيين و ٤٠٪ غير اللبنانيين. لكن بعد عشر سنوات، انخفضت نسبة الطلاب غير اللبنانيين بمقابل ١٠ نقاط لصالح الطلاب اللبنانيين (على التوالي ٣٠٪ و ٧٠٪ تقريباً). ويدل ذلك على أن لبنان، بسبب الحرب التي عاشها وبسبب نمو التعليم في البلدان العربية، لم يعد «جامعة المنطقة» كما كان في منتصف السبعينيات (٧٤ - ١٩٧٥) وعشية اندلاع

الحرب على أرضه، حيث كان العرب والأجانب يشكلون ٥٧٪ من طلاب جامعات لبنان مقابل ٤٣٪ فقط من اللبنانيين. (أنظر الجدول رقم ٣).

جدول رقم ٣:

**توزيع طلاب التعليم العالي حسب الجنسية
(%) ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢**

الجنسية	١٩٨٣ - ٨٢	١٩٩٣ - ٩٢	للتدذير ٧٤ - ١٩٧٥
لبناني	%٥٩,٦٥	%٧٠,٥٠	%٤٣
غير لبناني	%٤٠,٣٥	%٢٩,٤٥	%٥٧
المجموع	%١٠٠,٠٠	%١٠٠,٠٠	%١٠٠

١ - ٣ توزُّع الطلاب حسب الجامعات

يتضح من المعطيات الاحصائية أن ثمة جامعتين في لبنان تستأثران وحدهما بما يزيد عن ثلاثة أربع طلاب التعليم العالي منذ أكثر من عشر سنوات. وهاتان الجامعتان هما الجامعة اللبنانية وجامعة بيروت العربية اللتان تبادلتا المركزين الأول والثاني، من حيث عدد الطلاب، في ٨٢ - ١٩٨٣ و ٩٢ - ١٩٩٣، كما يظهر الجدول رقم ٤، الذي يؤكد إضافةً إلى ذلك أن هناك ٦ جامعات ما زالت تستوعب منذ ١٩٨٢ أكثر من ٩٥٪ من طلاب التعليم العالي في لبنان، بينما تتوزَّع النسبة الباقيَة (حوالى ٥٪) على ١٢ مؤسسة أخرى ذات طابع تخصصي محصور للغایة.

جدول رقم ٤

**توزيع طلاب التعليم العالي حسب المؤسسات
(%) ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢**

المؤسسة	١٩٨٣ - ٨٢	١٩٩٢ - ٩١	١٩٩٣ - ٩٢
١ - الجامعة اللبنانية	%٣٧,١٦	%٤٤,٧	%٤٥,٠٢
٢ - جامعة بيروت العربية	%٣٩,٦٩	%٣٣,٤	%٢١,٤٩
٣ - جامعة القديس يوسف	%٧,٠٨	%٦,٣	%٦,١٥
٤ - الجامعة الأمريكية في بيروت	%٦,٧٨	%٥,٦	%٥,٨٣
٥ - كلية بيروت الجامعية	%٢,٥٢	%٢,٦	%٣,٨٨
٦ - جامعة الروح القدس - الكسليك	%٣,٨٦	%٢,٥	%٢,٥٣
المجموع	%٩٧,٠٩	%٩٥,١	%٩٤,٩

١ - ٤ توزُّع الطَّلَاب حَسْب الْأَخْتِصَاصَات

لا تبيّن الإحصاءات المتوفرة توزُّع مجموع طلاب التعليم العالي حسب مختلف الاختصاصات المتاحة في لبنان، وإن تكن ثمة تقديرات^(٤) ترجح أن ٧٥٪ من هؤلاء الطلاب ينتسبون إلى فروع العلوم الإنسانية (الأداب، الفلسفة، الحقوق، التاريخ والجغرافية...) و ٢٥٪ منهم ينتسبون إلى الفروع العلمية والتكنولوجية، في مختلف مؤسسات التعليم العالي العاملة في لبنان سنة ١٩٩١ - ١٩٩٢.

غير أن المعطيات المتعلقة بالجامعة اللبنانيَّة تُظهر أن طلاب العلوم الإنسانية كانوا يشكلُون، في ٩٢ - ١٩٩٣، حوالي ثلثي (٦٧٪) مجموع المنتسبين إلى هذه الجامعة، وأن طلاب الفروع العلمية والتكنولوجية والفنية يمثلُون الثلث الباقِي (٣٣٪)، بعدهما كانت هاتان النسبتان، على التوالي، ٦٩٪ مقابل ٢١٪ في ٨٢ - ١٩٨٣، و ٧٣٪ مقابل ٢٧٪ في ١٩٧٨. ومن البديهي أن التحسُّن النسبي الذي طرأ على هذا التوزُّع، لصالح الاختصاصات العلمية والفنية والتكنولوجية، ناجم عن فتح المعاهد والكليات التطبيقية داخل الجامعة اللبنانيَّة في غضون الثمانينيات، إلا أن هذا التحسُّن يظل غير كافٍ (أنظر الجدول رقم ٥).

جدول رقم ٥
توزيع طلاب الجامعة اللبنانيَّة حسب فروع الاختصاص
 (%) ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

فروع الاختصاص	١٩٨٣ - ٨٢	١٩٩٣ - ٩٢	للتذكير ١٩٧٨ - ٧٧
فروع الأداب والعلوم الإنسانية	٦٩٪	٦٧٪	٧٣٪
الفروع العلمية والفنية والتكنولوجية	٣١٪	٣٣٪	٢٧٪
المجموع	١٠٠٪	١٠٠٪	١٠٠٪

٢ - المؤسَّسات

عشية حرب لبنان، كان عدد مؤسسات التعليم العالي ١٥ مؤسَّسة. وفي ٨٢ - ١٩٨٣، ارتفع هذا العدد إلى ١٨ وظلَّ كما هو حتى ٩٢ - ١٩٩٣، مع تغيير بسيط في العناصر المكونة له، حسبما يظهر في الجدول رقم ٦.

(٤) إيكوشيفر ١٩٩٣، منشورات إيكوشيفر، ص ٤٠.

جدول رقم ٦
مؤسسات التعليم العالي في لبنان
١٩٩٣ - ٩٢ و ١٩٨٣ - ٨٢

١٩٩٣ - ٩٢	١٩٨٣ - ٨٢
١ - الجامعة اللبنانية	١ - الجامعة اللبنانية
٢ - جامعة بيروت العربية	٢ - جامعة بيروت العربية
٣ - جامعة القديس يوسف	٣ - جامعة القديس يوسف
٤ - الجامعة الأمريكية في بيروت	٤ - الجامعة الأمريكية في بيروت
٥ - جامعة الروح القدس - الكسلينك	٥ - جامعة الروح القدس - الكسلينك
٦ - كلية بيروت الجامعية	٦ - كلية بيروت الجامعية
٧ - جامعة البلمند	٧ - الأكاديمية اللبنانية للفنون الجميلة
٨ - معهد الحكمة العالي للحقوق	٨ - معهد الحكمة العالي للحقوق
٩ - معهد هايكازيان	٩ - معهد هايكازيان
١٠ - جامعة سيدة اللويزة	١٠ - جامعة لوفان الأنطونية - بعبدا
١١ - كلية الشرق الأوسط	١١ - مركز سيدة اللويزة للتعليم العالي
١٢ - كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية	١٢ - كلية الشرق الأوسط
١٣ - المعهد العالي للدراسات الإسلامية	١٣ - معهد القديس يوحنا الدمشقي اللاهوتي، البلمند
١٤ - معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت	١٤ - معهد القديس بولس للفلسفة واللاهوت، حريصا
١٥ - معهد التربیض العالی الوطّنی	١٥ - كلية اللاهوت للشرق الأدنى
١٦ - كلية اللاهوت للشرق الأدنى	١٦ - كلية الإمام الأوزاعي للدراسات الإسلامية
١٧ - كلية الشريعة الإسلامية	١٧ - كلية صدام حسين الطبية
١٨ - كلية الدعوة الإسلامية	١٨ - كلية المقاصد للتعليم العالي

في الأصل، نشأت معظم مؤسسات التعليم العالي في بيروت وضواحيها، ما عدا جامعة الروح القدس - الكسلينك وجامعة سيدة اللويزة (كسروان - جبل لبنان) وجامعة البلمند (الكورة - لبنان الشمالي). لكن، في السنوات الأخيرة، عممت بعض الجامعات إلى فتح فروع لها في المحافظات، لا سيما الجامعة اللبنانية وجامعة القديس يوسف وكلية بيروت الجامعية.

٣ - الهيئة التعليمية والإدارية

في ٩٢ - ١٩٩٣، بلغ مجموع عدد أفراد الهيئة التعليمية والإدارية في مؤسسات

التعليم العالى فى لبنان ١١٣١٣ شخصاً مقابل ٨١١١ في ٩١ - ١٩٩٢ و٧٩٧٦ في ٨٢ - ١٩٨٣. أي أن هذا العدد الاجمالى ازداد بمقدار ٣٢٣٧ شخصاً وبنسبة ٤١,٨٪ في غضون عشر سنوات، بينما كان ازدياده بمقدار ٣٢٠٢ وبنسبة ٣٩,٥٪ في خلال سنة واحدة (أنظر الجدول رقم ٧)!

جدول رقم ٧

توزيع الهيئة التعليمية والإدارية حسب الجنس ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٩٢ - ٩١		١٩٨٣ - ٨٢		الجنس
العدد	%	العدد	%	العدد	%	
٧٦٤	٧٢٥٧	٥٣٦٤	٥٦٦	٥٤٩٨	٦٩	ذكور
٣٦	٤٠٥٦	٢٧٤٧	٣٤	٢٤٧٨	٣١	إناث
١١٣١٣		٨١١١		٧٩٧٦		المجموع
٪١٠٠		٪١٠٠		٪١٠٠		

للأسف، لا تُظهر المعطيات الاحصائية توزُّع الهيئة التعليمية والإدارية حسب الوضع الوظيفي، مما لا يمكّنا من معرفة نسبة الداخلين منهم في الملاك ونسبة العاملين بالتعاقد، علماً أن الواقع تشير بوضوح إلى ارتفاع نسبة الفتنة الثانية لا سيّما في صفوف الأساتذة وفي بعض المؤسسات الخاصة.

٣ - توزُّع أفراد الهيئة التعليمية والإدارية حسب الجنس

في ٨٢ - ١٩٨٣، كانت نسبة الذكور بين أفراد الهيئة التعليمية والإدارية في مؤسسات التعليم العالى ٦٩٪ مقابل ٣١٪ للإناث. وفي ٩٢ - ١٩٩٣، أصبحت هاتان النسبتان، على التوالي، ٦٤٪ للذكور و٣٦٪ للإناث. وعليه، يمكن القول إن الهيئة التعليمية والإدارية في هذه المؤسسات تتوزُّع بين الذكور والإناث بنسبة الثلثين إلى الثلث تقريباً، وإن ثمة تزايداً نسبياً طفيفاً في عدد الإناث على حساب الذكور (أنظر الجدول رقم ٧).

بيد أن ثمة مؤشراً مهمأً له تأثيره الأكيد على كلفة التعليم في هذه المؤسسات هو نسبة المعلمين من أفراد الهيئة التعليمية والإدارية. إذ يلاحظ أن متوسط هذه النسبة في عموم مؤسسات التعليم العالى كان ٥٥,٠٪ في ٩٢ - ١٩٩٣ مقابل ٥٦,٧٪ في ٨٢ - ١٩٨٣، أي أن هذا المتوسط العام ظل مستقراً طوال عشر سنوات، إلا أنه شهد تفاوتاً كبيراً بين المؤسسات. ففي حين يشكل الأساتذة ٩٠,٥٪ من مجموع العاملين في جامعة الروح القدس - الكسليك و٨٢,٩٪ منهم في جامعة القديس يوسف، فإنهم لا يمثلون سوى ٢١,٩٪ من مجموع العاملين في الجامعة

الأميركية! أما في الجامعتين اللبنانيّة والعربيّة، فإنّ نسبة الأساتذة من أفراد الهيئة التعليمية والإدارية تبدو قريبة من المتوسط العام (على التوالي ٥٨,١٢٪ و ٥٤,٢٣٪). ولعلّ قيام عدد لا يأس به من الرهبان بمهمة التدريس في جامعتي الروح القدس والقديس يوسف يفسّر تدنّي نسبة الأساتذة (المسجلين بهذه الصفة في الاستمارات الاحصائية الرسمية) من مجموع أفراد الهيئة التعليمية والإدارية (أنظر الجدول رقم ٨).

جدول رقم ٨
نسبة الأساتذة من مجموع الهيئة التعليمية والإدارية في
أكبر مؤسسات التعليم العالي - ٩٣/٩٢ - ٨٣/٨٢ (%)

١٩٩٣ - ٩٢	١٩٨٣ - ٨٢	
٪٥٨,١٢	٪٥٧,٩٨	١ - الجامعة اللبنانيّة
٪٥٤,٢٣	٪٦٧,٠٦	٢ - جامعة بيروت العربيّة
٪٨٢,٩٦	٪٨٥,٢٩	٣ - جامعة القديس يوسف
٪٢١,٩٩	٪٢٠,٧٠	٤ - الجامعة الأميركيّة في بيروت
٪٩٠,٥٢	٪٨٦,٠٠	٥ - جامعة الروح القدس - الكسليك
٪٦٦,٧٤	٪٩٥,٨٣	٦ - كلية بيروت الجامعية
٪٥٥,٠٠	٪٥٦,٧٤	المتوسط العام

على أي حال، تجدر الإشارة إلى أنّ عدد أفراد الهيئة التعليمية والإدارية في مؤسسات التعليم العالي ازداد بنسبة ٤١,٨٪ في عشر سنوات بينما لم يزد عدد طلاب هذه المؤسسات في الفترة نفسها إلا بنسبة ١٢,٤٪! وهذا مؤشر كان له بالتأكيد انعكاس سلبي على كلفة التعليم العالي التي سجلت ارتفاعاً كبيراً في السنوات الأخيرة، خصوصاً إذا ربطنا هذا المؤشر بمؤشر آخر لا يقلّ عنده دلالة، هو متوسط عدد الطلاب للأستاذ و/أو الإداري الواحد، الذي يبلغ ٧,٨٣ في المؤسسات كافة و ٨,٦٢ في الجامعة اللبنانيّة.

استنتاجات

لقد أثبت التحليل الكمي لتطور التعليم العالي في لبنان، على مدى السنوات العشر الأخيرة، ضرورة لا بل إلحاحية البحث في أوضاع هذا القطاع في ضوء الوقائع التالية:

- إنّ أعداد طلاب التعليم العالي تزداد باطراد وبوتيرة متتسارعة.
- إنّ ثمة ترکزاً لهؤلاء الطلاب في ست جامعات بوجه خاص وفي جامعتين بوجه أخصّ.

- إن معظم الجامعات العاملة في لبنان تتّخذ شكل معاهد ذات اختصاصات ضيّقة ومحصورة جدًا، ولا يزيد حجم استيعابها في غالب الأحيان عن حجم مدرسة ثانوية أو حتى ابتدائية.
- إن انتساب الإناث إلى التعليم العالي يحقق أزيداً ينبع بتنامي دور المرأة اللبنانيّة على صعيدي الانماء الاجتماعي والانماء الاقتصادي.
- إن لبنان يفقد تدريجياً دوره الريادي الذي لعبه قبل الحرب كمركز للتعليم العالي في المنطقة، وكمُعَدّ لمواردها البشرية وللقوى الـسياسيّة والإداريّة والاقتصاديّة العليا في العالم العربي وفي بعض البلدان النامية.
- إن كلفة التعليم الجامعي في لبنان آخذة بالازدياد، لا سيما في إطار الانتشار الفوضوي لمؤسسات هذا التعليم بمعزل عن أية معايير منظمة لعملها، وفي ظل ضائقة متوسط عدد الطلاب للأستاذ و/أو الإداري الواحد.

في الواقع، شهدت سنة ١٩٩٣ استحداث ثلاث وزارات مخصصة للشأن التربوي: الأولى للثقافة والتعليم العالي، والثانية للتعليم المهني والتكنولوجي، والثالثة لل التربية الوطنية والشباب والرياضة. وإذا كان من المفروض، نظرياً، أن يؤدي هذا التفرّع إلى مزيد من الاهتمام بقضايا التربية والتعليم، وإلى مزيد من التفرّغ لدرس هذه القضايا في مختلف القطاعات، ولمعالجة المشكلات المزمنة المتعلقة بها أو الناجمة عنها أو لإيجاد سبل التطوير والتنمية، إلا أن ثمة معوقات قديمة وأخرى مستجدة ما تزال تحول دون تحقيق هذه الغايات المنشودة.

أول هذه المعوقات ذو طابع مالي. فبعدما كانت حصة وزارة التربية الوطنية والفنون الجميلة تقارب ١٢٪ من الميزانية العامة للدولة اللبنانيّة، وهي حصة لم تكن كافية أصلًا (باعتبارها مرصودة بمعظمها للموازنة التشغيلية وأقل من أن تسهم في التطوير والانماء)، انخفض مجموع حصص الوزارات الثلاث المعنية بالشأن التربوي إلى ٧,١٥٪^(٥) من موازنة الدولة لعام ١٩٩٤، وتوزّع على النحو التالي: ٤,٩٥٪ لوزارة التربية الوطنية والشباب والرياضة، ١,٧٪ لوزارة الثقافة والتعليم العالي، ٠,٥٪ لوزارة التعليم المهني والتكنولوجي. وعليه، تبدو حصة وزارة الثقافة والتعليم العالي أضعف من أن تتيح لهذه الوزارة الناشطة أن تلعب دوراً فعالاً في تعزيز التعليم العالي وتطويره، فضلاً عن كونها ما تزال في مرحلة تأسيسية.

ثانياً، إن وزارة الثقافة والتعليم العالي، التي لم يتأمن لها، بعد سنة ونيف من إنشائها، مبني دائمًا وملاءكاً بشرياً ثابتاً، لم تستطع حتى الآن أن تولي التعليم العالي

الاهتمام الذي يستحق، واقتصر عملها في هذا المجال على الاهتمام بمعالجة مشاكل جزئية وأنية متصلة بالجامعة اللبنانية (تعيين رئيس وعمداء ومدراء، التفاوض مع رابطة الأساتذة في حل بعض القضايا المطلبية...). والحال أن المشرع لم ينشئ هذه الوزارة لتكون فقط سلطة وصاية على الجامعة اللبنانية، بل لتصنع سياسة عامة للتعليم العالي وتشرف على تنفيذها. وفي ضوء التجربة التي مرت بها هذه الوزارة منذ تأسيسها، يجوز لنا أن نتوقع تأخراً في رسم هذه السياسة، وفي تحديد وظيفة الجامعة ودورها الأكاديمي والبحثي والأنمائي، وفي تعين أطر علاقات مؤسسات التعليم العالي فيما بينها، من جهة، وعلاقاتها بالوزارة المختصة من جهة ثانية. وإلى أن يتم ذلك، تبقى أسئلة كثيرة بحاجة إلى أجوبة، أهمها:

- ما هي المعايير الواجب اعتمادها للترخيص لمؤسسة تعليم عال، وما هي الشروط الواجب توافرها لدى الجهة الراغبة في الحصول على مثل هذا الترخيص (البناء الجامعي، الهيئة التعليمية، مراكز الأبحاث، المؤتمرات والعلاقات مع جامعات إقليمية ودولية، الاختصاصات وارتباطها بحاجات سوق العمل المحلية والإقليمية والخ..)؟
- ما هي سبل التنسيق بين الجامعات الخاصة والجامعة اللبنانية، من جهة، وبين هذه الجامعات والوزارات الثلاث المعنية بالشأن التربوي، من جهة ثانية؟
- ما هي الأهداف المرسومة للتعليم الجامعي في لبنان، على صعيد الفرد والمجتمع، وما هو الرابط الوظيفي بين التعليم العالي وسوق العمل والتنمية الاجتماعية والاقتصادية؟

- أي دور للجامعة اللبنانية في الانماء وإعادة الإعمار، في ترسیخ الاندماج الوطني، في تشجيع الأبحاث الأكademie، في تأمين برامج تعليم الكبار والتعليم المستمر وفي عملية التنمية الثقافية؟ إن الإجابة عن هذه الأسئلة تستدعي دراسة مونوغرافية معمقة ومفصلة تتناول أوضاع هذه الجامعة الوطنية بمختلف جوانبها: تعين مجلس الجامعة، إعادة النظر في التفريغ وفقاً لأسس موضوعية، توسيع قاعدة الانتساب إلى الكليات التطبيقية، تطوير الأبحاث وزيادة المخصصات المرصودة لها، تحسين شروط عمل الهيئة التعليمية والإدارية، تنمية المنشورات وعلاقات التبادل والتعاون مع الجامعات الأخرى، محلياً وأقليماً ودولياً الخ..

في الواقع، انطلاقاً من اقتناعنا بأن الصراع مع دولة إسرائيل هو صراع حضاري وبأن رأس المال اللبناني الإنساني سيكون الأكثر عرضةً للتهديد في إطار المنظومة الإقليمية الجديدة التي يحضر لقيامها على ركائز: المعرفة من إسرائيل، والطاقة من الجزيرة العربية، واليد العاملة من مصر والمياه من تركيا، فإننا نحرص على التشديد على دور التعليم العالي عموماً والجامعة اللبنانية الوطنية خصوصاً في مواجهة تحديات المرحلة المقبلة من تاريخ وطننا. ذلك أن لدى الدولة

العربية نظاماً جامعياً متقدماً، مدعوماً بأربعة وخمسين مركزاً للأبحاث تصرف عليها نسبة ٤٪ من الدخل القومي. وهذه الحقيقة وحدها كافية لتحسيننا بالمخاطر التي تنتظرنا خلف سلام المنتصر الذي تسعى إسرائيل لفرضه علينا، كما بمسؤولياتنا لجهة التشبث بشروط السلام العادل أولاً، ثم الاستعداد ثقافياً وتربوياً لاستعادة مكانة لبنان العلمية والمعرفية.

القسم الثاني

التعليم المهني والتكنولوجي

١ - الطلاب

في ١٩٨٣ - ٨٢^(٦)، كان مجموع عدد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان ٣٩٧٣٢ طالباً وطالبة. وفي ١٩٩٢ - ٩١، ارتفع هذا العدد إلى ٤١٠٩٧ ثم إلى ٤٤٢٢٠ في ١٩٩٣ - ٩٢^(٧)، أي أنه سجل زيادة إجمالية قدرها ٤٤٨٨ طالباً ونسبتها ١١,٣٪ في خلال عشر سنوات. غير أن ما تجدر ملاحظته هو أن هذا المجموع ازداد في سنة واحدة، أي من ١٩٩٢ - ٩١ إلى ١٩٩٣ - ٩٢ بمقدار ٣١٢٣ طالباً وبنسبة ٧,٦٪، وهي نسبة تزيد عن ضعف معدل الزيادة الإجمالية (٪٣,٤) في السنوات التسع الأولى من العقد المعنى بالدراسة. مما يدل على تسارع وتيرة نمو عدد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي في الفترة الأخيرة وضرورة التحسّب، مادياً ومالياً وتربوياً واقتصادياً، لهذا الحجم المتنامي من المنتسبين إلى هذا النوع من التعليم (أنظر الجدول رقم ٩).

جدول رقم ٩

تطور أعداد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢

الزيادة		المجموع	السنة
%	العدد		
-	-	٣٩٧٣٢	١٩٨٣ - ٨٢
٪٢,٤	١٣٦٥	٤١٠٩٧	١٩٩٢ - ٩١
٪٧,٦	٢١٢٣	٤٤٢٢٠	١٩٩٣ - ٩٢
٪١١,٣	٤٤٨٨	-	التغيير ١٩٨٣ - ١٩٩٣

(٦) مرجع الهاشم رقم (٢).

(٧) مرجع الهاشم رقم (٣).

١ - التوزع حسب قطاع التعليم

ويظهر الجدول رقم ١٠ أن توزّع هؤلاء الطلاب على المؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة ما زال على حاله منذ عشر سنوات.

فالمُنتسبون إلى القطاع الخاص يشكلون الأغلبية الساحقة ويمثلون حوالي ٨٠٪ من المجموع مقابل ٢٠٪ في القطاع الرسمي. ولم يطرأ على هذا التوزع أي تغيير يذكر في غضون العقد المنصرم.

جدول رقم ١٠
توزيع طلاب التعليم المهني والتقني حسب قطاع التعليم
١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

١٩٩٣-٩٢		١٩٩٢-٩١		١٩٨٣-٨٢		القطاع
%	العدد	%	العدد	%	العدد	
٢٠,٣٢	٨٩٨٦	١٨,١٣	٧٤٥١	١٩,٧٣	٧٨٣٨	رسمي
٧٩,٦٨	٣٥٢٣٤	٨١,٨٧	٢٣٦٤٦	٨٠,٢٧	٣١٨٩٤	
١٠٠,٠٠	٤٤٢٢٠	١٠٠,٠٠	٤١٠٩٧	١٠٠,٠٠	٣٩٧٣٢	المجموع

١ - ٢ التوزع حسب الجنس

تبين معطيات الجدول رقم ١١ أن ٦٠,١٥٪ من المُنتسبين إلى التعليم المهني والتقني كانوا من الذكور و٣٩,٨٥٪ من الإناث، في سنة ١٩٨٣ - ٨٢. على أن نسبة الذكور شهدت تراجعاً كبيراً (حوالى ٦٪) لصالح الإناث في غضون السنوات العشر الماضية، إذ انخفضت إلى ٥٣,٥٦٪ في ١٩٩٢ - ٩١ واستقرت على ٥٤٪ في ١٩٩٣ - ٩٢، بينما زادت نسبة الإناث المُنتسبات إلى هذا النوع من التعليم، على التوالي، إلى ٤٦,٤٤٪ وإلى ٤٦٪ في ١٩٩٢ - ٩١ و ١٩٩٣ - ٩٢.

وغالب الظن أن لهذه الظاهرة تفسيرين مترابطين: أولاً، تناقص عدد الفتيان بين شباب لبنان في أثناء الحرب، وثانياً، ازدياد توجّه الفتيات نحو سوق العمل للمساعدة في تحسين دخل العائلات التي ينتمين إليها، وأضطرارهن تاليًا إلى تعلم إحدى المهن التي توهلن للحصول على فرص عمل جيدة.

جدول رقم ١١
توزيع طلاب التعليم المهني والتكنولوجي حسب الجنس
١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٩٢ - ٩١		١٩٨٣ - ٨٢		الجنس
%	العدد	%	العدد	%	العدد	
٥٤	٢٢٨٧٨	٥٢,٥٦	٢٢٠١٣	٦٠,١٥	٢٣٨٩٧	ذكور
٤٦	٢٠٣٤٢	٤٦,٤٤	١٩٠٨٤	٣٩,٨٥	١٥٨٢٥	إناث
١٠٠	٤٤٢٢٠	١٠٠,٠٠	٤١٠٩٧	١٠٠,٠٠	٣٩٧٣٢	المجموع

١ - ٣ التوزيع حسب نوع الشهادة ومستوى الإعداد

ثمة تطور بارز حصل في توزيع طلاب التعليم المهني والتكنولوجي حسب نوع الشهادة التي ينالونها عند انتهاء فترة إعدادهم. ففي ١٩٨٣ - ١٩٨٢، كان ٤٧,١٢٪ من مجموع هؤلاء الطلاب ينتسبون إلى فروع تؤهلهم لحيازة شهادة رسمية بعد النجاح في امتحانات رسمية عامة تنظمها الوزارة المختصة على مستوى لبنان بأسره، و٥٢,٨٨٪ منهم ينتسبون إلى فروع يحصل الناجحون فيها على إفادة خاصة من إدارة المدرسة مصدقة من الوزارة المختصة. أما بعد عشر سنوات، أي في ١٩٩٣ - ٩٢، أصبحت هاتان النسبتان، على التوالي، ٧٢,٥٦٪ للشهادات الرسمية و٢٧,٤٤٪ فقط للإفادات الخاصة. وهي قفزة نوعية مهمة تدلّ على ارتفاع المستوى الإعدادي للمنتسبيين إلى قطاع التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان (انظر الجدول رقم ١٢).

جدول رقم ١٢
توزيع طلاب التعليم المهني والتكنولوجي حسب نوع الشهادة
١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢ (%)

١٩٩٣ - ٩٢	١٩٩٢ - ٩١	١٩٨٣ - ٨٢	نوع الشهادة
% ٧٢,٥٦	% ٧٠,٦٣	% ٤٧,١٢	شهادات رسمية
% ٢٧,٤٤	% ٢٩,٣٧	% ٥٢,٨٨	إفادات خاصة
% ١٠٠,٠٠	% ١٠٠,٠٠	% ١٠٠,٠٠	المجموع

من جهة أخرى، تفيد المعطيات الوحيدة^(*) المتوفرة حول مستويات الإعداد، المتعلقة بسنة ١٩٩١ - ١٩٩٢ وبطلب القطاعين الرسمي والخاص المتزمن بالمناهج الرسمية، أن هؤلاء الطلاب كانوا يتوزّعون كالتالي:

مستوى الإعداد	%
الكفاءة المهنية (CP)	١,٧
التكميلية المهنية (BP)	٥,٠
البكالوريا الفنية (BT)	٧٠,٥
الامتياز الفني (TS)	٢٢,٤
الإجازة التعليمية	٨,٤
المجموع	١٠٠,٠

فإذا اعتبرنا أن هؤلاء الطلاب كانوا يمثلون آنذاك أكثر من ثلثي (٦٣٪) طلاب التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان، يتضح لنا أن غالبيتهم الساحقة تتخرج وهي تحمل شهادة لا يقل مستوىها عن البكالوريا الفنية (٥٪) أو الامتياز الفني (٢٢,٤٪)، مما يؤكّد التطور الذي أظهرته معطيات الجدول رقم ١٢ ودلاته.

١ - ٤ التوزُّع حسب المناطق

ما يزال الانسحاب إلى التعليم المهني والتكنولوجي متّسماً بشدة الترکّز الجغرافي، إذ تستأثر بيروت الكبرى منذ عشر سنوات بحصة الأسد، كما تظهر معطيات الجدول رقم ١٣.

جدول رقم ١٣
توزيع طلاب التعليم المهني والتكنولوجي حسب المناطق
(١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢) (%)

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٨٣ - ٨٢		المحافظات
خاص	رسمي	خاص	رسمي	
٢٦,٢٠	١١,٩٨	٣٧,٦٣	-	بيروت
٤٣,٢٢	٣٠,١٨	٤١,٥٤	٤٢,٩٥	جبل لبنان (ضواحي بيروت)
٦,٥٥	٢,٦٥	٤,٩٧	٤,٩١	جبل لبنان (ما عدا الضواحي)
١١,٩١	١٥,٣٠	٥,٦٥	٢٢,٣٠	الشمال
٤,٠٨	١٨,٧٢	٢,٨٤	١٠,٣٢	البقاع
٨,٠٤	٢١,١٧	٧,٣٧	١٩,٥٢	الجنوب
١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	المجموع

(*) إيكوشيفر ١٩٩٣، منشورات إيكوشيفر، بيروت، ص ٤٠ (الخبير التربوي ليلى خوري).

وفي ١٩٨٢ - ١٩٨٣، كانت تضمّ وحدتها ٤٢,٩٥٪ من طلاب القطاع الرسمي و٧٩,١٧٪ من طلاب القطاع الخاص، مقابل ٤٢,١٦٪ و٦٩,٤٢٪ على التوالي في ١٩٩٣ - ١٩٩٤. لكن، وإن كانت هذه الأرقام تدلّ على استمرار ترکز الانتساب بقوة في بيروت الكبرى، غير أنها تتنطوي في الوقت ذاته على إشارة واضحة إلى انتشار مدارس القطاع الخاص المهنية والفنية في المناطق الطرفية وبقية المحافظات، إذ أن الانتساب إلى هذه المدارس في بيروت الكبرى انخفض بنسبة ١٠٪ تقريباً (من ٧٩,١٧٪ في ١٩٨٣ - ١٩٨٤ إلى ٦٩,٤٢٪ في ١٩٩٣ - ١٩٩٤).

أما ترتيب المحافظات، من حيث نسبة الطلاب المنتسبين فيها إلى التعليم المهني والتكنولوجي فهو، في القطاع الرسمي، حسب التسلسل التالي: محافظة الجنوب في المقدمة، بعد بيروت الكبرى (٢١,١٧٪ من المجموع)، تليها محافظة البقاع (١٨,٧٢٪) فمحافظة الشمال (١٥,٣٠٪). في المقابل، تأتي محافظة الشمال في المرتبة الثانية بعد بيروت الكبرى، من حيث نسبة المنتسبين إلى مؤسسات القطاع الخاص (١١,٩١٪ من المجموع)، تليها محافظة الجنوب (٨,٠٤٪) فمحافظة البقاع (٤,٠٨٪).

٢ - المؤسسات

في السنة الدراسية ١٩٩٣ - ١٩٩٤، بلغ عدد مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان ٢٢٩ مؤسسة مقابل ٢٥٤ في سنة ١٩٩٢ - ١٩٩٣ و١٨٤ في سنة ١٩٨٣ - ١٩٨٤، أي أن مجموع عدد المدارس المهنية والتكنولوجية ازداد بمقدار ٥٥ مدرسة وبنسبة ٣٠٪ تقريباً في غضون عشر سنوات، إلا أنه انخفض بمقدار ١٥ مدرسة وبنسبة ٦٪ في خلال سنة واحدة، هي السنة الأخيرة من العقد الذي تتناوله الدراسة (أنظر الجدول رقم ١٤).

جدول رقم ١٤
تطور عدد مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان
١٩٩٣ - ١٩٩٤ / ١٩٨٣ - ١٩٨٤

الزيادة أو النقصان		المجموع	السنة
%	العدد		
-	-	١٨٤	١٩٨٣ - ٨٢
٣٨ +	٧٠ +	٢٥٤	١٩٩٢ - ٩١
٦ -	١٥ -	٢٢٩	١٩٩٣ - ٩٢
٣٠ +	٥٥ +	-	التغير

٢ - التوزع حسب قطاع التعليم

يظهر الجدول رقم ١٥ أن توزع مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي بين القطاعين الرسمي والخاص لم يشهد أي تبدل منذ عشر سنوات.

جدول رقم ١٥

توزيع مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي حسب قطاع التعليم ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٩٢ - ٩١		١٩٨٣ - ٨٢		القطاع
%	العدد	%	العدد	%	العدد	
١٢,٠	٢١	١١,٠٠	٢٨	١٢,٠٠	٢٢	رسمي
٨٧,٠٠	٢٠٨	٨٩,٠٠	٢٢٦	٨٨,٠٠	١٦٢	خاص
١٠٠,٠٠	٢٣٩	١٠٠,٠٠	٢٥٤	١٠٠,٠٠	١٨٤	المجموع

فالمدارس الخاصة كانت وما تزال تشكل الأغلبية الساحقة من مؤسسات هذا النوع من التعليم (%٨٨ في ١٩٨٣ - ٨٢ و %٨٧ في ١٩٩٣ - ٩٢)، مقابل حصة لا تزيد عن %١٢ (١٩٨٣ - ٨٢) أو %١٣ (١٩٩٣ - ٩٢) للمدارس الرسمية.

وإذا قارناً بين توزع طلاب هذا التعليم وتوزع مدارسه على القطاعين الرسمي والخاص، يتضح لنا أن شيئاً لم يتغير على الإطلاق طوال عشر سنوات إذ ما يزال القطاع الرسمي يضم زهاء %٢٠ من مجموع طلاب لبنان في حوالي %١٣ من مجموع المدارس بينما يستقبل القطاع الخاص زهاء %٨٠ من مجموع الطلاب في حوالي %٨٧ من مجموع المدارس، كما يبيّن الجدول رقم ١٦.

جدول رقم ١٦

توزيع طلاب ومؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي حسب قطاع التعليم ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢ (%)

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٨٣ - ٨٢		القطاع
مؤسسات	طلاب	مؤسسات	طلاب	
%١٣,٠٠	%٢٠,٣٢	%١٢,٠٠	١٩,٧٣	رسمي
%٨٧,٠	%٧٩,٦٨	%٨٨,٠٠	٨٠,٢٧	خاص

٢ - التوزع حسب المناطق

في ٩٢ - ١٩٩٣، كانت بيروت الكبرى تضم ٤٥,١٦٪ من مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي الرسمية مقابل ٤٠,٩١٪ في ٨٢ - ١٩٨٣. و ١٧ - ٥٨٪ من المؤسسات الخاصة مقابل ٤٥,٤٣٪ في ٨٢ - ١٩٨٣. وهذا يعني وخاصةً أن مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي ما تزال مرکزةً منذ عشر سنوات في وسط البلاد على حساب الأطراف. لكنه يعني، في الوقت نفسه، أن القطاع الرسمي يزداد ترکزاً في بيروت الكبرى، أي أنه يتوجه بعكس التيار المطلوب، فيما يزداد انتشار القطاع الخاص عبر المناطق الطرفية.

وتُظهر معطيات الجدول رقم ١٧ أن محافظات جبل لبنان (ما عدا ضواحي بيروت) والشمال والبقاع تتساوى تقريباً بحصتها من مؤسسات التعليم الخاص في ٩٢ - ١٩٩٣ على التوالي ١٢,٠٢٪ / ١٢,٩٨٪ و ١٢,٠٢٪ / ١٢,٩٠٪) التي لا يحظى البقاع منها بأكثر من ٤,٨١٪. غير أن هذه المحافظة تستفيد أكثر من المحافظات الأخرى من خدمات القطاع الرسمي (١٩,٣٦٪ من مجموع مؤسساته)، فتحل في المرتبة الثانية بعد بيروت الكبرى، تليها محافظة الشمال والجنوب، بالتساوي (١٢,٩٠٪ لكل منهما)، ثم جبل لبنان (٩,٦٨٪).

جدول رقم ١٧
توزيع مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي حسب القطاع
والمناطق ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢ (%)

١٩٩٣ - ٩٢		١٩٨٣ - ٨٢		المحافظات
خاص	رسمي	خاص	رسمي	
٢٤,٠٤	١٢,٩٠	٢٢,٣٣	-	بيروت جبل لبنان (ضواحي بيروت) جبل لبنان (ما عدا الضواحي) الشمال البقاع الجنوب
٣٤,١٣	٣٢,٢٦	٣٢,١٠	٤٠,٩١	
١٢,٠٢	٩,٧٨	٩,٢٦	٩,٠٩	
١٢,٩٨	١٢,٩٠	١٢,٣٥	١٨,١٨	
٤,٨١	١٩,٣٦	٤,٣٢	١٨,١٨	
١٢,٠٢	١٢,٩٠	٨,٦٤	١٣,٦٤	
١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	١٠٠,٠٠	المجموع

٣ - الهيئة التعليمية والإدارية

على صعيد أفراد الهيئة التعليمية والإدارية، يلاحظ أن مجموع هؤلاء في قطاعي

التعليم المهني والتكنولوجي، الرسمي والخاص، بلغ ٤٩٩٨ معلماً^(*) في سنة ٩٢ - ١٩٩٣ مقابل ٣٨٦٦ معلماً في ٨٢ - ١٩٨٣، أي أنه ازداد بمقدار ١١٣٢ عنصراً وبنسبة ٢٩,٣٠٪ في خلال عشر سنوات، في حين أن نسبة ازدياد عدد طلاب هذا التعليم كانت ١١,٣٠٪ في الفترة نفسها. ولكن، بينما ازداد عدد معلمي المؤسسات الخاصة بنسبة ١١,٩٠٪ من ١١,٩٠٪ إلى ١٢,٠٣٪ (على التوالي ١٩٩٣ - ٩٢ - ١٩٨٣) و٧٣,٩٣٪ من المجموع) انخفضت حصة المؤسسات الرسمية من مجموع المعلمين بالنسبة ذاتها، إذ تراجعت من ٣٧,٩٧٪ في ٨٢ - ١٩٨٣ إلى ٢٦,٠٧٪ في ٩٢ - ١٩٩٣، كما يُظهر الجدول رقم ١٨.

جدول رقم ١٨

تطور عدد معلمي مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي وتوزعهم حسب القطاع ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢

٩٣/٩٢ - ٨٣/٨٢		١٩٩٣ - ٩٢	١٩٨٣ - ٨٢	القطاع
%	العدد	%	العدد	
٪ ١١,٩ - ١٦٥ -	٢٦,٠٧	١٢٠٣	٢٧,٩٧	رسمي
٪ ١١,٩ + ١٢٩٧ +	٧٣,٩٣	٣٦٩٥	٦٢,٠٣	خاص
٪ ٢٩,٣٠ + ١١٣٢ +	١٠٠,٠٠	٤٩٩٨	٣٨٦٦	المجموع

غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أنه بينما زاد عدد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي الرسمي بنسبة ١٤,٦٪ في غضون عشر سنوات، انخفض عدد معلمي هذا القطاع بنسبة ١١,٢٣٪ في الفترة نفسها. وبينما ازداد عدد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي الخاص بنسبة ١٠,٥٪ فقط، ازداد عدد معلمي هذا القطاع بنسبة ٥٤,٠٨٪، كما يدل الجدول رقم ١٩.

جدول رقم ١٩

مقارنة تطور أعداد طلاب ومعلمي مؤسسات التعليم المهني والتكنولوجي حسب القطاع ١٩٨٣/٨٢ - ١٩٩٣/٩٢

المعلمون		الطلاب		القطاع
التغيير (%)	٩٣/٩٢ ٨٣/٨٢	التغيير (%)	٩٣/٩٢ ٨٣/٨٢	
١١,٢٣ - ١٣٠٣	١٤٦٨	١٤,٦ +	٨٩٨٦	رسمي
٥٤,٠٨ + ٣٦٩٥	٢٢٩٨	١٠,٥ +	٧٨٢٨	خاص
			٣٥٢٣٤	
			٣١٨٩٤	

(*) يقصد بالمعلم هنا المدرس والإداري معاً.

ونتيجةً لذلك، شهد متوسط عدد الطلاب للمعلم الواحد تحسناً في القطاع الرسمي بارتفاعه من ٥,٣٣ طالباً في ١٩٨٣/٨٢ إلى ٦,٨٩ طالباً في ٩٢ - ١٩٩٣، بينما تراجع هذا المتوسط في القطاع الخاص من ١٣,٣٠ إلى ٩,٥٣ طالباً في الفترة نفسها.

أما توزع أفراد الهيئة التعليمية والإدارية حسب الجنس، فيظهر ما يلي:

- إن عدد المعلمين في التعليم المهني والتكنولوجي يفوق عدد المعلمات إذ يشكل الذكور، على وجه التقرير، نسبة الثلاثين من المجموع مقابل الثلث للإناث (أنظر الجدول رقم ٢٠).

ان نسبة الإناث بين معلمي التعليم المهني والتكنولوجي هي أكبر في القطاع الخاص منها في القطاع الرسمي (على التوالي ٣٦,٢١٪ و ٢٦,٤٠٪ من المجموع).

جدول رقم ٢٠

توزيع معلمي التعليم المهني والتكنولوجي حسب الجنس (١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢)

الجنس	١٩٨٣ - ٨٢		١٩٩٣ - ٩٢
	خاص	رسمي	
ذكور	% ٧١,٣٥	% ٧٣,٦٠	% ٦٣,٧٩
إناث	% ١٤,٣١	% ٢٨,٦٥	% ٣٦,٢١

استنتاجات

ما هي أهم الملاحظات التي يمكن استنتاجها من هذا العرض الكمي لتطور التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان طوال عقد من الزمن؟

أولاً: إن نسبة طلاب التعليم المهني والتكنولوجي من مجموع طلاب التعليم ما قبل الجامعي لا تزيد عن ٥,٦٨٪ في سنة ٩٢ - ١٩٩٣، مقابل ٤,٧٧٪ في ٨٢ - ١٩٨٣. ولكن، على رغم ازدياد عدد طلاب التعليم المهني والتكنولوجي بنسبة ١١,٣٪ في غضون العقد المعني بالدراسة، فإن نسبة هؤلاء الطلاب من مجموع طلاب لبنان المتسبين إلى المرحلتين المتوسطة والثانوية، الموازيتين عموماً لمستويات الإعداد المتاحة في التعليم المهني والتكنولوجي (باستثناء شهادة الامتياز الفني)، تراجعت من حوالي ٢٠٪ إلى حوالي ١٥٪ في الفترة نفسها. (أنظر الجدول رقم ٢١). وإذا أخذنا في الحسبان نسبة طلاب شهادة الامتياز الفني التي توازي الحلقة الجامعية الأولى (٢٢٪ من المجموع)، والتي تعد الأطر التقنية الوسطى، يمكن التقدير أن التعليم المهني والتكنولوجي في لبنان يستوعب زهاء ١٧٪ أو ١٨٪ من الطلاب الذين ينتمون إلى الفئة العمرية ١١

- ٢٠. وهذه النسبة تصل إلى الضعف أو أكثر في بعض الدول العربية. مما يعني أن هذا النوع من التعليم بحاجة إلى مزيد من الاهتمام في لبنان، عبر زيادة طاقته الاستيعابية.

جدول رقم ٢١

تطور حصة التعليم المهني والتقني من مجموع طلاب لبنان المتسبيين إلى المرحلتين المتوسطة والثانوية ١٩٩٣/٩٢ - ١٩٨٣/٨٢

١٩٩٣ - ٩٢	١٩٨٣ - ٨٢	
١٨٥٤٨٦	١١٣٧١٢	١ - المرحلة المتوسطة (تعليم عام)
٦٥٤٧٥	٤٦٧١٠	٢ - المرحلة الثانوية (تعليم عام)
٤٤٢٢٠	٢٩٧٣٢	٣ - التعليم المهني والتقني
٢٩٥١٨١	٢٠٠١٥٤	٤ - المجموع
%١٤,٩٨	%١٩,٨٥	حصة ٣ من ٤ (%)

ثانياً: إن التعليم المهني والتقني ما زال يتصف بشدة الترکز الجغرافي في بيروت وضواحيها على حساب المناطق الأخرى. وفي حين بدأ القطاع الخاص يسير في اتجاه مزيد من الانتشار في المحافظات، ما يزال القطاع الرسمي يزداد ترکزاً، فلا يأخذ في الاعتبار حاجات المناطق الطرفية وضرورة ربط الإعداد بمتطلبات هذه المناطق الانمائية (تأمين اليد العاملة المحلية اللازمة لتطوير مختلف قطاعات النشاط القابلة للنمو).

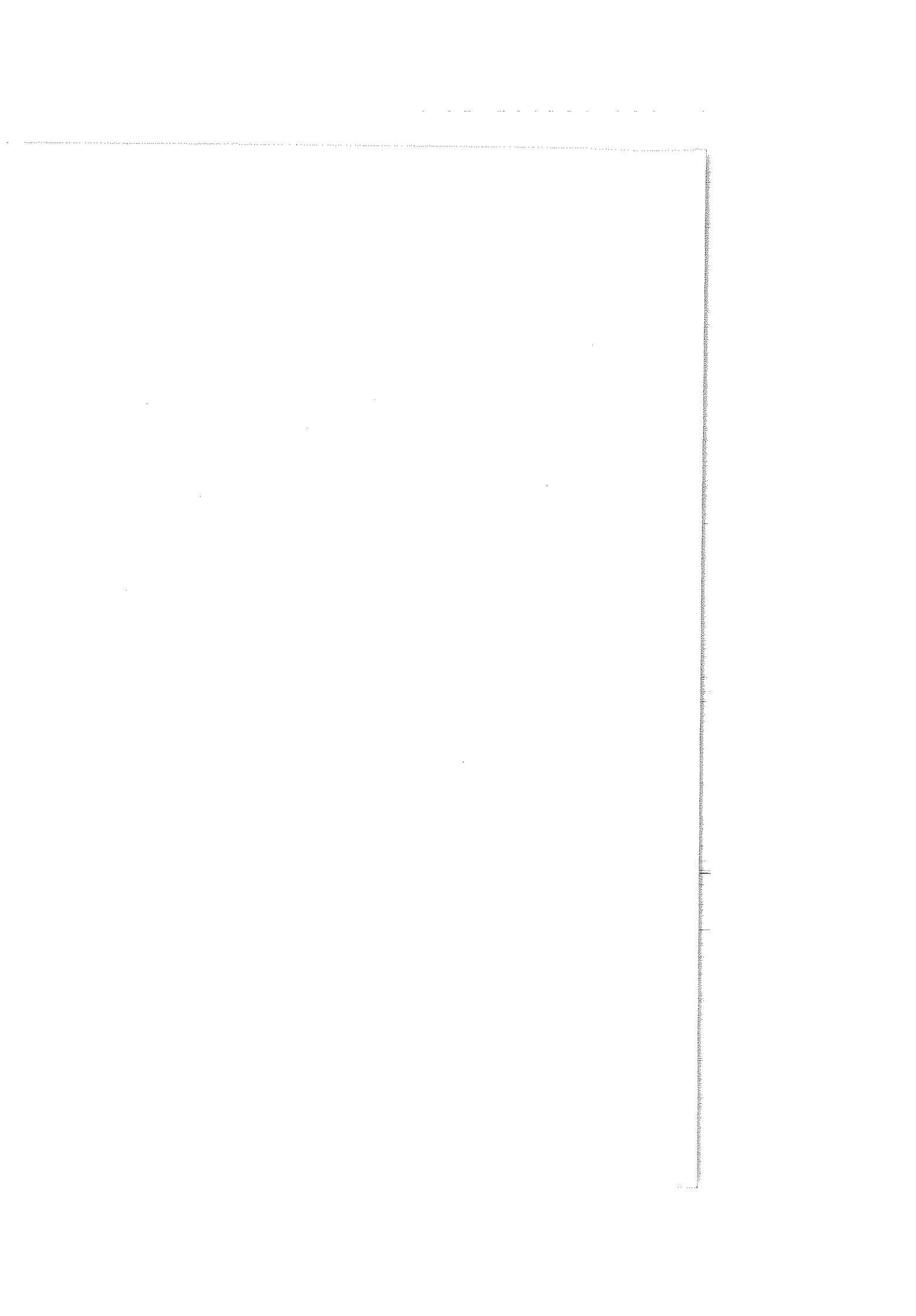
ثالثاً: ليس ثمة هدر في الإنفاق الرسمي على التعليم المهني والتقني، كما هي الحال في التعليم العام. ذلك أن ١٣٪ من مؤسسات التعليم المهني والتقني الرسمية تعدد ٢٠٪ من طلاب هذا التعليم، وأن متوسط عدد الطلاب للمعلم الواحد هو، في القطاع الرسمي، أقل كلفة منه في القطاع الخاص (على التوالي ٦,٨٩ و٥,٣٣). ولكن، في الوقت نفسه، هناك نقص في عدد معلمي القطاع الرسمي يقابله مزيد من الإقبال على مؤسسات هذا القطاع، الأمر الذي يفرض تفعيل المعهد التربوي التقني الذي يتولى إعداد أساتذة التعليم التقني.

رابعاً: ما يزال القطاع الخاص هو الذي يتحمل العبء الأكبر في إعداد طلاب التعليم المهني والتقني (٨٠٪ من الطلاب، ٨٧٪ من المؤسسات و٧٤٪ من الهيئة التعليمية

والإدارية في ٩٢ - ١٩٩٣). ولما كان من واجب الدولة تأمين تكافؤ الفرص التعليمية في مختلف أنواع التعليم ومستوياته، فمن الواضح أن ثمة جهداً كبيراً يقتضي بذلك في هذا المجال. على أن تخصص وزارة التعليم المهني والتكنولوجي بنسبة ٥٪ من مجموع موازنة الدولة العامة^(٨)، لسنة ١٩٩٤، يجيز لنا التساؤل عن إمكان قيام القطاع العام بدور أكثر فاعليةً في هذا القطاع الحيوي من التعليم.

خامساً: إن تنمية التعليم المهني والتكنولوجي تستلزم الشروع، بأقرب وقت، في تنفيذ سياسة خاصة بهذا التعليم تتناول المبانى المدرسية وتجهيزاتها وإعداد المعلمين، وتحسين الاداء الإداري، وتطوير المناهج، وضبط الفوضى في الإعداد ومنح الإفادات المدرسية من المؤسسات الخاصة غير الملزمة بالمناهج الرسمية، وإعادة النظر في السلسل التعليمي ومستوى الشهادات، وزيادة التفاعل والترابط بين التعليم الأكاديمي العام والتعليم المهني والتكنولوجي، من جهة، وبين هذا الأخير وسوق العمل المحلية والإقليمية، من جهة أخرى.

(٨) مرجع الهامش رقم (٥).



الوظيفة التربوية لأدب الأطفال

د. فادية حطيط (*)

يعتبر أدب الأطفال من أحدث الفنون الأدبية^(١)، وهو جزء من الأدب العام، غير أن له مقاييس جمالية خاصة. ويختلف الباحثون في تقديم تعريف واحد لهذا الأدب. فمنهم من يشدد على مضمونه الفني، ومنهم من يشدد على مضمونه التربوي.

أما أبرز النقاط التي تشتهر في تعاريفات أدب الأطفال^(٢) فهي:

- أدب الأطفال هو خبرة لغوية.

- أدب الأطفال هو خبرة فنية.

- أدب الأطفال هو خبرة ممتعة وسارة.

- أدب الأطفال هو خبرة حياتية / تعليم في الحياة.

- أدب الأطفال هو خبرة شخصية / مساعدة على النمو المتكامل.

ويمكن أن نوجز هذه النقاط بالتعريف التالي^(٣): أدب الأطفال خبرة لغوية لها شكل فني، يصوغ قضايا الحياة للأطفال بشكل ممتع وسار، وينمى فيهم الاحساس بالقيم الإنسانية من خير وجمال، ويطلق العنان لخيالهم وطاقاتهم الابداعية.

من هذا التعريف يمكن استخلاص بعض الأهداف التي يسعى إليها أدب الأطفال وهي^(٤):

(*) أستاذة في كلية التربية - الجامعة اللبنانية.

(١) الهيتي، هادي نعمان: «أدب الأطفال، فلسفته، فنونه، وسائله»، الجمهورية العراقية، وزارة الأعلام، ١٩٧٧.

(٢) قناوي هدى: «أدب الأطفال»، مركز التنمية البشرية، القاهرة ١٩٩٠، ص ٩.

(٣) الحديدي علي: «في أدب الأطفال»، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٩٠، ص ١٠٠.

(٤) قناوي هدى: المرجع المذكور، ص ٢٢.

- هدف ترويحي وترفيهي (المتعة والسرور).
- هدف فني (تذوق الجمال واطلاق الطاقات الابداعية والخيالية).
- هدف ثقافي (طرح قضايا الحياة والقيم الانسانية).
- هدف نمائي (تأمين نمو متكامل للطفل).

اذن يسعى أدب الأطفال الى الكثير مما تسعى اليه المدرسة، وان كانا لا يوليان الأهمية ذاتها للأهداف ذاتها. فالهدف الترفيهي والهدف الفني يأتيان في مقدمة أولويات أدب الأطفال، بينما يأتي الهدف الثقافي والنمائي في مقدمة أولويات المدرسة.

وتشكل الأهداف النمائية حقلًا مشتركاً مميزاً. وهي تعني من الناحية النفسية، السعي الى تكيف الطفل ونضوجه، خصوصاً من النواحي: العاطفية / الانفعالية، الاجتماعية / الخلقية، والذهنية / اللغوية.

وسنحاول في ما يلي أن نفصل شكل التبادل الذي يتم في هذا الحقل المشترك ما بين المدرسة وأدب الأطفال، منطلاقين من المطلب الأول والاستجابات التي يقدمها هذا الأخير.

١ - المطلب الأول للمدرسة: طفل متكييف

لكي يستطيع أن يتعلم، ينبغي أن يكون الطفل على درجة معينة من الاستعداد اللازم لذلك. هذا الاستعداد تؤمنه عادة عائلة على درجة كافية من التوافق والتوازن، تقدم درجة كافية من الحب للطفل ودرجة كافية من الاثارة والتحفيز، وتترك له درجة كافية من المبادرة للتعلم.

هذا كلام عام يترجم في وقتنا الحالي بسلوكيات والدية معينة منها: التخطيط لانجاح طفل، الاهتمام به ورعايته مباشرة من قبل الأم والأب، تأمين وسائل الراحة (سرير وضاءة مناسبة وشروط تدفئة... الخ) وتأمين وسائل اللهو واللعب المناسبة... الخ. وتأتي وسائل أدب الأطفال، وتعني بها أغاني الأطفال والحكايات والقصص والمجلات الخاصة بهم، من ضمن هذه السلوكيات.

كيف يساعد أدب الأطفال في تكييفهم

يلعب أدب الأطفال دوراً هاماً في تربية الطفل ونموه. وليس أدلّ على ذلك أن كل المجتمعات، قدّيمها وحديثها، تمتلك مثل هذا النوع من الأدب. فهدّهدة الأم وترنيمها الأغاني ليغفو طفلها الرضيع، تضع الطفل في فضاء من الحنون والحنان وتقيمه ما بين الأم وطفلها صلة تتسلل الكلمات لتشيد مملكة من السحر والهباء. تغني الأم لطفلها فتحكى له في ما تغنى به وأمانيهها، ويشوب أغانياتها شيء

من الخوف والحزن مخلوط بالرجاء (قولوا لامي، قولوا لببي، خطفوني الغر من تحت خيمة مجده) والكثير من الرغبة بمساعدته في دربه (يللا ينام، لاذبطو طير الحمام...) مع شيء من الفرح (روح يا حمام لا تصدق، عم بضحك ع.. تينام).

حين تغنى الأم تعلن لطفلها أن قلبها والعالم مفتوحان له، وان الحزن والخوف والرجاء والرغبة والفرح ثمار تنفس مع نضوجه وتنتظره على مفارق دربه الطويل.

ثم تروي له الحكايات التي تروي الحياة. علاء الدين يجد مصباحاً ويتحقق أحالمه، وسندريللا الجميلة المضطهدة ستلتقي بالساحرة وتحقق أمنياتها، والأميرة النائمة ستستيقظ مع قبلة الأمير الجميل، وبياض الثلج ستتغلب على شر الخالة، وليلي لا بد أن تلتقي الذئب اذا أرادت أن تسير في الغابة.

حكايات وقصص كثيرة تدور كلها حول المشكلات الحياتية الكبرى وتطرح المأزمن النفسية المرتبطة بنمو الطفل (الخيبات الترجسية، المأزمن الأوديبية، المنافسة الأخوية، تبعية الطفولة، الواجبات الأخلاقية، تأكيد الذات)^(٥). وتنقل رسالة واحدة بألف طريقة مختلفة، وهي أن الصراع ضد صعوبات الحياة الخطيرة هو حتمي وجزء لا يتجزأ من الوجود الإنساني^(٦). لذلك لا تخلو حكايات الأطفال عادة من الشر ومن الشخصيات الشريرة التي تنهزم في النهاية دائماً.

تعامل الحكايات بجدية بالغة مع قلق الأطفال ومأزمنهم الوجودية: الحاجة للحب، تأكيد الذات، حب الحياة والخوف من الموت، وتضع لهم حلولاً يمكنهم استيعابها حسب مستوى فكريهم. أما نهاية الحكايات المعتادة: «وعاشا بسبات وخلفاً صبياناً وبنات»، فتطرح قلق الموت وقلق الانفصال، وتعلن أنه لا يمكن التخلص منها إلا باتحاد شخصين، وتتضمن دعوة إلى الطفل بأن لا يبقى متعلقاً بذيل أمه^(٧).

تشتغل الحكايات على الإواليات النفسية الرئيسية: الاسقاط projection والتماهي identification، لذلك تكون الشخصيات في هذه الحكايات بدون أسماء علم، إنها: الملك، الفقير، الساحرة، الأم، الأب، الأمير، الجنية، لكي يتسمى للطفل أن يتماهى معها، فيعيش مخاوف البطل ومآزمه النفسية ويتوصل معه إلى الحلول. فكأنما الصيرورات النفسية الداخلية للطفل قد خرجت إلى النور مع البطل، وصارت أقرب إلى وعيه. لذلك نرى عالم الحكايات يكون عادة غير واقعي بل

BETTE LHEIM, B; «Psychanalyse des contes de fées», Paris, Ed Laffont 1976, P. 21. (٥)

(٦) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٧) المرجع نفسه، ص ٦٧.

سحري وخيالي، لأن هدفها ليس اعطاء معلومات عن الواقع اليومية بقدر طرح وقائع الحياة الداخلية.

أما الأدوات التي تعمل بها هذه الحكايات، فهي الخيال والهومات والسر والرموز، أي تماماً أدوات اللاوعي. أنها تجسد لغة اللاوعي بحوادث وشخصيات حية، فتساعد الطفل على مواجهة هذا اللاوعي وتحفيظ ضغط المكتوب فيه.

لنأخذ مثلاً على ذلك قصة «ذات الشعر الذهبي والدببة الثلاثة»، فهي تثير مأزם الغيرة الأخوية والميول النكوصية التي ترافقه والنوايا العدوانية تجاه الأخ الصغير. لذلك يقبل الأطفال على قراءتها عدداً لا متناهياً من المرات. وهم، في كل مرة، يستغلون مأزם الانفصال والغيرة الأخوية وصولاً إلى تصفيته والولوج إلى مرحلة الاستقلال والاعتماد على النفس، أي الكبر.^(٨)

أما قصة «الأميرة والضفدع»، فتثير مسألة الترجسية الطفالية، واحتمالية الامتثال للواقع، والتضحيّة بمتعة الإنغلاق على الذات للعبور إلى العلاقات الغيرية، والانفتاح على الآخر كشرط لفتح آفاق الكبر والمستقبل على شكل ثنائي ملكي سعيد.^(٩) وتطرح قصص «ليلي والذئب» و«سندريللا» و«الجميلة النائمة» و«بياض الثلج»، المسألة الأوديبية بشكل خاص.^(١٠)

ويورد «بتلهايم» عدداً من النماذج في الحكايات الساحرة للأطفال، من قبيل الساحرة الطيبة التي تمثل الرغبات، والساحرة الشريرة التي تمثل النزوات التدميرية، والذئب المفترس الذي يمثل المخاوف، والشيخ الحكيم الذي يمثل متطلبات الضمير، والحيوان الذي يفقأ أعين منافسيه ويمثل مشاعر الغيرة... الخ. وحين يعيش الطفل مع هذه الشخصيات، فإنه يضع نظاماً لميوله المتناقضة ويستطيع أن يخفّف من مشاعر الذنب والقلق.

إن الغوص في عالم الحكايات مثير وممتع، ولكن نكتفي بملاحظة أن الشغل الأساسي لهذه الحكايات هو نمو الطفل وتكيفه. أنها «رسالة موجهة إلى وهي الطفل ولا وعيه، تتوجه أولاً إلى أنا الطفل، وتسهل نموه من خلال تحفيظ حدة الصيرورات النفسية اللاوعية»، على حد تعبير بتلهايم^(١١)، وهي كلها تقوم بوصف سيرورة نفسية واحدة وحيدة هي اكتساب الذات، مثلاً يرى يونغ^(١٢). أو

(٨) حجازي مصطفى، «ثقافة الطفل العربي بين التغريب والأصلية»، الرباط، المجلس القومي للثقافة العربية، ١٩٩٠، ص ٢٠٤.

(٩) المرجع نفسه، ص ٢٠٧.

(١٠) انظر بتلهايم، المرجع المذكور، ١٧٥ - ١٨٢.

(١١) المرجع نفسه، ص ١٩.

SIMONSEN M; «Le conte populaire français», Paris, P.U.F., 1981, P. 89.

(١٢)

هي، بتعبير أشمل، «تأهيل وتحث على الكينونة الإنسانية»^(١٣).

٢ - المطلب الثاني للمدرسة: النضوج العاطفي / الانفعالي

في استجابة أدب الأطفال لهذا المطلب، عناصر مشتركة عديدة مع استجابته للمطلب الأول. ذلك فإن تكيف الطفل يعني، في ما يعنده، النضوج العاطفي والانفعالي.

ان الانفعالات هي اللغة الأولى للطفل. فهو قبل أن يصوغ كلماته، يبكي، يضحك، يغضب، يحزن، يفرح، يتودد... الى ما هنالك من تعابير انفعالية تشكل صلة الوصل ما بين الطفل والآخر.

فالانفعالات تجسد للعاطفة، على حد تعبير «فالون»، مميزتها الأساسية أنها متناقضة مع التمثيل *représentation*, أي مع النشاط الذهني *intellectuel*, غير أنها تشكل قاعدة له. من الانفعالي إلى الذهني، هذا هو المسار الطبيعي للنمو. مع ملاحظة أن الانفعالي لا يخسر في لعبة النمو كل أوراقه، بل قد نراه يتغلب في أحياناً كثيرة.

وكتيراً ما خاض الأدب عموماً وأدب الأطفال خصوصاً هذه المعركة لصالح الانفعالات والعواطف. فالطفل لا يحتمل كثيراً العمليات الذهنية عند الكبار. لذلك نشهد غلبة اللاإلceği والسلجي في اهتماماته. فالصغير لن يخسر حتى وإن تضافرت عليه كل القوى. هذه معادلة عاطفية وليس ذهنية، غير أنها المعادلة المقبولة والمنشودة من قبل الأطفال، لذلك تتبنّاها قصصهم وحكاياتهم.

ولا شك أن الخيال هو المعين الأول للعواطف. لذلك يترك له أدب الأطفال المساحة الكبرى. أنه يشتغل عليه، ويصقله، ويقدمه سلحاً في أيدي الأطفال يدافعون به عن ذواتهم الضعيفة. نراهم «يندفعون إلى الخيال استمتعان بحياتهم، وتعبرياً عن انفعالاتهم وقدراتهم العقلية، وأشباعاً لرغباتهم المكبوتة، من خلال تخيل عالم آخر غير الذي يفرضه عليهم الكبار»^(١٤). ويشكل الخيال «قطب التوعيّض في حياة الطفل، ووسيلة لاستعادة التوازن»^(١٥). لذلك ينبغي تشجيع الخيال عند الطفل وافتتاح المجال واسعاً أمامه، لأن تقييده هو كمنع الحلم بما يبقى الطفل في وضعية عدم توازن القوى بينه وبين المحيط ولغير مصلحته. وإذا ازدادت

LOISEAU, S; «Les pouvoirs du conte», Paris, P.U.F. 1992, P. 19. (١٣)

الهيتي هادي نعمان؛ «ثقافة الأطفال»، مجلة عالم المعرفة، العدد ١٢٢ الكويت، ١٩٨٨، ص ٨١. (١٤)

حجازي، المرجع المذكور، ص ١٦٢. (١٥)

ضغوط الواقع هكذا بدون تعويض واقعي أو حتى خيالي، رزح الطفل تحت الاحباط وأصيب تكوينه الذهني بالتصلب والقطيعة، مما يحرمه تلك المرونة الهامة جداً للتكيف سلوكاً وعلاقات وموافق^(١٦).

والخيال ضرورة لابداع. أليست اختراعات البشرية في الأصل ضرورياً من الخيال؟ وخیال الأطفال مستقبل العالم، لذلك انبرى عدد من الباحثين يدعون إلى عدم تزييف خيال الصغار، وتحويله إلى الاشارة من خلال تأثير الإعلانات وحلقات الاذاعة والتلفزيون ومغامرات السوبرمان^(١٧)، ورأى بعضهم ضرورة التمييز بين الخيال المبتكر الذي يعمل فيه ذهن الطفل ويبتكر حلولاً للمشاكل التي تواجهه، والخيال السلبي الانكالي الذي يجعل الطفل يعتمد على قوة خارقة لتحمل له مشاكله بشكل مطلق^(١٨).

ولكن ما هم تقسيم الخيال وأضفاء قيمة عليه. انه من ضروب الكبار. أما الطفل فإنه بالخيال يتمكن من عيش الحياة. يشبك ما بين الفكرة والواقعة، ما بين الرغبة وال الحاجة، ما بين الخوف والتجربة، وبه «يملا الفراغ بين الحقيقة والوهم»^(١٩).

ان أدب الأطفال يعتمد أساساً على الخيال فيفتح له الباب على مصراعيه، ويبتدئ بزمن غير محدد، لا نهائي في قدمه «كان يا مكان في قديم الزمان...»، ويقدم خيالات الأطفال مشخصة على مسرح يختزل العالم. وانتهاء القصة هو انتهاء فسحة الخيال «توتي توتي خلصت الحدوة». فلا يتعرض الطفل الذي يعيش القصة الخرافية إلى القلق لأنه غير متورط مباشرة. فليس الأمر إلا قصة خيالية، أو مسرحية لا علاقة لها بالواقع الفعلي.

وإغناء مخيلة الأطفال هو أمر مطلوب على الصعيد النفسي والتربيوي. ويفترض عند الكتابة للأطفال، مراعاة مدى حاجتهم إلى الخيال وطبعيته. فالأطفال من عمر ثلاث إلى خمس سنوات، يتميزون بخيال متدفع ولكنه خيال محكوم بالبيئة. يحولون العصا إلى سيارة، والكرسي إلى منزل، غير أنهم لا يخترعون شيئاً جديداً. أما الأطفال ما بين الست والثماني سنوات، فإنهم يتميزون بخيال جامح، يخترعون الشخصيات الوهمية ويتماهون بها، الساحرات والغيلان والأميرات والحوريات والوحوش كلها تعيش في عالمهم. ويميل من هم بين الثماني والاثنتي عشر سنة إلى التنافس والمغامرة والمعرفة: الصبيان منهم يقرأون قصص الأبطال الشجعان، وتميل البنات إلى النماذج الاجتماعية ليتعلمن منها السلوكيات الجديدة.

(١٦) المرجع نفسه، ص ١٦٢.

(١٧) الحديدي: المرجع المذكور، ص ١٤٢.

(١٨) قناوي: المرجع المذكور، ص ١٣.

(١٩) جعفر، عبد الرزاق: «اسطورة الأطفال الشعراء»؛ بيروت، دار الجيل ١٩٩٢، ص ٢٢.

يزداد وعيهم وحاجتهم إلى التفسير: نشوء الكون والكواكب الفضائية والظواهر الطبيعية. إذا يميل خيالهم إلى الانحسار مفسحاً المجال أمام الاهتمامات الواقعية. أما في مرحلة المراهقة (بين ١٢ - ١٦ سنة)، فيعاود الخيال الانطلاق. ويميل المراهقون إلى المثاليات والأفكار الكبرى المجردة والقضايا الإنسانية، وخصوصاً إلى القصص الفرامية يشعرون من خلالها رغبات جنسية تقض مضاجعهم.

المطلب الثالث: النضوج الاجتماعي والأخلي

من المفترض أن يأتي الطفل إلى المدرسة وقد تكون لديه نوع من الحس الاجتماعي والأخلي يجعله قادراً على التواصل مع الآخر من رفاق وملئين، وأن يضبط سلوكه وفقاً لقواعد المرعية.

هذا يعني أن على الطفل أن يتجاوز رغباته أو يؤجل تحقيقها إذا ما تعارضت مع متطلبات الواقع الذي يحيا فيه. وهو ما يُتعارف عليه في التحليل النفسي بأنه انتقال من مبدأ اللذة إلى مبدأ الواقع.

وتقوم الأسرة، وكل المؤسسات الاجتماعية لاحقاً (مدرسة، مؤسسات دينية...) بتأمين هذا الانتقال عبر وسائل متعددة، في ما يُسمى بعملية التنشئة الاجتماعية Socialisation، أي نقل ثقافة المجتمع إلى الطفل وجعله يمتثلها، وصولاً إلى ترسيخ انتمائه إليها واكتسابه ما يُسمى بالهوية الاجتماعية^(٢٠).

ونظراً للتعدد وتشعب وتدخل الأبعاد والمستويات والمراحل في هذه العملية، تستعين المؤسسات الاجتماعية بعناصر اجتماعية أخرى يكون فعلها غير مباشر، مثل الوسائل الإعلامية (خصوصاً التلفزيون) ووسائل أدب الأطفال (من قصص وحكايات خرافية وشرائط مصورة وموسوعات علمية ومسرح وأغانٍ... الخ) ووسائل أخرى مثل الفنون والألعاب وما شاكلها.

وإذا كان أدب الأطفال يقوم بتدعم دور الأسرة والمدرسة في التنشئة الاجتماعية أو في القولبة الثقافية، غير أن دوره يتسلل الإمتاع أكثر من التوجيه المباشر. لذلك يُقبل عليه الأطفال ويطلبونه، فيتعاظم دوره بسبب قدرته هذه على التغلغل في نفوسهم والتأثير في توجهاتهم. ويعودي ذلك، بشكل غير مباشر، إلى إكساب الأطفال القيم والاتجاهات واللغة وعناصر الثقافة الأخرى، ويسهم في انتقال جزء من الثقافة إلى الأطفال^(٢١)، وذلك عبر تقديم نماذج سلوكية ومثل عليا وقيم في قوالب مثيرة أو نافرة، ايجابية أو سلبية، بحيث يجد الطفل نفسه مدفوعاً إلى تقليدها أو الابتعاد عنها تبعاً لما تقوله القصة.

(٢٠) حجازي، المرجع المذكور، ص ٣٦.

(٢١) الهبيتي، «ثقافة الأطفال»، المرجع المذكور، ص ٧٤.

من هنا تزداد أهمية إوالية التماهي Identification في الكتابات الموجهة للأطفال. فالطفل، في سنوات التكوينية، يميل إلى الاقتداء بسهولة نظراً ل حاجته الملحّة إلى عناصر تردد تشكيل شخصيته الخاصة.

وينادي الاختصاصيون في هذا المجال بأن تكون النماذج السلوكية المقدمة متوافقة مع القيم الاجتماعية السائدة أو على الأقل غير متعارضة معها. ويلاحظون ضرورة الانتباه لشخصية البطل لأنها قطب الجذب والتماهي. فيجب أن يكون البطل إنساناً خيراً وشجاعاً يقاوم الشر وينتصر عليه. وانتصار البطل هنا ليس قيمة سلوكية، إنما إوالية نفسية من شأنها مساندة الطفل الصغير وتقوية عزمه على تحفيزي صعوبات الحياة.

غنى عن البيان أنن أن الجانب الأخلاقي يشغل حيّزاً كبيراً في أدب الأطفال: تأثيره ضمني، وإنما شديد الفعالية لأنّه يستجيب مباشرةً لضرورات التطور الخلقي عند الأطفال. فالطفل يبدأ عادةً بادماج وعدم تمييز بين القيمة، من جهة، وبين حامل هذه القيمة وناقلها من جهة أخرى (وهذا ما يترجم بأنّ ما يقوله الأهل أو المعلم هو الصواب في أعين الأولاد). ويستمر ذلك حتى العاشرة من عمرهم. بعد ذلك، يتقدم الحكم الشخصي لديهم، فتكتف القيمة عن الالتصاق بحامليها، لتأخذ مادة وجوداً خاصين يسمحان لها بالبقاء حتى بعد أن يصغر شأن حامليها.

ان التطور الأخلاقي يتطلب ليسير في الطريق الصحيح، قدوة يرتكز عليها. وتشكل النماذج العائلية، في البدء، الأساس الذي يقوم عليه هذا التطور، ثم تأتي النماذج الثقافية الأخرى، ومنها تلك المقدمة في أدب الأطفال لتشكل رديفاً داعماً للعائلة والمدرسة في هذا المجال.

المطلب الرابع: نضوج ذهني ولغوی مناسب

ان النجاح في المدرسة، يتطلب، أول ما يتطلب، وجود انسجام ما بين أهلية التلميذ ومستلزمات المدرسة. وأول بوادر هذا الانسجام هو التفاهم الذي يفترض طرفيين: طفل يفهم لغة المدرسة ومدرسة تفهم لغة الطفل.

ويرى الباحثون أن اللغة هي من العناصر التي لها علاقة أساسية بالانتماء الاجتماعي والثقافي، وهي تتعكس مباشرةً على التحصيل الدراسي. فال الأولاد يأتون إلى المدرسة مزودين بحصيلة ثقافية لغوية متفاوتة. وتبعد المدرسة أكثر مناسبة لابناء الفئات المتعلمة منها، لأنهم يملكون مقدرة لغوية كبيرة نسبياً تهيئهم للتأقلم مع المدرسة بسهولة.

ومما لا شك فيه أن لأدب الأطفال دوراً كبيراً يلعبه في هذا المجال. وستقف

بشيء من التفصيل عند هذا الدور، نظراً لارتباطه المباشر بمسألة التعليم عموماً وتعليم اللغة خصوصاً.

إن الطفل الذي يتعود منذ صغره على التعامل مع الكتاب، النظر فيه وتقليل صفحاته وملاحظة رسومه وربطها بالكلمات المطبوعة، تتهيأ له عناصر أساسية لتعلم القراءة والكتابة. فحين يعلم الأهل أولادهم أن كلمة «سيارة» التي يلفظونها تشير إلى الصورة الموجودة أمامهم على صفحة الكتاب، فإنهم يربطون بشكل عفوي، بين الكلمة المنطقية والكلمة المكتوبة. فيتعلم الطفل تدريجياً أن المكتوب يتطابق مع المحتوى، وهو أمر شديد الأهمية يرى علماء النفس واللغويون أنه من أشد الأمور صعوبة على فهم الطفل. ويلاحظ العاملون في ميدان التعليم أن بعض الأطفال يأتون إلى المدرسة وليس لديهم أي فكرة عن موضوع القراءة، وربما لم يروا كلمات أو لم يسمعوا بها. وهناك بعض آخر من الأطفال يكونون قد سمعوا بهذه الكلمات ولكنهم لا يعرفونها كما هي مكتوبة في كتب القراءة^(٢٢).

هذا الكلام يشير إلى مستويين في المعالجة، إلى نقص المخزون اللغوي، من جهة، وإلى القصور عن ربط الكلام المحكي بالكلام المفروء من جهة أخرى.

وتأتي رواية القصص للأطفال أو انشاد الأغاني لهم ومحاورتهم والتحدث معهم واستعمال اللغة بشكل دائم شرحاً وتفصيلاً، لتسد النقص الحاصل في المخزون اللغوي ولتزيد الاحساس بالكلمة المنطقية. فمن المعروف أن الاستماع إلى تتبع الأصوات داخل الكلمة وتتابع الكلمات داخل الجملة الواحدة، ينميان عند الطفل القدرة على فهم بناء الكلمة وبناء الجملة^(٢٣).

وفي العادة، يجري التحدث بعفوية مع الأطفال، وينساب الكلام وأحداث معينة أو راوياً لها، بحيث يدخل الطفل إلى اللغة غير واع لكونها نظاماً مستقلاً عن الأحداث. وتورد مارغريت دونالدسون^(٢٤) أن الأطفال لا يفهمون في أكثر الأحيان ما الذي يفعله آباؤهم حين يحدقون في جريدة، أو كيف يتوصل ساعي البريد إلى إيصال رسالة معينة، أو كيف تعرف والدتهم أي باص تأخذ للذهاب إلى مكان معين. يحدث هذا في بلد أجنبي يستعمل نظام الرموز والإشارات في جميع تفاصيل حياته اليومية تقريباً، ويأخذ الكلام المطبوع أكثر من ٧٠٪ من المعلومات المتداولة فيه. فكيف الأمر في مجتمعنا حيث ما زلنا نستدل على عنوان ما من قربة لشجرة أو بعده عن منعطف، وحيث الوسائل الإعلامية المطبوعة قليلة

(٢٢) أبو معال عبد الفتاح، «تنمية الاستعداد اللغوي عند الأطفال»؛ عمان، دار الشروق، ١٩٨٨، ص ٢٠.

(٢٣) المرجع نفسه، ص ١٢٥.

(٢٤) دونالدسون مارغريت، «عقول الأطفال» ترجمة عدنان الأحمد؛ دمشق دار معن، ١٩٩١، ص ١٦٠.

العدد نظراً لقلة عدد قرائتها، وحيث يُقبل الناس على المسلسلات الأجنبية ان كانت مدبلجة أكثر مما يقبلون عليها مترجمة طباعة، مما يوحي بأن القراءة ما زالت تتطلب بذل الجهد ولم تبلغ حد العادة الآلية؟ وإن دل هذا على شيء فعلى أن وظيفة القراءة ما زالت ضعيفة من الناحية الموضوعية، وبالتالي فإن تعلم اللغة المكتوبة يحتاج إلى جهد مضاعف.

ولا شك في أن وعي أهمية اللغة، يزداد مع ازدياد التعلم. وما يميز المتعلمين عن غيرهم أكثر قدرة على الإدراك العقلي للغة، أي أنهم أقدر على فصل اللغة عن السياق الذي تشير إليه والتعامل معها مباشرة بوصفها نظام رموز يتضمن عمليات فكرية. ونشرير في هذا السياق إلى أهمية الألعاب القائمة على فكرة تركيب الحروف وتتأليف الكلمات، مثل المكعبات ذات الأحرف (اللعبة سكريبل مثلاً) التي تنطلق من فكرة الفصل هذه، وتساعد وبالتالي على التفكير باللغة وتركيبها والانتباه إلى كيفية صياغتها، أو بالأحرى صناعتها.

وفي العادة، حين يتكلم الأنساس المتعلمون، تكون لغتهم مصقوله وجملهم أكثر تماساً ودقة وتفصيلاً. وحين يتحادثون مع أطفالهم، يساعدونهم على فهم اللغة وصوغ مفاهيمها بحيث يصير هؤلاء أكثر انتباهاً للغة المنطقية، مما يساعدهم ليس فقط على استخدام الكلام بفعالية أكثر وإنما أيضاً على ملاحظة أن الكلام الذي ينطقون به إنما يتالف من جمل وحروف وأسماء وأفعال. ولهذه الملاحظة أهميتها العظيمة إذ أن هؤلاء الأطفال سيتعاملون مع مجموعة من الرموز على الورق تتفق مع اللغة المنطقية^(٢٥).

ان الانتباه إلى هذا التوافق - تقول دونالدسون^(٢٦) - يجب ألا يعد أبداً أمراً بديهياً. فمن الهام قبل كل شيء، أن نتأكد من أن الطفل يفهم أن الاشارات المكتوبة على الورقة إنما هي نسخة مكتوبة من الكلام المحكي. ومن الهام بعد ذلك أن نساعد على تمييز الوظائف والفوائد لهذه النسخة المكتوبة، سواء في التذكر أو في التواصل مع الآخرين. فإذا تم الانتباه لهذه الاستعدادات الأولية والاهتمام بها بشكل جيد، فسيرى الطفل معنى القراءة والهدف منها، فتكف عن كونها نشاطاً ذات طبيعة غير مفهومة بالنسبة إليه.

ولا يُخفى أن إحساس الطفل باللغة وطريقته في تكوين أفكاره وصياغتها، يُعتبران خطوة في طريق نضوجه العقلي والاجتماعي. وكثيراً ما ربطت الدراسات ما بين المقدرة اللغوية وذكاء الأطفال، وأشارت إلى أن الطفل الضعيف في قدرته

(٢٥) المرجع نفسه، ص ١٦١.

(٢٦) المرجع نفسه، ص ١٦١.

اللغوية يكون ضعيفاً في نسبة الذكاء^(٢٧). وتبين دراسة «بيرت» مثلاً، أن المهارة في اللغة والتعبير والفهم ترتبط ارتباطاً عالياً بالذكاء، يليها حل المسائل الحسابية^(٢٨). لذلك ينادي الباحثون بضرورة الالكتار من المثيرات اللغوية للأطفال، وبخصوصاً في مرحلة ما قبل المدرسة. وتدلنا الدراسات التي أجرتها كل من سبيتز Spitz وبوهлер Buhler وينيكوت Winnicott، أن الحرمان من المثيرات العاطفية، وقنواتها المثيرات اللغوية، يؤدي إلى اضطراف الحصول اللغوي لدى الطفل والتي تأخره في نطق الكلمة الأولى في حدود ٤ - ٦ أشهر عند الطفل العادي وفي ما بعد تكون لغته في المدرسة محدودة وتقصر إجاباته على نعم أو لا مع البقاء على لغة الحركات (اللغة غير المقطعة)، غالباً ما يكون مقصراً في مواد القراءة والكتابة^(٢٩).

وتلخيصاً لما سبق، نشير إلى بعض الأمور المساعدة في تنمية المقدرة اللغوية عند الأطفال، وتعلق بمعظمها بأدب الأطفال، مثل تأمين الكتب الممتعة، وقراءة القصص عليهم أو حكاياتهم لهم بصوت عال، وتعوييدهم على النظر في الكتاب، ودفعهم إلى التعبير عن أنفسهم في التمثيليات والمسرحيات الخاصة بالأطفال وإنشاد الأغاني والأشعار لهم.

أما أفضل أنواع الأدب التي تستهوي الأطفال تبعاً لمستوياتهم التعليمية فهي^(٣٠)

مرحلة ما قبل الابتدائي (من ثلاثة إلى ست سنوات)

يميل الطفل فيها إلى قصص الحيوانات والطيور والحكاية الخرافية. أما وسيلة الاتصال المناسبة فهي صوتية شفوية، كالاستماع إلى القصص أو شريط مسجل أو كتاب مصور يرافقه شرح من قبل البالغ.

- **المراحل الابتدائية المبكرة (الصف الأول والثاني، من ست إلى ثمانية سنوات)**
تُعتمد فيها النصوص البسيطة المؤلفة من بعض كلمات أو عبارات صغيرة، ترافقها رسوم زاهية ومعبرة، وستنقى من قاموس الطفل اللغوي في هذا السن.

- **المراحل الابتدائية المتوسطة (الصف الثالث والرابع من ثمانية إلى عشر سنوات)**

تتميز باتساع قاموس الطفل لقصة كاملة موضحة بالرسوم، يساهم فيها النص

(٢٧) أبو معال، المرجع المذكور، ص ٣

(٢٨) الزراد فيصل محمد خير: «الخلاف الدراسي وصعوبات التعلم»؛ دمشق، ١٩٨٨، ص ٧٧.

(٢٩) المرجع نفسه، ص ٩٧.

(٣٠) أبو معال، المرجع المذكور، ص ٧٣.

بدور أساسى. ويجب أن تراعى فيها بساطة العبارات وسهولة كتابتها. ويمكن، بالطبع، إستباق الامكانات اللغوية للطفل بإضافة بعض الكلمات الجديدة، على أن تتوضع في سياق يساعد الصغير على فهمها.

- المرحلة الابتدائية المتأخرة (الصف الخامس وما يليه، ١١ سنة وما فوق)

يمكن انتصاج لغة الطفل بتعابير جديدة وأكثر صعوبة إذ يفترض به في هذه المرحلة أن يكون قد امتلك ناصية اللغة.

خلاصة: أدب الأطفال كوسيلة تعليمية

كيف يمكن الاستفادة من أدب الأطفال، قصص وحكايات وشعر وأغانٍ، في عملية التعليم وخاصةً تعليم اللغة العربية؟
في الإجابة على هذا السؤال نورد أولاً بعض الملاحظات:

يقوم فصل حاد في ذهان المربيين، ما بين أدب الأطفال والمنهج الدراسي. فال الأول هو لقضاء أوقات الفراغ والتسلية، والثاني للتعلم. وكأنما الأمر لديهم قائماً على فكرة التناقض ما بين هذين النوعين: التسلية نقية للتعلم كما الطفل نقىض للراشد. وجذبة التعليم يذهب بها لهو المتعلم. لذا يفترض، للحفاظ على الفائدة، منع اللهو وما يتصل به من وجوه الاستئناس جميعها. وقد يكون مرد هذا الاعتبار إلى التركيز على فكرة التعليم أكثر من التركيز على فكرة التعلم، مع أن هذه الأخيرة هي القضية الأساسية. ذلك أنَّ لا تعلم من دون تعلم. من هنا فإن الاجوء إلى الكتب المعتمدة في المدارس، وهي تحتوي عموماً على نصوص أخذت من كتابات لراشدين يوجهونها لأمثالهم أو لأطفال بغرض تعليمهم، يبدو مناسباً للمعلم من حيث ترتيب الأفكار والإشرح والوسائل الإيضاحية والأسئلة والتمارين. ولكن ما نشهده من صعوبات تعلم، ليس فقط على صعيد المواد واللغة الأجنبية، وإنما على صعيد تعلم اللغة العربية تحديداً، يبيّن لنا أنها أقل تناسباً مع التعلم، و يجعلنا نطرح السؤال التالي: أليس أدب الأطفال أكثر إثارة لمعنة القراءة لديهم وأكثر تحفيزاً لهم لتعلم اللغة؟

إن الفصل ما بين المؤلفات المدرسية والمؤلفات الأدبية للأطفال يفقد النوعين الكثير من فوائدهما. فإذا كان التعليم المدرسي يفقد، بتخليه عن أدب الأطفال، وسيلة غنية من شأنها أن تقرب الأطفال من تعلم اللغة، فإن طبع أدب الأطفال بالمعنة والتسلية واقتصاره عليهما يجعله في ذهان الأهل مضيعة للوقت واعاقة للأطفال عن التعلم. فإذا ما طلبت المدرسة من الأهل تشجيع الأطفال على قراءة القصص، فإن هؤلاء يلحون في طلب الكتب التي «تدبّج» رسالة تعليمية^(٢١).

وتكون النتيجة انكار متعة القراءة وحصر وظيفتها بالنجاح المدرسي، وجعل المطالعة عبئاً إضافياً على المدرسة. أما حينما تلجأ المدرسة إلى استخدام القصة كوسيلة تعليمية، فإنها تستخدمها بشكل موجه ومنظم ومبرمج، وتكون امكانية التحوير والتغيير والحذف والاضافة واسعة وخاضعة لمشيئة المدرس الوسيط الذي يتدخل بين منتج القصة «المؤلف» وجمهورها المستهلك «الأطفال»^(٢٢).

بالنظر إلى هذه الملاحظات، فإن الفائدة التعليمية لأدب الأطفال تبرز أهميتها من خلال النقاط التالية:

أولاً - اعتماد بعض قصص الأطفال المحببة لديهم من ضمن نصوص منهج تعليم القراءة، لما في ذلك من تنوع واغناء واحترام لرغبة المتعلم. ذلك أن غالبية الوصف الانشائي العاطفي الذي نلاحظه في كتب قراءة الأطفال مثل وصف الطبيعة وفصول السنة والصف وما إلى ذلك من موضوعات جافة، تبعد الأطفال عن طلب القراءة والتمتع بها. في حين أنه يمكن التعرف إلى مواضيع شبيهة في قالب محبب إلى الأطفال، مثل قصة فيها بطل وحدث وحبكة تناسب مع عمر الطفل الذي تتوجه إليه، وبذلك يقادى المعلم الطابع القسري والفوقي لعملية الوصف في اللغة.

ثانياً - إن اللغة، إضافة إلى وظيفتها الذهنية كوسيلة تفكير وتحليل، وظيفة عاطفية تتحمّر أساساً حول التواصل. ربما يفيد، من جهة، أن يقرأ الأطفال نصوصاً وظيفية مثل قراءة خبر في جريدة أو قراءة نشرة جوية أو وصفات طبخ أو قواعد بعض الألعاب الرياضية، تبعاً لمستوياتهم العمرية. وأما من جهة أخرى، فتبدو قصص الأطفال وأشعارهم الأقدر على تجسيد الجانب العاطفي للغة. ونتذكر هنا الشحنة العاطفية لعبارة «فتح يا سمسم» مثلاً التي تقع عميقاً في وجدان الأطفال والكبار! فتغدو عصا سحرية، تحقق المعجزة وتكتشف المجهول. وتبدو الكلمة هنا أكثر من أن تكون تسمية لشيء أو مرآة له: إنها إعادة خلقه، أو إعادة توظيفه وفقاً للرغبة.

ان اعتماد حكايات الأطفال في هذا الإطار، يعني أن بامكان الطفل في أثناء السيرة التعليمية قول كلمته وليس فقط الاستماع إلى كلام الآخرين. إنها طريقة لجعل الاتصال المتبادل ما بين التلميذ والمعلم يفتح العملية التعليمية على أفق الحياة.

ثالثاً - يقودنا هذا الكلام إلى المناداة بالابتعاد عن الطابع التوجيهي المباشر

(٢١) جعفر، عبد الرزاق؛ «الطفولة والكتاب»، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٢، ص ٧٧.

(٢٢) الحر، «ذكاء الطفل العربي وثقافة المجتمع»، بيروت، دار الحداثة، ١٩٨٤، ص ٤٥.

واستثارة القيم واستدعائهما لدى الأطفال، وأحياناً خلق الشروط المناسبة لاستيلادها بشكل غير مباشر، من خلال تجسيدها في أشكال محببة لأن ذلك يجعل هدف التعليم (الذي هو بطبعه توجيهي) أقرب مناً.

رابعاً - الانطلاق من واقع الطفل المعيوش وعدم فرض مثاليات قد تؤدي غرضاً مجانباً لما كانت النصوص تقتضيه. مثال على ذلك صورة الأم المثالية، المتفانية، المنهمكة... إلى ما هنالك من صفات لا تتطابق في الواقع مع الصورة الفعلية للأم التي، وإن كانت تحب وتعتنى وتهتم، لكنها، في الوقت نفسه، تعاقب وتوبخ وتوجه ولديها اهتمامات أخرى.

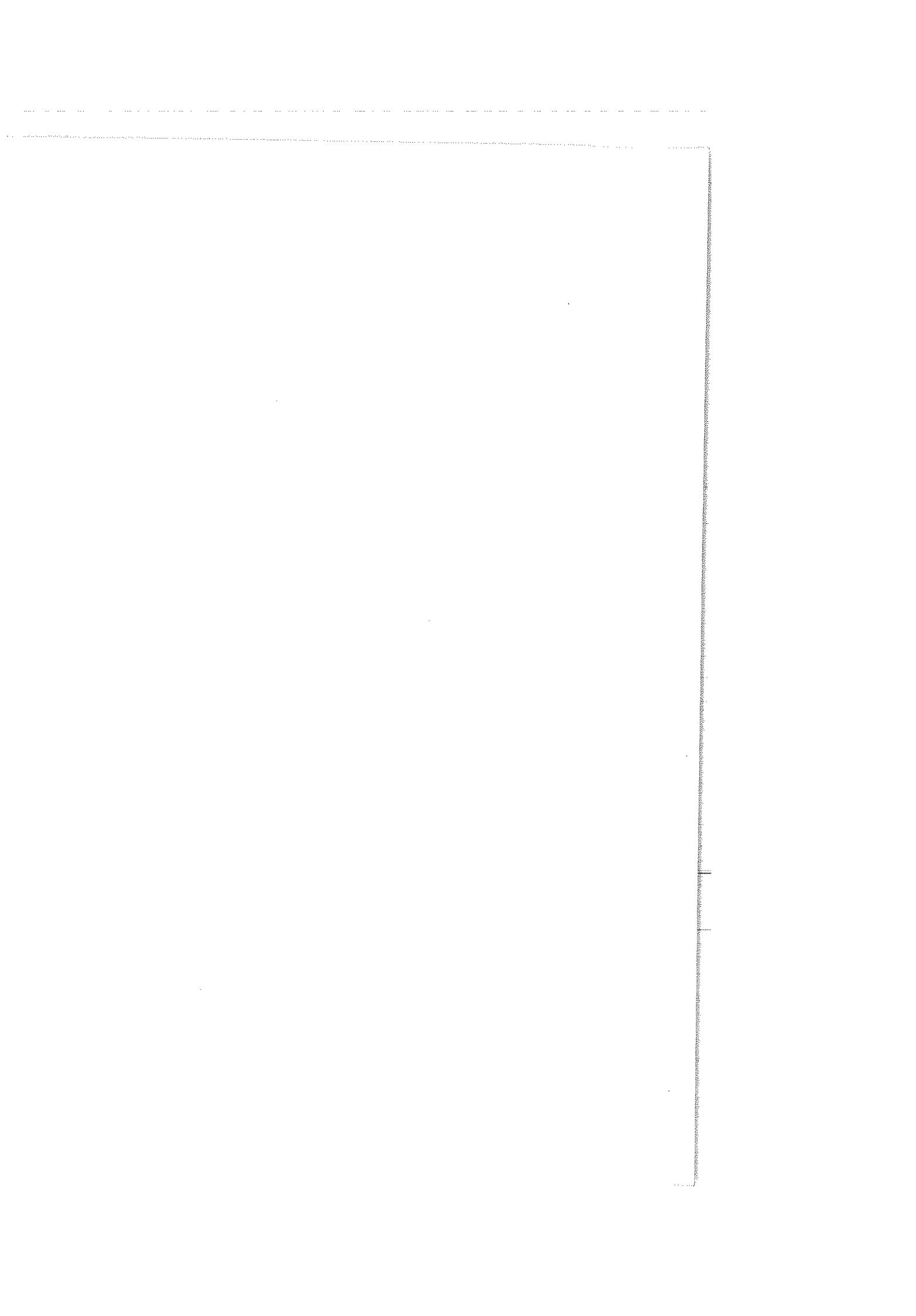
ونشير هنا إلى ضرورة إيجاد توازن ما بين النماذج الذكرية والإناثية عموماً في النصوص المقدمة للأطفال. وفي نظرة سريعة وخاطفة إلى حكايات الأطفال التقليدية الموروثة، نلاحظ نوعاً من التوازن في تقديم هذه النماذج يفوق ما هو مقدم في أدب الأطفال الحديث، وذلك بسبب عدم الدراسة بأصول الكتابة للأطفال وتصميمها قيماً وتوجهات تضر بمصلحة المتعلمين ولا سيما الإناث منهم.

خامساً - التقليل، قدر الامكان، من الفجوة القائمة ما بين اللغة الفصحى واللغة العامية في النصوص المقدمة للأطفال، وذلك بالأكثر من استعمال الكلمات المشتركة ما بين اللغتين والوصول إلى لغة سهلة ميسرة يمكن استعمالها في القراءة وفي الكلام. وهذا الأمر يتطلب دراسة «قاموس الطفل اللغوي» لحصر الكلمات التي تتناسب مع كل مرحلة من مراحل النمو. وثمة أبحاث أجريت حول لغة الأطفال، أثبتت أن ٥٢٪ تقريباً من كلمات أطفال المرحلة الابتدائية تكون باللغة الفصحى، وأن هناك ما يقارب ٢١٪ من بين كلمات الأطفال لا تختلف عن اللهجة العامية، وأن نظائرها في الفصحى في تغييرين اثنين. مما يعني أن نسبة الالقاء بين لغة الطفل في المدرسة الابتدائية واللغة الفصحى تصل إلى ٨١٪ (٣٣).

سادساً - فهم طبيعة التفكير الخاصة عند الطفل وكذلك طريقته الخاصة في التعبير. فالاختلاف ما بين تفكير الصغير وتفكير الراشد، قد يمنع هذا الأخير من اعطاء التعليمات المناسبة لايستطيع الطفل أن يتقدم في التعلم. كما أن عدم معرفة طبيعة لغة الطفل، يعيق الكتابة له أو يحول دون تذوقه الكتابات المناسبة. ويدرك أن من خصائص لغة الأطفال التمركز حول الذات وغلبة المحسوسات وعدم الدقة والوضوح بسبب اختلاف وتصور مفاهيمهم وكلماتهم وتراسيبيهم مما هي عليه عند الكبار، كما يميل الأطفال عموماً إلى تكرار بعض الكلمات والعبارات.

(٣٣) قناوي، المرجع المذكور، ص ٤١.

وأخيراً، تنطلق هذه الدراسة من منظور يرى الطفل على أنه القضية المركزية في كل عملية تعلم وتوجيهه. ولقد لاحظت أن الانطلاق من مقدرة الطفل ورغبته يجعل عملية التوجيه، بالرغم من فوقيتها وقسريتها، أكثر سهولة وجذوى. أما واقع الحال، فيشير إلى أن الطفل ما زال ينتظر الانتباه له وإمكاناته ورغباته وأحلامه والصعوبات التي تواجهه. وليس قصور المساحات المكانية والاجتماعية المخصصة له إلاّ صورة واقعية عن القصور الذهني والعلمي حياله. فمتى وكيف يتحول أطفالنا من فلذات أكباد إلى نساء المستقبل ورجاله؟



SHIMON PERES

LE TEMPS DE LA PAIX



قراءة كتب

الشرق الأوسط الجديد شيمون بيريز

العقيد الركن سمير الشويري (*)

الفصل الأول: فجر الاسلام

في الساعات الأولى من فجر ٢٠ آب ١٩٩٢، وقع آخر مندوب الوثيقة الأخيرة من الاتفاق. يذكر بيريز في هذه اللحظات اقتراحه بناء مفاعل نووي في الصحراء (ديمونا) لردع اعداء إسرائيل، وتصرير أحد معاونيه السادات خلال مفاوضات كمب ديفيد، أمام عازار وايزمان وزير الدفاع آنذاك، بأن مشروع ديمونا هو الذي دفع المصريين إلى المفاوضات. ثم يتطرق إلى مشكلة تمثيل الفلسطينيين في وفد أعضائه من سكان الأراضي التي لم تُشارك في الأعمال الإرهابية، وكيف أن المشكلة لم تحل لأن قيادة منظمة التحرير عينت وفدها برئاسة الدكتور حيدر عبد الشافي أحد مؤسسي المنظمة، بعدها يُعرج على الموضع التي بحثت كالأراضي والحدود والحق في المياه والإجراءات الأمنية وغيرها، وعلى مسار الاتفاقيات مع الأردن وسوريا ولبنان، وعلى المساعدة التي قدمتها مصر، وعلى

لقد أنهى الاتفاق، الذي تم بين الإسرائيليين والفلسطينيين في أيلول ١٩٩٣، العالم.

شيمون بيريز، المخطط للمباحثات السرية، يخبرنا في هذا الكتاب الذي يتضمن ١٤ فصلاً عن الصعوبات التي اعترضت المباحثات، ويعرض رؤيته لشرق الأوسط جديد، محددًا الشروط السياسية والاقتصادية الضرورية لاستقرار المنطقة.

هذه المباحثات هي نتيجة قناعات ترسخت في أذهان مسؤولين إسرائيليين كبار منذ العام ١٩٨٨، بسبب ضغوط داخلية من مفكرين وعلماء طالبوا بوثيقة وقعوا عليها، الحكومة بالبشرة بحوار جدي مع الفلسطينيين.

«رئيف شيف»، المحلل العسكري في جريدة هارتن، علق على فشل الجيش الإسرائيلي في قمع الانتفاضة وخلص إلى استنتاج محتم: مفاوضة الفلسطينيين.

(*) معاون قائد منطقة بيروت للعمليات

القدس ولا يوجد فيها مستوطنات، ولأنَّ للفلسطينيين فيها مستوىً حياتياً متدينياً، ولا تملك إسرائيل الموارد الأساسية لإعادة تأهيلها أو لتحسين أوضاع سكانها. وكيف أن ياسر عرفات فهم الموقف، وأعجبته فكرة الحصول على قاعدة إقليمية؛ ولكن الخوف، أن يعتقد الفلسطينيون أن طرح «غزة أولًا» يعني غزة فقط. ثم يستطرد، فيُعلن توصل الفريقين إلى قاعدة اتفاق حول خيار «غزة واریحا أولًا»، ويقترح إقامة مركز اداري في اريحا لأن قربها من نهر الأردن يسمح بالوصول إلى الحل المفضل ألا وهو الكونفدرالية بين الأردن والفلسطينيين. أما مسألة رد الفعل الإسرائيلي، فقد جابها بيريز وربابين بإبقاء المناقشات طي الكتمان، وبالتصدي للتحالف الحكومي، وبالتركيز على التنازلات التي حصل عليها الإسرائيليون في أوسلو كالحق في الدفاع ضد التهديد الخارجي، ومسؤولية أمم إسرائيليين في الأراضي المحتلة وكإبقاء موضوع القدس خارج اتفاق الحكم الذاتي، وابقاء المستوطنات حيث هي، وابقاء مسؤولية أمن هذه المستوطنات على عاتق الجيش الإسرائيلي.

بعد توقيع الاتفاق الأول، كان الهم الأول يقول بيريز، اعتراف إسرائيل بالمنطقة مقابل أن تعرف الأخيرة بوجود إسرائيل داخل حدود أمتنا، وأن تقبل بالقرارين ٢٤٢ و ٢٢٨ كاطار أساسى للمفاوضات، وأن تُقلع عن الإرهاب وتحاربه، وخاصة أن تلقي ٣٣ قسماً من الشرعة الفلسطينية التي تطالب بإبادة إسرائيل. وقد طالب الفلسطينيون بدعم مادي، وسعى بيريز في عدة بلدان لإقناعها بأهمية الشق الاقتصادي للسلام في الشرق الأوسط، مقتراحاً تخصيص ٥٪

دور الولايات المتحدة الأمريكية. ويشير إلى دوره في قيادة المفاوضات المتعددة التي ركزت على مشاكل الاقتصاد والمياه واللاجئين ومراقبة التسلح والبيئة، مؤكداً على تزابرها مع المفاوضات الثانية. ولا ينسى أن يشير إلى عمله مع القادة الأوروبيين، كبيتران وكول وليلور في وضع الخطوط العريضة لشرق أوسط جديد وفق النموذج الأوروبي، مما حدا بالشركات الأوروبية إلى رسم مخططاتها للمساعدة. فكانت السياحة من نصيب اليابانيين، والنقل والاتصالات للفرنسيين والالمان، وتبني الإيطاليون درس مشروع بناء قناة تصل البحر الأحمر بالبحر الميت، واهتم الهولنديون بالزراعة، والأميركيون بالموارد البشرية، والكتديون بمشكلة اللاجئين، الخ... بعدها، يتطرق إلى ظروف المفاوضات في أوسلو، ووضع فريق من الشخصيات النرويجية، على رأسه وزير الخارجية هولست وزوجته، أنفسهم، كوسطاء بين الإسرائيليين ومنظمة التحرير لنقل الرسائل وحل المشاكل. لقد كان واضحاً أن المسألة الفلسطينية هي في قلب هذا النزاع المضني القديم منذ مئة سنة والتقام بسبب اقامة دولة إسرائيل. ولم يعد الانتظار يجدي، فالارهاب لم يتوقف، والمعطيات الديموغرافية تبدلت بسرعة، وكان من الضروري الاتصال بياسر عرفات، الرمز الوطني والاسطورة الحية في نظر الفلسطينيين، الذي اظهر خلال ٢٥ سنة من قيادته لمنظمة شجاعة ومواهب في معالجة الأمور.

ويذكر كيف أن فكرة خيار «غزة أولًا» راودته بعد إعادة قرائته لمشروعه ألون وموشي دایان، وتوصله إلى الاقتناع بتغذر تطبيقهما، لأن غزة لم تكن منطقة حساسة

التي تهدّد الاستقرار والسلام، علماً أن التهديد ظهر جلياً منذ أن أصبحت إيران قوة نووية، وأن نشر الديموقراطية يضع حداً للخطر الجاثم على صدر المنطقة، وانه يجب قهر الفقر والجهل اللذين يمثلان مهدّي الأصولية.

الفصل الثالث: حرب لا رابح فيها

اعتبر العالم أن النزاع العربي - الإسرائيلي هو المشكلة الأساسية في الشرق الأوسط حتى ظهرت الأصولية الإسلامية، ودفعـت القادة في المنطقة إلى تغيير ستراتيجياتهم، وإلى البحث عن السلام في المنطقة لا خارجها. ولذلك السلام فاعلاً، وجب مواجهة مشاكل الشرق الأوسط بواقعـية؛ فالعرب لا يمكنـهم الانتصار عسكرياً ولا إسرائيلـيل تقدر على فرض شروط السلام. لقد بهـرت إسرائيلـ العالمـ بانتصارـاتها ولكنـها لم تربحـ السلامـ. كما أكدـتـ حـربـ الخـليـجـ مؤخـراًـ أنـ لاـ وجودـ للـحـربـ الشـاملـةـ. لقدـ حـانـ الوقتـ لـالتـفـيـشـ عنـ حلـ غيرـ الـانتـصـارـ بالـعـنـىـ العـسـكـريـ الضـيقـ. كماـ أنـ رـغـبةـ السـيـطـرـةـ وـحـكمـ أـمـةـ أـخـرىـ لـمـ يـعـودـ مـرـضـيـنـ. صـحـيـحـ أـنـ عـمـلـيـةـ اـجـتـياـحـ لـبـانـانـ اـجـبـرـ الـفـلـسـطـيـنـيـنـ عـلـىـ الـانـسـحـابـ، وـلـكـنـ منـظـمةـ التـحرـيرـ لـمـ تـنـتركـ الـحـلـبـةـ السـيـاسـيـةـ الـعـالـمـيـةـ وـبـقـيـتـ تـكـلـمـ باـسـمـ الـفـلـسـطـيـنـيـيـنـ. وـطـلـعـتـ بـذـورـ الـانـتـفـاضـةـ وـمـعـهاـ اـعـتـرـافـ إـسـرـائـيلـ بـضـرـورةـ اـجـرـاءـ المـفاـوضـاتـ الـثـانـيـةـ. وـهـنـاـ يـتـهـمـ بـبـرـيزـ حـزـبـ الـلـيـكـوـدـ الـحـاـكـمـ فـيـ حـيـنـهـ، بـاـصـرـارـهـ عـلـىـ رـفـضـ اـنـتـفـاقـ لـنـدـنـ مـعـ الـلـكـ حـسـيـنـ الـعـامـ ١٩٨٧ـ، بـزـجـ الـإـسـرـائـيلـيـيـنـ فـيـ مـوـقـفـ حـرـجـ لـمـ يـتـمـكـنـواـ فـيـهـ مـنـ تـفـادـيـ الـمـفـاـوضـةـ مـعـ وـفـدـ فـلـسـطـيـنـيـيـ صـرـفـ تـدـيرـهـ مـنـظـمةـ التـحرـيرـ، وـيـعـلنـ جـهـارـاـ أـنـ لـمـ مـلـحةـ لـلـإـسـرـائـيلـيـيـنـ

من ميزانياتها المحددة ل المساعدات الخارجية؛ ولقي تجاوباً في المجموعة الأوروبية وفرنسا. وفي النهاية، يختـمـ الفـصلـ الأولـ بـالـقـاءـ الصـوـءـ عـلـىـ التـوـقـيـعـ فـيـ واـشـنـطـنـ، وـعـلـىـ صـعـوبـاتـ السـاعـاتـ الـأـخـرـةـ التـيـ ذـلـكـ ويـقـولـ: «لـقـدـ هـنـئـيـ كـثـيرـونـ عـلـىـ مـاـ أـسـمـوهـ أـهـمـ حدـثـ تـارـيـخـيـ فـيـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ؛ وـقـدـ حلـ التـأـمـلـ مـاـكـانـ السـرـورـ لـدـيـ، وـكـنـتـ اـلـفـقـسـ الـمـرـحـلـةـ الـمـقـبـلـةـ كـيـفـيـةـ بـنـاءـ شـرـقـ أـوـسـطـ جـدـيدـ».

الفصل الثاني: تقاطعـ الـطـرقـ

يعتقدـ الكـاتـبـ أـنـ الـعـالـمـ تـبـدـلـ وـبـالـتـالـيـ يـقـتـضـيـ إـبـدـالـ الـمـبـادـيـ الـبـاطـلـةـ بـمـقـارـيـةـ وـاقـعـيـةـ لـلـحـقـائقـ الـجـدـيـدـةـ، كـمـفـهـومـ الـجـغـافـاـيـاـ معـ تـطـوـرـ الصـوـارـيـخـ الـبـالـيـسـتـيـةـ، وـمـفـهـومـ الـعـمـقـ الـسـتـرـاتـيـجـيـ الـذـيـ فـقـدـ قـيـمـتـهـ. وـيـطـرـحـ نوعـاـ مـنـ الـحـلـوـلـ، كـالـاـتـفـاقـاتـ الـثـانـيـةـ وـالـمـتـعـدـدـةـ وـالـتـيـ يـتـخـطـىـ مـدـاهـاـ الـدـوـلـ الـمـعـنـيـةـ، وـيـدـعـوـ دـوـلـ الـمـنـطـقـةـ إـلـىـ الـتـعـاوـنـ لـلـلـوـقـوفـ ضـدـ التـهـدـيدـ الـنـوـرـيـ وـالـبـيـولـوـجـيـ وـالـكـيـمـيـائـيـ، مـؤـكـداـ عـلـىـ أـنـ الـاـقـتـصـادـ هـوـ مـفـتـاحـ الـمـحـافـظـةـ عـلـىـ التـوـازـنـ وـالـأـمـنـ الـاقـلـيمـيـ؛ لـأـنـ الـاـهـتـمـامـ يـنـصـبـ أـنـ عـلـىـ التـقـدـمـ الـعـلـمـيـ وـوـسـائـلـ الـمـواـصـلـاتـ وـالـذـكـاءـ الـاـصـطـنـاعـيـ وـعـلـىـ بـيـئةـ نـظـيفـةـ تـسـاعـدـ عـلـىـ تـأـمـيـنـ حـيـاةـ أـفـضـلـ. وـلـاـ غـرـوـ أـنـ الـشـرـقـ الـأـوـسـطـ هـوـ قـلـبـ الـذـاـكـرـةـ الـجـمـاعـيـةـ لـلـإـنـسـانـيـةـ، وـلـكـنـهـ مـسـتـنقـعـ الـنـزـاعـاتـ الـاقـلـيمـيـةـ. وـقـدـ زـادـ تـوـرـطـ الـعـالـمـ الـفـرـقـيـ فـيـ فـيـ النـصـفـ الـثـانـيـ مـنـ الـقـرـنـ الـعـشـرـينـ، بـسـبـبـ أـزـمـةـ الـطـاـقةـ، وـسـاعـدـ الـصـرـاعـ الـعـرـبـيـ -ـ إـسـرـائـيلـيـ عـلـىـ تـأـجـيـجـ سـبـاقـ الـتـسـلـحـ. فـوـضـعـتـ دـوـلـ الـمـنـطـقـةـ كـلـ مـوـارـدـهـاـ لـتـجـهـيـزـ الـبـنـىـ التـحـتـيـةـ الـعـسـكـرـيـةـ مـاـ أـوـصـلـ شـعـوبـهـاـ إـلـىـ الـبـؤـسـ وـبـالـتـالـيـ الـانـغـمـاسـ فـيـ الـأـصـولـيـةـ

الديمقراطية، ولكنه يعتمد على نجاح عملية السلام التي ستنتمي إلى مرحلتين: الأولى: ويكون الاهتمام فيها بالمشاكل الأمنية، ومنع قيام الحروب وإقامة نظام ثانوي أكيد.

الثانية: الهدف منها إقامة نظام ثابت مبني على علاقات حسن جوار وذلك لتطبيع العلاقات، وإقامة علاقات اقتصادية وثقافية وتكريس الحدود الدائمة.

ثم يسلط الأضواء على الأمن الإقليمي الذي سيبني، حسب تصوره، على نظام جمع معلومات عن النشاطات العسكرية ينقلها إلى كل الفرقاء بواسطة أقمار اصطناعية، وذلك بالتعاون مع القوى العظمى. ويتصور أنه لم يحن الوقت بعد لرمي السلاح جانبياً، ولكن يجب العمل بتدرج للوصول إلى توزيع سلاح متبادل.

ثم ينتقل إلى الاقتصاد الإقليمي الذي يفترض، في نظره، إقامة مجموعة أمم شبيهة من حيث المبدأ بالمجموعة الأوروبية، وذلك بالاعتماد على الإحصائيات. فالفقر في المنطقة هو العدو الأول. والحل على مراحل ثلاثة، تتضمن المرحلة الأولى مشاريع قومية مزدوجة الجنسية أو متعددة، كمؤسسة مشتركة للإبحاث لاستغلال الصحراء ومصانع لتحلية مياه البحر. وتتضمن المرحلة الثانية اتحادات دولية تضع مشاريع ذات استثمارات كبيرة لشق قناة تصل البحر الأحمر بالبحر الميت، وبناء مرفأ مشترك بين إسرائيل والأردن وال السعودية، وبناء محطات توليد كهرومائية ومراكيز تحلية مياه البحر يعمل بعد تنفيذها على تطوير صحراء النقب. أما المرحلة الثالثة، فتتضمن وضع سياسة مشتركة لمنطقة ترتكز على خفض

بالسيطرة على الفلسطينيين، وأن الوضع القائم لن يطول إذ أخذت بعين الاعتبار نسبة الولادات المرتفعة ونسبة الهجرة، وأن معرفة هذه الحقيقة القاسية ضروري لنجاح عملية السلام الذي هو الحل.

الفصل الرابع: النظام الإقليمي

يجزم شيمون بيريز بأن السلام سيخلق جوًّا ملائماً لأعادة بناء الأنظمة في الشرق الأوسط. وقبول العرب بحقوق إسرائيل كامة، سيبدل مناخ المنطقة الإيديولوجي، وهدفه الأساسي بناء مجتمع إقليمي وسوق مشتركة وأنظمة مركزية منتجة على غرار نموذج المجتمع الأوروبي المركز على أربعة عوامل:

١) الاستقرار السياسي: إن الرأي على الأصولية هو في نظام إقليمي يخلق القدرة على النمو الاقتصادي والاجتماعي ويفتح نار التطرف الديني.

٢) الاقتصاد: تحسين الوضع المعيشي ضروري لتحفييف الجو الضاغط في دول المنطقة. والمجتمع الحرفي لن يتقدم ما لم يحصل على اعانت خارجية. ووحدتها المقاربة البراغماتية تسمح باستغلال الطاقة السياحية لهذه المنطقة الغنية.

٣) الأمن القومي: يمكن لنظام مراقبة إقليمي أن يؤمن مستوى مقبولاً من الأمن القومي، خاصة وأن لا جدوى من العمق الاستراتيجي، وأن تحالفًا إقليمياً يساعد على تحاشي استعمال الأسلحة النووية.

٤) تعليم الديمقراطية: يتطلب تعليم الديمقراطية تنمية المواصلات واستعمال وسائل الإعلام. وجود نظام إقليمي يخفف التوتر العسكري ويساعد على تعليم

والبخاري؛ وهذا الحلف الأقليمي ينمو إثر اقامة مشاريع مشتركة كتنمية المنتجات البحرية والسياحة ليصل في مرحلته النهائية إلى مستوى الحلف стратегي.

الفصل السادس: الانتقال من اقتصاد الحرب إلى اقتصاد السلام

منذ قيام دولة إسرائيل في العام ١٩٤٨، شن العرب عليها حروباً ستة، وشنّوا على بعضهم البعض حروباً أوصلت إلى ويلات وكوارث وأدت إلى ظهور الأصولية. وصرفوا مبالغ طائلة على شراء الأسلحة والمعدات العسكرية (١٨٠ مليار دولار أمريكي بين ١٩٧٢ و١٩٩١). وقد قدر الباحثون أن الشرق الأوسط هو المنطقة التي دفعت الأكثر للتسلح قياساً على المدخول القومي الخام (P.N.B.). لقد كلفت حرب لبنان إسرائيل ٤ مليارات دولار، وكلفت حرب الخليج الأطراف المشتركة فيها ٦٧٦ مليار دولار. وهذه الحروب وغيرها تسبّب أضراراً غير مباشرة باقتصاد المنطقة، وتحول دون إقامة علاقات تجارية بين دولها فيتقاوم معها الفقر والعنوز. والحلُّ الوحيد هو السلام.

ولا شك أن هناك صعوبات تعرّض عملية الانتقال إلى اقتصاد السلام، ولكن يمكن تخطيّها بإنشاء صندوق لتنمية الشرق الأوسط تغذيه أوروبا واليابان والولايات المتحدة الأميركيّة وعائدات النفط. ويمكن التشبيه بأوروبا التي وسعت السوق المشتركة لتشمل كل بلدان القارة، وبالولايات المتحدة الأميركيّة التي اقامت منطقة تبادل تجاري حرّ مع كندا والمكسيك، وبمحاولات سريلانكا وتايوان وسنغافورة واندونيسيا وفيتنام وكوريا لإقامة سوق مشتركة في ما

الإنفاق على شراء السلاح، وعلى القيام بحرب ضد الصحراء لزرع الخضراء في المنطقة، وعلى تحديث البنية التحتية للنقل والمواصلات وعلى تطوير السياحة. ويخلص إلى أنَّ الانتقال من استراتيجية محورها التفوق العسكري إلى استراتيجية تعاون اقتصادي، سيساعد على اختيار الطريق الصحيح الذي ستشكرنا الأجيال القادمة عليه.

الفصل الخامس: قواعد الأمن: طرق تفكير جديدة

يجب على الجالسين إلى طاولة المفاوضات، تخطيِّي الحاجز النفسيَّة بالتكيف مع الحقائق الجديدة، لأنَّ الشرط المسبق للتتفايش عن السلام والإزدهار في الشرق الأوسط. من هذه الحقائق مفهوم «العمق الاستراتيجي» الذي يفقد معناه الحالي بوجود علاقات سلمية وأجهزة مراقبة متبدلة. ويجب تغيير النظريات الأساسية قياساً إلى تبدل النظام العالمي وإلى دور القوى العظمى وإلى تطور التكنولوجيا الحديثة التي تعيد النظر بعوامل الاستراتيجية الكلاسيكية: الزمن والمدى والعدد. ويجب الأخذ بعين الاعتبار صعوبة تحقيق الأمن خارج إطار اجتماعي، وأن التهديد النووي هو الموضوع الأساس في النزاع العربي - الإسرائيلي، وأن تحالفَ سياسيًّا إقليمياً وحدَّ الكفيل بخلاف الشّرق الأوسط من هذا المزيج القاتل المشكّل من القوة النووية والأصولية، وأنَّ السلام هو أداة الأمان. على مستوى المنطقة، يمكن البدء باقامة حلف إقليمي في منطقة البحر الأحمر حيث البلدان تريد علاقات مسالمة مع جيرانها. ويمكن، في البداية، التركيز على المشاكل الإنسانية مثل إنقاذ الطيارين

تبعد مترددة في موضوع المساعدات مع أنها إنشأت المصرف الأوروبي للتنمية لتلبية حاجات الأسواق الأوروبية وانشأت كذلك مصرفًا لمساعدة أوروبا الشرقية، وأمدت الفلاسيتينيين العام ١٩٩٠ بـ٩٠ مليون وحدة نقد أوروبية ECU لصالح الضفة الغربية وغزة، أما السوق اليابانية، فقد بنيت على مبدأ أن كل شيء في العالم اقتصادي، وقد زاد اليابانيون ميزانياتهم للمساعدات الدولية بغية كسب الأصدقاء. يُستنتج مما تقدم أن أوروبا واليابان قادرتان كالولايات المتحدة على إعادة تأهيل الشرق الأوسط ومناطق أخرى في العالم؛ كما أن من مصلحة العالم كله، على المدى الطويل، مساعدة الشرق الأوسط ليصبح كياناً اقتصادياً قابلاً للحياة، كما أن إعادة التأهيل ستستنفر مؤسسات العالم المتقدم وشركته لتغطية دوائر العمل الأربع: الدائرة السياسية، ودائرة علم الادارة management، والدائرة المالية (النظام المالي) والدائرة العمالية. ويتبين في الدائرة العمالية أن للدول الكبرى مصالح سياسية واقتصادية مهمة تدفعها إلى خلق جو متناسق يمكن من خلاله تطويق أخطار الأسلحة النووية والعنف الناتج عن الإرهاب المؤثرة في سوق النفط المحرك الأول للاقتصاد العالمي ويشير هنا بيريزيز إلى نتائج اجتماعه بالرئيس الفرنسي الذي وعد باقتراح تخصيص مبلغ مليار ECU من المصرف الأوروبي للتنمية لإنشاء صناعات إقليمية في حقل النقل وتحلية المياه؛ ويدرك رأي مستشارmania كول بأن تطوير الأسواق الجديدة في الشرق الأوسط سيفتح أبواب عمل جديدة تحل مشكلة البطالة في المانيا. كما ويدرك إهتمام جاك دولور بمسائل

بينها. ولا يمكن للشرق الأوسط أن يبقى على هامش الأحداث، فيما العالم يعيد تنظيم نفسه على قاعدة بطبقتين: المجتمعات الإقليمية في الأسفل وفوق التنظيمات والاندماجات الدولية. لذا يجب الاستعداد لتأسيس العلاقات على اتفاق رضائي بين شركاء متساوين. ويمكن لإسرائيل أن تشكل شراكة حقيقة مع الفلسطينيين حتى خلال فترة الحكم الذاتي، مبنية على الشرف والحكمة، مما يعطي الإنقال إلى اقتصاد السلام معنى سياسياً. وفي المرحلة اللاحقة، وبعد إقامة العلاقات الثنائية والمتحدة، ستفتح الطريق أمام إقامة صناعات إقليمية دائمة بفضل تعاون المؤسسات العالمية. وبعد ذلك يتَّحد الشرق الأوسط لإقامة سوق مشتركة.

الفصل السابع: استثمارات وتمويل

لا يمكن إقامة شرق أو سط جديداً إلا على قاعدة سياسية. ولكن أسباب البلبلة في المنطقة الاقتصادية، لذا فإن الحرية الاقتصادية ضرورية للمنطقة. ثم يذكر المؤلف القواعد الأساسية لإقامة اقتصاد عصري ومنها: تحفيض الميزانية العسكرية، وزيادة الاستثمار في حقل التعليم، والاستعمال الذكي للموارد الطبيعية المتوفّرة، وخلق موارد بديلة عند الضرورة، وبناء محطات لانتاج الطاقة والتحلية، وإنشاء بنى تحتية عصرية للمواصلات والنقل، وتنمية الصناعة والزراعة والسياحة، وفتح الحدود وتشجيع التنافس. ولنجاح التنفيذ، تحتاج المنطقة لاستثمارات دولية كبيرة. في هذا المجال، يقوم العالم حالياً على ثلاثة أسواق: الولايات المتحدة الأمريكية التي لا يمكنها المساهمة مالياً لأن لها مشاكلها الاقتصادية؛ سوق أوروبا وتُعتبر الأكبر في العالم، ولكنها

وجه الأرض وباطنها، والنجاح في محاربة التصحرير مرتبط بطريقة استعمالنا سلاخين: المياه والعلم.

بالنسبة إلى المياه، يقتضي وضع سلسلة أولويات لاستعمالها، ثم زيادة كمياتها بواسطة تحلية مياه البحر، وتطوير أنواع جديدة من المأكولات تتطلب ریاً أقل واستعمال تقنيات حديثة، كالري المراقب بالأنظمة الآلية *Ordinateur*، والزراعة في الحميات *Culture en Vivarium*. أما بالنسبة إلى العلم، فميدان التكنولوجيات الأحيائية يساعد على انتاج كل أنواع المأكولات حتى في الظروف المناخية الصعبة. ويمكن تطوير الزرع في الصحراء باستعمال ثلاثة مراكز للأبحاث: واحد في النقب، والثاني في مركز الأبحاث في أريزونا (الولايات المتحدة الأمريكية)، والثالث في الدول العربية. وتنسق منظمة تضم ممثلين عن دول متعددة نحو إنشاء المنافذ التي ستتحول حول طرق الزراعة في المناطق القاحلة ونصف القاحلة، تطوير موارد المياه وطرق استعمالها، إعادة تأهيل الأرض ونظام البيئة في المناطق التي يصيبها التصحر.

ويمكن تحويل الشرق الأوسط من اللون البني إلى الأخضر: ما يلزمنا هو مركز قيادة لشن الحرب على الصحراء، علماً أن مراكز التمويل المالي العالمية مهتمة بمشروعنا الأخضر. وقد اقترح البنك الدولي في إطار المفاوضات المتعددة، تشجيع التعاون التكنولوجي والإجراءات الآلية إلى مراقبة التصحر.

الفصل التاسع: المياه الجارية
يعدّ بيريز أربعة أسباب رئيسية للنقص في

ثلاث: محطة مولدة للطاقة، محطة لتحلية المياه ومسألة التصحرير. ولا ينسى ذكر وارن كريستوفر، الوزير الأميركي الذي دعا بعض رؤساء الشركات الأمريكية وبين لهم حاجات الشرق الأوسط والإمكانات التي يقدمها. ولا يغفل امكانية الحصول على المساعدات من البنك الدولي والبنك الأوروبي للتنمية ومجموعات مصرية خاصة، مع الميل إلى تركيز رؤوس الأموال الضرورية في مصرف ينشأ لهذه الغاية؛ وعلى إسرائيل والاردن والفلسطينيين ومصر إنشاء جهازهم المالي الخاص في رعاية البنك الدولي وإنما باستقلالية تامة. وستوجه سياسة المصرف المنشآ نحو المشاريع الداعية إلى التعاون الإقليمي، كشبكات الري والتموين بال المياه والزراعة وانتاج الطاقة والنقل.

ان هذا الشرق الأوسط الجديد، يقول بيريز، المتتطور اقتصادياً ومستقر سياسياً سيكافع العالم أقل بكثير من نزاع سياسي عنيف تورط فيه بلدان أخرى.

الفصل الثامن: المشروع الأخضر

لقد انساق العرب والاسرائيليون وراء استراتيجية الحرب وسياستها ونسوا كل التهديدات الأخرى. فالعدو الحالي اليوم هو الصحراء: ٨٩٪ من العالم العربي صحراء، والتصحر مشكلة عالمية تحاول كثير من الحكومات السيطرة عليها؛ وهو ناتج عن عدة اسباب: ١ - التوسيع الطبيعي للصحراء. ٢ - تخريب الأراضي الناجم عن استغلالها. ٣ - الإهمال البشري. لقد أثبتت دراسات قامت بها الأمم المتحدة أن العامل البيئي للتصحر هو الاستغلال الزائد للموارد الطبيعية بسبب زيادة عدد السكان، كما أن الرعي الزائد يكثّر من ملوحة

المقدسة. وبما أن للحروب الكبيرة والأعمال الإرهابية تأثيراً سلبياً على السياحة، فالم منطقة بحاجة إلى هدوء وسلام دائم و حقيقي. وهناك أربعة عوامل لتطوير السياحة:

١ - الحدود المفتوحة: إن استثباب السلام، سيفتح الحدود بين دول المنطقة، واقامة بنى تحتية جيدة للنقل، ستجلب السياح الأوروبيين. أما السياح الأميركيين فستجذبهم سوق فعالة.

٢ - البنى التحتية: يجب رسم خطط لتحسين البنى التحتية الأقليمية وتطوير وسائل النقل البري خاصة بين أوروبا والشرق الأوسط. وهذا العامل مرتبط بالأول.

٣ - الحلقات السياحية: يمكن انشاء شركة عالية لبيع الرحلات إلى الشرق الأوسط، واستهداف أصحاب الميزانيات الصغيرة الذين يشكلون الشريحة الأكثر وعداً للسوق.

٤ - المغريات السياحية: ضرورة اقامة مشاريع لتطوير المنطقة لاغراء السواح، كبناء مرفاً للصيد في غزة، ومرفاً للسلام في ايلات - العقبة، وشق القناة بين البحر الأحمر والبحر الميت، وبين قرى سياحية وفنادق الدرجة الأولى ومراكمز التسلية، وتطوير مسالك التزلج ومعدات التسلية، بواسطة الدول الغنية أو شركات متعددة الجنسيات.

الفصل الثاني عشر: عالم الغد

بعد سقوط الشيوعية، لن يؤسس عالمنا الجديد على مبادئ توتاليتارية بل على القيم الفردية *Méritocratie*، وعلى المعرفة المكتسبة في الجامعات ومراكمز الأبحاث. وستحاول الدول تحسين نوعية الحياة ورفع

طرق مترابطة بين غزة وأورشليم القدس وعمان وحيفا ودمشق. أما بالنسبة إلى المراقي، فيمكن بناء مرفاً مشترك بين إيلات والعقبة، وبين مناطق تبادل تجاري حراً بالقرب من مراكز اللاذقية وبيروت وحيفا أو أشدود وغزة والأسكندرية وجدة.

أما بالنسبة إلى مشروع القناة بين البحر الأحمر والبحر الميت، فيعطيه الكاتب أهمية قصوى. وهو يقترح بناء «مرفاً للسلام» على طرف القناة الجنوبي. القناة ستستعمل لنقل المياه إلى البحر الميت، فيستفاد منها لبناء مراكز أبحاث حول الزراعة في الأحواض، ولتحسين الخدمات السياحية، ولانتاج الطاقة الكهربائية. هذا المشروع سيكلف حوالي ملياري دولار أمريكي وسيحتاج لثمانين سنوات لتنفيذها. ولكن بتعاون الجميع ستعود الحياة إلى البحر الميت، ويصبح ذا فائدة جمة للاسرائيليين والاردنيين والفلسطينيين لفوائد العلاجية؛ ويصير البحر الأحمر دة غنية بالأسماك والمرجان وستتبادل ستراتيجيته لأن ليس للبلدان التي تحده مصالح في معادلة اسرائيل. ولتعزيز الثقة بين هذه البلدان، يمكن اقامة انظمة انذار مسبقة مشتركة لرصد التحركات العسكرية، أو انظمة مشتركة لنجدة الصياديين والطيارين. وكذلك يصار إلى بناء طرق دولية على طول شواطئه، وحفر آفنيات للمياه واقامة أنابيب لنقل البترول.

الفصل الحادي عشر: تطوير السياحة

السياحة هي أحد أهم الموارد الطبيعية في الشرق الأوسط. وبفضل العمل الدؤوب ومهارة الأجداد، يأتي السائح إلى الشرق فيعجب بالآهram وبترارا وجمال بعلبك وهدوئها وبالمناخ الروحي في الأماكن

بين الفلسطينيين وبين هذه الأرض المتنازع عليها. ويعرف الكاتب أنه حتى لو اعترف الاسرائيليون بأن الكيان الوطني الفلسطيني تطور كرد فعل على الحركة الصهيونية، فهذا لا يغير شيئاً في واقع قيام هوية وطنية فلسطينية، تلعب دوراً مركزياً في الساحة السياسية في الشرق الأوسط والعالم كله. ثم وقعت حروب عديدة أدت إلى كوارث؛ والسؤال الواجب طرحه الآن يتعلق بطريقة حل الصراع والمشاكل التي عجزت القوة عن إيجاد حلول لها. ويشدد بيريز على أن الحلّ الوقت المقتضى حالياً، أي الحكم الذاتي في غزة واريا، يهدف إلى تغيير الجو النفسي والسياسي المثقل بالخوف والذكريات المرة، وعلى معرفة العناصر الثلاثة الأساسية للمشكلة:

١ - الحدود: يجب أن تعكس التوزيع السكاني كما هو اليوم. ويجب الأخذ بعين الاعتبار الصعوبات الموضوعية للمنطقة. لذا لا يمكن رسم الحدود قبل الاتفاق على مشكلة المياه. فالحاجة هي لحدود مرنة غير جامدة، تكون ذات قيمة استراتيجية.

٢ - البنية السياسية: البنية السياسية الأفضل هي كونفرالية أردنية - فلسطينية للمواضيع السياسية و Benelux - أردني - إسرائيلي - فلسطيني لقضايا الاقتصادية، وهي تسمح للأردن وللماكيان الفلسطيني بالعيش بسلام معاً بدون سيطرة فريق على الآخر، والجيش الكونفدرالي سيركز شرقى نهر الأردن وشذع الضفة الغربية من السلاح. وأعلن الكونفرالية سيجلب لها الدعم من الفلسطينيين والأردنيين والإسرائيليين.

٣ - الحكومة: يخلص بيريز إلى القول

مستوى العيش وتمديد الأعمار. وسترى الأجيال القادمة مثالها في النموذج السياسي الآسيوي القائم على قيم اقتصادية وعلى استغلال أوسع للمعارف من أجل فوائد أكثر. ولقد تبين أن وراء النجاح الآسيوي قرارين ستراتيجيين: تأليل الصناعة وإدخال المعلوماتية إلى عالم الخدمات.

ويورد بيريز في هذا الفصل، بعد مقابلته لعلماء وباحثين، أن الثورة المعلوماتية تعني قدرة الفرد على اتخاذ قراراته بنفسه عندما يحصل على الوسيلة التي تقدم له المعلومة الضرورية. ويسنتج أن الازدهار الوطني هو نتيجة تركيز وتجميع المعرف. وهذه هي الثروة الحقيقية على أبواب القرن الواحد والعشرين. إن كل شيء مرتبط بتطور الأفكار العلمية التي تجد لها تطبيقاً تكنولوجياً، لذا يجب على قادة الشرق الأوسط وقف الصراعات القديمة والاستثمار في حقل التعليم. والسلام الآتي سيفسح بال المجال أمام تعاون علمي وتكنولوجي وتربيوي يكشف القواسم المشتركة التي تجمع الناس بعيداً عن الحواجز الوطنية والدينية.

الفصل الثالث عشر: العمل من أجل الكونفرالية

حتى حرب ١٩٤٨، لم يكن للفلسطينيين كيان منفصل لا في ضمائرهم ولا في عقول بقية الشعوب. وخلال الانتداب الإنكليزي، اعتبروا أنفسهم جزءاً من الأمة العربية. وفي شرعة منظمة التحرير تأكيد على «أن فلسطين هي الوطن القومي للشعب العربي الفلسطيني». ومع بدء الصراع ضد إسرائيل، ظهر كلام عن رابط تاريخي مميز مستقل عن كل محتوى عربي،

٢ - مرحلة إعادة التأهيل وإقامة بني تحتية اقتصادية (المرحلة الانتقالية)، تبني خلالها المدن والمنازل بدل المخيمات، ويعطى اللاجئون هويات صادرة عن السلطة المستقلة للحكومة.

٣ - مرحلة الحل الدائم، وخلالها تحل مشكلة حق العودة، عودة اللاجئين إلى الكونفدرالية المقتراح، مما يساهم في استقرار الدول التي تستوعبهم اليوم وبالتالي يساهم في استقرار المنطقة. وسيهتم اتحاد دولي بالتمويل وتنفيذ البنية التحتية بمشاركة الأهالي العائدين أنفسهم في بناء مستقبلاً لهم الوطني والفردي. وينشأ مركز أبحاث إقليمي أو فريق أبحاث لاقتراح الأفكار.

وبالاستناد إلى الخبرات التاريخية، يمكن وضع أسس لمستقبل أنسع لليهود والعرب على هذه الأرض الطيبة، وبالتالي غسل الأرض المضروبة بالدماء بالماء الحي.

الخاتمة:

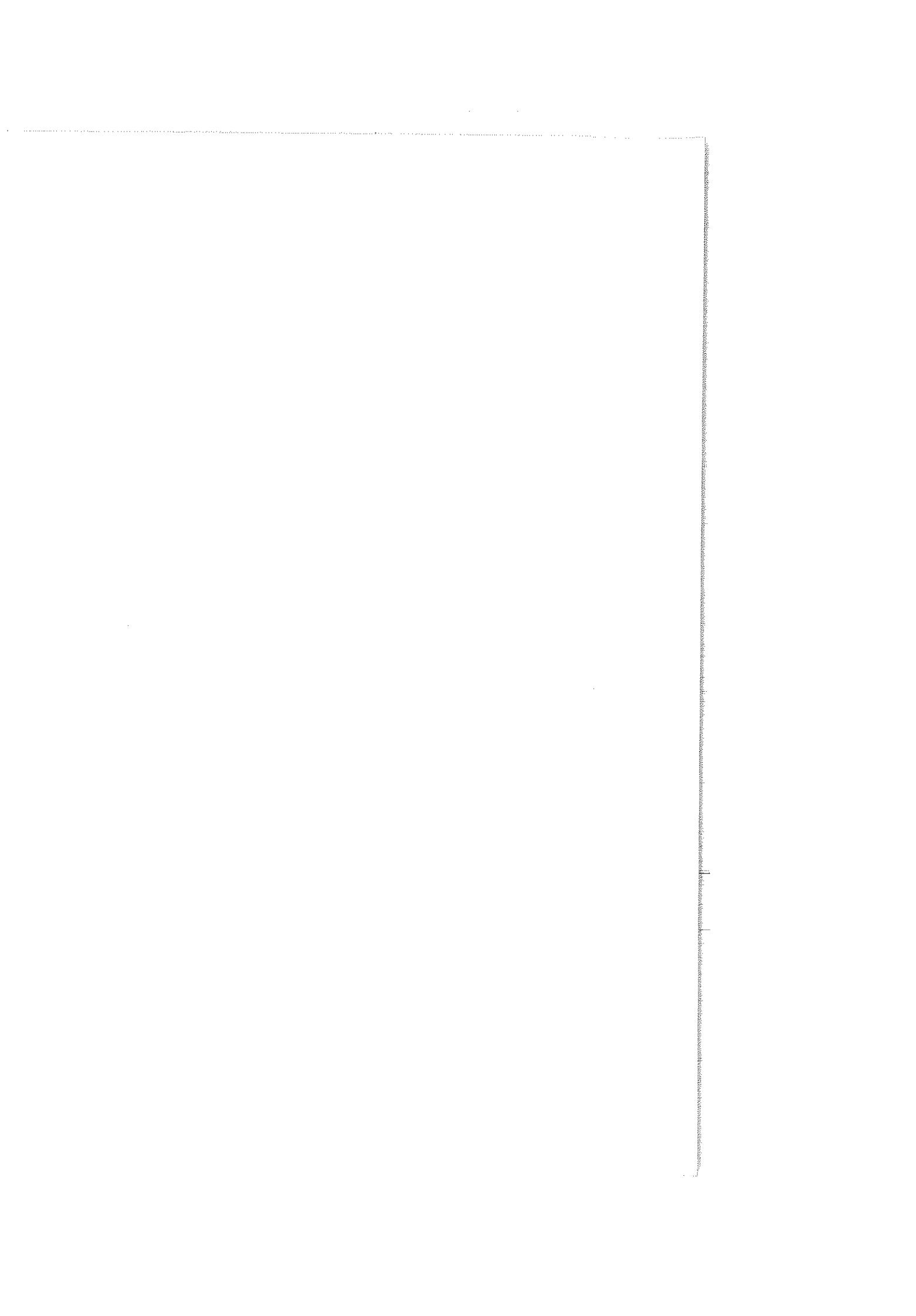
يُقال الكثير في الكاتب وما كتبه؛ من التفاصيل الصغيرة إلى القضايا الكبرى. ويمكن معارضته في أمور وموافقته في أخرى، ولكن الثابت شيء واحد: ضرورة قراءة الكتاب بروحية وتمعن وتبصر عقلانية بعيدة عن التشنج؛ فما يطرحه سياسةً واقتصاداً، مشروع طويل الأمد معد للقرن الواحد والعشرين. كما يمكن للقارئ الفطن أن يستشف من بين السطور ما قصده بيريز من وضع كتابه. والسؤال الأخير هل الإنتظار والنظر من بعيد مفيدان لحل مشاكلنا، أم تقضي الضرورة وضع استراتيجية عربية لدرء الأخطار المقبلة؟

إن لا شيء يضمن السلام والاستقرار في الشرق الأوسط سوى علاقات حسن جوار بين دول مختلفة في هوياتها القومية وارثتها ولكنها دول ديمقراطية. لأن الديمقراطية وحدها تحقق شرعية الاختلاف، وهي الطريقة الفضلى لتأمين الإزدهار الاقتصادي ولتأمين سلام ثابت وحرية للشعب وللأفراد. إنها، كالهواء النقي، حق للجميع.

الفصل الرابع عشر: مشكلة اللاجئين

يعرض الكاتب صورة مأساوية للاجئين: رجال فارون ونساء وأطفال خائفون على حياتهم. ويعتبر أن مصيرهم البائس مسؤولية غير مباشرة جذورها في التوزيع غير العادل لخيرات العالم، ومسؤولية مباشرة للمجتمع. ولا ينسى أن يذكر بمعاناة الشعب اليهودي وكيف أن حلم العودة إلى وطنه العتيق - كما يدعى - أعطاه القوة والصبر على التحمل. ويشرح طرق استيعاب إسرائيل الآف المهاجرين قبل إقامة الدولة. وينظر وضع الجيش الإسرائيلي ستراتيجية لنقل السكان، وينحو باللائمة على العرب لوضع اللاجئين في مخيمات واستخدامهم كذراعية سياسية في صراعهم ضد إسرائيل. ويستنتاج أن حلاً مقبولاً وعادلاً ومنطقياً ي العمل له الظرفان ضروري جداً. لذا يتضمن الأخذ بعين الاعتبار بكل الحاجات والضغوطات والأعمال والامكانيات. ويقترح أن ينفذ الحل على مراحل ثلاثة:

- ١ - مرحلة المفاوضات، ويمكن خلالها تحسين وضع اللاجئين في المخيمات الموجودة في مناطق سيطرة الجيش الإسرائيلي بالتعاون مع السكان والدول والمشاركة في المفاوضات المتعددة.





قراءة كتب

اوروبا المالية والنقدية القواعد، الفرص التخطيط دومينيك بيرو

د. عبد الله فرحتات (*)

الأوروبية حالياً، وأداة عمل مهمة لكل من ابتكى ولوح عالم النقد الأوروبي، أكان باحثاً، مطلاً أو مستثمراً.

١ - الوثيقة الأوروبية الموحدة

حدد قرار الدول الأعضاء في السوق الأوروبية المشتركة سنة ١٩٨٥، تاريخ إطلاق السوق التجاري الأكبر نهاية سنة (١) ١٩٩٢.

ولعل أهمية هذا الحدث تكمن في توقيته، فقد جاء أثر سنتين من المراوحة والجمود. ومرد هذا التباطؤ أسباب عدة نذكر منها:

- دخول دول جديدة دائرة السوق.

- إصدار قوانين داخلية عدة هدفها حماية المداخل الوطنية.

- الحد من آثار الأزمة الاقتصادية المتفاقمة.

- صعوبة اتخاذ القرارات خاصة، إذ ان الجماع في التصويت بين الدول الاعضاء يعيق سير العمل والمبادرات البناءة.

تنتج السوق الأوروبية، منذ سنة ١٩٩٣ نحو إزالة تامة للتخوم المادية، القانونية، التجارية والضريبية.

ويحاول الكاتب تحديد الأطر الحالية والمستقبلية للعلاقات المالية في ظل التوجه القانوني والاقتصادي الجديد. ويستند في ذلك إلى الاتفاques الأوروبي وأهمها مؤتمر اللوكسمبورغ ولاهـي سنة ١٩٨٥، وتوقيع الوثيقة الموحدة الأوروبية التي حددت موعد إنشاء السوق المالية الكبرى أواخر سنة ١٩٩٢، فيتوقف في بحثه عند أهم معالم هذه الوحدة المالية، إن من حيث هيكلية التعاون والتقارب التشريعي، أو من حيث التكامل الاقتصادي الهدف لاستقرار مالي ونقدي طويل الأجل.

للكتاب أهمية أكاديمية وعلمية، فهو وإن لم يدخل في الاقتراحات والحلول، يتوقف عند أهم معالم المدى المالي والنقدى الأوروبي في منحى وصفى تحليلي، ويمكن اعتباره تقريراً مفصلاً عن الوضع المالي في السوق

(*) استاذ محاضر في جامعة القديس يوسف ومعهد الحكمة العالي لتدريس الحقوق.

(١) مؤتمر اللوكسمبورغ ولاهـي ١٩٨٥.

مفصل وأساسي، إن من حيث توحيد مضمون النصوص الداخلية المتعلقة بمؤسسات التسليف، بشكل عام، لتجيئ حركة الرساميل، أو من جهة تنظيم الاعتمادات المعطاة للمستهلكين والحد من الفوائد في هذا الإطار.

وبهدف تحقيق المساواة بين الشركات والمؤسسات العاملة على مستوى السوق الأوروبية، كان لا بد من توحيد، أو على الأقل، تقييّب شروط ممارسة أعمالها، ان من حيث التشريعات التجارية والضرائبية الخاضعة لها، أو من حيث شروط الملاعة والمراقبة من قبل السلطات المحلية.

إنما يبقى المبدأ الأساسي إلغاء الحدود وما يستتبعه من نتائج في غاية الأهمية على الصعيد العملي، كحرية إنشاء المؤسسات، وتنقل الرساميل بدون عائق، وحرية تحقيق الخدمات وحرية تنقل السندات المالية، والأموال المنقولة.

٢ - حرية إنشاء المؤسسات في إطار السوق الأوروبية

يعطي هذا المبدأ الحق لأي شخص طبيعي أو معنوي من رعايا الدول الأعضاء، في إنشاء مؤسسة أو شركة أو فروع لهما في أي من الدول الأعضاء، وذلك بالشروط نفسها التي تفرض على المؤسسات والشركات الوطنية.

ولتحقيق هذا المبدأ، كان لا بد من جهود جبارة أدت إلى إدخاله في القانون الوضعي الوطني لكل دولة من الدول الأعضاء.

وقد أتى ذلك نتيجة قرارات عدة اتخذت على مستوى السوق الأوروبية المشتركة.

- البيروقراطية المستحكمة في مؤسسات السوق المشترك بعد إنشائها.

ويحمل الرخم الجديد، بدون شك، إرادة جعل السوق الأوروبية مجالاً جغرافياً واقتصادياً من دون حدود داخلية، حيث يسهل تنقل المسافرين، والبضائع، والأموال، والرساميل^(٢).

فتتحديد الأول من كانون الثاني ١٩٩٣ أجلأً أقصى لوضع مشروع السوق الأكبر موضع التنفيذ، ينمُ عن جدية في إرادة التنفيذ.

لكن لا بد من تعديلات مهمة في أصول سير الأعمال واتخاذ القرارات وأهمها:

- استبدال الاجماع في التصويت بالأكثرية المطلقة على مستوى المجلس.

- الاعتراف المتبادل بالتشريعات الوطنية مهما اختلفت، وحل مبدأ التناغم الأدنى l'harmonisation minimale المختلفة مكان «التناغم المسبق» l'harmonisation préalable

- خضوع المؤسسات والشركات «المصارف وشركات التأمين...» للقوانين المرعية الاجراء في البلد الذي يقع فيه مركزها الرئيسي.

إنما يبقى السوق المالي الأوروبي الأكثر تقلباً والأصعب تنظيماً، لأسباب لا تخفي على أحد مرتبطة ارتباطاً عضوياً بهيكليّة المؤسسات المالية لما تمثل من مصالح دولية. فالنظام المصري في المانيا، قائم على مشاركة الدولة كمساهمة في عدد كبير من الشركات المصرفية وصاحبة المداخل الأكبر. فكان لا بد من تنظيمات تطال هذا الميدان بشكل

(٢) المادة ٨ من الوثيقة الموحدة الموقعة في شباط ١٩٨٦ بين الدول الأعضاء.

الشركات التجارية والصناعية المعاملة معها في
البلد الأصل.

٢- إنشاء عدة فروع والتوجه إلى الزبائن
المحليين.

٣- شراء إحدى المؤسسات مع بنائها
التحتية والاستناد إلى معطياتها التجارية
والاقتصادية للتعاطي التجاري.

ويبقى السؤال الأهم: ما هي نتائج
الاستثمار الخارجي؟

أصبح من المعلوم أن السوق الأوروبية
صارت متخرمة بالمؤسسات المالية، وقد
ازداد عدد فروعها، في الآونة الأخيرة، بشكل
هائل والدلالة في الأرقام:

أحصي في أواخر سنة ١٩٩٠:

- فرع مؤسسة مالية لكل ١٠٣١ مواطن
الماني غربي.

- فرع مؤسسة مالية لكل ١٣٢١ مواطن
فرنسي.

- فرع مؤسسة مالية لكل ١٣٨٥ مواطن
بريطاني.

بينما، وبالمقارنة مع أنظمة مالية أخرى
كالنظام الكندي والنظام الياباني، نجد فرقاً
شاسعاً إن دل على شيء فعلى تخرمة في
عدد المؤسسات المالية الأوروبية. وهنا لا بد
لإظهار الفروقات المعبرة، من استعراض
بعض الأرقام على سبيل المقارنة. فقد
احصي في أواخر سنة ١٩٩٠:

- فرع مؤسسة مالية لكل ٢٠٢٢ مواطن
كندي.

- فرع مؤسسة مالية لكل ١٨١٤ مواطن
ياباني^(٣).

فالقرار الثاني، وهو الأهم، لتقريب
التشريعات المصرفية من بعضها البعض، صدر
في ١٥ كانون الأول ١٩٨٩، وقد حدد تاريخ
بدء العمل بحرية إنشاء المؤسسات في الأول
من كانون الثاني ١٩٩٣. وهو يفرض على
الدول الأعضاء الاعتراف المتبادل بالمؤسسات
الوطنية، والعمل على ارساء أواصر التقارب
بين التشريعات التجارية مع اخضاع
المؤسسات للرقابة من قبل الدولة القائم على
أراضيها المركز الرئيسي للمؤسسة.

لهذا المبدأ نتائج جد مهمة، إذ يعطي الحق
لكل مؤسسة مصرفية بإنشاء مركز أو أكثر
لها في أي بلد من دول السوق، أو القيام
بخدمات بدون الحاجة إلى ترخيص مسبق
من السلطات المحلية، إذ يكتفي بالترخيص
المعطى في الدولة التي انشئ فيها المركز
الرئيسي، ويبقى للسلطات المالية فيه الحق
بمراقبة أعمال هذه المؤسسة وفروعها.
فالترخيص بالإنشاء واحد يعطى مرة واحدة
من قبل أي دولة من الدول الأعضاء،
وتسرى مفاعيله في الدول الأعضاء الأخرى،
وتبقى سلطة الرقابة للدولة صاحبة
الترخيص. ولكن لهذا المبدأ استثناء:

- للدولة المستضيفة وحدها حق مراقبة
ملاءة المؤسسة المالية.

- للدولة المستضيفة حق فرض سياساتها
المالية العامة على الفرع المنشأ على أراضيها.

ما هي هيكليات الاستثمار الخارجي؟

للمؤسسة المالية الراغبة في إنشاء فروع
لها في الخارج الخيار بين:

١- إنشاء فرع واحد هدفه استقطاب فروع

عملياً أهمية متزايدة في ظل شروع معظم المصادر إلى ولوج عالم التأمين. وإعادة التأمين، والخدمات التجارية بشكل عام، يقيناً منها أن للقطاع المصري الدور الأهم في المجتمع الاستهلاكي.

وتحتضر الخدمات المالية بـ:

- تسهيل الایفاءات بين دولة وأخرى من الدول الأعضاء في السوق.
- تسهيل أعمال الوساطة والسمسرة.
- تسهيل أعمال الاستثمار.
- تسهيل أعمال القطع.
- تعديل شروط بعض العمليات المالية من حيث تحديد تاريخ الاستحقاق، ومقدار الفوائد، وعملة الایفاء... إلخ.
- تسهيل إدارة الأموال.
- تسهيل عمليات البورصة.
- تسهيل عمليات التأمين.

٤ - توحيد الأحكام الوقائية لمواجهة الأخطار المصرفية

لتحقيق فرص عمل متساوية بين المؤسسات المالية الأوروبية، من البدئي توحيد التشريعات التي ترعى أصول انشاء هذه المؤسسات، وكيفية قيامها بأعمالها وخاصة النسب الضريبية المفروضة عليها. فعدم التوازن في الموجبات المفروضة من كل دولة على مؤسساتها المالية، من شأنه تسهيل نوع من المضاربة قد لا يكون «مشروعًا» من الناحية الاقتصادية والقانونية، ولا يحقق مبدأ تكافؤ الفرص على الصعيد الأوروبي.

وللحقيقة من ملاعة المؤسسات المالية وقدرتها على مواجهة أخطار السوق بسياسة مالية وقدرات كافية، اعتمدت دول

فالأنظمة المالية الأوروبية الكبرى تشكو، ولا ريب، من كثرة المؤسسات المالية. إنما من الملفت أن أيًّا من تلك المؤسسات لم يعمد إلى إغفال فروعه أو إعادة النظر بعدها، مما يدل على استيعاب السوق الأوروبية، لكثرة الفروع هذه. إنما لا بد من التوقف عند الحد الواضح في نسبة الأرباح، وممرد ذلك إلى عاملين: توزع الزبائن بين تلك المؤسسات والأزمة المالية التي تفاقمت في السنوات الأخيرة.

٣ - تحرير النشاط المالي

وهو الغاء أي عائق قانوني يحول دون انتقال الرساميل من دولة إلى أخرى في السوق الأوروبية. مما يعني أن لكل شخص طبيعي أو معنوي ينتهي إلى أي دولة من دول السوق الحق باستثمار أمواله أو فتح اعتمادات وتسلیفات، أو توظيف قدر من السيولة بأي عملة أوروبية يشاء في إطار السوق المشتركة.

ولتحرير هذا النشاط المالي نتائج مهمة:

- بالنسبة إلى الدول: إلغاء المراقبة على عمليات القطع.

- بالنسبة إلى المؤسسات: فتح باب الاستثمار على مصراعيه دون عوائق تذكر على مدى مساحة جغرافية واقتصادية هائلة.

- بالنسبة إلى الأفراد: تسهيل عمليات توظيف الأموال وإيداعها في الخارج وكذلك تسهيل الانتقال السياحي.

لكن حرية القيام بالخدمات التجارية تبقى على هامش التنظيمات الأوروبية، إذ حدّدت الخدمات بالأعمال الخاضعة لأحكام التنظيمات المتعلقة بانتقال البضائع والرساميل والأفراد. في حين أنها تكتسب

الإيداعات الفردية وعلى السعي لتعويض تضاؤل السيولة بواسطة السندات.

٨- الأخطار الناشئة عن تمنع بعض الدول الأوروبية عن إيفاء ما استعملته من اعتمادات مصرفية.

ولمواجهة هذه الصعوبات، كان لا بد من سعي دؤوب، وجهود تشريعية وعملية، تزيد من متانة البناء الأوروبي الحديث بعد تصدع في الأساس وتراخ في الدعائم. وقد واجهت دول السوق هذه الحالة الدقيقة بثوابت اعتمادتها:

- التوازن في الموجبات المفروضة على المؤسسات من قبل الدول الأعضاء، واعتماد أحكام قانونية وقائية لمواجهة الأزمات.

- حرية الاستثمار من حيث الزمان والمكان، مع البقاء على بعض الضوابط الحامية للاقتصاد الوطني، كفرض شروط أكبر على المستثمر الخارجي...

وقد قطعت عملية توحيد الأحكام الوقائية لحماية اقتصاد السوق شوطاً بعيداً، لكنها لم تبلغ بعد مرتجاهما. ويفرض استكمالها اهتماماً أكبر لتحديد الوسائل الكفيلة بالحد من الأخطار الناجمة عن التعامل التجاري، بشكل عام، إذا ما اختلف التوازن بين «اللاعبين» من حيث القدرات المالية. والحجم الاقتصادي.

٥- الملفات الأخرى

يفرض التعاون في إطار السوق الأوروبية المشتركة، على صعد أخرى، توحيداً أو، على الأقل، تقاربًا في أصول التكليف الضريبي ومقداره. وال المجال الضريبي هو من النقاط الأكثر دقة، والأكثر عرضة للنقاش، لأن الدول، مهما اشتدت إرادتها للتعاون، قد

السوق أحکاماً وقائمة، الغاية منها المحافظة على مصالح الفرقاء في العلاقات المالية وخاصة المودعين منهم، بمواجهة أخطار الإفلاس المصرفي وما يستتبعه من نتائج سلبية قد تؤدي إلى اهتزاز النظام المالي بمجمله في أي دولة من دول السوق. ومن الأمثلة على هذه الأزمات المالية الخطيرة: إفلاس مصرف إنكلترا الجديدة سنة ١٩٩١.

وهنا يستعرض الكاتب أهم الأسباب التي أدت إلى تعاظم الأخطار المحدقة بالنظام المصرفي:

١- تدني ملأة المتعاملين مع القطاع المصرفي الأوروبي.

٢- اضمحلال المؤسسات التجارية المحدودة القدرات المالية تقريباً أو وقوفها في عجز مالي كبير.

٣- هزالة القروض والدعم المقدم من الشركات الأم إلى فروعها، محلياً أو في دول أخرى. فيغدو الفرع العامل في الخارج مع تعاظم المضاربة غير قادر على مواجهة مصاعب السوق، وخاصة المضاربة المعاذمة من قبل المؤسسات الأخرى.

٤- الفوضى في أسواق القطع منذ العام ١٩٧١، والفارقان الهائلة في سعر صرف العملات الأوروبية الأساسية.

٥- إعادة توظيف الأموال الفائضة في الدول الكبرى من العالم الثالث.

٦- توسيع السوق، مما فرض على المؤسسات المالية الأوروبية قدرات أكبر قد لا تتتوفر في معظم الحالات.

٧- التخفيف من السيولة المتوفرة بسبب القروض المتزايدة المنوحة للدول لتغطية عجزها المالي، مما يجعل المصادر على الاعتماد على حيز من

لذلك كان السعي منصبًاً للحد من التفاوت والتقلب في سوق القطع للعملات الأوروبية، في ظل قواعد مالية موحدة وتصرف واعٍ وشفاف، من جهة، ومن جهة أخرى، لتوحيد أسعار المواد المنتجة والمباعة في دول السوق والخدمات بشكل مطلق.

ويبقى توحيد السوق المالي الأوروبي
لواجهة عدم الاستقرار النقدي الناجم عن
سياسات اقتصادية تتبعها دول غير أوروبية
منتجة ومتمنعة بثبات اقتصادي، الخيار
الأنساب على طريق إنشاء وحدة اقتصادية
ومالية أوروبية.

٧ - نتائج اتفاق ماستریخت Maastricht

حق اتفاق ماستريتش إنجازات مهمة على صعيد التقارب والتكامل الأوروبي، إنما شابه اعتراضات، من قبل المانيا التي رفضت رفضاً باتاً إنشاء مصرف مركزي أوروبي، في الوقت الحاضر، ومن قبل انكلترا والدانمارك بما تمسكا به من بنود تحفظ على الاتفاق.

هذا وقد أثار اتفاق ماستريتشت بعض ردود الفعل السلبية، خاصة من حيث السعي لتوحيد سياسة الموارنة العامة. ومرد هذا، بلا ريب، إلى تفاوت في التوجهات، لاعتبارات متباعدة متعلقة بالاحتياجات الخاصة بكل بلد ووضعه الاقتصادي. فكيف يمكن العمل على وضع سياسة متوازنة موحدة تتمايز بشكل واضح عن الاقتصاد الخاص بكل دولة من دول السوق، ناهيك أن لتوحيد العملة دلالة خاصة في آنها الأوروبية وقد تعنى، إلى جانب مفهومها الاقتصادي، تخل عن هوية وخصوصية غالبة على بعض المفكرين الأوروبيين؟

تبقى متعددة إذاً ما مست سياستها الضريبية.

غير أن التقارب طال ولا ريب هذا المجال. فقد ألغيت ثنائية التكليف، وحددت نسبة قصوى للتكليف غير المباشر، بيد أن النظام الضريبي على الأدخار يبقى الأكثر تفاوتاً بين الدول. إذ ان الأدخار محفوظ من أي ضريبة في اللوكسمبورغ، وفي الدانمارك، وفي المانيا. بينما تصل الضريبة على الأموال الدخيرة إلى ٢٠٪ في إسبانيا، ٢٥٪ في بريطانيا، و٣٠٪ في ايطاليا و٣٥٪ في فرنسا. وفي الإطار عينه، تبلغ الضريبة ١٠٪ على السندات في بلجيكا و١٥٪ في فرنسا، و٢٥٪ على بعض أنواع السندات في بريطانيا، بينما هي منعدمة في اللوكسمبورغ والمانيا والدانمارك.

لذلك يقترح الكاتب أن يزداد السعي في هذا المضمار للوصول إلى قواسم مشتركة تزيل التفاوت بين الدول، وتضعها على قدم المساواة في ما خص توزيع الرساميل على القطاع المصرفي الخاص لكل دولة، وإلا توجهت الأموال والرساميل إلى الدول الأقل تكليفاً، وتجمعت في بعض الدول الأوروبية دون الأخرى.

٦ - لماذا الوحدة المالية

بعد عرض مسهب لنقط التلاقي والافتراق وأهم الأحكام التي ترعى العلاقات المالية والاقتصادية بين دول السوق الأوروبية المشتركة، يعود الكتاب فيتساءل عن دور الوحدة المالية الأوروبية، فيرى أن الاستقرار الاقتصادي يقوم، بدون أدنى شك، على الاستقرار المالي. والاستقرار بدوره يقوم على توافق، أي على سوق مالي مستقر يكون بحجم السوق الجغرافي والتجاري.

الاحكام، تحول إلى نظام منفتح. غير أنه يتعدد حالياً بين المثل الانكلوساكسوني والمثل الالماني مع المحافظة على خصوصياته ومميزاته. بيد أنه واجه في السنوات الأخيرة بعض المصاعب، تمثلت في افلات بعض الشركات أو خسارة مقدار هائل من رأس المالها، كحال شركة بورصة توفيفه (خسارة ٧٥٠ مليون فرنك فرنسي). وقد اعتمد المشترع الفرنسي مبدأ الحرية المالية، وسمح بكل مضاربة مشروعة في هذا المجال لاغيأ مبدأ الحصرية الذي كان سائداً أساساً. مما يعني دخول شركات البورصة السوق بحذر كبير لما ستواجهه من مضاربة ضاغطة.

١٠ - تأثير الوحدة الاقتصادية والمالية على النظم الاقتصادية الأوروبية.

ستواجه هذه النظم الاقتصادية مصاعب عده، خاصة من جهة كلفة دخول هذه الأسواق الجديدة، كما ستنتفتح أمامها مجالات استثمار أكبر.

وقد تفرض التوجهات الجميدة أعباء إضافية ناتجة عن تطبيق سياسات مالية، للتكييف مع شروط الاستثمارات الجديدة، والانتقال إلى التعامل بعملة موحدة قد يزيد من الكلفة التقنية لكل مؤسسة.

ومن جهة ثانية، تعاظم الأخطار الاقتصادية الناتجة، ولا شك، عن المضاربة، وبالتالي اعتماد سياسات مالية وقائية مكافحة تحد من سرعة النمو الاقتصادي.

وتبقى الهواجس نفسها التي رافق تطور الوحدة الأوروبية منذ الانطلاق، تراود أذهان المحللين الاقتصاديين والمخططين الماليين. وقد يشكل الانتقال من مرحلة الأسواق المتعددة المحمية بقوانين وضوابط

لكن انشاء السوق المالي الموحد شجع العمليات المالية على هذا المستوى، وأدى إلى ازدياد المضاربة بالعملات، بالسندات والأسهم خلال أزمة أيلول ١٩٩٢.

٨ - تنوع النظم التجارية واختلاف المفاهيم المالية بين الدول الأوروبية والقوى الاقتصادية الأخرى.

يقوم النظام المصري في الدول الانكلوساكسونية على مصارف الأعمال ومصارف التسليف (الولايات المتحدة، كندا، إنكلترا، اليابان)، بينما يستند النظام الالماني على مصارف ذات قدرات محدودة قائمة على ودائع التوفير. أما في فرنسا وأسبانيا، فالنظام المصري يتمحور حول مصارف الأعمال والتسليف والمصارف المعتمدة على ودائع التوفير.

ويتساءل الكاتب عن إمكانية دخول كل هذه الأنظمة مجال السوق، دون أي تعديل في الهيكلية الخاصة بها.

٩ - الأسواق المالية الأوروبية تتراوح بين حرية تشريعية قصوى وأحكام محافظة.

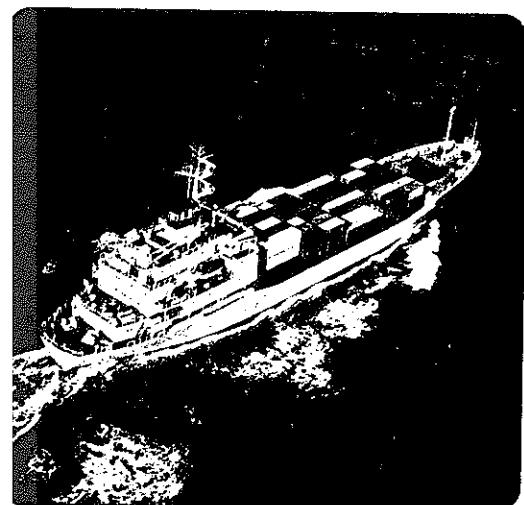
يتتميز النظام المالي البريطاني بحرية لا مثيل لها في الأسواق الأخرى، إذ يتم تداول الأسهم والسندات والعملات بشكل حر، كما يلاحظ غياب التشريع المنظم والحاد من مقاييس بعض العمليات المالية، بينما يتميز النظام الالماني بقواعد محافظة تمحظه صلابة تجارية واثقمانية كبيرة، لكنها تحد من بعض فاعليته في عالم الأعمال. غير أن المصرف في هذا النظام يلعب أدواراً عده، من موّل تجاري إلى مستشار أعمال ومشارك وموّجه استثمارات...

أما النظام الفرنسي، فبعد أن كان صارم

الانتظار والمراقبة قبل أي خطوة في هذا المجال، قد يأخذ البعض الآخر المبادرة سريعاً. وقد يخشى البعض أن يكون وراء بعض المؤسسات المالية الأوروبية المتواضعة رساميل يابانية وغير أوروبية تعتمد على تدخل مفاجئ في السوق المالية يعطيها المركز الأول في سباق الألف ميل.

إلى مرحلة السوق الموحدة المتميزة بحرية انتقال الرساميل والأموال والمضاربة بها وحرية إجراء عمليات القطع؛ صدمة مالية للاعبين الماليين يفترض استيعابها. وستحدد استراتيجية اللاعبين هوية صاحب السيطرة الأخيرة على السوق الموحدة. وفي حين تفضل بعض الأنظمة

When You Ship Cargo , You Seek ;



ALL THESE QUALIFICATIONS ARE

- L : LIABILITY FOR YOUR GOODS**
 - e : EARNEST STAFF**
 - a : ATTRACTIVE RATES**
 - d : DOOR TO DOOR DELIVERY**
 - e : EFFICIENCY FOLLOW - UP**
 - r : RAPIDITY OF SHIPMENT**
- Cargo
Golead**
MARITIME SERVICES SARL.

Phone : 01-581870/1-339481
Telex: 40910 Golead

قراءة كتب

سيكولوجية الإرهاب السياسي

د. خليل فاضل

د. عبد الفتاح محمد دويدار (*)

بين الحياة بكل صخبها ولواعتها والعلم الحديث بكل عنفوانه ومحدوبيته.. وأعترف بصراحة بأنني قد دخلت إلى عالم صعب ومتشابك، قاس وعنيف، دراسته نوع من التحدي، وكتابته مواجهة تحتاج إلى كثير من الشجاعة. ومهما كان الجهد كبيراً فإن التناؤل يبقى كمن يشرح الجزء الظاهر من جبل الجليد. دفعني الموضوع دفعاً إليه، ليس لأن علم النفس من صميم مهنتي، لكن لاهتمامي الشديد بهذا الجزء الخاص والحساس من الإنسان في تزاوجه مع مظهر من مظاهر العنف السياسي.

- * ما هي الأسباب الموضوعية للإرهاب؟
- * ما هي خصائص وظروف وفرص من يُعد إرهابياً؟
- * لماذا تواجه ممارسات بالإدانة وأخرى، إن لم تكن بالتأييد، فعلى الأقل بالصمت والتجاهل والتتناسي؟
- * هل من المعقول انسانياً أن يواجه الإرهاب بالارهاب؟

يقع الكتاب في ٣٢٧ صفحة من القطع الكبير (الكورتو)، ويشتمل على مقدمة وثلاثة أبواب تحتوي ستة فصول وفصلاً ختامياً وخاتمة. وذيل المؤلف كتابه باللاحق وبببليوغرافيا ومعجم المصطلحات والتعريفات، فضلاً عن الفهرس الكشاف وفقاً للحروف الأبجدية العربية كما ألحق كل فصل من فصول كتابه بمصادره المرجعية.

استهل المؤلف غلاف كتابه بقوله: «نحن نعيش في منطقة ساخنة جداً، تغلي بكلفة أنواع الصراعات النفسية والسياسية والاجتماعية. كلنا، وما زلنا، وستظل مسرحاً لعمليات العنف السياسي الشديد والمتباين. باختصار... كل الوطن العربي شهد ويشهد بحوراً من الدم وأهرامات من الضحايا: من بقي حياً إما تأسلم بصعوبة مع الواقع المعاش أو تشهو نفسيّاً وجسدياً وصارت حالته وصمة في جبين هذا العصر وهذه الأمة». واستطرد قائلاً: «أعرف أنني أقفز من على الأسوار محاولاً أن أبني جسراً

(*) أستاذ في كلية الآداب جامعة الإسكندرية - مصر، وجامعة بيروت العربية - لبنان.

الحروب، وفي معسكرات الاعتقال للسياسيين والعسكريين. صدر الإرهاب من الحكم ضد المحكومين، ومن المحكومين ضد الحكم، ومن حكومات ضد حكومات أخرى، ومن أفراد وجماعات ضد أفراد وجماعات أخرى. ولهذا استحق الأمر علمياً أن نقول بظواهر وأنماط للإرهاب يمكن التمييز بين أنواعه، ومضامين وأدبيات وغايات كل نوع منها، حتى يمكن لنا التمييز بين العام والنوعي، وبين ما يمكن أن يوسم بأنه إرهاب غير مشروع، وما يُعد اختياراً حتمياً وحيداً أمام بعض الأطراف في لحظة محددة. كما أن ظواهر الإرهاب وأنماطه ليست ظواهر متحركة أو قائمة بذاتها، فهي نتاج تفاعلات كثيرة: حضارية واجتماعية واقتصادية ونفسية، داخلية على مستوى المجتمع الواحد، وإقليمية على مستوى مجموعة الدول والمجتمعات التي يجمعها إقليم ما، وعالمية على مستوى النظام العالمي، عملياته وعلاقاته، ومراميه وأهدافه. ورغم تباين المستويات السابقة الذكر وتعدد أطراف الإرهاب وأنماطه، فهو في معظم الأحوال ينبع عن وجود خلل في أسس وأشكال وممارسات القوة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية، وعن الوعي بهذا الخلل من حيث تفسيره وتحديد المسؤولين عنه والوعي بامكانيات تهذيبه وإصلاحه وتغييره في اللحظة المحددة، فضلاً عن أن ثمة تميزاً بيئياً في التعامل مع أنماط من الإرهاب أكثر من غيرها، وأدبيات للإرهاب أكثر من غيرها.

الكتاب يطرح في فصله الأول: «الإرهاب السياسي، ظاهرة معاصرة»، آفاق البحث العلمي وتصوراته في مجال الإرهاب السياسي، مشيراً إلى الجهود التي تمت في

* ما هي حدود نجاعة الأساليب الأمنية والقمعية في معالجة الإرهاب؟ وما هي الجدوى السياسية والإنسانية للمحاولات التي استخدمت هذه الأساليب؟

على هذه الأسئلة، وغيرها كثيرة، حاول الدكتور خليل فاضل أن يقدم جهداً فكرياً وعلمياً مرجناً، متعلقاً إلى الشمول النسبي بشأنها. فأتى عمله وكتابه ليسد نقشاً ويشبع حاجة للمكتبة العربية، حول هذا الموضوع الذي يحرك في ذهن القارئ أسئلة كثيرة، تستثير وجده وخياله، وتدعشه بالمعلومات والبيانات. ولكي يفي أهداف عمله، بذل الكاتب جهداً ملموساً في متابعة أهم المراجع العالمية والערבية التي عنيت بتناول أنماط الإرهاب، وهي متابعة تتبع فرضاً معرفية محمودة للقارئ المهتم، لأنها جمعت بين المعلومات العلمية والقرارات السياسية والواقع التاريخية ذات الصلة بالإرهاب. وقد دلل المؤلف بصياغة علمه وعمله وتركيب عناصره، على قدرة متميزة، فلم يحبس التحليل في نطاق تخصصه المحدد وهو الطب النفسي، بل تجاوزه إلى تخصصيات أخرى تهتم بالإنسان والمجتمع، واقعاً وتعلقاً فوضع تخصصه في إطاره الأشمل والأرحب، ليقدم بحثاً جديراً بالتتابع وال الحوار بشأن ما تضمنه من قضايا واجتهادات.

يقول الدكتور عبد الباسط عبد المعطي، أستاذ علم الاجتماع بجامعة عين شمس ورئيس الجمعية العربية لعلم الاجتماع، في تقديميه لهذا الكتاب: «إن الإرهاب ظاهرة إنسانية تاريخية، حدثت ضد الأنبياء، والمصلحين والثوار، كما حدثت مع أصحاب أنماط من التمرد على القوانين واستقرار المجتمعات، ضد المستعمر والغازي، وأثناء

الإرهاب السياسي ما زال في مجده عقائدياً، فكريأ، ونظرياً. وما زال البحث يفتقر بشدة إلى دراسة سلوكيات الإرهابيين وعملية صناعة القرار وتنفيذهم... وهذا منوط بعلماء النفس وعلماء الاجتماع والإنسانيات.

الفصل الثاني «رؤية عامة للإرهاب السياسي»، يُقدم رؤية عامة لسيكولوجية الإرهاب السياسي، مشيراً إلى ردود أفعال الحكومات المختلفة تجاه العنف السياسي وتشابهها مع بعض ردود أفعال الإرهابيين. كما يوضح رؤية الطب النفسي مع الإرهاب، وديناميات الشخصية الإرهابية مع الرجوع لأمثلة بعض الجماعات الإرهابية في مصر. كما يشير الفصل إلى صعوبة صياغة نظرية نفسية للإرهاب السياسي نظراً لصعوبة الحصول على المعلومات والوثائق والسجلات، متحدثاً بشيء من التفصيل عن العامل الشخصي ودوره في المسألة. والمُلَّـفـ، بوصفه طبيباً نفسياً، يوضح في هذا الفصل أن الإرهاب السياسي من ناحية لا يبدو نتيجة «لمرض عقلي»، ومن ناحية أخرى، يستحيل استنباط تفسير طبي نفسى له. ومع ذلك، فإننا نحاول أن ندرس العلاقة بين الإجرامي وطب النفس، وفي الوقت نفسه نتطرق إلى مناقشة مسائل مثل بيولوجية الجنون، وتتأثير العزلة والاغتراب والعقائد التدميرية على الأشخاص التورطين في العمليات الإرهابية السياسية. وبينما ينشق الفصل أيضاً التوتر والباحثين عنه، بوصفه حالة نفسية لدى الإرهابي، أو علامة بيولوجية لديه مما يُنتج لنا نوعين من الأفراد، النوع الاتباعي (الاجتماعي المنفتح المحب للمخالطة) والنوع الغضابي (العدواني المحب للعزلة والانطواء).

أما عن المرأة وعلاقتها بالإرهاب

هذا الصدد على مستوى العالم، فيستعرض جهود ألمانيا الغربية (سابقاً) في مجال البحث العلمي عن الإرهاب السياسي والتي تناولت المسببات الرئيسية للإرهاب والأنشطة الإرهابية، والتعرف إلى مفهوم الإرهاب ودواجهه، وتحليل حياة «الإرهابيين» من خلال السيرة الذاتية والمعلومات الاجتماعية الشاملة، ثم جمعها حول أفراد الجماعات المختلفة، ثم تحليل المتغيرات المختلفة للظواهر المتباينة والأعراض المرضية. فضلاً عن فحص كيفية تكوين الجماعة وديناميته، والزعامة، والتنظيم، والتفاعلات الداخلية، وما إذا كان لدى الجماعات الإرهابية حاجة داخلية إلى الفعل ورد الفعل بغية الاستمرار؛ وهل يستدعي الأمر تدريب وتجنيد أعضاء جدد؟ وهل يحافظون على نشاط داخلي معين له مستوى محدد من الأداء بصرف النظر عن النشاطات الظاهرة للمجتمع والعالم؟... هذا بالإضافة إلى العناية بالأمور الاجتماعية ذات العلاقة المباشرة بالإرهاب، والمؤثرات الأيديولوجية، والمقارنات العامة بين الشعوب والدول المختلفة. كما استعرض المؤلف جهود إيطاليا في هذا الصدد، وخلص إلى القول إن الإرهاب كمشكلة محلية وعالمية أمر ذو أبعاد كثيرة، ويحتاج إلى جهود المختصين في أكثر من مجال. كذلك ينالش المؤلف في هذا الفصل أسباب الإرهاب السياسي، متناولاً أحد العلوم الحديثة المتعلقة به وهو «علم دراسة الضحايا» وعلاقة الإعلام بالظاهرة، كما يركز بشيء من التفصيل على خسائر الإرهاب السياسي والتوزيع الجغرافي له، شارحاً بعض المحاذين عن حياة «الإرهابي» وعملية صناعة القرار في العمليات الإرهابية. ويختتم المؤلف الفصل الأول بقوله: «إن البحث العلمي في مجال

شيئاً يوجد بمفرده، لكنها أمر جامع ذو جذور من ماضي الإنسان وتاريخه العرقي والقومي والأسرى، وبالتالي لا يمكن فصله عن الظروف التاريخية. ومن هنا يتبيّن أهمية الظروف السياسية والاجتماعية والتحولات التاريخية للمجتمع والدولة التي نشأ فيها القائمون بالإرهاب، سواء أكانوا ضد الدولة أم داخل أحجزتها. ففي مرحلة تكوين الهوية، يسعى الإنسان إلى المعنى والإحساس العام بالأشياء ككل وفي شمولية، كذلك يسعى إلى «الإخلاص»، بمعنى الحاجة إلى إيمان معين بشيء ما، أو بأي فرد خارج حدود الذات، إيمان بشيء يجب أن يكون أهلاً للثقة. وإن أزمة الهوية لدى الإنسان عندما يعاني من الحرية وعدم الوضوح، والتفكير، والتتصدّع والتناقض، تجعل بعض المراهقين مهياً للتوجه في جماعة ما، أو تنظيم ما، داخلين في سعي محموم إلى دائرة الوعي النفسي الجماعي المستمر والثابت، متخلصين لا إرادياً من عذابات الوعي النفسي الفردي بكل ما يحمله من تشوّهات. وهذا ما يتضح جلياً في لجوء مجموعات كبيرة من المراهقين والشباب من الجنسين إلى الجماعات الدينية في مصر، فجأة وبدون مقدمات. إن غضب الإنسان عندما يحس بالضعف والعجز والدونية، ينعكس على كل الأشخاص المسيطرین والمهيمنین عليه اجتماعیاً واقتصادیاً وعسكرياً وسياسیاً ونفسیاً. وقد يبعث هذا الغضب أيضاً أحاسیس الذنب التي قد تؤدي إلى أفعال يعاقب بها الإنسان نفسه. من ناحية أخرى، فإن الانظام في صفوف إرهابية منظمة يُعدّ من وجهة نظر معينة محاولة أخيرة ضمن محاولات عديدة لتكوين الشخصية، إذ إن فرصة الالتحاق بتنظيم إرهابي معين تسمح للفرد بأن يغمر

السياسي، فقد نوّقش الموضوع من خلال رؤية البعض للنساء «الإرهابيات» كعاطفيات أكثر منهן عمليات. ويناقش الجزء الأخير من الفصل، الإرهابي بوصفه نموذجاً بطوليًّا لدى البعض، ويطرح السؤال الهام: لماذا يسبب حدث بسيط فرعاً رهيباً تكون له أصداء ضخمة، ويسبب ارتباكاً اجتماعياً عاماً، مع تأثيره على السلطة وتعريفاته لفاعلية أجهزة الأمن فيها، ضارباً أمثلة من واقع عمليات تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر مؤخراً. وفي الفصل نفسه، يناقش المؤلف قضية منع بعض الحكومات نشر أخبار الإرهاب، مشيراً إلى أن الإرهاب يطور نفسه ويصدر مادته «دراماً» يكتفى بحافظ على اثره النفسي ولكي تذوب المسالة الجغرافية بين الحدث والمشاهد، مناقشاً بشيء من التفصيل حقيقة الآثار النفسية والتأثيرين بالإرهاب. كما يطرح مسألة احتجاز الرهائن، وقضية «التوحد مع الجاني»، والإبداع، والسخرية وكل الحيل الدفاعية التي يلجأ إليها الرهينة كي يتآقلم مع واقعه الجديد، ويركز على أن ارتباط الرهينة انفعالياً بمختطفيه يكون في معظم الأحوال أكثر من ارتباط المخطوف بضحایاه عاطفياً، وأن الإرهابيين، عامة، يستغلون كل هذه التفاعلات الإنسانية لمصلحتهم.

أما الفصل الثالث، وعنوانه: «دور التنشئة في تكوين الفرد الإرهابي»، فيتناول الهوية الشخصية كمفهوم تنظيمي وراء الفرد الإرهابي، حيث إن فهم الإرهابي كفرد، يحتاج إلى نظرية تجمع بين خصائصه المتواقة لدينا من خلال نشأته وتحليل سلوكياته من ناحية، وبين ملاحظاتنا عليه من واقع التجربة والفعل من ناحية أخرى، لا سيما وأن الهوية ليست

أمر حيوي وهام يتعلق بتماسك الشخصية حيث تكون «الهوية الجماعية» هي «الهوية الفردية». إن الجماعات «الإرهابية» مماثلة للجماعات الأخرى التي يكون هدفها تغيير المجتمع وتحوילه، لا سيما إذا كانت حياة أفراده قبل الالتحاق بالمنظمات غير مرضية. إن ثمة روابط وجذانة قوية تتكون بين الأعضاء، وبالتالي يتعمق الاعتماد على الجماعة أو المنظمة، ويصبح المكسب النظيف الذي يتحققه الأعضاء داخل شخصياتهم نفسها أكثر منه في البيئة المحيطة بهم. أي أن اعتراف وتقدير أعضاء الجماعة الآخرين يكون أكثر أهمية من تحقيق أهداف الجماعة في بعض الأحيان، واعتراف الجماعة لا يكون بالأفعال المؤدية إلى تحقيق الأهداف السياسية فحسب، ولكن أيضاً يتأكد من خلال التناجم والتوحد والتماسك الدييدولوجي، في إطار توحيد فكر الفرد مع فكر الجماعة. وفي ظل هذه الظروف، يصبح هدف «المنظمة الإرهابية» هو الحفاظ على كيانها أكثر منه محاولتها تغيير النظام الحاكم، ويصير هم أفراد الجماعة هم المحافظة على وحدتها. وكلما تعمق عزل تلك المجموعات عن المجتمع، يصبح التواصل الوحيد داخل المجموعة فقط، وتصبح المعلومات الوحيدة المتاحة عن العالم الخارجي تأتي بعد أن تتم تنفيتها بواسطة الجماعة. وكلما تزايد إدراك الأمور بشكل خاطئ من قبل أفراد الجماعة، فإن ذلك يقوى من القيم والمعتقدات التي تؤمن بها الجماعة من منظور «إرهابي» معاد للمجتمع...

ولا شك في أن الفرد داخل إطار الجماعة يكون راغباً في اقتحام الخطر أكثر مما يكون منفرداً. فالجماعة تخلق وتفرض مبادئها

نفسه في «هوية جماعية»، وبالتالي يتخلص من عباء المسؤولية الشخصية وتبعات العمل الفردي والحياة كشخص مقيد يحمل التواقص والعدايات. وفي الجماعة أو التنظيم أو المنظمة، يجد الفرد نماذج السلطة التي كان يبحث عنها ويرتاح إليها، والتي تعبر عن أي أحاسيس عدوانية كافية فيه، وتشعره بالقوة والسيطرة والانتماء. إن الأيديولوجية المعتمدة على استخدام العنف لمقاومة «الدولة» و«السيطرة الإمبريالية»، أثارت توحداً جماعياً فكريأً وفوريأً بين ضحايا القهر وضحايا السلطة العدوانية. وأحياناً نرى أن الحكومات تلعب دوراً هاماً وحساساً في دفع بعض الأفراد إلى العنف... فرقابة الحكومة وسيطرتها واستخدامها لقوانين الطوارئ وحملات الاعتقال العشوائي، تُغلق الطريق أمام تحقيق «هوية إيجابية». والأفراد الذين يعانون أصلاً من اضطراب في الهوية، يصبح اهتمام الحكومة بهم وملحقتها لهم تاكيداً على «هویتهم السلبية». لكنهم، من ناحية أخرى، يحسنون (بالأهمية) لهذا الاهتمام الزائد من قبل أجهزة الأمن.

وفي الفصل الرابع، وعنوانه: «البعد الاجتماعي والسيكولوجي للجماعة الإرهابية»، يحاول المؤلف فهم أسس التنظيم الإرهابي من منظور نفسي – اجتماعي. فطريق الإنسان ليصبح عضواً نشطاً في تنظيم أو جماعة أو منظمة ذات نشاط عنيف، يعتمد بالضرورة على القوة المساحة سبيلاً والإرهاب بكلفة أشكاله طريقةً. وتبقى الجماعة، بوصفها البنية الأولية في الموقف الإرهابي، المدخل الطبيعي الذي من خلاله يجد الفرد طريقه إلى التنظيمات المختلفة. والانتماء إلى الجماعة

لذابح المسجد الأقصى وصبرا وشاتيلا، والآثار النفسية والاجتماعية السلبية على العرب. كذلك تناول الفصل شخصية كهانا وقاتلته السيد نصیر، وظاهرة بسطاء المصريين من الجنديين الذين يقتلون الإسرائييليين على الحدود، مستعرضاً ردود أفعال بعض المواطنین العرب العاديين على تلك الأحداث. وناقش المؤلف في هذا الفصل قضية هامة شغلت كثيراً من الأوساط حتى الآن، لا هي قضية إقحام الطب النفسي في الصراع العربي الإسرائيلي. كما استعرض المؤلف الانتفاضة الفلسطينية ودور الإرهاب الصهيوني في قمعها، والفصل لا يحوي تحليلات نفسية للصراع، لكنه يقدم تحليلات بعض الظواهر النفسية والاجتماعية.

أما الفصل الختامي، وعنوانه «توتر ما بعد الصدمة»، فقد تناول فيه المؤلف بالشرح والتفصيل الآثار النفسية والجسدية للأسر والاعتقال، وأعراض توتر ما بعد الصدمة مثل الذهول والتبلد والتهيج والاكتئاب والظروف التي تساعد على زيادة تلك الأعراض، مع إعطاء تفسير علمي عن تغير كيمياء المخ وبiologyته وإفراز ما يسمى بهرمونات الخطر. كذلك تعرّض المؤلف في فصله الختامي لرأي التحليل النفسي في توتر ما بعد الصدمة بما في ذلك من استخدامات للحيل الدفاعية المختلفة مثل: النكوص والكتب والإنكفار والإسقاط، وتحقيق مكاسب ثانوية مثل: التعاطف والرقة والاهتمام. كما تناول مضاعفات توتر ما بعد الصدمة، مثل تدهور العلاقات الإنسانية، ثم طرق طرق العلاج المختلفة، كالعلاج السلوكي والدوائي وال النفسي موضحاً ذلك بأمثلة واقعية لحالات جنود مرضى عولجوا بمثل هذه الطرق.

وتقاليدها حيث تتكون ثقافة يكون فيها العنف ضد العدو «مقبولاً» إن لم يكن واجباً. والجماعات الإرهابية تنمو وتستمر دائماً على الرغم مما تتعرض له من قتل واعتقال، وهذا يسبب وجود عناصر تكون مستعدة دائماً لأن تُجند وتنتظم في هذا الإطار. ورد فعل الحكومة العقابي للعمل الإرهابي، يؤكّد النظرية القائلة بأن السلطة هي «العدو»، ويقدم الاهتمام والانتشار للإرهابيين، ويوشك الإحساس بالمرارة لديهم ولدى العامة وخاصة من مثقفين وسياسيين.

أما الفصل الخامس، وعنوانه: «إرهاب الدولة»، فيقدم صورة مختصرة لإرهاب الدولة، مشيراً إلى التشابه بين ضحايا الخطف والاعتقال والتعذيب ومراحل الصدمة الأولى وقبول الأمر الواقع. ثم يتناول المؤلف في هذا الفصل إرهاب الدولة للدولة، وغزو العراق للكويت، والآثار النفسية والاجتماعية التي خلّفتها حرب الخليج، مثل تأثير الجفوة على مواطنين الدول العربية التي أيدت العراق، واهتزاز الثوابت والبدويّيات، والخوف من تهمة الإرهاب. ثم يتطرق إلى ما أسماه «قضية أصحاب النعش السوداء» التي تتناول هجرة ومعاناة وموت العمال المصريين في العراق، كما يتناول الفصل مسألة الإرهاب البيئي في حرب النفط في الخليج، وتاريخ العداء للبيئة بما في ذلك جريمة الولايات المتحدة في أراضي فيتنام.

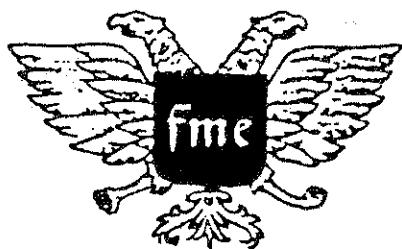
وفي الفصل السادس، وعنوانه «الإرهاب الصهيوني» قدّم المؤلف بانوراما لجذور الإرهاب الصهيوني وإرهاب الصهاينة، والمهدود للعرب عامة وللفلسطينيين خاصة، موضحاً دور الإعلام الغربي في تشويه الحقائق، كما تعرّض بشيء من التفصيل

والباحث على السواء، كما ضمن كتابه قاموساً للمصطلحات العلمية ومحاولة تفسيرها بشكل مختصر، ودليلاً للأعلام وفهرساً للصور والأشكال مع كشاف يساعد في البحث عن الألفاظ والمفردات الهامة.

في النهاية، فإن هذا الكتاب، بشكل عام، قدّم وصفاً موفقاً ناجحاً لـسيكولوجية الإرهاب السياسي، لما فيه من مادة تحليلية عميقة. وهو يعتبر إضافة جديدة إلى المكتبة العربية.

ويحتوي المؤلف على جزء خاص باللاحق الهامة والموضحة لأجزاء كثيرة تناولها الكتاب، كملف الإرهاب الدولي، وأبرز جرائم الاغتيال السياسي في مصر ولبنان، وأحداث الأمن المركزي في مصر العام ١٩٨٦، وعمليات تنظيم الجهاد الإسلامي في مصر حتى العام ١٩٩٠.

ولمزيد من البحث والتقصي في اللغتين العربية والأجنبية، حرص مؤلف الكتاب، الدكتور خليل فاضل، على تقديم ببليوغرافيا على تفاصيلها تفيد القارئ المهتم

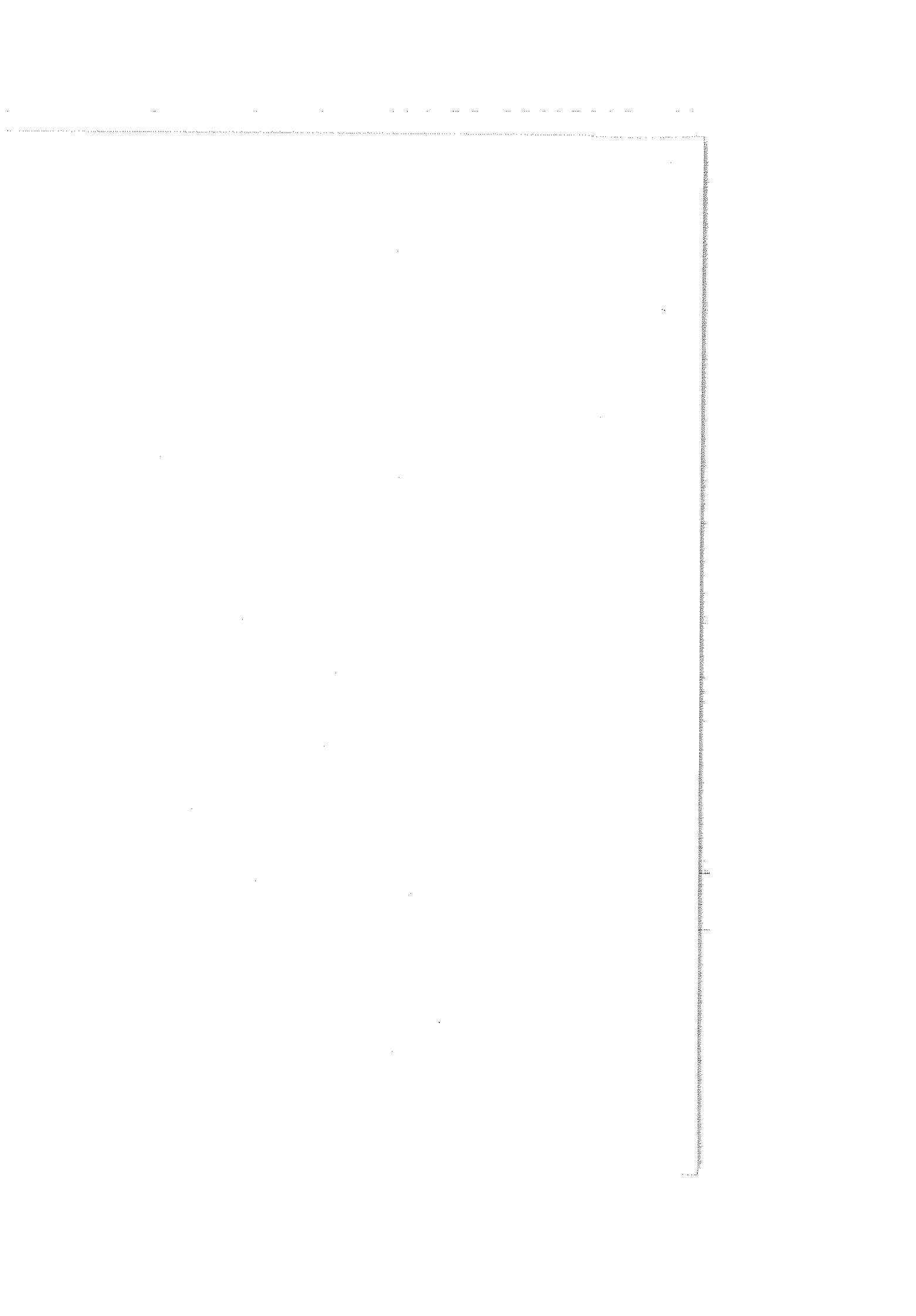


شركة فالكون ماشينري ش.م.ل (اف. ام. سي)

قطع غيار

ريو * كمنز * ج.أم * جيب * وايت

تلفون ٢ / ١ / ٨٩٩٠٨٠ - بيروت - لبنان



Toujours est-il qu'une capitale comme chacun le sait, incarne, d'une façon générale la santé, l'organisation et la puissance de l'Etat; or Beyrouth n'en a pas moins demeuré au cours de son histoire récente la plaque tournante de la région dite Moyen - Orientale. Alors les projets de constructions et d'aménagements urbains mis à exécution, quoique lentement, semblent prendre en considération cette dimension exceptionnelle de la ville.

Il reste cependant à signaler que pour éviter tout dérapage éventuel, la construction de la capitale devrait s'opérer en fonction d'une (re) structuration du pays dans sa totalité.

Références

- BLANCHET. G - «Le temps au Liban, Approche d'une climatologie synoptique;» Thèse. Université de Lyon II. Tome I - 477 pages. Tome II Atlas 365 pages. Lyon 1976.
- DUBERTRET - Carte Géologique du Liban, au 1/200.000 Notice 74 pages - 30 fig - 8 plauches. Ministère des travaux publics Beyrouth, 1965.
- HADDAD. M - «Le Liban: Milieu et Population». 348 pages, 81 fig. Beyrouth, 1981.
- LABAKI. B et ABOU RJEILY. K - «Bilan des Guerres du Liban, 1975 - 1990». 256 pages - 82 tableaux, 7 fig. Harmattan, Paris, 1993.
- SANLAVILLE. P. - «Etude géomorphologique de la région littorale du Liban». 2 tomes - 859 pages - 238 fig., 18 tableaux - 9 cartes - 83 photos. P.U.L Beyrouth, 1977.
- SOGREAH - OETEC - «Prise d'eau de la centrale sud» - campagne hydraulique (Liban), 29 pages ronéo, 1964.
- SOGREAH - OETEC - «Prise d'eau de la centrale Nord» - campagne hydraulique (Liban) - 24 pages ronéo, 1966.

En même temps le quartier de «Nabaa» s'est trouvé vidé de ses 60.000 habitants qui se sont dirigés vers la Bekaa et le Liban - Sud et ce quartier sera occupé par les déplacés de Dammour.

En général, la population du Grand-Beyrouth a subi une diminution qui s'est accompagnée d'une accentuation de l'étalement géographique de l'agglomération. Les banlieues temporaires d'été, ces centres de villégiature accrochés à la montagne entre 100 et 1000 m d'altitude sont devenus des banlieues permanentes occupées toute l'année et dotées d'un nouvel équipement commercial.

La bipolarisation commerciale de Beyrouth, exprimée jusqu'en 1975 dans la dualité opposant «Hamra» au «Centre-Ville» a fait place à une dilution des activités commerciales. C'est une nébulose commerciale qui s'est créée à l'intérieur de l'agglomération beyrouthine. Les nouvelles zones de commerce se trouvent du côté ouest le long du boulevard «Mazraa» et à «Raouché»; mais elles s'étalent dans le secteur oriental à partir d'«Achrafieh» jusqu'à «Jounieh» passant par les baulieus de «Jdaidé» et «Antelias»: Expression éclatante d'une ville éclatée.

Conclusion

Les ingrédients physiques de la géographie beyrouthine et leur dosage attribué par la nature offrent un large éventail de potentialités urbanistiques. Et même la topographie accidentée du site de la ville proprement dite, facteur négatif au départ, multiplierait les options dans ce domaine.

D'autre part, l'éclatement de la Capitale imposé par la force, a illustré durant la guerre meurtrie le désarroi profond des libanais, qui contre lequel ont ostensiblement affiché et affichent toujours et plus que jamais une détermination inflexible allant dans le sens de la soudure nationale.

En fait, c'est comme en guise de réponse à cet élan incessamment manifesté qu'un chantier de reconstruction de la capitale a été mis en place prenant en charge en premier lieu le centre - ville dont le redressement sera capable de par sa pesanteur sociologique économique et politique d'activer un processus bénéfique au niveau national.

Or, un débat s'est ouvert là - dessus ce qui est, somme toute, une bonne chose en soi; mais malheureusement et malgré une situation critique d'un pays en convalescence, les attitudes partisanes et les politiques «politiciennes» ne cessent d'assombrir ce débat sinon de le fausser; désorientant une fois de plus un peuple déjà déboussolé par tout genre d'atrocités commises contre lui.

beyrouthine en particulier a subi des transformations profondes. Les destructions spectaculaires et les ruines font partie d'un paysage que l'on s'accoutume à considérer comme normal. Mais ce sont les conséquences socio-politiques de la guerre qui ont profondément modifié l'espace libanais et beyrouthin. Le pays n'a pas subi la partition mais la coupure fut profonde.

Presque tout a été dédoublé à l'intérieur du grand-Beyrouth: L'université libanaise, les banques, les grands établissements commerciaux et même une grande partie de l'Administration, le port de Beyrouth s'est trouvé durant la guerre concurrencé par d'autres ports plus modestes installés tout le long du littoral. Seul, l'aéroport de Beyrouth situé dans le secteur ouest, n'a pas été dédoublé.

Ainsi, avec les combats et l'insécurité chronique, chacun s'est replié dans son coin, ce qui a eu comme conséquence le morcellement de l'espace géographique dans le cadre aussi bien national que beyrouthin. Le Liban hypercentralisé autour de sa capitale a éclaté en multiples régions géoéconomiques, la décentralisation s'est opérée en faveur des capitales régionales: Tripoli - Saida - Zahlé... qui ont connu une rapide promotion accompagnée d'une spéculation effrénée.

D'autre part, la guerre a provoqué dans l'agglomération beyrouthine, des mouvements de populations parfois centripètes mais souvent centrifuges; les premiers avaient lieu chaque fois que le Liban-Sud devenait le théâtre de combats et le second se déroulait à la suite des affrontements à l'intérieur de la capitale ou de sa banlieue.

Mais le déplacement des personnes a entraîné une nouvelle redistribution géographique. Aujour'hui la double ceinture de misère ne présente plus l'aspect d'avant guerre puisque certains bidonvilles ont complètement disparu. La «Quarantaine» a été anéantie en 1976, ses 10.000 habitants se sont installés à la sortie sud de Beyrouth sur les plages de Saint Simon et de Saint Michel qui étaient des stations balnéaires privées et fréquentées par la bourgeoisie libanaise. Elles regroupaient au bord de la mer, des centaines de petit chalets appréciés et occupés de Mai à Novembre; ces chalets étaient bien équipés et avaient un certain confort. Leur occupation par les populations déplacées a été accompagnée immédiatement d'une dégradation de l'habitat, constituant ainsi un nouveau bidonville qui s'est vite gonflé.

Les Palestiniens de «Jisr el Bacha» et de «Tellez Zaatar» se sont dirigés vers Beyrouth Ouest, certains y ont occupé des immeubles mais la plupart se sont installés pour un certain temps dans la ville de Damour située à une vingtaine de Km au Sud de Beyrouth. Cette ville avait été abandonnée en Janvier 1976 après des représailles concéditives à la chute de la «Quarantaine».

II - 2 - 1 - Les dégâts:

C'est à partir d'Avril 1975 que l'agglomération de Beyrouth devient le théâtre des pires atrocités: Massacres, enlèvements, exécutions sommaires, bombardements aveugles et systématiques des quartiers résidentiels se succèdent, la guerre s'est soldée par de lourdes conséquences.

La durée des combats et la localisation d'une partie des affrontements les plus acharnés dans le centre ville explique l'ampleur des destructions. La presse écrite, les radios et les télévisions ont donné à travers le monde une image d'apocalypse. Mais en réalité, ces destructions, quoi qu'elles soient sans aucun doute très spectaculaires sont moins importantes qu'on ne l'ait prétendu. En un mot, tout le centre ville n'a pas été détruit.

Dans les anciens quartiers situés entre la place des «Martyrs» et la place de «l'Etoile» (souk des bijoutiers, souk Nouryé, souk Sursock, souk Abou Nasr) et dans les souks plus modernes localisés au Nord de la rue «Weygand» (souk Tawilé, souk Ayass, souk el Franj) les destructions sont totales. Le long de l'Avenue des Français de la rue du Patriarche Hoyek et dans certains îlots proches du port, elles sont évaluées à plus de 80%.

Ailleurs, les destructions sont ponctuelles. Les maisons anciennes qui faisaient le charme du vieux Beyrouth, en particulier dans le secteur «Minet el Hosn», ont disparu; les constructions récentes en béton armé ont résisté. Les immeubles âprement disputés comme certains grand-hôtels sont encore debout, mais leurs façades sont ou calcinées ou parsemées de trous d'obus.

Malgré, l'utilisation d'armes lourdes de tout calibre, chars et blindés; l'absence de bombardements aériens (au plus grave leur sporadicité quand il s'agit des interventions israéliennes) a quand même empêché une destruction systématique de certains quartiers. Des îlots entiers ont été épargnés, aussi certains axes commerciaux, comme la rue Riad el Solh où se trouvaient concentrés les principaux établissements bancaires de Beyrouth.

Mais au point de vue politique, le centre de Beyrouth était le principal lieu de rencontre pour les Libanais de toute confession et de toute condition sociale. Sa destruction, sa paralysie et la coupure de l'agglomération en deux, ont bouleversé la répartition des activités commerciales. De même la destruction de certains bidonvilles et l'insécurité de nombreux quartiers résidentiels ont entraîné des déplacements de population, ce qui a engendré une nouvelle organisation de l'espace à l'intérieur de l'agglomération beyrouthine.

II - 2 - 3 - Les transformations géographiques:

A la suite de la guerre, la géographie du Liban et de l'agglomération

l'abandon du quartier communautaire, mais le confessionnalisme était demeuré plus fort.

Les divisions confessionnelles avaient toujours servi à masquer les problèmes sociaux ou à atténuer leur acuité ou même détourner leur pression.

II - 1 - 4 - Les étrangers à Beyrouth:

L'arrivée d'étrangers à Beyrouth avait créé un nouveau type de regroupement. Chaque ensemble constituait très vite une nouvelle communauté: les Arméniens, les Kurdes, les Palestiniens et les Syriens sont arrivés par vagues successives. En 1975, les étrangers représentaient environ 45% de la population totale du Grand-Beyrouth. Ce pourcentage atteignait même près de 57% si l'on englobait les Arméniens mais ceux-ci avaient obtenu depuis 1924 la citoyenneté libanaise. En 1970 les Kurdes comptaient près de 60.000 personnes; les Palestiniens étaient estimés en 1973 à près de 200.000 et les syriens à 250.000. Quant aux étrangers non arabes ils étaient évalués au début des années 70 à 90.000 personnes et les colonies étrangères accentuaient l'allure cosmopolite de certains quartiers de la capitale.

Ainsi en 1975, l'agglomération beyrouthine devait atteindre 1.200.000 habitants en tenant compte de la population palestinienne vivant dans les camps.

II - 1 - 5 - Les bidonvilles:

En 1975, la double ceinture de misère de Beyrouth comportait deux couronnes: La première s'étendait à l'intérieur des limites administratives de la ville et de sa proche banlieue: la «quarantaine», les petits îlots de «Karm ez zeitoun» et du camp syriaque, Wata el Msaytbé et le petit camp palestinien de Mar Elias; la seconde couronne de bidonvilles constituait une ceinture externe tout autour de la ville, ce sont les camps habités par les Palestiniens dont les plus importants étaient «Tell el Zaatar», «Jisr el Bacha» «Bourj el Barajnè» et «Chatila, Sabra». D'autres bidonvilles avaient une population différente et étaient occupés soit par des Arméniens à «Bourj Hammoud» soit par des Libanais et des Syriens à «Ghobayri» et ils se sont même étendus sous les arbres de la forêt des pins à proximité du rond-point «Chatila».

II - 2 - L'impact de la guerre:

En 1975, la capitale est devenue le lieu privilégié de l'affrontement des influences politiques, économiques et culturelles de tout bord. Et en termes de géopolitique, Beyrouth s'est trouvée au milieu d'un contexte déterminé par les conséquences de la guerre arabo-israélienne de 1973.

«Jamhour», sont des banlieues permanentes. La même évolution était sensible à «Beit-Mery» et «Broummana». Mais au sud de Beyrouth le paysage rural apparaissait beaucoup plus rapidement. Mais l'aéroport international de «Khaldé» faisait de cette localité une partie intégrante de la ville.

- 1 - 2 - Beyrouth: Symbole de l'économie libanaise

Hypertrophiée, la capitale accaparait la quasi totalité des activités de services et la majorité des fonctions économiques du pays. Le Grand-Beyrouth consommait près des 2/3 de l'électricité et groupait les 2/3 des entreprises industrielles et de leurs salariés.

La capitale était aussi un grand centre bancaire; une centaine de banques libanaises et étrangères y avaient leur siège. Toutes les administrations y étaient installées plus un certain nombre d'organisations internationales: «UNRWA», «ILO», «UNICEF...». Enfin Beyrouth était le seul et grand centre intellectuel du pays avec ses multiples universités.

Bien que la ville soit très ancienne ce rôle de capitale politique, administrative, économique et financière était pourtant récent.

- 1 - 3 - Beyrouth: Mosaïque humaine

L'agglomération de Beyrouth était le miroir des communautés libanaises, mais la mosaïque beyrouthine était encore plus complexe que la mosaïque humaine libanaise. En 1975, toutes les communautés confessionnelles s'y trouvaient, cependant, il convient de distinguer celles traditionnellement établies à Beyrouth comme les sunnites et les grecs - orthodoxes, des autres qui n'étaient présentes à Beyrouth que depuis la création du grand-Liban comme les maronites, les chiites et les druzes. Les vieilles communautés citadines se répartissaient dans leurs quartiers traditionnels: Les sunnites à l'Ouest de la rue de Damas dans les quartiers de «Basta», «Mazraa», «Ain el Maraiysé», «Ras Beyrouth»; les grecs-orthodoxes dans certains quartiers de Beyrouth-Est «Achrafieh» et de Beyrouth-Ouest «Msaytbé». A partir des années 50 l'exode rurale s'orientait vers les banlieues qui connaissaient désormais une croissance très rapide. Cette croissance n'avait fait qu'accentuer les regroupements traditionnels de la population à l'intérieur de l'agglomération. Mais il existait dans Beyrouth des quartiers résidentiels mixtes surtout à Beyrouth-Ouest, Cependant le clivage confessionnel demeurait le facteur essentiel de différenciation des quartiers. Les distorsions sociales existaient aussi mais elles ne se sont manifestées que dans une seconde phase. Le développement économique et l'expansion des couches sociales moyennes avaient entraîné une tendance à la dispersion et à

de vents qui deviennent plus violents au fur et à mesure qu'approche l'hiver. Certaines années, Décembre prolonge le régime d'automne.

Les courants marins tout près de la côte beyrouthine ne sont pas permanents mais lorsqu'ils s'animent ils sont lents et leur vitesse est généralement autour de 5 cm/s en moyenne. Les plus rapides se dirigent vers le nord et certains ont pu atteindre 50cm/s le 21 Janvier 1965 et 45 cm/s le 20 Avril de la même année, mais le 13 Novembre 1965 un autre courant se dirigeait vers le sud à 33 cm/s. Ainsi l'orientation des courants littoraux varie-t-elle tantôt vers le Nord, tantôt vers le Sud mais avec une nette prédominance pour la première direction: C'est qu'elle est commandée par celle des houles et des vents.

II - La dynamique urbaine et la guerre:

Le vieux Beyrouth s'est développé autour de la ville historique détruite par un tremblement de terre en 551. Le centre Est la ville de la fin du XIX^e siècle et du début du XX^e, avec ses ruelle étroites, les quartiers du port et la place des canons. A partir de ce noyau initial, la ville s'est étendue dans toutes les directions. Elle s'est développée si vite et si anarchiquement; et la spéculation privée a tant négligé l'intérêt public que le site a été malmené. A la veille de la guerre 1975, Beyrouth englobait le meilleur et le pire: Recherche architecturale incontestable pour certains bâtiments mais aussi étonnant désordre des maisons, rues étroites et tortueuses et fantaisie des trottoirs.

II - 1 - Le développement urbain à la veille de 1975.

- 1 - 1 - L'Agglomération Beyrouthine:

Beyrouth était à la veille de la guerre, une des rares agglomérations au monde qui possédait une banlieue mobile dans le temps et dans l'espace. Elle s'étirait en annexant de nombreuses communes de la montagne en été et se rétractait en hiver. C'était le cas de «Aley», «Bhamdoun» et «Sofar» qui n'étaient que des banlieus temporaires rattachées à Beyrouth selon les pulsations saisonnières de l'agglomération; dans la même situation se trouvaient les centres d'estivage de «Dhour-Echchoueir» de «Bikfaya» et de «Baabdate» dans le Metn-Nord, ainsi que «Reyfoun» «Qlaiaate» «Faytroun» et «Achkout».

Les variations saisonnières de l'agglomération beyrouthine constituaient donc une des données originales de la géographie urbaine libanaise. Mais seules les banlieues permanentes animées en été comme en hiver doivent être incorporées à l'agglomération. Ainsi, sur l'axe de la route de Damas, les premières pentes du Mont-Liban, «Hazmieh», «Yarzé», «Baabda»,

détiennent le record de plus de 6m/s, mais les vents forts et violents sont rares. En Septembre, Octobre et Novembre les calmes sont nombreux. Tout le long de l'année la fréquence des vents forts est assez élevée.

I - 3 - La mer:

I - 3 - 1 - Les caractéristiques de l'eau.

Les températures de l'eau de mer au voisinage de la presq'ile sont relativeusement élevées, le minimum thermique se place en Mars ($17^{\circ},1$) et le maximum en Août ($28^{\circ},3$). Au printemps le réchauffement est très rapide quoique la mer sensiblement plus fraîche que l'air. De juillet à Septembre l'eau est presqu'aussi claire que l'air, en Mars l'eau continue à se refroidir tandis que la température de l'air ambiant augmente.

La salinité également élevée, le taux moyen est de 38,59%. Mais la salinité de surface se tient entre 39 et 39.5% et varie légèrement au cours de l'année. Elle passe par un minimum vers la fin de la saison fraîche c'est à dire en Mars - Avril puis augmente lentement jusqu'en Octobre - Novembre.

I - 3 - 2 - Les mouvements

Le marnage près de la côte est très faible. La marée de rythme semi-diurne a une amplitude de 40cm en syzygie et de 20cm en quadrature. Les effets en sont peu visibles sur les plages sableuses mais plus sensibles sur les côtes rocheuses.

La houle se caractérise par une amplitude modeste, une période courte et une faible longueur d'onde. La plupart des houles ont une période courte comprise entre 5 et 7 secondes, un creux de moins d'un mètre et une longueur d'onde qui varie entre 30 et 40 m. De Janvier à Mars c'est la saison de fortes tempêtes génératrices de houles qui peuvent être quelques fois redoutables; en Février 1936 par des vents soufflant à 150 km/h on a observé des vagues de 7 de creux avec 4 mètres de hauteur, 13 secondes de période, 60 mètres de longueur d'onde et 22 km/h de célérité. En Mars, Avril, Mai les tempêtes se rarifient et les calmes se multiplient. Le type de temps de «Khamsine» fait alterner des périodes où la mer est d'huile et d'autres où le passage du front froid entraîne une agitation plus ou moins marquée. En Juin, Juillet et une partie d'Août, les vents étésiens s'installent et produisent une houle très régulière de faible amplitude, alors la houle se lève le matin vers 9 heures, passe par un maximum au début de l'après - midi et se calme avec le coucher du soleil. De Septembre à Novembre, c'est la période la plus calme de l'année, la houle est très faible, voire inexiste, la mer est d'huile, l'eau des mares et des cuvettes s'évapore; les premières pluies s'accompagnent de coups

L'hiver est doux, le gel est exceptionnel. Le printemps connaît des variations thermiques brutales. L'été connaît des températures élevées la plus haute moyenne s'observe en Août 28° L'automne demeure plus chaud que le printemps, le 1er Octobre est aussi chaud que le 1er Juin.

Au cours de l'année, le nombre moyen des jours «chauds»⁽⁵⁾ oscille entre 50 et 60 jours.

I - 2 - 4 - L'humidité atmosphérique:

Elle est forte tout au long de l'année. Le maximum quotidien de l'humidité relative se produit pendant la nuit et il est plus important l'été que l'hiver. D'autre part, vu la forte humidité dans l'air de la ville on s'attendrait à une grande fréquence du brouillard, or celui-ci est pratiquement absent en raison de l'agitation de l'air et de la température élevée. Mais cela ne veut pas dire que la visibilité est excellente elle est même médiocre en temps de «Khamsine». En été la brume pâlit le ciel, depuis la ville, les collines qui dominent Beyrouth se devinent mal.

I - 2 - 5 - Les précipitations:

L'année est partagée entre deux saisons: l'une est chaude et sans précipitations s'étale d'Avril à Octobre, l'autre d'Octobre à Mai, Pluvieuse surtout de Décembre à Février. Sur 100 ans d'observation, Août n'a été arrosé que 13 fois et Juillet 11 fois. Mai, Juin et Septembre sont à peine plus humides. Beyrouth reçoit en moyenne 3,2 mm en Juin 7,2 mm en Septembre et 17,4 mm en Mai. Par contre, Décembre, Janvier et Février sont les plus arrosés avec un maximum en Janvier où la moyenne mensuelle avoisine 200 mm. Beyrouth reçoit 11,2mm par jour pluvieux. La neige est exceptionnelle. Les Orages sont rares de Juin à Septembre mais deviennent fréquents en hiver, on compte un jour d'orage pour 3 jours de précipitations. La grêle n'est pas fréquente mais sa plus grande probabilité se situe en hiver et surtout en Février.

I - 2 - 6 - Les vents:

Les vents dominants viennent du Sud-Ouest, suivis par les vents continentaux d'Est et du Sud-Est. De Décembre à Avril la quantité des vents augmente d'un mois au suivant. Les vents d'Est soufflent à Beyrouth surtout en Janvier. Le mois de Mai est particulier en raison de la fréquence de «Khamsine», l'air est alors lourd et oppressant. Juin, Juillet et Août connaissent le prédominance des vents venus de la mer, les deux derniers

(5) Le jour chaud est le jour qui a une température maximum supérieur à 30°.

separés par de brutales ruptures de pente évoquant de gigantesques escaliers. En fait, ces replats sont situés respectivement vers 10-20m, 40-60m et au dessus de 70m.

I - 2 - Le Climat:

Beyrouth appartient au climat méditerranéen humide caractérisé par une humidité atmosphérique considérable en été comme en hiver et une température relativement élevée tout le long de l'année.

I - 2 - 1 - La nébulosité⁽¹⁾:

La moyenne annuelle de nébulosité à Beyrouth est de 3,8 ce qui place la ville à la charnière entre la zone tempérée où la moyenne dépasse 6 dizièmes et la zone désertique où la moyenne reste inférieure à 2 dizièmes.

Le rythme annuel de la nébulosité accuse un maximum hivernal et un minimum estival. Quant au rythme diurne il connaît un maximum dans l'après - midi et un minimum durant la nuit.

I - 2 - 2 - La radiation et l'insolation⁽²⁾:

La radiation en général est élevée même en hiver. C'est un effet de la latitude méridionale de la ville de Beyrouth; elle reçoit en moyenne plus de 300 cal/cm² jour, mais les valeurs quotidiennes peuvent s'en écarter sensiblement.

En ce qui concerne l'insolation, Beyrouth connaît 3000 heures/an, avec un minimum en Janvier et un maximum en Juillet.

I - 2 - 3 - Les températures⁽³⁾:

Les moyennes annuelles thermiques se tiennent autour de 20°. Janvier est le mois le plus froid avec une moyenne mensuelle de 12 à 13°. En Février la température commence à s'élever. Juillet est le mois le plus chaud 25 à 27°. Dès Septembre la température diminue mais lentement la baisse la plus rapide se manifeste entre Novembre et Décembre.

Le régime thermique est caractérisé par une amplitude moyenne annuelle⁽⁴⁾ relativement faible (14°). L'amplitude diurne est modeste elle varie de 7 à 98 au cours de l'année.

- (1) La mesure de la nébulosité porte sur la fraction en dizième du ciel couvert par les nuages quels qu'ils soient.
- (2) La radiation se mesure en calorie /cm²/ jour.
- (3) Les températures sont mesurées en degrés centigrades avec un thermomètre placé dans un abri en bois situé à un mètre au dessus d'un sol gazonné.
- (4) L'amplitude moyenne annuelle est la différence entre la température moyenne du mois le plus chaud et celle du mois le plus froid.

d'énormes transformations et interventions, par conséquent elle mériterait d'être traitée à part; en revanche nous nous attarderons dans cette note sur l'hydrologie marine pour examiner les eaux de mer dans lesquelles baigne la presqu'île de Beyrouth.

I - 1- Le relief: géologie et morphologie

Le promontoire de Beyrouth semble être un des accidents de la côte libanaise puisque sa rive nord s'avance 10 km en mer, elle borde la Baie S^t Georges qu'elle protège de la houle Sud-Ouest. Sa partie orientale et septentrionale est bordée par la vallée du Nahr Beyrouth. A l'Ouest de cette vallée la ville s'est établie sur deux collines individualisées culminant respectivement à 102 m à l'Est dans le quartier d'«Achrafieh» et 95 m à l'Ouest à «Tallet el Khayat». Les deux collines sont séparées par la rue de Damas qui suit un talweg dont l'amont est situé à 59m.

Le front montagneux qui borde le site à l'est de Nahr Beyrouth entre «Baouchrié» et «Mkalès» correspond à une flexure brutale qui affecte les couches géologiques du crétacé inférieur.

La colline d'«Achrafieh» et toute la partie orientale située entre la rue de Damas et le Nahr Beyrouth sont constituées de roches marneuses dont le pendage est subhorizontal au Nord mais plongeant au Sud le long de la corniche qui borde Nahr Beyrouth, sous les poudingnes néogènes.

La colline occidentale est taillée dans les calcaires cénonmaniens déformés et légèrement ployés en une lourde voûte anticlinale.

Une faille d'orientation Sud- Sud Ouest-Nord-Nord Est va du port de Beyrouth jusqu'au quartier de «Basta et Tahta» en passant par la rue «Riad Solh». Une grande faille Nord-Sud existe également entre la colline d'«Achrafieh» et le front montagneux occupés aujourd'hui par la section inférieure de Nahr Beyrouth; Ce qui explique la raideur et l'allure rectiligne de la retombée d'Achrafieh sur le quartier du Fleuve.

Les trois autres côtés de la presqu'île de Beyrouth ont également une origine structurale; le tracé de la côte est relativement rectiligne malgré les irrégularités de détail, et la profondeur de la mer augmente très vite lorsqu'on s'éloigne du rivage.

Dans l'ensemble, l'occupation intégrale du site de Beyrouth, la prolifération des immeubles et l'aménagement des rampes et des ponts ont fortement modifié la topographie initiale; Cependant celui qui circule dans la ville peut remarquer que les collines de Beyrouth sont coupées de replats assez réguliers

Beyrouth: Site et Urbanisme

Mouine Haddad ()*

La nature offre au site de Beyrouth plus d'avantages que d'inconvénients. D'ailleurs ce n'est pas un hasard le fait que ce site ait attiré l'attention de l'homme depuis la plus lointaine antiquité. Cependant de nombreux malheurs se sont abattus sur la ville tout au long de son histoire; mais chaque fois elle s'en est sortie pour remplir ses fonctions que lui confère sa géographie physico-humaine. Actuellement, Beyrouth, meurtrie par une guerre dont on a beaucoup parlé, tente difficilement mais avec confiance de reprendre son souffle de vie.

I - Le milieu physique du site:

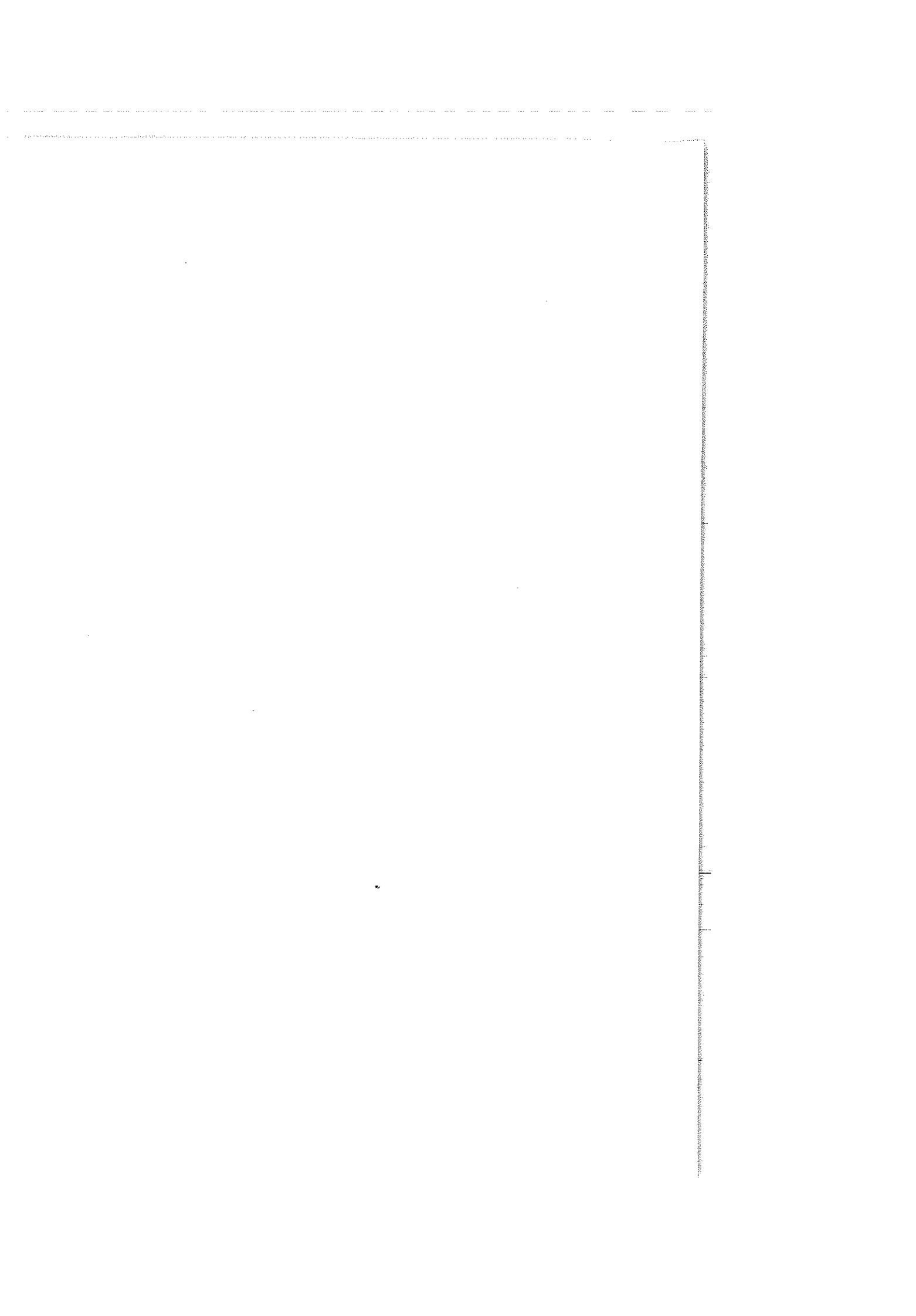
Le milieu physique ou l'environnement naturel d'un site se compose de multiples facteurs qui s'interpénètrent les uns dans les autres; mais ils se répartissent tous sur les catégories suivantes:

- **Le relief:** géologie et morphologie.
- **Le climat.**
- **L'hydrologie:** Continentale et marine.
- **La biogéographie:** faune, flore et sol.

En ce qui concerne le site de Beyrouth, la biogéographie ne garde de la nature hormis la pinède historique connue sous le nom de «Horsh» que d'éléments disparates et réduits, vu l'occupation et l'urbanisation du site en question depuis l'antiquité jusqu'à nos jours.

Quant à l'hydrologie continentale superficielle et souterraine, elle subit

(*) Professeur de géographie à L'Université Libanaise



in developing societies where the burdens it assumes are as great as its resources are meager. For when the state extends itself, it rubs the citizen of his/ her material resources and denies him/ her decent services. Such a state is not worthy of respect and it cannot generate a sense of national identification or unity.

The Lebanese state will endure to the extent the plurality of outlooks on political and cultural issues endures. It will end when such outlooks are forcefully submerged into one ideology. The state therefore should let the communities alone in developing their perspectives and allow them to draw their ideological perspectives closer in a natural and spontaneous way as they increase their interactions. Not only that, but the state is called upon to promote and encourage teachers in its schools to underline the plurality of outlooks of the various Lebanese communities and their cultural links to cultures beyond our borders. Whatever danger is seen in such an approach is the product of false insecurity and short horizons. We live in a world that is drawing close together every day and we should draw strength from our cultural bridges with various parts of it. The future generations of Lebanese should be encouraged to see such linkages as a source of strength for their country not as a means to achieve leverage over other Lebanese communities.

Finally, let us stress the point that we are not pushing the current fad in western academia at present of state withdrawal and expansion of society. For one thing, in a country such as Lebanon where the state never stifled the energies of its citizens there is no place for such a formula. More important, however, is that the distinction between state and society is quite artificial and won't lead to a new phase in the development process. Where we find the state faltering and its performance mediocre, we find the same features in society. The state is a reflection of the energies and standards of its own people. We see the need therefore to make the cooperation between the state and society benign and strong, based on understanding and persuasion not compulsion and extraction. In those states where the elite extended the powers of the state to the point of smothering their citizens, it is time to understand that there is no future in dictatorship and it is time for man to rise to the place of his dignity again.

starting germ not the adult creature. The adult is the product of an evolutionary process and did not come to its present form except in the twentieth century. A student ought to understand that basic fact; communities and lands which were not part of the country in the past ought to be covered in history teaching. There is no nation in the world that had been born full fledged and for reasons beyond reproach. All national states are artificial and accidental creations. There is no harm in facing reality in its stark form. History will not make our future. What will make our future is a conscious decision that we want to preserve this system because it reflects our cherished values. If it no longer performs that service, nothing will save it.

Conclusion. What we have tried basically to stress in this discussion is the deceptive nature of the state concept and the ease with which the public as well as the intellectual pundits fall prey to its mirage. The stage at which Arab society finds itself in the development process feeds this tendency of looking at the state as a neutral force in the midst of partisan and sectarian forces and whose sole objective is the realization of the public good. Thus the public and intellectuals have encouraged state officials to oppress them and extract their resources in the name of an abstract ideal. This outlook is behind the drive to give the Lebanese state presently new powers to impose a uniform and universal curriculum in all schools with a myth of its own about Lebanese national history.

We have exposed the practical dangers implicit in this position and the weak intellectual grounds on which it rests. It has been argued that the state is unprepared and unqualified to undertake the role of fostering national unity through the educational system. It has also been pointed out that group identity in Lebanese history, including national identity, took different forms during different historical epochs and that the change has been associated with socio-economic transformation not through formal inculcation. No where in modern history have we seen in our region as well as in other countries that national ideology has been able to replace primordial attachments such as communal identities. Nor is such a change necessary, since it has been shown that it is possible for diverse groups to co-exist in society under one state, as has been shown in Lebanon to be the case. The objection that the civil war has been caused by the diversity of outlooks has no basis in political reality.

National unity and education will positively develop if the state sticks to its basic functions and performs them well. The state is best able to perform when it keeps its functions in proportion to its resources and skills, especially

over the issue of excellence and over the principle of responsibility in education.

To the extent that Lebanon has a national school system which requires a standard curriculum, the question of unified history text is inevitable. Some Lebanese scholars⁽⁸⁾ have made constructive suggestions in how that can be done with finesse and respectability that seems to be lacking in the debate within the official body put in charge of forging a unified national version of Lebanese history. Space limitations do not allow us to discuss this specific aspect of the question here and therefore shall confine our comments.

The first suggestion is to moderate our obsession with history in the curriculum. This can be done in two ways: history should be taught as part of a general social science course in which the political system itself and its evolution is stressed. A student ought to know from history those aspects of the state which affect him as a citizen: his rights and duties explicit in the constitution and state institutions in general. The student ought also to be trained to understand the modern world in which we live. Lebanon's history ought to be taught in the context of the Arab world and the world in general. Let us avoid nationalistic xenophobia pursued in most countries who teach nothing but their own national history-as versus the world. In Lebanon, it is particularly important to stress relations with the outside world since most Lebanese communities have extensions beyond the Lebanese borders⁽⁹⁾. These connections ought to be acknowledged and respected. Fear of discussing them land us where we have been afraid to tread. Loyal to their country, the Lebanese are not made traitors because they have cultural links with peoples and cultures beyond their borders. There is hardly a single Lebanese community that does not have such links with the outside.

In the second place, it is important to put the emergence of the Lebanese state in the proper context. Lebanon is one of over a hundred new states that have emerged recently in Asia and Africa. We are a new state, not a super nor ancient state. The best we can do to trace back our identity as a political entity, that is a group of people under a single order of governance, is start with the Maanids in the sixteenth century. Not bad, all things considered, but this should not blind us to the fact that the Mountain Imarah was just the

(8) This writer is familiar with two only that of Professors Antoine Massara and Munir Bashur.

(9) This is an aspect that I do not find explicitly stated in Professor Massar's thoughtful discussion of the subject. Particularly surprising is he missing Arab link, which I am sure Dr. Massara is quite keen about.

the confidence and civic trust by its own citizens. One has to go into the details of the state of education in Egypt to realize the depth of desperation and the intractability of the problems created in education by the state. Instead of pride in country, to whom school children are made to chant first thing every morning, there is a feeling of helplessness and hopelessness.

Excellence in education will generate a sense of national unity far greater than the inculcation of platitudes about the love of country, especially when a student is imbued with the feeling that the education he/ she is receiving does not qualify one for the life tasks he/she is being prepared for. Excellence in education will increase the productivity of the national economy and provide more economic satisfaction among citizens. Excellence in education will provide a better informed citizen who could make better political choices. Excellence not historical myths about nationalism is what creates a civic and loyal population. What contributes to a more smoothly functioning political system will also foster a greater respect for public affairs. Excellence in education will reduce the social and economic gap among citizens and social groups who suffer from a historical gap in standards.

Self-respect and pride will be generated when the state is sensitive to freedom and basic needs of its citizens. When citizens are satisfied with public structures and symbols. When different individuals identify with the same structure and symbol, they also identify with one another through that national medium.

This brings us to another role in which the state can act to foster national unity without imposing it directly or crudely. Encouraging team sports in schools. This is something, as far as I know, which is quite rare in Lebanon. When students of various religious sects play together they live together. Moreover, sports teaches individuals respect for the rules and for the spirit of competitiveness with fairness. It teaches them to learn and respect the strength of an opponent. Those are all qualities that are very important in a citizen and in how he/she behaves in the political arena in homogeneous as well as heterogeneous societies.

The state in Lebanon took upon itself since independence the task of providing education to those who need it and want it. To the extent it limited itself to that role without encroaching on others who performed a similar task, it has been able to show some evidence of educational progress. That progress should continue to be a national objective. Any deviation in the direction of hegemony and encroachment will destroy both systems, public and private. The state has a better role to play as a guardian and a watchdog

has the role of the government been in all this? The answer is that the role of the government was hardly perceptible because it was the most basic.

Second, though less basic a function than the first, is democratic rule. Freedom of choosing one's leaders and bringing them to account generates other freedoms and guarantees them such as free speech, free business pursuit, free political participation, free assembly, free school curricula etc.. How will these freedoms contribute to a socially divided society? In a simple way, it will make interaction among citizens of various sects possible and free from fear. Above all, it will give citizens a feeling of belonging and attachment to the country which provided them with those important values in life. In Lebanon respect for the country and its institutions has been expressed implicitly more than explicitly. One rarely came across a Lebanese who emphatically expressed a pride in the system which provided him/her with these values, but in fact expressed it behaviorally by his/ her attachment to the system. During and after 15 years of vicious civil war that turned brother against brother and father against son, negligible were those who challenged or demanded to abandon the Lebanese political system or chose to opt out of the Lebanese state. The opportunity for opting out was wide open, but there were no takers. That the malcontents demanded was political reforms, mainly redistribution of political shares, but not exiting from the democratic system that they had known. Considering that in the twenties a near majority of the population was not in favor of the new structure, the attachment to the country and its system that has developed is no mean achievement.

Third, more effective in fostering national unity is providing basic needs in education and excellence. Basic needs mean that the state is responsible and responsive to the plight of all its citizens. Where citizens are unable to provide private education to their children, the state steps in to help. The same may be said about health and housing. The point though ought to be stressed, the state plays here a supplementary and not an exclusive or dominant role. It does not push others out of the business of education or impose on them its ideas but seeks basically to provide services to a community which is unable on its own to provide. The state is the provider of last resort.

There are two main advantages in such a limited role, it is affordable and limited in scope it can be performed effectively, a fact which would generate respect for the system.

In states such as Egypt where the state claimed it was the best qualified and able to provide education for all, it failed to live up to its pretensions and lost

integration to mean a working harmony among the various communities and a common loyalty to the country and state. National unity hence is understood as an epi-phenomenon that crowns other types of identification, some of a universal nature, others particular. National identity is neither a substitute nor a reason for suppressing other identifications; it underlies all of them in somewhat prior form.

A number of factors which can contribute to fostering a national culture will be discussed here, the least important of which is classroom instruction. First, restoration of law and order, particularly in this post-war era, will contribute to national unity. When citizens feel sufficiently secure, they will voluntarily move and settle in any part of the country without fear. No one claims that the pre-war Lebanese state inculcated an ideology of national unity in schools, yet Lebanese of various religious or ethnic background were choosing to live in city quarters that were not their sect's traditional homes. Families were freely choosing residences where they felt the need and ability to live regardless of sectarian residential configurations. Though not fully realized, mixed residential quarters increased in the thirty years of the independent configurations. Though not fully realized, mixed residential quarters increased in the thirty years of the independent republic than in centuries past. There is no need to comment further on the importance of this phenomenon in the process of national construction. Unfortunately, the war has destroyed in a short time what the rule of law took decades to establish.

Social integration was not limited to mixed residential quarters but also to mixed business undertakings and locations without regard to sectarian considerations. Add to this, the estivage phenomenon and other social interactions. Last but not least, is the electoral system which made for crosscutting links among voters and candidates of various communities.

If we accept the observation about integration just mentioned, then it follows that the most basic and limited function of the state, maintaining law and order, is the most conducive to the creation of national unity. Moreover, being the most basic of state functions, it does not add a financial burden on the state's budget nor cost citizens additional contributions to the state.

The law and order proposition means security of citizens in their lives and property and therefore satisfaction and attachment to the country and the state which provided them with self-respect and safety. Ras Beirut provides us with a model worth considering. Ras Beirut has developed under the republican system into the quarter where the population is the most diverse and integrated, where there are more private schools and where the culture is most secular than in any other part of the country. Yet, one may ask what

Information? Just as school children do not draw their image of the world from what they learn in classrooms, so do adults not accept the news which is disseminated to them through official channels. Teaching a national unity ideology in schools will not be any more credible or effective than the teaching of adults by the Ministry of information.

Give the Ministry of Education a major task like inculcating a national ideology and there will be no telling what other tasks will it assign itself next. Is it not conceivable that state officials seeking more powers of extraction for themselves start imposing unreasonable regulations on private schools or even on parents of school children in public schools? If more tasks are assigned to the state, then it will gradually have its rope around the necks of citizens, and democracy in this country, already threatened, will be nothing but an empty shell.

Lebanese society is dynamic and self-supporting to a large extent. It has, therefore a chance to live free from oppression by politicians acting through the guise of national interest.

I am fully aware that democracy in Lebanon has been the subject of much criticism by Lebanese intellectuals and that one of the main criticisms is that it is a sectarian democracy. The conjunction of demaracy and sectarianism is considered a contradiction in terms. Lebanese democracy has also been charged with allowing inequality of income to exist in an unacceptable form. Other criticisms are addressed to the political elite, that they succeed themselves, that the electoral system make them elected by less than a majority, etc...

Let us go briefly over this issue of democracy and see what does it really mean, and whether we should observe it or not in our educational system. The west has been the fountainhead of modern day democracy and therefore comparisons, and indeed slavish imitation, has been our guiding principle. Be it as may, we ought to know though that the democratic experience in the West is not uniformly secular, it does not necessarily prevent leaders from succeeding themselves, it does not guarantee equality in living standards, and finally it does not necessarily mean majority rule.

There are two pillars on which Western democracy rests: one is that the people are the final arbiter for selecting state leaders, and the second is the rule of law, and ipso facto equal access of citizens to the law⁽⁷⁾. Elections in the West do not uniformly bring to power leaders with majority of citizens

(7) See SARTORI Giovanni , «Democratic Theory» Wayne State University Press, 1962.

by the state formula? Can't school instructors and administrators subvert the intentions of the legislator? What prevents a school from teaching the state formula making students understand that the official version is proforma and then proceed to teach «true» history according to its predilections? Are we not inviting here a perverse reaction that will generate a dual culture and encourage disrespect for the state.

Finally, is there a single Lebanese history? Or can one say that the history of the Lebanese groups and their relations with one another were peaceful? If the objective answer is negative, will the state officials in charge of the new myth admit it or will they deny reality in a bogus show of unity. A country that feeds falsehoods to its children will reap the same from them.

If we are eager about the future, we ought to forge a new future and open a new page, letting the past be past. History is not everything, and school children in Lebanon may grow more aware of the new world in which we live if they see themselves as part of a whole which would include the Arab world, the developing world and the advanced countries. Some sense of agreement could be achieved that way much more easily and effectively than grand plans and state involvement. Let us leave to people the freedom to do what they believe and not live in a world of compulsion, hypocrisy and mediocrity.

It is important the risk in a democratic society when the state is allowed to have a greater role in shaping citizen's views. If the Ministry of Education is to be entrusted with such a new task, not only indoctrination will be the product, but also a new hegemony. There is no telling how will such a Ministry act and with what competence or bias if it were entrusted with framing the minds of the new generations. To think of government officials, with whom we are all familiar, intruding into our lives with such powers is an awesome prospect. Consider other official creations in this realm-the Ministry of Information. What good has the creation of the Ministry of Information done us? And why should Lebanon have a Ministry of Information, to start with, just to pay salaries to more officials from public funds? or is it to propagate officially biased information that no citizen believes and that led a former prime minister to describe as «foolish», (al i'laam al ghabi). What good does an information Ministry do in a democracy with such a vital private sector information field? Is it not enough for the state to have a monopoly over radio broadcast and hegemony in television In other arab states, such a Ministry is designed to feed the public state ideology and official version of the news, but these are not democratic countries? If Lebanon is a democracy and wants to stay so, then why have a Ministry of

process was still developing when the civil war broke out in 1975 and halted the mélange.

Education played a secondary role in this transformation process. It contributed to the transformation of the sense of identity among the various Lebanese groups described above but in no case was that sense instilled as a conscious plan, uniform and state led.

The interesting point to observe in this process is that the making of a national identity has occurred almost independently of the educational system. Each stage of new identity was associated with a major socio-economic and political transformation. We shall see below, that efforts to inculcate group identities by formal measures have not succeeded.

Transmitting Identity Through Education.

A uniform political ideology in schools curricula is usually channelled through such courses as history texts and literature. It could take an ambitious form in which all schools would have to use the same texts and same material. One should consider the dangers involved in such an undertaking.

First, recent history shows that a centrally imposed ideology through the school systems has not been successful in producing the desired unity. Consider the Soviet Union, Egypt and Iraq, to mention only a few. Iraq has had a long history of a uniform educational system imposed from the center in addition to a formal ideology for youth and adults, yet the primordial sentiments of Kurds, Shiites and others remain as potent as ever to this day. Will school instruction of a national myth in Lebanon be any more successful? Could it be honest and avoid the sensibilities of students from different communities? Even if success can be guaranteed, is it really desirable to create uniformity and deprive particular groups of their sense of particular character. What effect will such uniformity, if achieved, have on democracy in the country? This is a serious question that will be taken up later.

In the second place, who will devise this secular culture which is to be instilled in students? Is there a third party amongst us that can stand above the fray? Is there anything that we can call neutrality in this case? Can the Ministry of Education produce a formula that is the product of an agreement among the various Lebanese groups represented in government? Moreover, will they be competent to deal with such a sensitive and subtle issue? By the time they reach such an agreement, if at all, it will have been watered down to platitudes and trivia. Or are we to impose the views of one group on the others? Can we guarantee that schools will implement the new law, will abide

group of the Sunni Arabs in the first place. In Lebanon, its appearance was also a product of a historically inherent antagonism to the dominant Ottoman ideology. More forcefully though as a result of an earlier social and political change: the break up of the ottoman Empire and the spread of the mass media.

It should be noticed that in all three cases², social stimuli triggered ethno-cultural backbone response. Among Maronites, the feudal smiya was replaced by something particular to them, their own culture and history which was expressed in communal sense, then a broader Lebanese identity in which their history was a major component part. In the case of change from village identity among the Shiites (and no doubt some feudal vestiges) the response was not secular urban but sectarian coming out of the individual's cultural reference. Similarly among the Sunnis, changes in political structure and information flow triggered a particular response drawn from Sunni culture: the culture of the Muslim Arabs.

A more recent factor responsible for creating new identities has appeared in recent history though hardly noticed so far by students of nationalism and politics. Sociological wisdom teaches us that formal organizations generate their own sense of identity. we find now, for instance, that in each Arab state, even those that were created entirely by colonial forces such as Iraq, a sense of identification with the state. The sense of being a Lebanese, a Yemeni, a Kuwaiti, a Tunisian or an Egyptian is quite a strong phenomenon now, though overlooked perhaps because it has an unsettling effect on Arab nationalists.

The experience of Lebanon in this instance of identity transformation is instructive. In the process of experiencing membership in the Lebanese republican system, a symbiosis started to emerge: the Muslims acquiring an additional Lebanese sense of identification and the Christians acquiring an additional sense of Arab identification, both through identification with the new state organization. This process was made possible by many factors but one important element is the ability of the various groups to look at the modern Lebanese experience within the state context as partly their own making since they had accumulated a historical record in it. As for the Christians, they had become through the formal state participants in Arab affairs: the Arab League, Arab treaties, Arab Summits, Arab wars, Arab business involvement and Arab culture. The Muslims as represented in the Lebanese state identified with it in the various encounters with other Arab states giving them that particular sense of Arabism- as Lebanese Arabs. This

The historical sequence of group political identification in Lebanon shows a succession of identities: secular feudal, then sectarian, then national. Lebanese identity as such first emerged in the second half of the nineteenth century followed by Arab national identity early in this century. It could be said that the two remained limited in expression until the thirties and forties. Sectarianism, on the other hand, developed during the first two decades of the nineteenth century. Before that time, the feudal identity (smiya) reflected the main attitude, and as feudal identity declined it gave way to various strains of sectarian, village and Lebanese identity during the nineteenth century. The process of change in an individual identity from village to sect is carefully traced by Fuad Khuri in his book, *From Village to Suburb*⁽⁵⁾, while the transformation from feudal identity to sect and country is documented in my book, *Politics and Change in a Traditional Society*⁽⁶⁾. In both cases, it was found that social change had preceded attitude change. In the case of change from smiya to sectarian identity, economic weakening of the feudal families and growing strength of Church organization came first. The sense of Lebanese identity had its roots in the communal awareness of the Maronites then spread as the diverse sects found themselves under a common state structure in which their participation and cooperation was required. The sense of statehood first emerged among the Druze and Maronites (along with other smaller communities) under the Maanids then Shihabi Imarah. The Mountain Imarah constituted the germ not the full fledged Lebanese state that we know now. The process of state building continued past the Mutassarifiya and with greater force under the first and second Lebanese Republics throughout this historical process in which the lebanese state was in the making, we observe that loyalty and identity were the products of socio-economic conditions not of formal inculcation by the state.

Changing identity from village to sect, among the Shiites was preceded by migration into urban areas, where the useful and meaningful bond became the people of the same religious community. This was a process of broadening an individual's perspective from a smaller community (the village) to a larger one (the sect). The process of dislocation has continued to the present and with it the intensification of Shism as a sectarian ideology.

Arab nationalism represented a transformation from an identification with the sultanate (religious and civic) to identification with the ethnic or cultural

(5) KHURI Fuad, «*from Village to Suburb: Order and Change in Greater Beirut*», University of Chicago Press, 1975.

(6) HARIK Illya, «*Political Change in a Traditional Society: Lebanon, 1711-1945*». Princeton University Press, 1968.

should never exaggerate though the extent to which a state, modern or archaic, can perform.

Diversity and National Identity

This brings us to the second aspect of the question: national identity and the manner in which it could be fostered by the educational system. The moves made for a greater state role for the state in Lebanon imply that the educational system should contain a uniform doctrine to teach to students. Private schools, which are numerous in this country, will be ordered to instill in students a uniform doctrine on national unity devised by the state.

It will be maintained here, first, that uniformity of doctrine is neither necessary nor will it produce the desired effect; second, civil strife in Lebanon was not the product of communal diversity but was purely political. Treating it by imposing uniformity is to apply the wrong medicine.

In the first place, the widely held view that the civil war in Lebanon was a product of pluralism and the free educational system which fostered is a gross mistake. History is replete of cases where civil wars occurred in centralized states and in advanced countries even in this century. America, Russia, Spain, Greece and numerous others experienced civil wars. Afghanistan, Ethiopia, Somalia and Sri Lanka are striking examples in the Third world. Closer home, Jordan which is a highly centralized state went through a civil war in 1969-1971.

The question of how to forge a certain social identity is at the heart of this inquiry. Could it be done by means of inculcation or is it the product of multiple forces prominent among which are changes in social and economic structures? Political identity in Lebanon was not always sectarian, nor was it entirely sectarian when in the seventies the war broke out. In 1972, Professor Halim Barakat and this writer administered a questionnaire in the three different religious areas of Beirut and the responses showed very low sectarian attitudes⁽⁴⁾. The extent to which mixed residential areas were growing is another strong evidence of the fading of sectarian attitudes.

The statement which would more correctly represent attitudes of the Lebanese would be that in the seventies, a Lebanese had more than one sense of group identity: Arab, Lebanese, sectarian, and familial in varying combinations and strengths. Being Arab and/ or Lebanese are new senses of national identification. But sectarian identity is also new though many may not realize that.

(4) See for results: حريق أيليا ، «من يحكم لبنان»، بيروت: دار النهار، ١٩٧٢.

private lessons. Being very poorly paid, teachers force their students to take special lessons outside school hours. A teacher as a result devotes very little attention to the classroom session and spends most of his energy on private lessons. Classroom duties are relegated to a secondary place.

Publicly declared free education has in fact become education at a price by subterfuge. In effect, universally free public education has turned out to be neither universal nor free. An average Egyptian family ends up paying over two hundred pounds per child for private lessons a year. (A university professor receives about 300 pounds per month). Not only is education no longer free but it is also conducted in a corrupt fashion. All this, while private schools were either closed or restricted. Many private schools currently have their problems, but to compound these problems the Ministry of Education treats them like public schools, interferes in how they are run, and harasses them.

How could an educational system such as the one described above foster a national culture of idealistic nature?

Since the state has such limited performance capability, why not consider the role of the state as a provider of last resort. The state then would attend to those who ask for its help and need it. In addition it would have to facilitate the community role in education and protect standards from falling and watch out against fraud.

The tendency of the state to over-extend itself in expenditure on projects without considering finances is not limited to Egypt. Tunisia of Bourguiba, another patron state, not only made education free to all but provided each university student with a stipend often greater than the family income of the student's parents. As numbers fast multiplied, the government was no longer able to meet the demand nor able to withdraw the stipend. The campuses as a result have turned into a hotbed of political unrest and violence.

I am quite aware that the issue before us for Lebanon is not primarily economic, though economics is a factor. The point, however, is to show from experience how the state (a model one at that) has failed to deliver the most basic service it had taken upon itself to accomplish and precluded others from stepping in to help.

Since states differ in their performance and some are more efficient than others, we ought not to despair. Societies can reform their states if they wish. But before rushing to assign new tasks to the state, one should make sure that reform is established firmly and the state is in a position to deliver. One

running out before the end of the first Five Year Plan was over, losses by public sector firms were heavy, debts accumulated and growth was slow or negative.

Education: The Egyptian Model

The education policy of the Revolution should be of particular interest in this context. The Nasser regime should be given credit for making education universally free at all stages. One can hardly complain. So what is the issue? The issue is that the good intentions were bountiful but the resources were meager. Still, with limited resources, the government was able to expand the educational opportunity for large numbers of student who would otherwise have been left by the wayside⁽³⁾.

On the opposite side of the balance though, the whole educational system from kindergarten to graduate university studies declined in quality and has adversely affected every activity in the country, not to mention educational levels in the Arab countries where Egyptians play a dominant role in education. Not able to provide the necessary funds, the state had to suppress teachers' salaries, put students in overcrowded schools, have half a day school sessions in order to make the facility available to other students and eventually depend on foreign aid to build schools for Egyptian children. In addition, government as a matter of policy assigned students with the poorest record to the schools of education to make of them the teachers of the future generations! Moreover, textbooks are of the lowest quality and teachers cabals are instrumental in determining who will write them and make large profits of their sales.

The detrimental effects resulting from the take-over by the state of the educational system in Egypt has not unfortunately been limited to decline in the quality of education, it has directly engendered and tolerated corruption and extraction in the educational system. First, by promising every one an education and a government job upon graduation a premium was placed on a school or university degree. But since classroom instruction was so bad, many families resorted to cheating, bribery and violence to make sure that their children do graduate.

As the crisis extended and became intractable massive corruption of the instructional process has developed and continues to this day without any solution in sight. Students have become the victims of a forced system of

(3) Limiting ourselves here to the three largest population, see my book, the Illusive Path to Development: Economic Policy Reforms in Egypt, (forthcoming, Indiana University Press).

those who run the public educational system to be political appointees or political dependents on their superiors, to serve political and personal goals first, to have low competence, to be subject to very little pressure from parent groups or members of the community. Why should one expect that officials of those characteristics could actually be trusted to construct a secular curriculum and implement it?

The come of Egypt

For those who feel that the case for a prominent role for the state could be made by considering a state better known for its firmness and progressive nature, let us look at Revolutionary Egypt. We shall see here that the state, represented by its officials, is not the most knowledgeable, not the most trustworthy, not the efficient actor it was made up to be nor the less corrupt. In fact, the state evolved in Revolutionary Egypt into an exploitative actor, poor performer and progenitor of uncivic culture. But one may ask, why Egypt? Because Egypt is the only one of all the Arab states which has a time-honored tradition of statehood, in addition to having gone in the early fifties through a revolution with credible credentials. Finally, because Egypt is as close to being an ideal type of a patron state as one finds in this region of the world.

Let us briefly consider the claims for a superior state role. Superior knowledge and coordination are qualities that assume great importance. But this very claim is marred by failure. For instance, the first Five Year Plan did not observe the allocations made by the planner and fell short of achieving its targets. By the last year of the plan, Egypt had lost all its foreign currency reserves and had gone into debt. The second Five Year Plan was extended to seven and was never actually drawn up or implemented⁽¹⁾. As for state's management of property, loyal army officers were placed in charge of public sector firms and overstaffed those firms with supporters and redundant labor in order to combat unemployment. To make products of those public firms accessible to low paid government employees, the state imposed on the management price controls. The outcome, as can be expected, was not encouraging: wages remained depressed due to redundant labor and low profits, poor investments choices were made⁽²⁾, investment capital was

(١) إيليا حريق، «أزمة التحول الاشتراكي والانماء في مصر»، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة الكويت، المجلد ١٥، العدد ١ (ربيع ١٩٨٧).

(2) Investment in textiles increased disproportionately but not on finished garments nor on intermediate goods. Steel in which Egypt has no comparative advantage absorbed a lot of capital at heavy cost; later energy intensive aluminum was started.

were put aside in our Arab discourse on politics and the price has been very dear indeed.

True, socialism stands a far better chance of success in advanced industrial countries than in the countries of Africa, Asia and Latin America, where accountability is an unknown product and the public good concept is immature.

In order not to appear as if making a sweeping generalization and one that sounds as a replay of neo-colonial views, the reader will be asked here to consider the following chart listing critical variables pertaining to public issues and try to place the developing country he/ she knows best on a continuum. Let each one of us be his/her own judge. We may all start with Lebanon, and I shall add examples from Egypt later on.

Just like recruiting an employee, before advocating that the state be the candidate to do a job for us, we should ask the questions listed in the chart below to make sure that we have entrusted a worthy and qualified agent. Since states differ in their performance and capacity for service, let us ask where does the country we are concerned with rank on this continuum.

CHART I

Criteria to be Used to Assess the Qualifications and Public Character of Officials

A Country's Attributes	Stable and Institutionalized	Unstable Not fully Institutionalized
Regime Authoritarianism	low to medium	High
Cultural Norms: Allegiance	Institutional	Personal
Competence of Officials	High to medium	Low to medium
Societal Pressures on Officials	medium to high	Low
Criteria for Appointments	Competence first, loyalty second	Loyalty first Competence last
Officials Priorities	Duty and service	Political and personal
Political Violence	Low	High
Corruption	Low	High

Considering the place of Lebanon on this chart, it falls consistently, especially in its post-war era, among the unstable and not institutionalized political systems. In as far as education is concerned then, we should expect

it rests or falls the fundamental edifice of socialism. For who is the state if not the sum total of its officers? Do we know enough about these officers to trust them with our livelihood and cultural values? what kind of controls do we have over these strangers to whom we assign the role of managing our fortunes. The main and legitimate questionm is whether the state represent the public or those, say, who man it?

As far as I know, the political literature of Arab socialists never quite dealt with this critical question. The point was generally left implicit that the pact between the dependent society and the intellectual cum politician is a sufficient guarantee that the promise will be fulfilled.

As the terms of the patronage pact in the political arena were generally known, every aspirant to power used codes to achieve his own objective. Some believed in the codes and others did not, but the outcome was the same the political objective of the actor came ahead of every other consideration.

Political power has its own logic which does not necessarily correspond to the logic of equity and justice. Political power ought to be viewed as capital, the acquisition and maintenance of which has a cost. It is neither free nor God given. The paradox in the Arab countries is that while the cost of power is understood and consciously paid by all those in the business, few are those who acknowledge it. The fact of the matter is that political power has a price and all those who seek it have to pay that price and recoup their capital and make profits. The economics of power is a science still in its infancy. Since its laws and rules are different from those of justice and equity, we ought to know how much it costs us, how much we want to buy of it at what price and how much.

The cost of power in the patron state was not always consistent with the best service to the public. To compound the problem, not only the leaders idnterests were shaped by political considerations dand particularistic concerns, but their expertise was hardly existent or relevant to what they were charged to do. In effect, the claim that property was put in the service of the common weal when taken over by the state was actually in the service of the particular interests of the powerful and fortunate who happened to be in the right position at the right time.

Before proposing that property be rendered public, the basic issue of who is going to be in charge of managing it and what do we know about the manager should be clearly laid at the table and before any other question. Substitute for the «state» the terms «bureaucrats» and «politicians» and them ask how much of the clamor for a greater state role remains. Those questions

land reform, nationalizations, a variety of state business projects, employment by decree, subsidies, free services such as education, health and housing. Celebrated as a way of the future, the patron state soon turned out to be a disappointment to those who advocated and supported it. Not more than a decade after its inception, fissures and fractures appeared in the edifice leading eventually to a dead-end of impotence and irrelevance.

The promised prosperity (raffahiyah) was not realized by the patron state and a downward mobility started to affect the low and middle income groups. Health and educational services started to decline and unemployment figures started to go up again. The mutual interest pact did not change the dependency status of society, as those hovering around the poverty line did not shrink in numbers or ratio. The dream of rationality in the social order was shattered leaving the disappointed face to face with the stark reality of dependency again, but this time without a patron. What went wrong with the inspired project?

The economic crisis has in places given impetus to economic and political liberalization and the word democracy in the liberal sense has started to make its appearance once again in public and by the intellectuals. Those new developments are worth noting, but they will not bring about a democratic order in Arab societies. The economies of the patron state were in part victims of changes in the world economic order such as oil prices, recession and protectionism in the industrialized world. Those factors could overturn a democratic regime just as easily. In the thirties they did in Germany and in other places.

The main reason for the downfall of the patron state, however, has been the unrealistic assumption on which its project rested, especially when it comes to the competence of officials and their interest in the common good.

This is too long a story to discuss here in details. However, the basic weak assumption in the theory is essential to our argument regarding the role of the state in education and democracy. It forces us to ask the basic question: what is the state and why should it be different from any other social organization to be assigned such vast and important functions?

We were often told that private property is the source of evil and public property will create equity. That may well be, but there is a catch here? What is public property? The only answer we have been treated to is that it is property held in the name of and managed by the state. In other words, public property, or what everybody owns in common, is actually owned by the state and managed by it. But that is a loaded political question, and upon

enjoyment. Not only is this lop-sided control of resources a selfish and anti-social act, but it is also irrational in economic terms since it fails to maximize social returns on investments of capital, work and skills. It represents a fragmented effort, wasteful and socially harmful. A healthy society would eliminate those ills by coordination through central planning. Instead of working at cross purposes, a central agent coordinates all social efforts, invests in socially useful enterprises, makes capital and work more productive by means of concentration and organization and creates socially beneficent spirit by linking effort exerted to reward. In short, social returns will accrue only to merit and humanitarian considerations.

The idea of a single organizing central agent has several advantages over the pluralistic one. A single agent, it often seems obvious, sees the whole picture and plans for everyone not the few. A single agent, moreover, acts from a position of strength and can generate more resources for investment, and it can allocate resources in the most productive manner. Finally, it acts for the good of society as a whole not for private individuals, corporations or clans.

The Patron State and its limitations.

Whether conveyed to the public with the aid of symbols, explicit statements or rhetoric those arguments are music to the ears of the forsaken masses, of the grievance bearers, of the unemployed and uncared for. In LDCs those groups are the majority of the population and that creates interesting political facts for those prospecting in the political fishing pond. The intellectual (includes most those with a measure of formal education) cum politician links in with the uninstructed, half-educated, discontented and hordes of low salaried and poor population. A patronage «pact» as a result is informally forged binding the two sides to a common cause. It is signed with the feet of the masses and the loud exclamations of the articulate. As an issue of the marriage, the patron state is born and celebrated. Unfortunately, the newly born child is delivered into this world through violence and reared by police control.

The patron state is an authoritarian body which claims and acts as the major business entrepreneur in society and a provider at one and the same time. In other words, it acquires extensive economic functions and looks after the welfare of citizens by providing essential services such as housing, education and health.

In our Arab societies, we have become familiar with the patron state only recently, starting basically in the late fifties. The process took the form of

and crafts are lower so would be public morality. While no state can disclaim the penchant its officials have for turning public good for private advantage, the practice is far greater in the so-called less developed countries of Africa, Asia and Latin America.

A nineteenth century myth had spread over large parts of the world and hit us in the Arab countries at the middle of this century. The myth is expressed as a conviction that the state is a solution to every social ill. There are two sides to this myth: One, the social motivation aspect, and two, the rationalization of that motivation made up by intellectuals. I shall deal here only with the tale-end of the story as it has belatedly affected our Arab societies.

One, The social motivation. The myth of the state as a panacea is a direct response to social needs grown out of proportion by the population explosion. Positing the state as a super agency has been a syndrome of the dependent society before the idea ever found its way into the books of Hegel, Owen or Lenin or Nasser. A dependent society is one in which the vast majority of the population live around the poverty line. That is they can be located at it, beneath it or just above it. In a dependent society, the ratio of the unemployed who are supported by an employed person is high. The population explosion in our midst as of the mid century has aggravated this situation, created urban masses and, with the revolution in mass communications, made them a volatile political force to reckon with. Without traditional patrons such as landlords or guild leaders, the abandoned population seeks a new patron, and that patron, *faute de mieux* is the state. The masses lay their claims at its door steps and its crafty leaders dare glad to oblige. The greater the dependency condition of society, the greater the role sought for the state. For who other than the unpropertied would trust strangers with the public goods, basically converted private goods. This tendency may be classified as compensatory behavior.

two, The rationalized aspect of the myth is naturally propagated by intellectuals and politicians. It makes perfectly good sense. It goes something like this. Inequality in society is harmful to the majority of the deprived population and makes no sense. Different writers differ over the reasons for the prevalence of sharp inequality, but there is a common agreement that it is irrational and could be corrected by concerted public action. Moreover, poverty in general, whether there is equitable distribution of income or not, is avoidable if only the political order was rational. Under a poverty regime, individuals and corporation, it is often claimed, use their advantage in the control of capital and skills to divert social resources to their private

We shall try to view the state in its naked form, thus steering away from the mythology propagated in classical literature, especially in the abstract codes of German philosophy and the idealistic visions of utopian socialism. In its naked form, the state is nothing more or less than the sum total of the practices followed over time by its officials from top to bottom. The moral principles upon which the community rests and which the state is supposed to reflect are as good as those entrusted with their execution and protection. Maintaining an abstract notion of the state serves only to mystify people and justify abuse. Attention should be focused on the attitudes and behavior of those who occupy public office at all levels in order for citizens to know how their interests are being served and for public accountability. Citizens ought to have a reasonably realistic notion of the nature of political power and the forces upon which it rests. For it is only by understanding the nature of the animal that demands and claims can be made upon it. Should those demands and claims not be based on reality, the result will not only be disillusionment and failure but the active breeding of public distrust and corruption. If, as it seems, the Lebanese are asking for an additional more assertive role for the government in the educational system, what basis do they have to trust officials with such a new role?

Governance, or what is otherwise known as the state, started as coercion of the weak by the strong (al-ghubla in Ibn Khaldun's language). The progress of civilization is marked by the degree to which coercion gives way to persuasion and participation in the governing process. Since no where in this world of ours do we have a thoroughly civilized society, no where do we find a state based thoroughly on persuasion and consent. However, there are scales and gradations.

When the state is stripped from the illusions weaved around it by philosophic imagination, what is left is a diminutive creature whose claims outweigh its qualifications to perform. Viewed realistically, the state appears in its true form unfit and unworthy of doing but the minimum of public function such as those that are basic for common convenience, public order and for curtailing unbridled human aggression. Unfit because as an organization staffed with ordinary officials it carries the biases and incompetence of its custodians; unworthy because the individuals who man it lack in most cases the moral standards to represent or realize the public welfare objective. They have, past and present, shown incompetence and used the instrument of the state to favor their own material advantage and personal aggrandizement and those of their supporters. The truth range of this last statement is greater the less developed the society is. The hypothesis here is that in societies where individual achievements in the sciences, the arts

The Democracy of Education and National Unity: A Political Perspective

Iliya Harik^()*

Introduction

The question preoccupying Lebanese leaders in recent years has been how to forge a national unity through the educational system, considering the agonies, and the waste of human and material resources witnessed during the last fifteen years of civil war. Implied is the conviction that Lebanon's sectarian diversity has been the culprit and that what is needed is the adoption of a national and secular culture to replace what exists. The state, of course, is the agent and only agent that could impose an ideology on a national scale. The formation of a nationally selected committee by the various Lebanese groups after reaching a consensus on the matter is a possible alternative to a state led solution. In both cases, many questions remain to be answered. Can the Lebanese leaders reach a commonly acceptable and a secular formula of national unity to inculcate in schools? Assuming the state can devise such a formula, can national unity be formally taught? Is the sense of group identity the reflection of a person's situation and social relations in society or a product of inculcation or indoctrination?. Can it be done without infringing on the principle of democracy of education or the democratic political system? Is it truly harmful to national unity for a citizen to have more than one sense of identity.

I shall try here to grapple with these issues starting with an assessment of the state's potential as an agent capable of forging and implementing a new national culture.

The state in a Realistic Perspective

(*) Professor in the dept of political science, Indiana University, USA.

DEFENSE NATIONALE LIBANAISE



LEBAN	NATIONAL	LEBANESE NATIONAL DEFENCE				
DEF	LEBANESE NATIONAL DEFENCE					
NAT						
LEBANESE NATIONAL DEFENCE						
L	DEFENCE	LEBANESE NA				
AL DEFENC						TIO